مقالات

العلامة المؤرخ المحدث

محمد راغب الطباخ

وبحوثه في التاريخ والتراث والأدب والتراجم

ومقدمات الكتب التي حققها



جمعها ورتبها وقدم لها وعلق عليها

مجد أحمد مكي

الجزء الثاني

أروقة

مَقالاتُ
العَلّامَةِ المؤرِّخ المُحَدِّث
مُحَمَّد راغب الطَّبَّاخ

وبحوثه في التاريخ والتراث والأدب والتراجم
ومقدِّمات الكتب التي حقَّقها

جمعها ورتَّبها وقدَّم لها وعلَّق عليها

مجد أحمد مكّي

الجُزءُ الثّاني

أروقة

□ مقالات العلامة المؤرخ المحدث محمد راغب الطباخ
جمعها ورتبها : مجد أحمد مكي
الطبعة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤
الرقم المعياري الدولي : ٩٧٨٩٩٥٧٢٣٢٠١٦ : ISBN
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٤٥١/ ١/ ٢٠١١)

الغلاف: صورة جميلة للجامع الكبير بمدينة حلب، فرّج الله عنه وعن أهلها

أروقة للدّراسات والنّشر

هاتف وفاكس : ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني : www.arwiqa.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصلُ الخامس

أدبياتٌ ولغويّات

١ ـ البدريّات، لبدر الدين حسن بن عمر الحلبي.

٢ ـ الروضيّات، للصنوبري.

٣ ـ ديوان الغزّي، لأبي إسحاق إبراهيم بن عثمان.

البَدْرِيَّات[١]

خيرُ الوسائل للأُمَّة التي تُريد أنْ تَحيا حياةً طيِّبَة ـ وقد أنزلها الدّهرُ على حُكمِه من منزلتها الشَّامخة إلى الوِهاد، وتَودُّ أن تَستعيد مكانتَها الأُولى، وما كان لها من عزٍّ لا يُستطال ـ أن ترجع إلى تاريخها الماضي، وتَستعرضَ ما كان هنالك من مَلِكٍ عظيم، وعَالِمٍ جليل، ووزيرٍ خطير، وقائدٍ كبير، وطبيبٍ ماهر، وشاعرٍ مجيد، وتعتبر بأحوالهم، وجلائلِ أعمالهم، وعظيمِ آثارهم، وما ابتدعَتْه قرائحُهم، وسطَّرته أقلامهم، فيوقظُها ذلك بعد تلك الرَّقدة، وتتواصى فيما بينها بـ (حيَّ على خير العمل).

هنالك ـ إذا كان الإخلاصُ شعارَها ـ تتسهَّلُ لها سبلُ السَّير إلى الأمام، فما هي إلا عشيَّةً أو ضُحَاها إلا وترى كوكب مجدِها قد صَعد في أُفُق العلياء، وأصبحت بنوال مُناها قريرة العين، مثلوجة الفؤاد.

ويجدرُ بمن يُريد تثقيف فِكْرِه، وتوسيع مداركه أن يقفَ أولاً على تاريخ بلاده،

(١) مجلة «الاعتصام» الحلبية، الأعداد: الرابع والخامس والسادس، ربيع الآخر وجمادى الأولى والآخرة من السنة الأولى **١٣٤٨**هـ. والعددان: الرابع والخامس من السنة الثانية. وقال المُحرِّر في مقدمة البحث الذي كتبه العلامة الطباخ: «البحثُ والتنقيب عن دُرَر الفوائد، وغُرر النتائج، صفةٌ لازمة للأستاذ العلامة الشيخ راغب الطبَّاخ، عضو المجمع العلمي العربي، فهو لا يرى لذَّةً إلا في نبش دفائنِ الآثار القيِّمة، وإبرازها إلى عالم الوجود، وإننا لنعجزُ عن وصف عنايته بالعلوم الإسلاميَّة، والآداب العربيَّة والأبحاث التاريخيَّة، وهذه البدريَّات التي أتحف بها قرَّاء «الاعتصام» الأعزَّاء، شاهدٌ ناطق بما له من فَضْل كبير، وجُهْدٍ شريف».

وأعيانِ أوطانِه، ثم يُسرِّح النَّظر فيما وراء إذا أحبَّ التوسُّع وزيادة الاطلاع.

وقد أحببتُ أن أُتحفَ قُرَّاء مجلة «الاعتصام» برسالةٍ دعوتها: (البَدْريَّات)، وهي ترجمة عالم جليل من علماء الشهباء، في القرن الثامن، وأديبٍ كبير من أدبائها، فأذكر لهم ترجمتَه، وأُعَرِّفهم بمنزلته الأدبيَّة بين أدباء عَصْره، وأعقِّبُ ذلك بما له من المُؤلَّفات المفيدة، وجميع ما وقفتُ عليه من شعره.

فإنَّه قد كان في الشهباء أحدَ أفرادها في عَصْرِه، والمُشَارَ إليه بالبَنَان من بين الأعيان، وقلَّ من النَّاس - وخصوصاً من أبناء الشهباء - مَنْ يعرفه، أو يكون واقفاً على شيء من نَظْمِه، ومِثْلُ هذا النابغة لا يَنبغي أن يظلَّ هو وشعرُه مُهملاً في الزّوايا، قد عَلَقت عليه عناكب النّسيان، ولعلّ ذلك يكون باعثاً لأحد ذوي الهِمَم أن يبحثَ عن ديوانه وآثاره، فيُحييها بالنّشر لتعمَّ الاستفادة منها.

ترجمته:

هو: حسن بن عُمر بن الحسن بن حبيب بن عمر بن شُوَيخ بن عمر بن بدر الدّين، أبو أحمد وأبو طاهر، الدمشقيُّ الأصل، الحلبيُّ المولد والمنشأ.

ولد سنة عشر وسبع مئة، ونَشَأ مُحبّاً في الآداب، وأخذ عن ابن نباتة وغيره، وهو صاحب: «نسيم الصَّبا»، يشتمل على أدب كثير، واستعملَ مَقَاصد «الشفا» لعياض، فسبكها سَجْعاً، سمعه منه أبو حامد ابن ظهيرة، وصنَّف: «دُرَّة الأسلاك في دولة الأتراك»، سَجْعٌ كُلُّهُ، يدلُّ على اطِّلاع زائد، واقْتدارٍ على النّظْم والنَّثْر، لكنّه ليس في الطبقة العُلْيا منها.

وسَمِعَ بالقاهـرة ومصـر والإسكندرية، وكـان فاضلاً كيِّساً، صحيح النَّـقْـل،

حدَّث عنه ابن عشائر[1]، وابن ظهيرة[2]، وسبط ابن العجمي[3]، ومحبّ الدين بن الشحنة[4]، وعلاء الدّين بن خطيب الناصرية[5]؛ وقال في ترجمته: هو أول شيخ سمعتُ منه الحديث، وأجازني، وكان يُوقِّع عن القضاة، وانقطعَ في آخر عمره، وباشرَ نيابة القضاء، ونيابة كتابة السرّ، وأجاز له من مصر الرشيد بن المعلّم[6]، والحسن الكردي[7]، وموسى بن علي[8]، وزينب بنت شكر[9]، ومات في ربيع الآخر، سنة سبع مئة وتسع وسبعين.

وفي سنة سبع وستين جمعَ مجلداً من شعره، وسماه بـ«البدور»، فمنه:

الـوردُ والنّرجـسُ مـنـذ عاينـا	لَـيْـنَـوْفَـراً يـلـزم أنهـارَهُ
شـمَّر ذا للخَـوضِ عن سـاقِه	وفـكَّ ذا لـلعَـومِ أزرارَهُ

وترجمه صاحب «المنهل الصَّافي» يوسف بن تَغري بردي، ومما قاله: أنّه سمع

(١) عبد الله بن أحمد (ت ٨٠٢) رحمه الله تعالى.

(٢) أبو السعادات محمد بن محمد (ت٨٦١) رحمه الله تعالى.

(٣) المتوفى سنة (٨٤١) رحمه الله تعالى.

(٤) صاحب «روض الناظر في علوم الأوائل والأواخر»، المتوفى سنة (٨١٥) رحمه الله تعالى.

(٥) المتوفى سنة (٨٤٣) رحمه الله تعالى.

(٦) إسماعيل بن عثمان بن عبد الكريم رشيد الدين، شيخ الحنفيَّة في زمانه، وآخر مَن قرأ بالرّوايات على العَلَم السخاوي، توفّي في القاهرة سنة (٧١٤) عن ٩١ سنة رحمه الله تعالى.

(٧) الشيخ الصّالح الزّاهد صاحب الحال والكرامات، توفي سنة (٧٠٠) عن نحو ٩٠ سنة رحمه الله تعالى.

(٨) موسى بن علي بن محمد الحلبي أصلاً، الحموي مولداً، نجم الدّين المعروف بابن البُصَيص، شيخ الخطّاطين في زمانه، توفي بدمشق سنة (٧١٦)، عن ٦٥ سنة رحمه الله تعالى.

(٩) زينب بنت كندي بنت شُكر، الشيخة المسنِدة، توفيت سنة (٦٩٩) رحمها الله تعالى.

من أبي بكر النَّصيبي[١]، ومن أبي طالب عبد الرحمن بن العجمي[٢]، والكمال ابن النحاس[٣]، وأجاز له جماعة من مصر وغيرها، وقرأ على القاضي فخر الدين ابن خطيب جبرين[٤]، وكان يرتزق بالشروط عند الحكّام بحلب، وكان له فضل ومُشاركة جيِّدة، واليد الطُّولى في النّظم والنّثر، وله سماع ورواية، ومؤلَّفات مفيدة، وكانت له وَجاهة، وباشر كتابة الحكم العزيز، وكتابة الإنشاء، والتوقيع الحكمي، وغير ذلك من الوظائف الدينيَّة، ثم تخلَّى عن ذلك جميعه في آخر عمره، ولزم داره حتى تُوفِّي بحلب، يوم الجمعة الحادي والعشرين، من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وسبعين وسبع مئة. اهـ ببعض اختصار من تاريخنا «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» ٥: ٦٦.

وتَرْجَمَهُ العلامة العُرْضي في مجموعته، فقال: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ابن حبيب الحلبي الشيخ بدر الدين، إمام المُؤرِّخين، وعمدة المتأدِّبين، عالمٌ، ذِكْرُه مُخَلَّد في ديوان السّعادة، وعاملٌ استوفى سائرَ شروطِ الشّهادة، ما نَظَمَ إلا وكانت شذور ألفاظه الذهبية مثل نسيم الصَّبا، وبحسن دقاته الأدبية ارتصّ البلغا بمواصيل

(١) هكذا في الأصل، والصواب: أبو المكارم، وهو: العلامة المسنِد تاج الدّين محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر النَّصيبي الحلبي، ولد سنة (٦٤١)، وتوفي بحلب سنة (٧١٥)، عن ٧٤ سنة.

(٢) عبد الرحمن بن صالح بن هاشم ابن العجمي، ذكره الحافظ في «الدرر» في ترجمة الحسن ابن حبيب. ٢: ٩٢. وقال: «وأحضر على إبراهيم وإسماعيل وعبد الرحمن أولاد صالح»، وإبراهيم وعبد الرحمن أخو إسماعيل المتوفّى سنة (٧١٤)، وإبراهيم المتوفّى سنة (٧٣١)، ولم يترجم الأستاذُ الطّبّاخ عبدَ الرحمن هذا في «إعلام النبلاء». ينظر: مقدمة «الكاشف» ١: ٢٤٨.

(٣) محمد بن إبراهيم بن أبي نصر الحلبي النَّحوي، توفي في القاهرة سنة (٦٩٨) رحمه الله تعالى.

(٤) فخر الدِّين عثمان بن علي بن عثمان الطائي الحلبي، ولد بالقاهرة سنة (٦٦٢)، وتوفي سنة (٧٣٩)، عن ٧٧ سنة رحمه الله تعالى.

مقاطيعه طرباً (هكذا)، ولا نَثَرَ إلا أبرزه درَّة الأسلاك، واقتنص من آرام البديع كل سارحة ليس لها من أَسْرِهِ فَكَاك، رَحَلَ ورَوَى وسَمِع، وألَّف، وانتَفَع غالبُ البلاد بما صنَّف، وجمع بين طَريف العلم وتالده، وتبع حبيباً[١] في ألفاظِه العذبة، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده. اهـ.

ثناءُ أئمّة الأدب في عصرِه على شِعْرِه ونَـثْرِه:

قال في «الكواكب المُضيّة»: لما قَدِمَ جمالُ الدّين بن نُباتة المصري إلى حلب، كتب على مُقطَّعات من شعر بدر الدين نحو ثلاثين سطراً، منها: «وقفتُ على هذه الأبيات الحسنة المباني، المأهولةِ بعقائل المعاني، المنسوبةِ إلى حسن لولا تأخُّر عصره ووقته ما شككت أنَّه الحسن بن هانئ، وتأمَّلتُها تأمُّلَ ناقدٍ لتِبْرِها، مطَّلع في ليالي السّطور على ليالي قدرها، فإذا هي مُشتملة على لطائفَ أدبيّة، وسبائكَ مصريَّة، وإن قيل حلبيَّة، وأزاهرَ ما ابتسم عن مثلها الرّوض الممسود[٢]، وفرائدَ إذا أوفى النّاظم بمثلها كان من الذين أَوْفَوا بالعقود، كأنَّه نسيب بدري لا يُنكَر حسنه، ونظم زَهِيٌّ ما يُعرف في أوزان شعراء العصر وزنه، قد أغنتْ جُمَلُ حُسْنِها عن التّفصيل، وأطربت مَقاطِيعُها المشبَّبة؛ فلم أدرِ أهي مَقَاطيع أم مَوَاصيل؟ وتناسق دُرُّها فشنَّفَ الأسماع، وتلاحَقَ شَذْرها فانعقد على لُطْفِه الإجماع، وطار ذكرُها مطارَ الملائك، وكيف لا؟! وهي مِن أبياتها المُخْتَصَرة ذات أجنحة مَثْنى وثلاث ورباع.

ومنها: هناك يبهرُ المتنبي بمعجزِ آياته، ويفخَرُ على ابن الرّومي بإغراب إعرابه، ويقول بألفاظه المكتهلة لوليد: دعني، ولحبيب: يا أبَتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني.

(١) أي: أبو تمام، حبيب بن أوس.

(٢) في الأصل: «المجسود»، والراجح: الروض الممسود أي: المفتول من نبات أو لِحاء شجرة.

وعلى الجملة فما شام نظري أذكى من فطرته، ولا رأت عينُ فِكرِي أصفى من مَوَارد الأدب من عينِ فِكْرته، والله تعالى يُمتِّعه بما وهبَه، ويشكر ـ في محاسن القول والفعل ـ أدبه، ويراعي مَنَاقبه؛ التي لا يحسن لواضعها أن يكتم فضائله؛ التي تقول لِكَلِمِه في الآداب: افعلوا أهل بدر ما شئتم». اهـ.

ثناءُ الصَّفيِّ الحِلِّي عليه:

قال فيه: ولما ورد الصَّفي الحلي[١] إلى حلب المحروسة، وأوقفه الشيخ بدر الدّين على نظمه، فكتب عليه نحواً من عشرين سطراً، منها:

«لمحتُ هذه المُلَح الأدبيَّة، والشُّذور الذهبيَّة، لمْحَ مُعتبِرٍ لمعانيها، مختبِرٍ لمبانيها، فرأيتُ بها من التّوجيه ما يَعجز عنه ابن الوجيه[٢]، وينبِّه على فصاحتها ابن النّبيه[٣]، ومن البديع ما يطوي الطائي[٤] إذا انتشر، ويُخفِي اسم البحتري[٥] إذا ظهر، وشهدتُ إذ شاهدتُ نَفَثات فيه، أنَّه قد ورث فصاحةَ سَميِّه، وسميِّ أبيه، فقلت: لم

(١) الشاعر الشهير عبد العزيز بن سرايا الطائي، ولد في الحلّة سنة (٦٨٥)، ونشأ فيها، وتوفي ببغداد سنة (٧٥٠هـ) عن ٦٥ عاماً رحمه الله تعالى.

(٢) هو العلامة المقرئ عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه، هبة الله نجم الدين الواسطي، له كتاب «الكفاية في القراءات العشر» في ١٢٧٣ بيتاً، وتوفي في بغداد سنة (٧٤٠هـ) عن ٧٠ عاماً رحمه الله تعالى. تنظر ترجمته في: «غاية النهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري، و«الدرر الكامنة» لابن حجر.

(٣) الشاعر المشهور المنشئ علي بن محمد بن الحسن، كمال الدين ابن النَّبيه المصري، توفي بنصيبين سنة (٦١٩هـ). قال الذهبي في «السير» ٢٢: ١٧٨ «وفي نظمه مبالغات تفضي إلى الكفر بالله لا أرى ذكرها».

(٤) أبو تمام حبيب بن أوس، ولد سنة (١٨٨) في قرية جاسم قرب دمشق، وتوفي في الموصل سنة (٢٣١هـ) عن ٤٣ عاماً رحمه الله تعالى.

(٥) الوليد بن عبيد الطائي، ولد في منبج سنة (٢٠٦هـ)، وتوفي فيها سنة (٢٨٤هـ) عن ٧٨ عاماً رحمه الله تعالى.

يسبق الحسن بن هانئ[١] غاية إلا وبالحسن اقتدى كجنيب، ولذلك لم يبلغ حبيب رتبة إلا تجاوز شأوها ابن حبيب».

ثناء زين الدّين ابن الوردي عليه:

قال: «ووقف على نظمه الشيخ زين الدّين ابن الوردي، فكتبَ أسطراً، منها: تأمّلتُ هذه النّبذة التي رقَّت من قائلها الطباع، وافتخرت بنظرها الأبصار على الأسماع، فوجدتها مُشْتملةً على مَباني القوافي الفوائق، ومَعَاني الرواقي الروائق، نسبُها بدريّ، وكوكبُها دريّ، هاجتْ لي ذكر حبيب، فهي زبدة من حلب، لا، بل قرصة من طيب، أعذب من الوصال، وأطيب من الماء الزُّلال، وألطف من الرّياض عند الصّباح، وأرقّ من رحيقِ الطَّلِّ في ثغور الأَقاح، فَيَا لها من مُقطَّعات نيل، أَضرَمَتْ في رُوح كلِّ كَليمٍ حَكيمٍ نَارَ خَليل، قدَّرَ ناظمُها في السَّرْد، وقال ناظرها بالجوهر الفرد:

أقسمتُ إن جدَّ وطال المدى ... أَرْوَى الوَرَى من بحرِه الزَّاخرِ

فقُل لِمَن بالسَّبْق تفضيلُه ... كم ترك الأوَّلُ للآخِرِ؟

والله يَقْرن قولَه وفِعلَه بالتوفيق، ويصونُ شأنَه عمَّن شَانَه، فشَين الحسن لا يليق». انتهى.

مؤلّفاته:

١ ـ «نسيم الصَّبا»:

قال في «كشف الظّنون»: «نسيم الصّبا» مختصر، مُشتمل على ثلاثين فصلاً،

(١) أبو نواس من أكبر شعراء العصر العباسي، ولد في الأهواز سنة (١٤٥)، وتوفي سنة (١٩٩)، عن ٥٤ عاماً، ودفن في مقبرة الشونيزية غرب بغداد، والتي تُعرف اليوم بمقبرة الشيخ جنيد البغدادي.

مذكور فيه جملة من أنواع البديعة على عادة مؤلِّفه، أوَّله: «أما بعدُ، حمداً لله الذي أعلى مقامَ أهلِ الأدب...» إلخ.

وقال في خطبة هذه الفصول: أنَّه أودعها أبياتاً لغيره على وجه التَّضمين.

وقد طبع في مطبعة الجوائب، في الأستانة سنة ١٣٠٢هـ، وطُبع في مصر عدَّة مرات[١].

أما فصوله الثلاثون، فهي:

الفصل الأول: في السَّماء وزينتها.

الفصل الثَّاني: في الشَّمس والقمر.

الفصل الثَّالث: في السّحاب والمطر.

الفصل الرَّابع: في اللّيل والنّهار.

الفصل الخامس: في أقسام العام (الرّبيع، والصّيف، والخريف، والشّتاء).

الفصل السّادس: في البحر والنّهر.

الفصل السّابع: في المعقل والدّار.

الفصل الثّامن: في الأشجار والثّمار.

الفصل التّاسع: في الرَّوض والأزهار.

الفصل العاشر: في وصف الغلام.

الفصل الحادي عشر: في وصف الجارية.

(١) منها في المطبعة العامرة الشرفية سنة١٣٠٢، والثانية ١٣٠٧، وحقَّقه الأستاذ محمود فاخوري، وصدر عن دار القلم في ١٤٦ صفحة، وطبع أيضاً بتحقيق حسن عاصي، وصدر عن دار المواسم في ٢٠٠ صفحة.

الفصل الثّاني عشر: في الشّمعة والنّار.

الفصل الثّالث عشر: في مدح العِشق، وذمِّه.

الفصل الرّابع عشر: في الفراق.

الفصل الخامس عشر: في الاستعطاف.

الفصل السّادس عشر: في مجلس الشّراب.

الفصل السّابع عشر: في الشَّيب والخِضَاب.

الفصل الثّامن عشر: في الخيل والإبل.

الفصل التّاسع عشر: في الوحش.

الفصل العشرون: في الطّيور.

الفصل الحادي والعشرون: في الكتابة.

الفصل الثّاني والعشرون: في الحَرْب والسّلاح.

الفصل الثّالث والعشرون: في رمي البندق.

الفصل الرّابع والعشرون: في الكَرَم والشّجاعة.

الفصل الخامس والعشرون: في العَدْلِ والإحسان.

الفصل السّادس والعشرون: في الشُّكْرِ والثّناء.

الفصل السّابع والعشرون: في الهناء.

الفصل الثّامن والعشرون: في الرّثاء.

الفصل التّاسع والعشرون: في الحكم.

الفصل الثّلاثون: في المواعظ.

وهذا الكتاب يفيد المتأدِّب كثيراً، غير أنَّك إذا قارنت بين هذه الفصول وبين شعره الآتي؛ فضَّلت شعرَه على نثرِه، قال في (الملتقَط من الكواكب المضيّة): أنشأ هذا الكتاب في سنة ستّ وخمسين.

ومن نظمه في فضل الخيل والإبل:

جُرْدٌ بهنَّ بكلِّ عين جنّة فإذا جَرَيْنَ أَتَيْنَ بالنِّيرانِ
يحكينَ في البِيدِ النَّعَامَ رَشَاقةً ويَسِرْنَ في الأنهارِ كالحيتانِ

٢ ـ «النّجمُ الثّاقب في أشرفِ المناقب»:

هو مُرتَّبٌ على ثلاثين فصلاً، وهو مسجَّع، منه نسخة في بِرْلِين، ونسخة عند صديقنا الفاضل الأديب الشيخ أحمد سراج الدِّين سِبْط التّرمانيني، وقد اطّلعتُ عليها عنده.

أولها: الحمد لله الولي الحميد، المبدي المعيد، الفتّاح العليم، ربّ العرش العظيم.

ثم قال: وبعد: فهذه أوراقٌ أينعَ ثمرُ أغصانِها، تشتملُ على ثلاثين فصلاً، محرِزةً للإيمان وللسّبق خَصْلاً، حاملةً ألويةَ الشَّرَف، رافلةً في مطارف الطَّرَف، مُفصحةً بتعريف أحوال المصطفى، مُنَجِّمَةً قَصْدَ مَن اتَّبع آثارَه واقتفى، نحوتُ بها نحو القاضي عياض في شفائه... إلخ.

وقد نحا فيه نحو كتابه: «نسيم الصّبا»، وبيَّن في هذه الفصول أحوال النبي ﷺ ومعجزاته، وفي كُلٍّ أبياتٌ شعرية، وهو كتابٌ جليلٌ، دلَّ على رسوخِ مُؤلِّفه في صناعة النَّظْم والنَّثْر.

قال في آخره: بدأتُ في إنشائه يوم الأربعاء، ثالث جمادى الآخرة، سنة ثلاث وستين

وسبع مئة، وفرغتُ منه يوم الأحد، مُستهلّ شوال من السنة المذكورة، والنّسخة محرَّرة سنة ١٠١٧هـ، بخطٍّ جميل، بخطّ الشّيخ يحيى سبط الشّيخ علي بن خليل المرصفي[١].

٣ ـ «كشف المروط عن محاسن الشروط»:

قال في «الكشف» أوله: «الحمد لله القاضي بالحق، المقسِم بالكتاب المسطور،...» إلخ. أوردَ فيه جملة من السّجلات على اصطلاح أهل مصر. اهـ.

منه نسخة في المكتبة السّلطانية بمصر، ورأيت نسخة منه في كتب كانت في خزانة داخل القبة المدفون بها الشّيخ محمد أبو يحيى الكواكبي في محلّة الجلُّوم في حلب، وهي في مجلد وسط فيها بعض أوراق ناقصة، وهذا الكتاب يُفيد مَن يتعاطى كتابة الصّكوك، وقد ابتدأ فيه من البيوع.[٢]

٤ ـ «درة الأسلاك في دولة الأتراك»:

قال في «الكشف»: هو تاريخ مُرتَّب على السّنين، في مجلد، أوله: «الحمد لله المميت الوارث». ابتدأ فيه في سنة ٦٤٨هـ، وانتهى إلى آخر سنة ٧٧٨هـ، والتزم رعاية السجع في كلامه، ولذلك قال صاحب «المنهل الصّافي» في ترجمة سليمان بن مهنا[٣] ـ بعد نقل كلامه فيه ـ: انتهى فشارُ[٤] ابنِ حبيب، وركيك ألفاظه، وربما كان إذا ضاقت عليه القافية يذمُّ المشكور، ويشكر المذموم، لما ألزم نفسه في جميع تاريخه بهذا النوع السافل في فنِّ التاريخ.

---

(١) طبع في دار الكتب العلمية سنة ٢٠١٠ في ١٦٠ صفحة.

(٢) حققه رياض بن عبد اللطيف المهيدب في رسالة دكتوراة بالسعودية سنة ١٤٠٨.

(٣) المقتول سنة ٧٤٤.

(٤) فَشَرَ يفشُر فشراً، أي: كَذَبَ وادعى باطلًا فهو فاشر. فشّار صيغةٌ مبالغة من فشر، أي: كذّابٌ مبالغٌ في كذبه.

وقال أيضاً في غير هذا المحل[1]: ولم يذكر المولد والوفاة، وإنَّما هو رجل مقصده تركيب مُسجَّع لا غير. انتهى.

ثم ذيَّله ولدُه عزُّ الدين أبو طاهر[2] بالسَّجع على طريقة أبيه، بلغ إلى سنة ٨٠٢هـ، وللشَّيخ زين الدِّين قاسم بن قُطلوبُغا الحنفي المتوفَّى سنة ٨٧٩هـ «مُنتقى درَّة الأسلاك»، ولابن خطيب النّاصرية «مُلخَّصه». اهـ.

وقال جرجي زيدان في كتابه «آداب اللغة العربية» في ترجمة ابن قاضي شهبة المتوفَّى سنة ٨٥١هـ: وله مختصر «درة الأسلاك» لابن حبيب الحلبي، منه نسخة في باريس.

يوجد منه نسخة في مكتبة داماد زاده قاضي عسكر، رقمها ١٤٥٤، ونسخة في مكتبة يكي جامع، ورقمها ٨٤٩، وهي مُحرَّرة سنة ٧٧٩هـ، أي: في السّنة التي توفّي فيها المؤلِّف، ونسخة في مكتبة سلطان أحمد خان، ورقمها ٢٣٣، وهي محرَّرة سنة ٧٧٩هـ أيضاً، وهذه المكاتب الثّلاث في القسطنطينية، ويوجد منه نسخة في باريس. ذكر هذه في «قاموس الأعلام».

---

(١) قال ابن تغري في «المنهل الصافي» في ترجمة سوتاي بن عبد الله النُّوين، الحاكم على ديار بكر المتوفى سنة (٧٣٢): «فإنه ـ أي ابن حبيب ـ لم يذكر متى وَلِيَ المترجَم، ولا عمَّن أخذ، ولا كم أقام؟ وإنما هو رجل مقصده تركيب مُسجَّع لا غير».
وقال في ترجمة طيبغا الوزيري المعروف بالطويل: «ولم يبيِّن ـ أي: ابن حبيب ـ في أيِّ يوم مات طيبغا، ولا أي شهر؟ فإنَّ جلَّ مقصوده كمال السَّجعة لا تمام الفائدة».

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب، أبو العز ابن بدر الدين الحلبي، المعروف بابن حبيب: ولد ونشأ بحلب، وكتب بها في ديوان الإنشاء، وانتقل إلى القاهرة، فناب عن كاتب السر، وتوفي فيها سنة (٨٠٨)، عن زهاء سبعين عاما. من كتبه (ذيل) على تاريخ أبيه، و (مختصر المنار ـ ط) في أصول الفقه، و (وشي البردة ـ خ) شرحها وتخميسها، ونظم عدة كتب.

وقال جرجي زيدان في كتابه «آداب اللغة العربيَّة»: «يوجد نسخ منه في برلين، ويكي جامع، وباريس، وأَطْلَعنا الأستاذ مرجليوث على نسختين من هذا الكتاب في أكسفورد، إحداهما مُسجَّعة، والأخرى مرسلة، وقد لُقِّب في إحداهما بدر الدين، وفي الأخرى شهاب الدين، وفي مكتبة ديغر يمري جزء من «درَّة الأسلاك» بخط المؤلف». اهـ. وقد طُبع هذا الكتاب في أوروبا طبعه (فايرس) الهولاندي[1].

٥ـ «تحية المسلِّم المنتقي من شعر ابن المعلِّم»[2]:

ذكر هذا الكتاب في (الكشف)، فقال: «تحية المسلِّم المنتقي من شعر ابن المعلِّم» لحسن بن عمر بن حبيب الحلبي، المتوفَّى سنة ٧٧٩هـ. وابن المعلِّم من علماء مصر، وممَّن أجاز البدر بن حبيب منها، كما في «الدُّرر الكامنة»، للحافظ ابن حجر[3].

٦ـ «نَفَحات الأَرَج من كتاب تبصرة أبي الفرج»:

تبصرة أبي الفرج، هو للإمام العلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي،

---

(١) كما في محاضرة، للسيد محمد كرد علي، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلة «المجمع» ٧: ٤٤٧ (الطباخ).

(٢) هو الشاعر الكبير الرقيق المبدع نجم الدين محمد بن علي بن فارس الهرثي ـ وهرث من قرى واسط ـ الواسطي. توفي سنة (٥٩٢). ترجم له ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» ٥: ٥-٩ وديوانه لم يزل مخطوطاً.

(٣) الذي ذكره الحافظ ابن حجر في «الدرر» هو: إسماعيل بن عثمان المعروف بابن المعلِّم المتوفّى سنة ٧١٤ وهو الذي ذكره الحافظ في ترجمة ابن حبيب ضمن شيوخه، ولم يذكر عنه شعراً. ولا أدري على أيِّ شيْء استند الطباخ في قوله، والظاهر أن الأمر اشتبه عليه، فالمشهور بالشعر هو ابن المعلِّم الواسطي، المتقدمة ترجمته، وكان للناس إقبال شديد على شعره كما ذكر ابن خلكان، وأرسل لي الأخ الكريم البحاثة الدكتور عبد الحكيم الأنيس أن ابن حبيب صرَّح في كتابه «تذكرة النبيه» في أحداث سنة ٧٤٨ أنه وقف على ديوان ابن المعلِّم الواسطي وانتقاه، وذكر نماذج من شعره، وبذلك يُقطع بخطأ الطباخ في نسبة الديوان إلى ابن المعلِّم المصري شيخ ابن حبيب ومجيزه.

المتوفَّى سنة ٥٩٧هـ، واسم الكتاب كما في ترجمة ابن الجوزي في «الدر المنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد»: «تبصرة المبتدي». وذَكَرَ ثمَّة أنَّه عشرون جزءاً، رأيت نسخة منه في بيت الشيخ محمد العقيلية صاحب الزّاوية في حلب، واسمها: «تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي»، وهي في مجلّدين، في الوعظ[1].

٧ ـ «أخبار الدُّول وتذكار الأُوَل»:

في «الكشف»: هو تاريخ مختصر مستجمِعٌ، ذَكَرَ فيه الأنبياء والخلفاء والملوك.

٨ ـ «جُهَينة الأخبار»:

قال في «الكشف»: أَلَّفه على السَّجع، ورعاية الفقرات اهـ. منه نسخة في مجلد بالمكتبة السّلطانية في مصر، في قسم التاريخ، نمرة الخزانة ١١٥٤.

قال الأديب جرجي زيدان: «جهينة الأخبار في ملوك الأمصار»، يَشْتمل على نُتف تاريخيَّة، مُرتَّبة في طبقات، حسب الأعصر والدُّول، من الأنبياء فاليهود فالفرس فالقبط فالعرب فالمسلمين إلى المغول باختصار. منه نسخة في المكتبة السلطانية، في ٩٢ صفحة، وفي كوبريلي اهـ[2].

٩ ـ «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه»:

المراد بالمنصور: قلاوون وبنوه[3]. وذكره جرجي زيدان، وقال: إنَّ منه نسخة في

(١) طبعت «التذكرة» لابن الجوزي بمصر منذ سنين.
(٢) اختصره زين الدين الأنطاكي البسطامي الحنفي المتوفى سنة (٨٥٨هـ).
(٣) هذا الكتاب من أشهر كتب بدر الدّين الحلبي: عالج فيه أحداث الحقبة الممتدة من سنة ٦٧٨ إلى سنة ٧٧٠هـ وتراجمها، وهي حقبة حافلة بالأحداث الجِسام، عُني المؤلّف بتسجيل وقائعها واستقصاء أخبارها حتى غدا كتابه مصدراً مهماً من مصادر المنصور وبنيه، واهتم بذكر تراجم مشاهير تلك الحقبة التي يؤرِّخ لها، وامتازت بالإحاطة والتنوع، ونقل عنه الحافظ ابن حجر =

برلين، والمتحف البريطاني[1].

١٠ ـ «معاني أهل البيان من وفيات ابن خلكان»:

قال في «الكشف» في كلامه على «وفيات الأعيان»: وممَّن اختصره أيضاً: الشّيخ بدر الدّين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي، أتى فيه ثمانين وسبعة وثلاثين نفراً مع أشعارهم وآثارهم.

١١ ـ «التوشيح»:

هو شرح له على «الحاوي الصغير»[2]، في فروع الفقه الشافعي، ذكره في «الكشف».

١٢ ـ «إرشاد السّامع والقاري المنتقى من صحيح البخاري»:

ذكر هذا الكتاب في «الكشف» أيضاً.

١٣ ـ «الكوكب الوقّاد من كتاب الاعتقاد»:

ذكره في «الكشف» أيضاً، وقال: إنَّه انتقاه من كتاب «الاعتقاد» للبيهقي[3].

١٤ ـ «مقامات الوحوش».

= في «الدّرر الكامنة»، وابن تَغْري بردي في «المنهل الصافي»، وعدّ بعضهم كتاب «إنباء الغمْر» لابن حجر ذيلاً على «تذكرة النبيه».
(١) حقّقه محمد محمد أمين، وطبع في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٦م.
(٢) للإمام نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني المتوفى سنة (٦٦٥)، وهو من الكتب المعتبرة عند الشافعية، حققه صالح اليابس، وصدر سنة ١٤٣٠ عن دار ابن الجوزي بالسعودية في ٧٤٤ صفحة.
(٣) واختصره أيضاً العلامة برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥)، وسمَّاه: «خير الزاد من كتاب الاعتقاد»، واختصره أيضاً الشيخ عبد الوهاب الشعراني.

١٥ ـ «المقامة الطردية».

١٦ ـ «مقامة الخيل والإبل».

١٧ـ «مقياس النبراس»:

قال في «الكشف» هو على حروف المعجم، نظمٌ ونَثْر.

هذا ما أمكن الوقوف عليه على مؤلّفات صاحبنا، ولعلَّ له مؤلّفات أُخرَ، ذهبت بها أيدي الزمان، أو تَشَتَّت شمْلها، ونُقلت للبلاد الغربية كغيرها من آثار الأمّة العربيّة.

ولنذكر ما أمكننا جَمْعُه من شِعْره المُتفرِّق في كتب الأدب، فإنَّ ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جُلُّه، ولعلَّ الزمان يُظْفِرُنا بديوان شعره جميعه، فنكون قد ظفرنا بالبقيَّة، فمثل هذا الشعر الرائق لا ينبغي أن يبقى في زوايا النسيان، ولعلَّ بالبحث والتنقيب نقف على هذه الفرائد، وننال تلك الأمنية.

غزلياته:

منها: ـ كما في «المنهل الصافي» ـ قصيدة يمدح بها القاضي: شهاب الدين أحمد ابن فضل الله، مَطْلَعُها:

جوانحي لِلِقَا الأحبابِ قَدْ جَنَحتْ ... وعادياتُ غَرَامي نحوَهم جَنَحتْ
وعَبْرَتي عَبْرَةٌ للناظرين غَدَتْ ... لأنَّها بِجُفُوني إذ جَرَتْ جَرَحَتْ
يا حبَّذا جيرةٌ سفحَ النَّقَا نزلوا ... آياتُ حُسنِهمُ ذِكْرَ الحسان مَحَتْ
صدُّوا فطرفي لبُعد الدّارِ يُنشدهم ... ياساكني السَّفح كم عينٍ بكم سفحتْ
آهاً لعيش تقَضَّى في مَعَاهدهم ... وطيبِ أوقاتِ أنفاسٍ بهم نَفَحتْ
حيث الحواسدُ والأعداءُ قد غَفِلت ... والسَّعدُ مِن فَوقنا أطيارُه صَدَحتْ

والعُود عُودان هذا نَشْرُها عَطِرٌ ... وذاكَ ألحانُه أحزانَنا نَزَحتْ
والراحُ تشرقُ في الرَّاحَات تحسبها ... أشعَّةَ الشمسِ في الأقداحِ قَدْقَدَحتْ
أكرِمْ بها بنت كرمٍ كفُّ خاطبُها ... كفَّ الخطوبِ وإسداءَ النَّدى مَنَحَتْ
مظلومةٌ سُجِنَت من بعد ما عُصِرَت ... مع أنَّها ما جَنَتْ ذنباً ولا اجْتَرَحتْ
كم أعربت عن سرورٍ كان مُكتتماً ... وكم صدورٍ لأرباب الهوى شَرَحتْ
تُديرُها بيننا حوراءُ ساحرةٌ ... كأنَّها من جِنان الخُلد قد سَرَحتْ
ألحاظُها لو بدت للبيض لاحتجبت ... وقدُّها لو رأته القُضْب لافتُضِحتْ
ظلّامةٌ للكرى عن مُقلَتي حبست ... أما تراها ببحر الدَّمع قد سبحتْ

* * *

ورُبَّ عاذلةٍ فيمن كُلِفتُ بها ... تكلَّفَت لملامي في الهوى ولَحَتْ
جاءت وفي عزمها نُصحي وما علِمَت ... أنّي أزيد غراماً كلَّما نَصَحَتْ
بالرُّوح أفدي من النّقصان عاريةً ... تَسَربَلَت برداء الحُسن واتَّشحتْ
غَيْداء من ظَبَيات الأُنْسِ كانسة ... لكنَّها عن مَعَالي الحُسنِ قد سنَحَتْ
عيني إلى غير مرآى حُسن طلْعَتِها ... وغير فضلِ ابن فضلِ الله ما طَمَحتْ

وله منها كما في مجموعة العُرْضي:

جُنح الدُّجى ظهرتْ دلائلُ صُبحِهِ ... والطَّير قد منعَ الرُّقادَ بصَدْحِهِ
والأفقُ روضٌ والمَجَرَّة نهرُه ... والزَّهرُ زَهْوٌ في رُباه وسفحِهِ
فسُهَيلُها يحكي فؤاداً خافقاً ... مِن جَوْرِ مَنْ يَهْوى وشدَّة بَرحِهِ
وكأنَّ مجموع الثّريّا لؤلؤٌ ... يَهدي إلى قصدِ السَّبيل بلَمْحِهِ

* * *

قم يـا نديمُ وباكِر اللَّذَّات في   سَحَرٍ تأرَّجـتِ البِقـاعُ بنفحِـهِ
واجلس بنا في ظلِّ كَرْمٍ مُونِقٍ   نيران أقداحِ الطِّلا من قدحِهِ
لا تطلب الراووق[1] إلا بعد أن   نقضي على الـزِّقّ الطّريح بذَبحِهِ
أحسـن بها صفراء تُكسب ربَّها   كَرَمـاً وتنفي عنه ثابت شُحِّهِ

❊ ❊ ❊

ومُورَّد الوَجَنـاتِ وصف جماله   كم من لسانٍ مُعْرِب عن شرحِهِ
بـدرٌ بـدا في ليل شَعرٍ أسود   ضلَّ المحبُّ المستهام بجُنحِهِ
جرحَ الفؤادَ بسيف جفنيه ومن   عجبٍ له يَهوى إعادةَ جرحِهِ
ألحاظُه تدعُو لحرب مُحِبِّه   وخدوده تُثني القلوب لصُلحِهِ
إنسان عيني بالمدامع غارق   لبعـاده وهو المـليء بسيحِهِ
إنَّ الـذي يحظى بطيب وصاله   خصل السباق حوى معلَّى قدحِهِ

❊ ❊ ❊

ومُعنِّف قد لامَني من لَوْمه   وأتى يَدُسُّ الغشَّ لي في نُصحِهِ
يـا لائمي أقصِرْ ونُصحَك خَلِّه   فالشَّوكُ ليس بزائل عن طَلْحِهِ
دعني وما ألقى لفرْطِ صُدوده   خُسران مثلي فيه غايةُ ربحِهِ
لا أنثني في الحبِّ عنه وإنَّني   عبدٌ له في مَنْعه أو مَنْحِهِ

وله منها:

بروحيَ خدٌّ قد تفتَّح وَرْدُهُ   وخمرُ رضابٍ ليس يُمكنُ وِرْدُهُ
وطرفٌ إذا ما صالَ مرهف لحظه   فليس سوى قلبِ المُتيَّمِ غمدهُ

(١) الراووق: المِصفاة والباطية والكأس، جمع رواويق.

رعى الله صبّاً شفَّه البَيْنُ والأسى   وأسقمَه هَجرُ الحبيبِ وبُعْدُهُ
أخا شَجَنٍ قد ضاعَ في الحيِّ قلبُه   بمَغْنىً بمن قد ضاع في الحلي ندُّهُ
محبٌّ هجيرُ الهجر يُدني شقاءه   وعند أصيلِ الوصلِ يظهر سعدُهُ
فتى كلّما لامُوه فيمَن يحبُّه   وقالوا له: ازهد، زاد في اللّوم زهدُهُ

❊ ❊ ❊

وبي أغيد لا يحفظ الودّ والولا   يعوقُ الكرى عن ناظرِ الصَّبِّ صَدُّهُ
على خدِّه جمرٌ يشبُّ ضرامه   من الحُسن، لكن في الجوانح وَقدُهُ
أيا مَن يقيس القدَّ بالغُصْنِ والنَّقا   أما خفتَ أن يدري بذلك قَدُّهُ
غزالٌ إذا شاهدتَ ناعسَ جَفْنِه   يلذُّ لجفني في دُجى الليل سهدُهُ
هلال سماء، والغداير ليله   مليك جمال، والمحاسن جندُهُ
ألا فاشهدوا قتلي بسيف لحاظه   ولا تقتلوه إنني أنا عبدُهُ

❊ ❊ ❊

وكم ليلة قد بتُّ أسري بجُنحها   وجانح وَجْدي هولها لا يردُّهُ
لعلَّ السُّرى يدني خياماً على النقا   بسكّانها طابَ العقيقُ ورندُهُ
وقلب صبورٌ لا يملُّ من الأسى   على نأي مَن في الحشر يُنجَز وعدُهُ
فديتهمُ عُرْباً يُجَار نزيلُهم   ويُكْرَمُ مَثْواه ويُحفَظُ عَهْدُهُ

وله ـ رحمه الله تعالى ـ سَبَق إلى هذا الاستخدام المتداول:

أعِدْ ذِكرَ مَن حلَّ الغَضَا يا مُحدِّثي   وإنْ أحرقوه بالأضالع والصَّدْرِ
ولا تنسَ سكانَ العقيق وإن همُ   على وجنتي أجروه في مدَّة الهجرِ

وله منها:

ما زال في جِلَّقٍ دمعي يزيدُ إلى   أن غاضَ مختفياً من غيظه بَرَدَى
في حُبِّ مَن قد حَوَى مِن فوق وجنته   ناراً وحازَ بفيه المشتهى بَرَدَا
ظبيٌ بديع الحلى من يوم فرقته   حرُّ الجوى في فؤادي قطّ ما بردا
والله لا حُلتُ عنه في الغرام إلى   أن يلبس الجسم مني فيه ثوب رَدى

وله منها:

يا عَذولي دَعْني وخَفِّف مَلامي   في عِذارٍ كم حطَّ من قَدر عُذرا
إنَّ نفسي تميلُ نحو اخضرار   فيه والنّفس مثلُ ما فيه خضرا

وله منها:

ألحاظُه شهدت بأنّي مخطئ   وأتت بخطِّ عِذاره تذكارا
يا حاكم الحبّ اتَّئِد في قتلتي   فالخطُّ زور، والشّهودُ سكارى

وله منها:

وتاجر حلو الحلى لي على   رَشْفِ الطلا من لحظِه زاجِرُ
مَن لي بأن أشربَها قائلًا: هذا على عينيك يا تاجرُ

وله منها:

دَيْنُ الهوى حَلَّ فقُم نَقْضِهِ   والعهد لا تجنحْ إلى نَقْضِهِ
وامْضِ بنا نستجلِ مشمولةً   تضيءُ كالبارقِ في وَمْضِهِ
بكْرٍ لها ختم حُبابٍ بدا   من فضَّةٍ لا بدَّ من فَضِّهِ
راحاً يرى الرّاحات مَن أَمَّها   مبسوطةً تُلهيه عن قبضِهِ

عذراء من حضَّ على رَشْفها   فحظُّه الوافر في حضِّه
واغْنَمْ لذيذَ العيشِ، وارفعْ سَنا   أقداحِها شَوْقاً إلى خَفْضِهِ
في رَوْضةٍ ألحانُ أطيارِها   تُنبِّه النَّشوانَ من غَمْضِهِ
إذا بَكَى المُزْنُ على زَهْرها   فبَعْضُه يضحكُ من بعضِهِ
يديرُها ما بيننا جائر   غيرُ تِلافِ الشُّربِ لم يُرضِهِ
غضٌّ غضيضُ الطرف حلوُ الجَنا   لا يصل الجاني إلى غضِّهِ
في خدِّه وَرْدٌ نأى ورده   عن منزلِ الصَّبِّ وعن أَرْضِهِ
هل لي إلى تقبيل تفّاحةٍ   طريقُ وَصْلٍ أو إلى عضِّهِ
لله أوقاتٌ كُمَيْتٍ[1] مَضَت   حيث كُمَيْتُ اللهو في ركضِهِ
والدهر سَمْح الكفِّ يهدي لنا   من نَقْده الوافي ومن نضِّهِ[2]

وله منها في مليح بجيده خال:

أخذتَ سويداء الفؤاد وصُغتَها   بجيدِك خالاً خِلتُه المسكُ يعبقُ
أتُنكر قتلي بعدها يا مُعذِّبي   وهذا دمي في العُنْق منك معلَّقُ

وله منها، وأجاد:

خُودٌ لها وجهٌ كمرآةٍ على   غُصنٍ من البلَّور في التمثيلِ
أبكي فأنظرُ دمعتي في خدِّها   تجري فأحسب أنّها تبكي لي

وله منها:

قلت له: في فيك خمرٌ حَوَى   مسكاً وأفدي يا مُنى النفس فَاكْ

---

(١) ماث الشيء ميثاً: مرسه، وماث الملح: أذابه، وكل شيء مرسته في الماء فذاب فيه.
(٢) نضّ الثمن: حصل وتعجل، أو ما تيسر، يقال: يستنضّ حقه، أي: يتنجزه شيئاً بعد شيء.

فقال: من أينَ وما ذُقتَه   قطُّ ولم أخبرْك يوماً بذاكْ؟
فقلتُ: إني عنكَ لم أروِهِ   لكنَّني أنقله عن سواكْ

وله منها مُضمِّناً:

نفسٌ نسيمُ القربِ منكم شاقَها   قد تَلِفتْ مُذْ ختتُمُ ميثاقَها
ومُقْلةٌ يومَ الرّحيلِ - من سنا   جمالِكم - قد راعَها ما رَاقَها
عطفاً على جَوانحٍ جوانحٍ   إلى لقاكُمْ أَلِفَتْ أشواقَها
أحبابَنا لا تحسبوا وُرْقَ الحِمى   حكت حنيني إذْ عَلَتْ أوراقَها
لو حنّت الوُرْق حنيني نحوكم   لمزّقت من طَرَبٍ أطواقَها
ولو يَذُوقُ عاذلي صَبابتي   صَبَا معي لكنه ما ذاقَها

وله منها:

الطَّرفُ بعدَك قد عادتْ مَدَامِعُهُ   تنهلُّ فَأْذَنْ لطَيفٍ منكَ يطرُقُهُ
والقلبُ في الوجنة الحمراء يا سكني   كعابد النار يهواها وتُحرِقُهُ

وله منها:

ولَرُبَّ فتّان اللِّحاظ سألتُه   لما أتى من مكتب الصبيانِ:
ماذا قرأتَ؟ فقال: كنتُ أجرِّد الـ   ـماضي، فقلتُ: نعم من الأجفانِ

وله منها:

بين صدغ الحبيب والجفن خالٌ   عنبريٌّ يَسْبي عقول البرايا
فاعرفوا حقَّ عَرفه وشذاه   واعلموا أنَّ في الزوايا خبايا

ومن نظمه - كما في كتاب «سحر العيون»[1] للبدري الدمشقي ص ١١٩ - وقد قال: إنَّه من خطِّ ابن حبيب:

بروحي كحيل المقلتَين مُهَفْهفٌ   بديع المعاني كم بقلب امرئٍ أَوْدَى
ألا ليسَ بِدْعاً إن جُننتُ بعينه   وهامَ فؤادي بالجنون من السَّوْدا

وله منه، ص ٢٠٢:

وفاتر الحسن في محبته   قد ذهبَ الصبرُ والأسى مَكَثا
أسكنَ هاروتَ في لواحظه   أما تراه بالسّحرِ قدْ نَفَثا

وله منه ص ٢٠٥:

لله ألحاظ سقت ألبابنا   كأسَ الهوى صِرْفاً بغير مزاجِ
إني لأعجبُ من لواحظِك التي   تستلُّ منها البيضَ وَهْيَ سواجي

وله منه ص٢٠٦:

سَفْكُ دم عشّاقِه قد أباحْ   لما انتضى من مُقْلتَيه صِفاحْ
ذو مُقلَةٍ كم أطْلقت أسهماً   وأوثقت من مُهْجَةٍ بالجراحْ
لا تسألوا ألحاظها عن دمي   فما على المرضى السُّكارى جُناحْ
انظر إلى جفنيه واعجَب لها   مكسورة تَسْبي العقول الصِّحاحْ

وله منه ص١١١:

ظبيٌ بخيل بالرضى   كم من حسودٍ قد سلَخْ
من قدِّه هزَّ القنا   من جفنه السيف امتلَخْ

---

(١) أبو بكر بن عبد الله البدري الدمشقي، توفي بغزة سنة (٨٩٤)، طبع كتابه في القاهرة سنة ١٢٧٦ دون ذكر اسمه.

وله منه ص ٢١٧:

بروحي الذي لم أحظَ منه بنظرة ... مخافةَ سيفٍ من لواحظِه يُردي
أيا صارمَ الألحاظِ حتى لِشِقوتي ... من العينِ تحميه لقدْ زدنَ في الحدِّ

وله منه ص ٢٢٣:

يا حاكماً قد أثبت السّحر الحلا ... ل بجفنها وسهمه لي نفذا[1]
هلّا عدلتَ وكُنتَ لي يا جائراً ... في الحُكْمِ من ظُلم العيون مُعوِّذا

وله منه ص ٢٢٧:

بي غزالٌ يَغْزو الوَرَى بجُفونٍ ... كلَّ يومٍ سيوفُها مشهورَهْ
عجباً من لحاظِها كيف حتى ... هزمتنا مع أنَّها مكسورَهْ

وله منه ص ٢٢٨:

لها عيون بالعجيب قد أتتْ ... لأنها مكسورة وكاسرَهْ
تقتلني وخاطري يُحبُّها ... ما هذه يا قوم إلا ساحرَهْ

وله منه ص ٢٥٦:

نومي سَبَا في الليلِ طرفُ شادنٍ ... بالجور كم عاملني والحيفِ
يا طرفه رُدَّ الذي غصبتَه ... من مُقْلتي تحتَ الدُّجا بالسيفِ

وله:

ولما دَرَى أنَّ السيوفَ لجفنه ... حكتْ ولعطفيه حكى الرّمحُ في المَيَلْ
أتى أمرُه العالي لعشّاقه بأنْ ... تُحدَّ السيوفُ البيضُ والرّمحُ يُعْتَقَلْ

(١) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: وسهامُهُ لي أنفذا.

وله منه ص ٣٠٠:

قلبي رمى عمداً بسهمِ لحظه ... وهدَّ ركنَ قوَّتي ببينه
أهلَ الهوى لا تَسْألوا عن حَالتي ... ظَبْيُ الحِما أصابني بِعَينه

وله من بعض المجاميع في العذار ملمِّحاً بخط الكمال ابن العديم الحلبي:

وعذارٍ مزخرف الخدِّ يهوى ... طائرُ القلبِ نارَهُ كالفراشِ
فهْوَ كالمسكِ أو كنملٍ بِعَاجٍ ... أو كخطِّ الكمالِ فوقَ الحواشي

وله في بحثِ التورية من «خزانةِ الأدب» لابن حجَّة:

وَجْنَتُه الحمراء لما اكتستْ ... خُضْرةَ أذناب الطواويسِ
عابوا ـ لفَرْطِ الحُسْنِ ـ دينارَها ... فقلتُ: خلّوهُ على كيسي

وله من «مَطَالع البدور في مَنَازل السرور»[1]، في الباب الثالث والعشرين في غلام زكي يطلب ورداً:

رامَ ظَبْيُ التركِ ورداً ... قلتُ: أقْصِرْ خابَ ضدُّكْ
عندَكَ الوردُ المربَّى ... قال: أنَّى؟ قلتُ: خدُّكْ

(١) لعلاء الدين العزولي الدمشقي علي بن عبد الله المتوفى سنة ٨١٥. وكتابه: «مطالع البدور في منازل السرور» طبع في جزئين في القاهرة ١٣٠٠هـ وهو في كيفية بناء البيت، وتدبير المنزل، وما يجعل المسكن محل السرور والحبور والبهجة والانشراح، وما قيل فيه من المعاني البليغة والعبارات الرشيقة، جعلها خمسين باباً، وقد لخَّصه من كتاب «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للتيفاشي المتوفى سنة ٦٥١هـ، كما بيَّن ذلك إحسان عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب «سرور النفس» للمؤلف نفسه.

وصفه:

وله من مجموعة العُرْضي يصف الثريّا:

يا ذا النُّهى إنَّ الثريا آية ... بيِّنةٌ بين الجواري الكُنَّسِ
كأنَّها مرملة من ذهب ... أو باقة مجموعة من نَرْجسِ
أو كفُّ حسناء بها خواتم ... ياقوتها يُضيءُ للمُقْتَبسِ
أو راية دُرِّيَّة في خَفْقِها ... تُخبرنا بكسرِ جيش الغَلَسِ
أو كأس راح قد طَفَا حُبابها ... بين النَّدامَى تنجلي في مجلسِ
أو قرْط خودٍ خائفٌ مُرتعدٌ ... حيث هوى يرشف خمر اللعسِ
أو طائر مبشر نأى الكرا ... عن ميث الإصباح بالتنفسِ
أو شمسة على جبين غادة ... من لؤلؤ مُحَبَّب للأنفسِ
أو قطف كَرْمٍ قد تدلَّى ودَنَا ... أو جمع شمع مُوقَدٍ في عرسِ
جلَّ الذي ألبسها منَ الحلى ... والحلْي ما يفوق كل مَلْبسِ

وله منها في وصف الشمس:

ما أحسنَ الشمسَ المنيرةَ إذ بَدَتْ ... في أُفْقها تلو الصباح الأبلجِ
فكأنها كُرَةٌ من الإبريز قد ... بسطوا لها الميدان بالفيروزجِ

وله منها في البنفسج:

يا حبَّذا بنفسجٌ طيْبُ الشَّذا ... يبدو لنا من رَوضه المدبَّجِ
روضٌ بَديع الحسنِ من زُمُرُّدٍ ... رصّعه الصانعُ بالفيروزجِ

وله منها يصف السماء:

انظرْ إلى حُسنِ السماءِ وقد بَدَت ... فيها النّجومُ تُفْرِحُ المحزونا

كملاءة زرقاءَ من فَيْرُوزج ... نثروا عليها لؤلؤاً مَكْنونا

وله منها في بركة، وأحسن:

وبركةٍ راقَ العيونَ مَاؤُها ... نسيمُها نَشْرَ الغوالي يُرخِصُ
كأنَّ أفياءَ الغصون ختْمُها ... شخوص ظلٍّ في الخيالِ ترقصُ

وله منها يصف ثقيلاً:

له ردفٌ كبيرٌ للخطايا ... يقودُ العاشقين ويستميلُ
فيا أهلَ الهوى لا تَعْذِلوني ... إذا ما قلتُ: قوَّادٌ ثقيلُ

وله منها في نتيف[1]:

يا مَنْ يرومُ بظفره ... نتف العذار المظلِمِ
أتعبتَ نفسَك فاسترحْ ... مِنْ ذا البلاءِ المبرَمِ
مَنْ ذا الذي يَقوى على ... ردِّ السَّوادِ الأعظَمِ

وله في بحث الانسجام:

معبد الشام يجمعُ النَّاسَ طراً ... وإليه شوقاً تميلُ النفوسُ
كيف لا يجمع الورى وهْوَ بيتٌ ... فيه تُجْلى على الدوامِ العروسُ

وله فيمن اسمه موسى:

لما بَدَا كالبدرِ قال عاذلي: ... من ذا الذي فاق على شَمْسِ الضُّحَى؟
فقلت: موسى واستفق فإنَّه ... أهونُ شيءٍ عندَه حلقُ اللحى

(١) نتيف: «فعيل» بمعنى «مفعول»، أي: منتوف.

ما قاله في عمائم أهل الشرف:

قال العلامة الأديب الشيخ محمد العُرْضي، في مجموعته: نقلت من «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي»، تأليف الفاضل البارع، يوسف بن تَغْري بردى، ذكر في ترجمته السلطان الملك الأشرف شعبان، قال: وفي سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة رسم الملك الأشرف بأنَّ الأشراف بالديار المصريَّة والبلاد الشاميَّة يَسِمُون عمائِمَهم بعلامة خضراء بارزة للخاصَّة والعامَّة، نظراً في حقِّهم وتعظيماً لقدرهم، ليقابلوا بالتعظيم، ويمتازوا عن غيرهم، وفي هذا المعنى يقول الشيخ شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي:

جعلوا لأبناء الرسول علامةً ... إنَّ العلامةَ شأنُ من لم يُشهَرِ
نورُ النبوَّة في كريمِ وُجوههم ... تُغني الشريفَ عن الطرازِ الأخضرِ

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم المزيِّن الدمشقي:

أطراف تيجانٍ أتتْ من سُندسٍ ... خُضْرٍ كأعلام على الأشرافِ
والأشرف[1] السلطان خصَّصهم بها ... شرفاً ليفرقهم من الأطرافِ

وقال بدر الدين بن حبيب الحلبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

عمائمُ الأشرافِ قد تميَّزت ... بخُضْرةٍ رقَّت وراقَتْ مَنْظرا
وهذه إشارةٌ أنَّ لهم ... في جنَّة الخلدِ لباساً أخضرا

وله أيضاً[2] وهو أولى:

ألا قل لمن يبغي ظهورَ سيادةٍ ... تملكها الزّهر الكرام بنو الزَّهْرا

(١) الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر قلاوون الصالحي، توفي سنة (٧٧٨) عن ٢٤ عاماً، رحمه الله تعالى.

(٢) الراجح أنه لابنه أبي العز طاهر بن حسن بن حبيب كما نسبه إليه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ١١: ٥٧.

لئن نصبوا للفخر أعلامَ خُضرةٍ ... فكم رفعوا للمجد ألوية حُمْرا

وله لما حصل الطاعون العظيم سنة ٧٤٩هـ:

إنَّ هذا الطّاعونَ يفتك في العا ... لم فَتْكَ امرئٍ ظَلوم حقودِ
ويطوف البلادَ شَرْقاً وغَرْباً ... ويسوقُ البلادَ نحوَ اللُّحودِ
قد أباحَ الدِّما وحرّم جمع الـ ... شَّمْلِ قهراً وحلَّ نَظْم العقودِ
كم طوى البِشر من أخٍ عن أخيه ... وسبى عقلَ والدٍ بوليدِ
أَيْتَمَ الطّفلَ أثكلَ الأمّ أبكى الـ ... ـعين، أجرى الدّموعَ فوقَ الخدودِ
بسهام ترمي الأنام خفيـ ... ـياتٍ تشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ
كلما قلتُ: زدتَ في القتل أقصِرْ ... بات وهْوَ يقول: هل من مزيدِ؟
إنْ أعشْ بعدَه فإنِّي شَكورٌ ... مخلص الحمد للوليِّ الحميدِ
وإذا متُّ هيِّئوني وقولوا: ... كم قتيلٍ كما قُتلتُ شهيدِ

وقال لما زاد نهر حلب زيادةً عظيمة وأصبحت منها بيوت لا أثر لها وذلك سنة ٧٦٩:

لما طما نهر قويق ولم ... يأتِ بسيب بل بسيل غزيْرْ
قالت الأشجار من حوله: ... مهلاً فقد زدتَ علينا كثيْرْ

مدائحه:

قال الشيخ علاء الدين بن خطيب الناصرية (المؤرِّخ): أنشدني بدر الدين الحسن ابن حبيب لنفسه مما كتبه في كتاب إلى دمشق، لما ولى العلامة بهاء الدين أبو البقاء السبكي:

شَرُفَتْ دمشقُ بحاكمٍ أوصافُه ... منها الديانةُ والصيانةُ والتُّقى

ولسانُه عن كلِّ فنٍّ مُعْربٌ   مَنْ ذا الذي إعرابُه كأبي البقا؟

وله في الوعد:

ربع صبري يا ناصري وشَفيعي   عادَ يحكي فؤادَ أمِّ الكليمِ
لا تُصيِّرْ أفديكَ بالنّفس وعدي   مثلَ وعدِ ابنِها ودُمْ في نعيمِ

وله مورياً:

إن كان يا أحبابنا قصدكم   أن تشتروا من يخدم الحاشيَهْ
لا تبذلوا أموالكم ها أنا   عبد وعيني لكم جاريَهْ

حكمياته:

وله في الصدق:

الصدقُ يورثُ قائليه مهابةً   سِرْ نحوَهُ نِعْمَ الطريقُ طريقُهُ
واحفظْ به عهدَ الصِّحابِ فإنَّه   مَنْ قلَّ منه الصِّدقُ قلَّ صَديقُهُ

نثره:

من ذلك:

رفقاً بمَن ملك الوَجْدُ قِيادَه، وعطفاً على مَن أذابَ الشّوقُ فؤادَه، متيَّم[1] أقلقَه فرطُ صدودِك، ومُغْرَم أغراه بحبّك قولُ حَسُودك، وسقيمٌ لا شفاء له دون مَزارك، ومُقيمٌ على عهدك ولو طالت مُدَّة نفارك، إلَامَ هذا التّنائي[2] والنفور؟ وعلام يا ذا القدِّ العادل تجور؟ لقد تضاعف الأسفُ والأسى، وتَطاول التعلُّل بعلَّ وعسى.

(١) أي: مستعبد ذليل.
(٢) أي: التباعد.

هَبْني تَخَطَّيتُ إلى زلَّةٍ   ولم أكُن أذنبتُ فيما مَضى
أليسَ لي من بعدِها حُرْمةٌ   تُوجِبُ لي منكَ جميلَ الرِّضا

ولستُ ألوذُ إلا بباب نعمك، ولا أعتمد في محْوِ الإساءة على حِلمك وكرمك، وما جلَّ ذنبٌ يُضاف إلى صَفْحك، ولا عَظُمَ جُرْمٌ يُسْنَد إلى عفوك، ومثلك مَنْ يُقيل العَثرات، ويَتَجاوزُ عن الهفوات.

وكنتُ أظنُّ أنَّ جبال رَضْوى   تزولُ وأنَّ وُدَّك لا يزولُ
ولكنَّ القلوبَ لها انقلابٌ   وحالاتُ ابنِ آدمَ تَستحيلُ

طالما آنستني بقُربك، ودنوتَ مني مفارقاً ظباء سربك، وأنجزت وُعُودي، وأطلعتَ نَجْمَ سُعودي.

وكنت إذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي   ووَجهُك من ماءِ البشاشةِ يَقْطُرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرَّة   إليَّ بها في سالفِ الدّهر تَنْظُرُ

قيَّدت أملي عن سواك، وبهرتَ ناظري بنظرة سناك[1]، وكسرت جيش قراري، وتركتني لا أُفرِّق بين ليلي ونهاري، أحومُ حولَ الديار، وأعوم في بحر الأفكار، وأتمسَّك بعطف عطفك، وأتعلَّق بأذيال مَكَارِمك ولطفك، أما علمتَ أنَّ الكريم إذا قدر غفر، وإذا صدرت من عبده زلَّة أسبل عليها رداءَ العفو وسَتَر، وأنَّ شفيعَ المذنب إقرارُه، ورفض خطيئته عند مولاه استغفاره.

ومن كان ذا عُذْرٍ لَدَيكَ وحُجَّةٍ   فعُذري إقراري بأن ليسَ لي عُذْرُ

لهفي على عيش بسلاف حديثك سَلَف، وأوقات حَلَتْ ثم خَلَت، وأورثت التلف، واهاً لأيامٍ بطيبِ أُنْسِكَ مَضَتْ، وبروق ليالٍ لولا قُرْبك ما أومضت.

(١) أي: ضوئك.

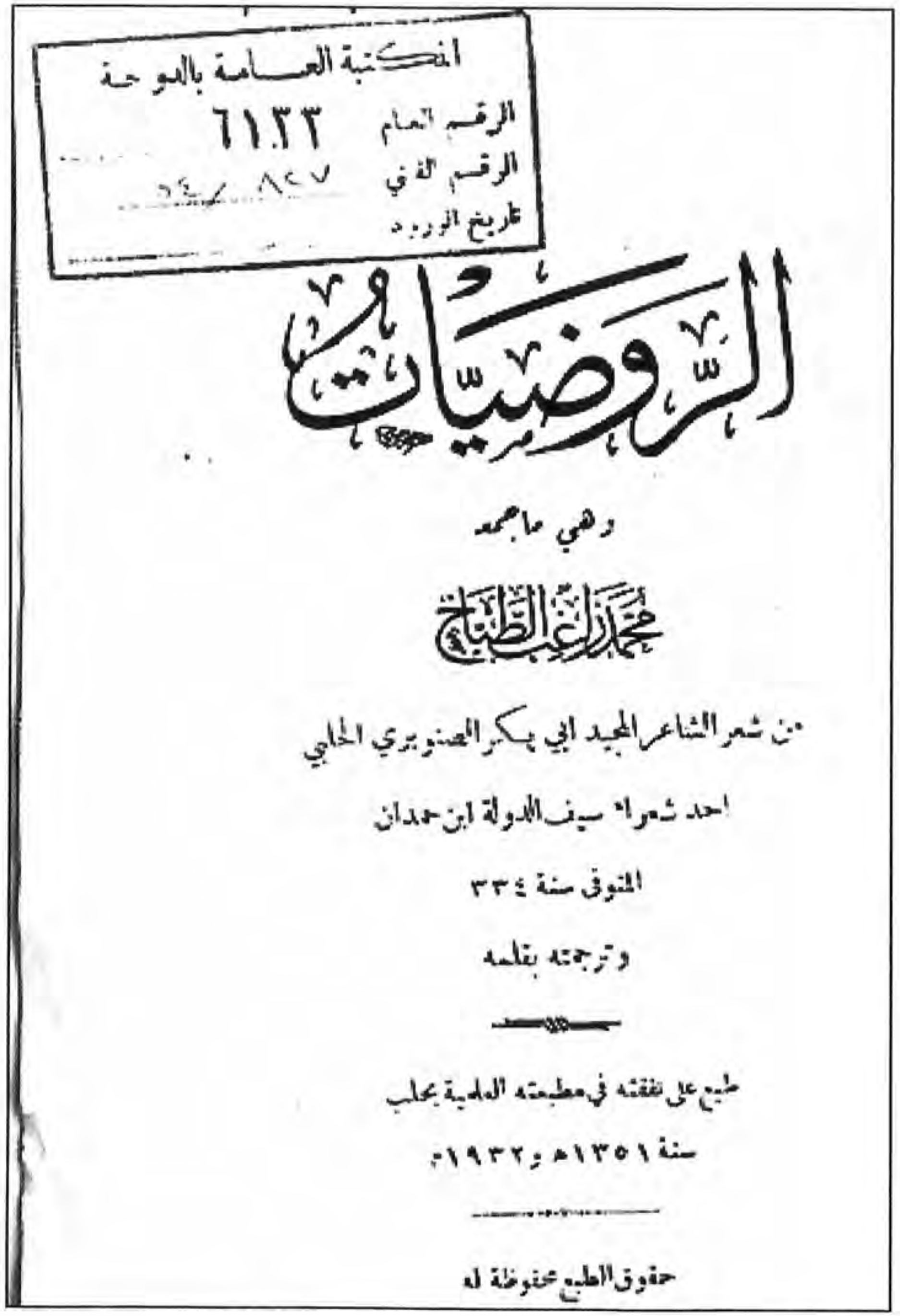
قد كنتُ أعرفُ في الهوى مِقْدارَها ... رَحَلت وبالأسفِ المبرِّح عَوَّضَتْ
كيـف السـبيل إلى إعـادة مثلهـا ... وهي التي بالبعد قلبي أمرضَتْ

فَجُدْ بالتَّداني، واسمحْ بِنَيل الأماني، وألِنْ قلبك القاسي، وعُـدْ عن التَّـنَائي والتناسي، وارْعَ الودَّ القديم، وأبدل شقاء محبك بالنعيم، ولا تعدل عن منهاج المعدلة، وسلِّم فقد أخذتْ حقَّها المسألة، وأغمدت سيف حيف صيَّرته مسلولاً، وأوْفِ بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولاً.

هذا ما أمكن جَمْعُه من حياةِ البدر بن حبيب، ونظمِه ونثرِه من كُتب مُتعدِّدة، في التاريخ والأدب، وإذا وقعتُ له على غير ذلك في هذه الزوايا أُتحف به قرَّاء «الاعتصام» إن شاء الله تعالى.

محمد راغب الطباخ

* * *



الروضيات

وهي ما جمعه

محمد راغب الطباخ

من شعر الشاعر المجيد ابي بكر الصنوبري الحلبي

احد شعراء سيف الدولة ابن حمدان

المتوفى سنة ٣٣٤

وترجمته بقلمه

طبع على نفقته في مطبعته العلمية بحلب

سنة ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢ م

حقوق الطبع محفوظة له

الــرَّوضيَّـــات

وهي ما جمعه: محمد راغب الطباخ

من شعر الشاعر المجيد أبي بكر الصنوبري الحلبي

المتوفَّى سنة ٣٣٤

وترجمته بقلمه(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خصَّ الأُمّة العربية بفصاحة اللسان، وحلَّاها بأجملِ اللغات وأعذبِها، ومنَحها حُسْنَ البيان، وصلاةً وسلاماً على سيِّدنا محمد الذي أُوتِي جوامع الكَلِم وفصلَ الخطاب، القائل: «إنَّ من الشِّعر لحكمة»، و«إنَّ من البيان لسحراً».

(وبعد): فإنَّ للبلاد تنقُّلات وتقلُّبات، تارةً تراها وافرة العمران، زاخرةً بالفنون والعلوم، وساكنيها منيعي الجانب، قويي الشكيمة، في مكانةٍ من العز شامخة، ومنزلة من المجد رفيعة، قد مدَّ العدلُ فيها رُواقه، ونشر الأمنُ عليها لواءَه، صفت لأهلها موارد الحياة، وغدا عيشهم رغداً وأمرهم رشداً.

وهذا إنَّما يتسنَّى لها إذا قيَّض الله للبلاد رجالاً ذوي أخلاق سامية، ودراية

(١) نشره سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢ في مطبعته العلمية بحلب.

كافية، يقدرون للعلوم قدرها، وللآداب ثمرتها، وحسن تأثيرها في تثقيف العقول، وإنارة البصائر، وتوسيع المدارك، وعندئذ تُنبِتُ البلادُ الأبطالَ ونوابغَ الرجال، فتحيى بهم الأطلال الدارسة، وتستنير بآدابهم وعلومهم البلدان.

وتارة تجد البلاد خاوية على عروشها، خالية من سكانها، قد مُحيت عنها رسوم الظَّرَف والآداب، وأصبحت رياض العلم فيها مُقْفِرة، ومعاهده فيها أثراً بعد عين، يَصدق عليها قول الشاعر:

كأن لم يكـن بين الحجون إلى الصَّفا ... أنيـس، ولم يسـمُرْ بمكـةَ سـامرُ

وذلك إما لحوادث سماويَّة هَدَمت بنيانها، وقوَّضت أركانها، وأثَّرت فيها تأثيراً بيِّناً، أو لأن القابضين على زمامها استبدُّوا في أمرها، وساروا في أهلها بسيرة سيئة، تلتئم مع أهوائهم، وتتناسب مع أطماعهم، لا يرغبون للبلاد إصلاحاً، ولا يبالون بما يفعلون:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

فداءُ البلاد ودواؤها، وحياتها ومماتها بيد قادتها، وهم العلماء والأمراء، فصلاح الأمّة بصلاح هؤلاء، ومِصداق ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف: «صنفان من الناس؛ إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء»، وهذا ممَّا لا يمتري فيه مَن في قلبه ذرّة من الدراية، والمُتتبِّع لأحوال الأمم وسِيَرِها يتجلَّى له ذلك بأجلى بيان.

بعد أن علمنا هذا نقول: إنا إذا سرحنا الطَّرْف بتاريخ الشهباء؛ نجد أن العصر الذي حَيِيَت فيه دولة الأدب، وازدهرت فيه رياض المدنية؛ هو عصر سيف الدّولة،

واسطة عِقْد بني حمدان، والدرَّة اليتيمة في تاج دولتهم المرصّع.

ولا بدع، فإن العلم والدراية كانا من سماته، والأدب والفضل من جملة خصاله ونعوته، وقد كان به شغِفاً، وبدقائقه عارفاً، يرتاح الارتياح العظيم إليه، ويهتزُّ طرباً عند سماعه له:

لا يعرفُ الشَّوقَ إلا مَنْ يُكابِدُهُ ... ولا الصَّبَابةَ إلا مَن يُعانيها

وكان مع تلك الخصال الشريفة يُغْدِق بالعطايا الجزيلة على حَمَلَتِه، والمُتَحلِّين بحِلْيَتِه، فقصده لذلك ذوو الفضل من كل صَوْب، ويمّم ساحتَه أُولو النَّباهة من كل قطر، فكانت حضرتُه محطَّ الرّحال، ومنتهى الآمال، فاجتمع لديه من أساطين العلماء، وكبار الحكماء، وفحول الشعراء؛ ما لم يجتمع لغيره، وكانت يده فيها مبسوطة، ونوالُه لهم مبذولاً، وسحائب جوده يتوالى قطرها، ويتتابع مدْرارها.

وإليك مِن ذلك ما ذكره العلَّامة النابلسي في شرح بديعيته (ص٤٨٣)، قال: حُكي عن أبي الحسن محمد بن عليّ العلوي الحسيني الهمداني قال: كنتُ واقفاً بين يدي سيف الدولة بحلب والشعراء ينشدونه، فتقدَّم إليه أعرابيٌّ رثُّ الهيئة، فاستأذن الحُجَّابَ في الإنشاد؛ فأَذِنُوا له، فأنشد:

أنت عَليٌّ وهذه حلبُ ... قد نفد الزادُ وانتهى الطلبُ
بهذه تفخرُ البلاد وبالـ ... ـأمير تَزهى على الورى العربُ
وعبدك الدهر قد أضرّ بنا ... إليكَ من جورِ عبدك الهربُ

فقال سيف الدولة: أحسنتَ ـ والله ـ أنت، وأمر له بمئتي دينار.

وأخبارُه في ذلك كثيرة، وكان مع ذلك يَرى كثيرَه قليلاً، ويعتذرُ عند المِنْحَة، ولا يرى ذلك شيئاً مذكوراً، وكان عند العُسر يَعِدُ إلى اليُسر، فلا يخيب قاصده، ولا ييأس منه مؤمِّلُه.

وهذا ما حدا ابن نباتة السعدي أن يقول فيه من قصيدة[1]:

قد جُدتَ لي باللّهى حتى ضجرتُ بها ... وكدتُ من ضجري أثني على البَخَلِ
إن كنتَ ترغبُ في بذلِ النَّوالِ لنا ... فاخْلُق لنا رغبةً أو لا فلا تُنِلِ
لم يُبقِ جودُكَ لي شيئًا أؤمِّلهُ ... تركتني أصحبُ الدّنيا بلا أملِ

ففَتَحَت تلك اللّهى منهم اللُّها[2]، وبرزت مكنونات ذوي المواهب، وقدحت زنود أفكارهم، وسطعت نيِّرات ألمعيَّتهم، فنثرت قرائحُ بني الأدب دُررَ النثرِ وغررَ الشِّعرِ، وأتوا بما بهر الألباب من دقائق الأخيلة، ومبتكرات المعاني.

وحسبك دليلاً على ما قلناه ما يُحكى من أن المعتمد بن عبَّاد اللَّخمي، صاحب قرطبة وإشبيلية، أنشدَ في مجلسه بيت أبي الطيب المتنبي، وهو من جملة قصيدته المشهورة:

إذا ظَفِرَتْ منكَ العيونُ بنظرةٍ ... أثابَ بها مُعْيي المَطيِّ ورَازمُه[3]

وجعل يردّده استحسانًا له، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي، فأنشد ارتجالاً:

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنَّما ... تجيد العطايا واللُّهى تفتح اللَّها[4]
تنبّأَ عُجْباً بالقريض ولو درى ... بأنك تروي شعرَهُ لتألّها

على أنَّا لا نعدّ ذلك العطاء الجزيل هو السبب الوحيد في نبوغ هؤلاء الفحول،

(١) معاهد التنصيص ج١ ص٢٥٦ (الطباخ).
(٢) اللهى الأولى: العطية الجزيلة، واللها الثانية: الفم
(٣) أثاب: رجع، المطي: جمع مطية، والرازمة من النوق أو الرازم من الإبل: الذي قام من الإعياء، وأقعده الهزال عن المشي. اهـ عكبري (الطباخ).
(٤) أي: إن هدايا ممدوحه شجعته وأنطقته وجعلت شعره يجود ويرتفع.

بل هناك سبب آخر هو أهم مما تقدَّم، وهو أنه إذا كثر المتَّصفون بعلم من العلوم، أو صنعة من الصناعات في بلدة أو قطر؛ فإنهم يأخذون في المباراة، ويتسابقون في تلك الحلبة، وكل واحد منهم يشحذ القريحة ليستخرج من بنات أفكاره ما يَبرز به على أقرانه، ويُجْهد الفكرة ليأتي بما يشهد له بالبراعة من حذّاق صناعته، علماً منه أنهم واقفون له بالمرصاد، يترقّبون له الكبوة، وينظرون إلى ما يأتي به من عمل بِعيون واسعة، فإذا كبا جوادُه في تلك الطريق، وبَدَرت منه هفوة ولو كانت طفيفة؛ فوَّقوا إليه سهام الملام، وأشرعوا نحوه الأقلام، متناسين حسناته ـ وإن كانت كثيرة ـ بجانب عثراته؛ وإن كانت معدودة محدودة.

فالمرء لهذا لا يألو جهدًا في تحسين عمله، وتهذيب ما تستنبطه قريحته من أدب وعلم، وإتقان ما يزاوله من صناعة، ليرتاح إلى عمله بنو قومه، وأهل عصره، وينظرون إليه بعين الإجلال والاعتبار، والكثير من الناس يفضِّلون ذلك على ربح ينالونه، ومَغْنَم يجرونه لأنفسهم.

مصداق ذلك ما جاء في تذكرة الإمام الكمال ابن العديم الحلبي[١] حيث قال: قرأت بخط ابن جنّي: قال لي المتنبي يومًا: أتظنّ أنّ هذا الشعر إنما أعمله لهؤلاء الممدوحين؟ هؤلاء يكفيهم منه اليسير، وإنما أعمله لك لتستحسنه.

وأشار إلى ذلك الإمام العكبري في شرحه لديوان أبي الطيب المتنبي (ج١ ص٢٤٩)، حيث قال: سألت شيخي أبا الحرم مكي بن ريان الماكسيني عند قراءتي عليه الديوان، سنة تسع وتسعين وخمس مئة: ما بال شعر المتنبي في كافور أجود من شعره في عضد الدَّولة وأبي الفضل بن العميد؟

(١) تذكرة ابن العديم منها جزء بخطه في السلطانية بمصر، وهذه العبارة نقلها عن هذا الجزء الأديب الفاضل محب الدين الخطيب في الجزء الثالث من «حديقته» ص ٦٧ (الطباخ).

فقال: كان المتنبي يعمل الشعر للنَّاس لا للممدوح، وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة في بلاد خالية من الفضلاء، وكان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء، فكان يعمل الشعر لأجلهم، وكذلك كان عند سيف الدولة ابن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء، فكان يعمل الشعر لأجلهم، ولا يبالي بالممدوح.

ويؤيّد ما تقدَّم قصة السريّ الرفاء مع سيف الدولة[١] بسبب المتنبي، فإن السريّ الرفاء كان من مُدّاح سيف الدولة، وجرى يومًا بمجلسه ذكر أبي الطيب، فبالغ سيف الدولة في الثّناء عليه، فقال له السريّ: أشتهي أن الأمير ينتخب لي قصيدة من غُرَرِ قصائده لأُعارضها له، ويتحقّق أنه أركَبَ المتنبي في غير سرجه.

فقال له سيف الدولة على الفور: عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها:

لعينَيكِ ما يَلقَى الفؤاد وما لَقِي   وللحبِّ ما لم يبقَ مني وما بقِيْ

قال السريّ: فكتبت القصيدة واعتبرتُها في تلك الليلة؛ فلم أجدها من مختارات أبي الطيب، لكنّي رأيتُه يقول في آخرها عن ممدوحه:

إذا شاء أن يَلهو بلحيةِ أحمقٍ   أراه غباري ثمَّ قال له: الحَقِ

فقلتُ: والله ما أشار سيف الدولة إلا إلى هذا، وأحجمتُ عن معارضة القصيدة. اهـ.

إذا علمتَ أن أجمل العصور التي مرَّت بالشهباء وأبهاها؛ هو عصر سيف الدّولة ابن حمدان، وذلك لما علمتَه من عنايته بالعلم وأهله، والأدب وذويه، وازدحام أقدام العلماء والأدباء في حضرته، ومباراتهم بعضهم لبعض، حبًّا منهم بالتفوُّق، ونوال الشّهرة الواسعة، وبُعد الصّيت، فأقول:

(١) خزانة الأدب لابن حجَّة ص٢٣١ (الطباخ).

إنَّ مِن أفراد ذلك العقد البديع، وأفذاذ ذاك العصر الزاهر، أبا بكر أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالصنوبري الحلبي، أحد شعراء حضرة سيف الدولة، ومن المنتَظِمِين في سلك نُدمائه، ومن المُقَدَّمين عنده، والمقرَّبين لديه، ومن خُزَّان كتبه، وكان أحد من تجمّل به عصـرُه، وسار في البلاد شعرُه، وتناقله أهل العلم والأدب في كتبهم، وحفظوه في صدورهم، واستشهدوا بالكثير منه.

وكان ممَّن تصدّى لجَمْعِه الإمام الصُّولي فجاء في ٢٠٠ ورقة، كما ذكر ذلك ابن النّديم في كتابه «الفهرست» (ص٢٣٩)، لكنه سمّاه محمّدًا، وقال: إنه من أهل أنطاكية، فيكون شعره نحو ٤ أو ٥ آلاف بيت، ويغلب على الظنّ أنَّ نُسَخَه لم تتعدد؛ فلذا ذهبت بها أيدي الزمان، ومزَّقتها كلَّ ممزَّق، فأصبحت أثرًا بعد عين، فإني ـ بعد البحث والتنقيب، في خزائن الكتب السورية والمصرية، وسؤال بعض فضلاء المستشرقين ممَّن عُنِي بهذا الشأن عن نسخة من ديوانه في الخزائن الغربية ـ لم أقف على نُسخةٍ منه.

ولمَّا شرعت في تأليف تاريخي «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» رأيت له ترجمة طويلة في «تاريخ ابن عساكر الكبير» الموجود في المكتبة الظاهرية في دمشق[1]، وترجمة في تاريخ ابن شاكر المعروف بـ«فوات الوفيات»، مع نُبَذٍ من شِعره، فنقلتُها إلى تاريخي، ثم رأيتُ له غير ذلك من النَّظْم في «معجم البلدان» و«الدرّ المنتخب» المنسوب إلى ابن الشحنة، ولو نقلتُها كلَّها إلى التاريخ لطال بذلك ذيل الترجمة، وخرجنا عن المقصود هناك، لكني من ذلك الحين عوَّلت على تصفُّح ما لديَّ، وما يمكنني الوصول إليه من الكتب الأدبية، مخطوطها ومطبوعها، والتقاط شعره المنثور في بطون تلك الأسفار، ونظمها في عِقد واحد.

(١) من هذا التاريخ نسخة في مكتبة الأزهر بمصر، وأجزاء متعدِّدة في المتحف البريطاني، وفي مكاتب الأستانة (الطباخ).

وقد سمح لي الزمان بتلك الأُمنية، فجمعتُ من بديع نَظْمِه، ولطيف أخباره ومُلَحِه جملةً وافية، تُعرب لك عن فضله الجمّ، وأدبه الغزير، ورسوخ قَدَمِه في صناعة القريض، وتُنبِيك أنَّ الصنوبري كان علَمًا من أعلام الشهباء، وقطبًا من أقطاب الأدب في هذه البلاد، وأنَّ مثله في فضلِه وأدبِه لا ينبغي أن يبقى هو وشعره نسيًا مَنسيًا، ملقىً في زوايا الإهمال، قَلَّ مَن يعرفه ويعرف شعره الرائق الرّائع.

وقد أربى ما جمعتُه من شعره على ٦٠٠ بيت، وما كان ليخطر لي أن أجمع هذا المقدار، ولكنَّ الله إذا أراد أمرًا هيَّأ أسبابَه، وذلَّل صِعابه.

ودعوتُ هذه المجموعة «الروضيَّات»، وذلك لِمَا علمتُه من أنَّ الصنوبريّ ممّن نال شهرة واسعة في وصفه للرياض والأزهار، وما شاكل ذلك.

ولعل عملنا هذا يدعو بعض ذوي الهمم أن يحذو حذونا، ويقتفي أثرنا، ويشمّر الذيل لاستخراج ما يُمكنه استخراجُه من هذه الدرر المكنونة، والكنوز المدفونة، فأوّل العمل لا يأتي تامًّا غالبًا، ولا يبلغ الشيء درجة الكمال، إلا بعد كرّ السنين، وتعاقب الأجيال، وأول الغيث قطر ثم ينهمل.

ومَن أحبَّ أن يقتفيَ أثَرَنا، ويزيد على ما جمعناه فعليه أن يتطلَّب ذلك في غير الكُتب التي تصفَّحناها، وهي تَنيف على خمسين كتابًا بين مطبوع ومخطوط.

ومما يَقتضي التنبُّه له: أن «نهاية الأرَب» للنُّويريّ لم نتصفَّح منه سوى ما طبع منه إلى هذه السّنة ـ وهي سنة ١٣٥١ ـ وذلك ثمان مجلدات، وكذلك «المسالك والممالك» لابن فضل الله، لم نتصفح منه سوى المجلد الأول، وذلك ما طُبع منه إلى هذه السنة، ولا تخلو بقية أجزاء هذَين الكتابَين من شيء من شعر صاحبنا الصنوبريّ.

(نفسيَّة الصنوبري)

يتجلَّى لنا في شعر الصنوبريّ، وقصة الأديب سعيد الورّاق التي ذكرها الأنطاكي في «تزيين الأسواق» (ص١٧٩) أنه كان كثير التَّجوال في هذه البلاد، يوماً تراه بحُزوى ويوماً بالعراق، يألف الرياض النّضرة والحدائق الملتفَّة، يميل إلى الغناء والمداعبة، ومعاشرة أهل الأدب، فأكسبه ذلك ظَرفاً في شمائله، وخفَّة في روحه، وصفاءً في ذِهنه، ورِقَّةً في طبعه، ودقَّةً في خياله، وشحذ ذلك قريحتَه، فاستخرج دقائقَ المعاني والتشبيهات البديعة، وتسهل له حزونها، فأتانا بالسهل الممتنع في وصفه للرياض والحياض، والأنهار والأزهار، ووافانا بجملة مستكثرة في هذا الباب، لا تجدها في شعر غيره، وصار هو المشار إليه في هذا النوع، وهو الإمام فيه.

واستطلعنا من تلك الجملة أنَّ سيف الدولة لم يكن ممَّن يَروج لديه صَوغ عقود المديح فيه فحسب، بل كان ينفق في سوقه جميع بضاعة الشعر؛ من المديح، والنَّسيب، ووصف المعارك والملاحم والقصور والأماكن، وبالجملة كان يَروج لديه كل شعر جيد، وكل معنى مبتكر، في أيِّ نوع كان من أنواع الشعر، فكلّ يرتاح إليه، ويَطرَب له، ويثيب عليه، ولو لم تكن جميعها نافقة عنده لما صرف صاحبنا الصنوبري وجهتَه إلى ذلك، وكاد يقتصر عليها، لأنا لم نرَ فيما جمعناه من نظْمِه قصيدة أو أبياتاً في مديح سيف الدولة، وهو ـ كما قلنا آنفاً ـ أحدُ أركان تلك الحضرة، ومِن المقدَّمين في حاشيته، والعالمين برغائبه ومسراته.

وقد آن لنا أن نَشرَع في المقصود، مُبتدئين بترجمته، وبيان منزلته الشعرية عند أئمة الأدب، وثنائهم عليه، إلى غير ذلك من مُلَحِه وطُرَفِه، فنقول وبالله المستعان:

(ترجمته)

ترجمه ابن عساكر في «تاريخه الكبير لدمشق»، فقال: هو أحمد بن محمد بن الحسن ابن مرار، أبو بكر الضبِّي المعروف بالصنوبري الحلبيّ، شاعر مُحْسِن، أكثر أشعاره في وصف الرياض والأنوار، قدم دمشق وله أشعار في وصفها، ووصف منتزهاتها.

وذكر بسنده إلى أبي العباس عبد الله الصفري، قال: سألت أحمد بن محمد الصنوبري: ما السبب الذي من أجله نُسِبَ جدُّه إلى الصنوبر حتى صار معروفاً به؟ فقال لي: كان جدّي الحسن بن مرار صاحب بيت حكمة من حُكم المأمون، فجرت له بين يديه مناظرة، فاستحسن كلامَه وحدَّة مزاجه، فقال له: إنك لصنوبريّ الشكل، يريد بذلك: الذكاء، وحدّة المزاج.

وذكره ابن شاكر الكتبي في تاريخه «فوات الوفيات»، وساق بعض شعره، ولكنه لم يذكر تاريخ وفاته.

وترجمه الحافظ الذهبي في «تاريخه الكبير»، وأورد له من نَظْمِه القصيدة الآتية التي مطلعها: (لا النوم أدري به ولا الأرق)، وقال: إنَّ وفاته كانت سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة.

وذكره أيضاً الحافظ الذهبي في تاريخه «العِبر في أسماء من غَبَر»، وهو من مخطوطات مكتبة المدرسة الأحمدية في حلب، ورقمه (١٢٢٠)، بخط الحافظ ابن حجر، في حوادث سنة ٣٣٤، ونص عبارته: وفيها (أي توفي) الصنوبري الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن الضبيّ الحلبيّ، وشعره في الذروة العليا. اهـ.

وفي مجموعة مخطوطة في المدرسة الشرفية بحلب (رقمها ١٦٢) ترجمةٌ له موجزة

بمعنى ما تقدَّم، وذكر في آخرها وفاته في هذه السنة، في شهر رجب[1].

(منزلته الشعرية بين أئمة الشعر والأدب)

قال في «مطالع البدور في منازل السرور»[2]: «قال الخوارزمي: من روى حوليّات زهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميات الكميت، ونقائض جرير، وخمريات أبي نواس، وتشبيهات ابن المعتز، وزهديات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وروضيات الصنوبري، ولطائف كشاجم[3]، ولم يخرج إلى الشعر فلا أشبَّ الله قرنَه»[4]. اهـ.

وقال في الباب الحادي والأربعين من هذا الكتاب: «اجتمع لسيف الدَّولة بن حمدان ما لم يجتمع لغيره من الملوك، كان ابن نباتة الفارقي خطيبَه، ومعلّمُه ابنَ خالويه، ومطربُه الفارابيَّ، وطباخُه كشاجم، وخزّان كتبه الخالديان[5] والصنوبري، ومُدَّاحه

(١) انظر ما نشرناه من التحقيق عن اسم جد الصنوبري ونسبته للضبِّي وتاريخ وفاته في مجلة «المجمع العلمي العربي» (جزء ١٢ ص٥٢)، رادّين فيه على مقالة الأديب الفاضل الشيخ كامل الغزي التي نشرها في هذه المجلة (جزء ١١ ص٤٨٤) تحت عنوان: الشاعر الصنوبري (الطباخ). وتقدَّمت المقالة المشار إليها في الفصل الثاني في التراجم ص ٣٢١.

(٢) هو تأليف الأديب الفاضل الشيخ علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي، وهو من نفائس كتب الأدب، طبع في مصر في مطبعة الأدب سنة ١٢٩٩هـ، ومنه نسخة مخطوطة نفيسة في مكتبة الأحمدية في قسم الأدب (الطباخ).

(٣) قال في «القاموس»: كُشاجم كعُلابط «أي بضم الكاف» اسم. اهـ. وعلى الهامش نقلاً عن شارح القاموس: ضبطه بعضهم بالفتح (الطباخ).

(٤) أي: لم يطل عمره. يقال: شب الغلام يشِبّ شباباً وشبوباً وشبيباً، وأشبَّه الله، وأشبَّ الله قرنه: بمعنىً، والقرن: زيادة في الكلام.

(٥) هما: أبو بكر محمد ت نحو ٣٨٠، وأبو عثمان سعيد ٣٧١؛ ابنا هاشم الخالدي، وقد جمع ديوانهما وحققه الدكتور سامي الدهان.

المتنبي، والسلامي، والواواء الدمشقي، والببَّغاء، والنامي، والسعدي إلى غير ذلك».

وقال ابن رشيق ـ في «العمدة» في باب المشاهير من الشعراء (ص٦٤) ـ: وأما أبو الطيِّب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه، وكان الصنوبريّ والخبزأرزي[1] مقدَّمَين عليه للسنّ، ثم سقطا عنه، على أن الصنوبريّ يُسمى حبيبا الأصغر لجودة شعره.

ولقِيَه مرَّة بالمصيصة أو غيرها، فقال له ـ يهزأ به ـ: أنت صاحب بعادين؟ يريد قصيدته:

شربنا في بعادينِ   على تلك الميادينِ

لما فيها من المجون والخلاعة، فقال له الصنوبري: أنت صاحب الطُرطُبّة؟ يريد قصيدته[2]:

ما أنصف القومُ ضبّه   وأمّه الطُّرطُبّه

لما فيها من اللين والركاكة، ولكلٍّ كلام وجهٌ وتأويل، ومَن التمس عيبًا وجده، وقيل: بل قال له: أنت صاحب جاخا؟ قال: نعم، قال: أنت شاعر بلدك؟ يريد قوله في صفة الوعِل:

ذاك أم أعصمٌ كأَنْ مدرَباه   حين عاجا على القذالين جاخا

وذكر له في باب الاستعارة من هذه القصيدة بيتاً، حيث قال: وقال الصنوبري:

كان عيشي بهم أنيقاً فولى   وزماني فيهم غلامًا فشاخا

(١) نصر بن أحمد الخبزأرزي، المتوفى سنة ٣٣٠، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان خبازاً يخبز الأرز في مربد البصرة. قام مصطفى محمد عناية بتأليف كتاب عنه بعنوان: «نصر بن أحمد الخبزأرزي: حياته وشعره» في ٣٣٠ صفحة.

(٢) هي في شرح العكبري لديوان المتنبي ص١٢٩ (الطباخ).

وقال في باب التّشبيه (ص١٩٤): «لا بدَّ لكلِّ شاعر من طريقة تغلب عليه، فينقاد إليها طبعُه، ويسهل عليه تناولها، كأبي نواس في الخمر، وأبي تمام في التصنيع، والبحتريِّ في الطيف، وابنِ المعتز في التّشبيه، وديكِ الجن في المراثي، والصنوبريِّ في ذكر النَّوْر والطير، وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله.

وأما ابن الرومي فأَولَى الناس باسم شاعر؛ لكثرة اختراعه، وحسن اقتنائه، وقد غلب عليه الهجاء حتى شُهر به، فصار يقال: «أهجى من ابن الرومي»، ومَن أكثرَ مِن شيء عُرِفَ به، وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه، ولا أكثر، ولكن قليل الشرّ كثير». اهـ.

وقال الإمام الكمال ابن العديم في تاريخه «بغية الطلب في تاريخ حلب»، في ترجمة السري الرفاء بسنده إلى أبي الحسن الحلبي، وكان شيخًا يعرف أخبارَ سيف الدولة، قال: كنّا مُجْتمِعيْن يومًا في دهليز سيف الدَّولة وجماعة من الشعراء والشيوخ المتقدِّمين، كأبي العباس النامي، وأبي بكر الصنوبريّ، ومن النَّشء اللاحقين كأبي الفرج الببغاء، والخالديين، والسري، فتذاكروا الشعر، وأنشدت قصيدة المتنبي التي أولها: (فديناك من رَبع وإن زدتنا كَربا)، فاستحسن قوله في إعظام الربع:

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً   لِمَن بانَ عنه أنْ نُلِمَّ به رَكبا

فقال السَّري: لولا أنكم إذا سمعتم ما قلتُه بعد هذا ادَّعيتم أنني سرقته منه لأمسكت، وأنشد قصيدة لامية قال فيها:

نحفى وننزلُ وهو أعظم حرمةً   من أن يُذال براكبٍ أو ناعلِ

فحكَمَ له الجماعة بالزيادة في قوله: نحفى وننزل. اهـ[1].

(١) «بغية الطلب» ٤: ٤٤٠٣.

(وصف شعره لإمام من أئمة الأدب)

قال محمد بن شرف القيرواني في «أعلام الكلام»: «وأما الصنوبريُّ ففصيح الكلام غريبُه، مليحُ التّشبيه عجيبُه، مستعملٌ شواذّ القوافي، يغسلُ كدورتَها بمياه فَهْمِهِ الصوافي، فتَجلُو وتَدقّ، وتَعذُبُ وتَرِقّ، وتحلو، وهو وحيد جنسه في صفة الأزهار، وأنواع الأنوار، وكان في بعض أشعاره يتخالع، وفي بعضها يتشاجع، وقد مدح وهجا، وسرّ وشجى، وأعجب شعرُه وأطرب، وشرّقَ وغرَّبَ، ومدح من أهل إفريقية أمير الزاب جعفر بن علي الخذامي، منفق سلع الآداب، ووصلَه بألف دينار، بعثها إليه مع ثقاة التجّار». اهـ.

(ثناء أبي الطيب المتنبي عليه مع جلالة قدره وعتوّه وتكبّره)

كان أبو الطيب المتنبي ـ كما قال أبو محمد بن الحسن الحاتمي[1] ـ ممَّن الْتحَفَ رداءَ الكِبْر، وأذال ذيول التِّيه، ونأى بجانبه استكباراً، وثنى عِطْفَيْه جبرية وازوراراً، فكان لا يلاقي أحداً إلا أعرض عنه تيهاً، وزخرف عليه القول تمويهاً، تخيَّل ـ عجبًا إليه ـ أن الأدب مقصورٌ عليه، وأنَّ الشِّعر بحرٌ لم يَرِدْ نَميرَ مائهِ غيرُه، ورَوضٌ لم يَجْنِ نُوّاره سواه، فهو يجْني جناه، ويقطف قطوفَه؛ دون من تعاطاه... إلخ.

ومع ما كان عليه من العتوّ والاستكبار والإعجاب بشعره، كما قال من قصيدة له:

إذا شاءَ أنْ يلهو بلحية أحمقٍ   أراه غباري ثم قال له: الحَقِ

فإنه أثنى على صاحبنا الصنوبريّ، واعترف له برفيع المنزلة، كما نقل ذلك الثعالبي في «يتيمة الدّهر» (ج١ ص٨٤)، حيث قال: حكى ابن جنِّي قال: حدَّثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري، قال: خرجتُ من حلب أريد سيف الدولة، فلمّا

(١) ابن خلكان (الطباخ).

برزت من السور؛ إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل، وسدَّدَه إلى صدري، فكدت أطرح نفسي عن الدَّابَّة فَرَقًا، فلما قرب منّي ثنى السنان، وحسر لثامَه، فإذا المتنبي، وأنشدني:

نثرنا رؤوسًا بالأحيدبِ منهم   كما نُثرت فوقَ العروسِ الدراهمُ

ثم قال: كيف ترى هذا القول؟ أَحَسَنٌ هُو؟ فقلتُ له: ويحَك! قد قتلتني يا رجل.

قال ابن جنّي: فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب؛ فعرفها وضحك لها، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله.

قال ابن جنّي: وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أوّلها: (واحرَّ قلباه ممن قلبُه شَبِمُ)، فلما وصلتُ إلى قوله فيها:

وشرُّ ما قَنَصَتْه راحتي قَنَصٌ   شهبُ البُزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ

أُعجِبَ جدًا به، ولم يَزَلْ يَستعِيدُه حتى حفظَه، ومعناه: إذا تساويت ومَن لا قدر له في أخذ عطاياك؛ فأي فضل لي عليه، وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل.

(أول شعر قاله)

ذكر ابن عساكر في «تاريخه» بسنده إلى أبي الحسن علي بن محمد الحلبي المؤدّب قال: قال لي أبو بكر الصنوبريّ: أول شعر قلتُه وارتضيتُه قولي:

ما حلَّ بي منك وَقْتَ مُنصَرَفي   ما كنتُ إلا فريسةَ التَّلَفِ
كم قال لي الشَّوق: قِفْ لِتَلْثِمَهُ   فقال خوفُ الرقيبِ: لا تقفِ
فكان قلبي في زيٍّ منعطفٍ   وكان جسمي في زيٍّ منصرفِ[١]

(١) في الديوان المحقق ص٣٢٧: فكان جسمي في زيٍّ منطلق... وكان قلبي في زيٍّ منعطف.

«روضياته»

ذكر ابن عساكر بسنده إلى عبد الصمد الخولاني قال: أنشدني أبو بكر الصنوبري:

إن كان في الصيف ريحانٌ وفاكهةٌ   فالأرضُ مستوقَدٌ والجوُّ تَنُّورُ
وإن يكن في الخريف النَّخلُ مُخْتَرَفًا   فالأرضُ عُريانةٌ والجوُّ مقرورُ[١]
وإن يكن في الشتاء الغيثُ متَّصلاً   فالأرض محصورةٌ والجوُّ مأسورُ
ما الدهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا   أتى الربيعُ أتاكَ النَّورُ والنُّورُ
فالأرضُ ياقوتةٌ والجوُّ لؤلؤةٌ   والنَّبتُ فيروزجٌ والماءُ بِلَّورُ
ما يعدمُ النَّبتُ كاسًا من سحائبه   فالنَّبتُ حيران[٢] سكرانٌ ومخمورُ
فيه لنا الوردُ منضودٌ مُورَّدُهُ[٣]   بين المجالس والمنثورُ منثورُ
ونرجسٌ ساحرُ الأبصارِ ليس لِما   كانت[٤] له من عمى الأبصارِ مسحورُ
هذا البنفسجُ هذا الياسمينُ، وذا النْـ   ـنِسرين قد قُرِنَا[٥] فالحُسْنُ مشهورُ
تظلُّ تنثرُ فيه السُّحْبُ لؤلؤَها   فالأرضُ ضاحكةٌ والطّيرُ مَسرورُ
حيثُ التفَتَّ فقُمريٌّ وفاختةٌ   يُغنِّيانِ، وشَفْنينٌ وزرزورُ[٦]
إذا الهزارانِ فيه صَوَّتا فَهُما   بحُسنِ صوتِهِمَا عُودٌ وطُنبورُ[٧]

(١) خرف النخل واخترفه: صرمه واجتناه.
(٢) في الديوان المحقق: فالنبت ضربان.
(٣) في الديوان المحقق: بدل: (مورده): مؤزَّر ما.
(٤) في الديوان المحقق: بدل: (لما كانت): كما كأنه.
(٥) في الديوان المحقق: بدل: (قد قرنا): ذا سوسن في الحسن.
(٦) الفاختة: طائر من ذوات الأطواق، والشفنين: من أنواع الحمام، وهو الذي تسميه العامة: اليمام، وصوته فيه تحزين، والزرزور: طائر من نوع العصفور، وقد جاء في الديوان المحقق: بدل: (يغنيان): فيه تغنّى.
(٧) في الديوان المحقق: بدل: (فهما بحسن صوتهما عود): فهما السرُّنايُ والناي بل عود وطنبور. =

تَطيبُ فيه الصحارى للمقيم بها   كما تَطيبُ له في غيره الدُّورُ
مَن شَمَّ طيبَ رياحين الرَّبيعِ يَقُلْ(١):   لا المِسكُ مِسكٌ ولا الكافورُ كافورُ

قال ابن شاكر: ومن شعره في الورد، وكذا الصلاح الصفدي في «شرح لامية العجم» (ج ٢ ص ٢٤٠):

زعم الوردُ أنه هو أبهى   من جميع الأنوارِ والريحانِ
فأجابتْه أعينُ النَّرجس الغضْـ   ـضِ بِذُلٍّ مِن قولها وهوانِ
أيما أحسنُ التَّورُّد أم مقـ   ـلةُ ريمٍ مريضةُ الأجفانِ
أم فماذا يرجو بحمرته الور   دُ إذا لم يكُنْ له عينانِ(٢)
فَزها الوردُ ثم قال مجيبًا   بقياسٍ مستحسَنٍ وبيانِ
إنّ وَرْدَ الخدود أحسنُ من عيـ   ـنٍ بها صُفرةٌ من اليَرَقانِ

قال: ومنه:

أرأيت أحسنَ من عيونِ النَّرجسِ   أم من تلاحُظِهنَّ وَسْطَ المجلسِ
دُررٌ تشقَّق عن يواقيتٍ على   قُضُبِ الزُّمُرُّدِ فوق بُسْط السُّندسِ
أجفانُ كافورٍ خفَقْنَ بأعينٍ   من زعفرانٍ ناعماتِ المَلْمَسِ
فكأنَّها أقمار ليلٍ أحدَقَتْ   بشموسِ أُفْقٍ فوقَ غُصنٍ أمْلَسِ
مُغرورِقاتٌ مِن ترقرُقِ طَلِّها   ترنو رُنُوّ النّاظرِ المتفرِّسِ(٣)
وإذا تغَشَّتْها الرّياح تنفَّست   عن مثل ريحِ المسكِ أيَّ تنفُّسِ

= والسُّرناي: صنف من المزامير، والهزار: العندليب.

(١) في الديوان المحقق؛ جاء الشطر الأول: من شمَّ ريح تحيات الربيع يقل.

(٢) في المحاضرات (ج٢ ص٢٥٦) الشطرة الأولى هكذا: أم فماذا يرجى لحمرة الخد إلخ.
وفي شرحه بديعية النابلسي البيت هكذا: أم بماذا يزهو بحمرته الخد.. إلخ (منه).

(٣) هذا البيت والذي بعده من مجموعة مخطوطة في مكتبة المدرسة الشرفية (منه).

قال: ومنه:

يا ريمُ قومي الآنَ وَيْحَكِ فانظري   ما للرُّبى قد أظهرَتْ إعجابَها
كانت محاسنُ وجهِها محجوبةً   فالآنَ قد كَشَفَ الرَّبيعُ حجابَها
وَرْدٌ بدا يحكي الخدودَ، ونرجسٌ   يحكي العيونَ إذا رأت أحبابَها
وشقائقٌ مثل المطارفِ قد بَدَت   حُمْرًا وقد جُعل السوادُ كتابَها(١)
وكأنَّ خرَّمها الرّبيع إذا بدا   عرف الطَّواوسِ قد مَدَدْنَ نقابَها(٢)
ونباتُ باقلّاءَ يُشْبِه نَوْرُه   بُلْقَ الحمامِ مُشيلةً أذنابَها(٣)
والسَّروُ تحسبُه العيونُ غوانيا   قد شمَّرَت عن سُوقها أثوابَها
وكأنَّ إحداهُنَّ من نَفْحِ الصَّبا   خودٌ تلاعبُ مَوْهِنًا أترابَها
لو كنتُ أملكُ للرياضِ صِيانةً   يومًا لما وطِئَ اللّئامُ ترابَها

قال: ومنه:

خجِل الوردُ حين لاحظَه النّر   جسُ من حُسْنِه وغارَ البَهارُ(٤)
فعَلَتْ ذاك حمرةٌ وعَلَتْ ذا   صفرةٌ واعترى البَهارَ اصفرارُ

(١) هذا من مجموعة خطية عند الأديب أحمد عبيد الكتبي بدمشق، أحضره إلينا الشاب الفاضل الشيخ مصطفى الزرقا (منه).

(٢) هذا من كتاب «من غاب عنه المطرب» للثعالبي، طبع الجوائب في الأستانة، ولعل الصواب «رقابها» (منه).

(٣) أورد في كتاب «عيون المرقصات» لنور الدين بن الوزير أبي عمران الأندلسي هذا البيت على هذه الصورة، وذكر بعده بيتاً آخر، وهما:

وكأن نور الباقلاء به ضحى   بلق الحمام مديرة أذنابها
والنهر قد هزته أرواح الصبا   طرباً وجرَّت فوقه أهدابها

وذكره الراغب الأصفهاني في محاضراته (ج٢ ص٢٦٠) لكنه قال: (مقيمة) بدل مشيلة (منه).

(٤) في الديوان المحقق ص٧٣: بدل: (لاحظه): عارضه.

وغدا الأقحوانُ يضحَكُ عُجْباً   عـن ثنايا لثامهـنَّ[١] نضـارُ
ثـم نـمَّ النّمام واستمعَ[٢] السُّو   سنُ لمّـا أُذيعـت الأسرارُ
عندهـا أبـرز الشـقيقُ خُـدوداً   صـار فيهـا مـن لَطْمِـه آثـارُ
سُكبتْ فوقَها دموعٌ من الطَّـلْـ   ـلِ كما تُسكَبُ الدّمـوعُ الغِزارُ
فاكتسى البنفسجُ الغـضُّ أثوا   بَ حدادٍ قد خانها[٣] الاصْطبارُ
وأضرَّ السَّـقامُ بالياسـمين الـ   ـغضِّ حتـى آذى به الأضرارُ[٤]
ثم نادى الجزاء[٥] في سائر الزَّهـ   ـرِ فوافـاهُ جَحفَـلٌ جـرَّارُ
فاستجاشـوا عـلى محاربـة النّر   جس بالجـرم الـذي لا يُبـارُ[٦]
فأتَـوا في جوشـنٍ سـابغاتٍ[٧]   تحت سُجْفٍ مـن العَجـاج يُثارُ
ثمّ لمّا رأيتُ ذا النّرجسَ الغَضْـ   ـضَ ضعيفًا مـا إنْ لديه انتصارُ
لم أزلْ أُعمِـلُ التلطُّفَ للـور   د حِـذاراً أن يُـغْلَــبَ النُّـوَّارُ
فجمعناهُـمُ لـدى مجلـسٍ فيـ   ـهِ تُغنّـي الأطيـارُ والأوتـارُ[٨]
لـو تـرى ذا وذا لقُلْـتَ: خـدودٌ   تُدْمِـنُ اللحظَ نحوهـا الأبصارُ

(١) لعل الصواب: لِثَاثِهِنَّ (الطباخ)، وهو كذلك في الديوان المحقق ص٧٤.
(٢) في الديوان المحقق ص٧٤: جاء الشطر الأول: نمَّ عنه النمام فاستمع السُّوسَن.
(٣) في الديوان المحقق ص٧٤: بدل: (قد خانها): إذ خانه.
(٤) في الديوان المحقق ص٧٤: بدل: (آذى به): أذابه.
(٥) في الديوان المحقق: بدل: (الجزاء): الخيري.
(٦) في الديوان المحقق ص٧٤: بدل: (بالجرم): بالخرَّم. والخرَّم: نبات ذو أوراق، قليل العرض، ولونه بنفسجي، وله رائحة حسنة. ولا يبار: لا يهزم. وفي «الفوات»: بالجحفل الذي لا يبار.
(٧) في الديوان المحقق: بدل: (جوشن): جواشنٍ، والجواشن: الدروع.
(٨) في الديوان المحقق ص٧٣: بدل: (فجمعناهم): فجمعناهما، وبدل (فيه تعني): تصخب فيه.

وله (من زهر الآداب للحصري ج١ ص١٩):

ذهَـــبْ كـؤوسَـك يـا غلا   مُ فـإنَّ ذا يـومٌ مُفضَّضْ
والجـــوُّ يُجـلى في البـيـا   ضِ وفي حُلى الكافور يُعرَضْ[١]
أرأيـــت ذا ثـلـجٌ وذا   وردٌ على الأغصانِ يُنفضْ[٢]
وردُ الـرَّبـيـع مـورّدٌ   والـورد في تشرينَ أبيضْ[٣]

وله في النيلوفر (من كتاب «مَن غاب عنه المطرب» للثعالبي):

حــبــذا يـــوم أحـمــدِ   بـين روح ومـنـجـدِ
وخــلــيــجٍ مـــزرّدِ   وحَمَـــامٍ مـغــرِّدِ
كـلُّـنـا بـاسـطُ الـيـدِ   نـحـو نـيـلـوفـرٍ يـدي
كـدنـانـير عـسـجـدِ   نـصـفُـهـا مـن زبـرجـدِ

قال الجلال السيوطي في آخر كتابه «حُسن المحاضرة»: قال بُقراط: كل شيء يغذو الجسم، والنّرجس يغذو العقل.

وقال جالينوس: مَن كان له رغيفٌ فليجعل نصفَه في النّرجس، فإنه راعي الدّماغ، والدّماغ راعي العقل.

وقال بعض الأدباء: النّرجس نزهة الطّرْف، وطَرَفُ الظّرَف، وغذاء الروح،

(١) هذا في «من غاب عنه المطرب» هكذا:
والجـــو يجـلى في الـريـا   ض وفي حـليِّ الـدُّرِ يُعرض   (منه)
(٢) هذا فيه هكذا:
أتـــظـــن ذا ورد وذا   ثلجاً علىٰ الأغصـان ينفض   (منه)
(٣) هذا فيه هكذا:
ورد الـربـيـع مـلـون   والـورد في كـانـون أبيـض   (منه)

ومادة الروح، وذكر غير ذلك مما قيل فيه نَظْمًا ونثرًا، وأورد للصنوبري فيه قوله:

أضعفَ قلبي النّرجسُ المضعَفُ ... ولا عجبًا إنْ[1] صَبا مدنَفُ
كـأنّـه[2] بين رياحيننا ... أعشارُ آيٍ ضمَّها مصحفُ

وقوله[3]:

وعندنا نرجسٌ أنيقٌ ... تحيا بأنفاسه النفوسُ
مَعين حظّه[4] جليلٌ ... ومضعفٌ قدرُنا[5] نفيسُ
كلُّ أجفانه بذورٌ[6] ... كأنَّ أحداقه شموسُ

وله من «مَنَاهج الفِكَر ومناهج العِبَر» للوطواط، يصفُ النَّرجس في مَنبَتِه من أبيات في (ص٥٦٠) منه:

أرأيتَ أحسن من عيونِ النَّرجسِ ... أو مَن تلاحظهُنَّ وَسْطَ المجلسِ
درٌّ تَشقّقَ عن يواقيتٍ على ... قُضُبِ الزَّبرجَد[7] فوق بُسْطِ السندسِ

ومِن نَظْمِهِ في الفستق (محاضرات الراغب ص٢٩٨):

مِن الفُستُقِ الشّامي كلُّ مُصونةٍ ... تُصَانُ عن الأحداثِ[8] في بطنِ تابوتِ

(١) في الديوان المحقق ص٤٣٠: بدل: (عجباً إن): عجيب أن.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٣٠: بدل: (كأنه): كأنها.
(٣) وهي في «مناهج الفكر ومباهج العبر» والبيت الثاني منه (الطباخ).
(٤) في الديوان المحقق ص١٤٠: بدل: (معين حظه): مغيّر خَطّه.
(٥) في الديوان المحقق ص١٤٠: بدل: (قدرنا): قدرُه.
(٦) في الديوان المحقق ص١٤٠: بدل: (كل أجفانه بذور): كأن أجفانه بدور.
(٧) في الديوان المحقق ص١٦١: بدل: (الزبرجد): الزّمرّد.
(٨) في الديوان المحقق ص٤٠١: بدل: (عن الأحداث): من الأحداق.

زبرجدةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ ... مُضمّنةٌ دُرًّا مُغْشّى بياقوتِ

(وصفُه للدِّيك)

قال الدَّميري في «حياة الحيوان» في الكلام على الدِّيك: وقد أجاد أبو بكر الصنوبريّ في مدحه حيث قال:

مُغـرِّدُ الليلِ ما يألوكَ تغريدا ... مَلَّ الكَرى فهْوَ يدعو الصبحَ مجهودا
لمّا تطرَّب هزَّ العِطفَ مِن طَرَبٍ ... ومدَّ للصَّوتِ ـ لمّا مدَّهُ ـ الجِيْدا
كلابسٍ مِطْرفاً مُرخٍ ذوائبَهُ[1] ... تضاحكُ البيضُ من أطرافِه السودا
حالي المقلّد لو قيست قلائدُهُ ... بالورد قصَّر عنه الورد توريدا

(وصفه لميادين حلب)

قال الحصري في «زهر الآداب» (ج١ ص١٧٠): أخذ أبو بكر الصنوبري قول البُحتري في صفة البركة، فقال يصف موضعًا:

سقى حلبًا سافكٌ دمعُهُ ... بطيءُ الرقوءِ إذا ما سَفَكْ
ميادينُهُ بُسْطُهُن الرّياضُ ... وساحاته بينهنّ البِرَكْ
ترى الريحَ تنسجُ من مائهِ ... دُروعاً مُضاعَفةً أو شَبَكْ
كأنّ الزّجاجَ عليها أُذيب ... وماء اللُّجَين بها قد سُبِكْ
هي الجوُّ من رِقّةٍ غير أنْ ... مكانَ الطّيور يطير السّمكْ
وقد نُظِمَ الزَّهرُ نظْمَ النجومِ ... فَمُفْترِقُ النَّظْمِ أو مُشْتَبَكْ
كما دَرَّجَ الماءَ مَرُّ الصَّبا ... ودبَّج وجهَ السّماء الحَبَكْ
يباهينَ أعلامَ قُمْصِ القِيانِ ... ونقشَ عصائبها والتِّكَكْ

(١) في الديوان المحقق ص٤١٨: بدل: (ذوائبه): جوانبه.

وأخذ قوله: (إذا النجوم تراءت في جوانبها) فقال:

ولّما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوؤهُ بدِجلةَ في تشرينَ في الطُّولِ والعَرْضِ
وقد قابلَ الماءَ المفضَّضَ نورُه وبعضُ نجوم الليل يَقْفو سَنا بعضِ
توهّم ذو العينِ البصيرةِ أنّهُ يرى باطنَ الأفلاكِ من ظاهرِ الأرضِ

(وقال يمدح مدينة حلب):

سقى حلَبُ المزنِ مَغنى حلَبْ فكم وصلتْ طربًا بالطَّربْ
وكمْ مستطابٍ من العيش لذَّ بها إذ بسواها العيش لم يُسْتطبْ[١]
إذا نشرَ الزَّهرُ أعلامَهُ بها ومَطارفَهُ والعَذَبْ
غدا وحواشيه من فضةٍ تروقُ وأوساطُه من ذهبْ

وقال كما في نهر الذَّهب (ج١ ص٧٠):

وللظَّهرِ[٢] من حَلَبٍ مَنزلٌ تُشابُ العيون على حَجِّهِ
أعِدْ نحو جَوشنِهِ نظرةً إلى سَمْتِهِ وإلى[٣] بُرْجِهِ
إلى بانقوسا[٤] وتلك التي حكت راكباً لاح من فجِّهِ
لترتاضَ نفسُك من روضِهِ ويمرَحَ طرفُكَ في مَرجِهِ

وله من هذه القصيدة ـ وهو ممَّا كتب إلينا به المستشرِق الفاضل سالم كرانكوي

(١) جاء الشطر الثاني مختلَّ الوزن هنا، وهو في ديوان الصنوبري بتحقيق إحسان عباس ص٣٩٢:
بها لي إذ العيش لم يُسْتَطب.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٠٦: بدل: (وللظهر): فللظهر.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٠٦: بدل: (سمته وإلى): بيعتيه إلى.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٠٦: بدل: (بانقوسا): بانقوساه.

الألماني، ناقلاً له عن الشهاب الخفاجي، ثم وجدتُه في «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري ـ:

تخيَّلَهُ ساطعًا وهجُهُ فتأبى الدُّنوَّ إلى وَهجِهِ

وله في وصف السُّقاة من هذه القصيدة ـ كما في «نهاية الأرب» (ج٤ ص١٢٩) ـ:

وساقٍ إذا هَمّ نَدْمانُنا بأن يُزجِيَ الكأسَ لم يُزجِهِ
كلُعبةِ عاجٍ على فَرشِهِ وليثٍ عرينٍ على سَرجِهِ
لطيفِ المُمَنطقِ مهتزِّهِ ثقيلِ المؤزَّرِ مُرتجِّهِ
سقاني بعينَيْهِ أضعافَ ما سقاني بكفَّيهِ من غُنجِهِ

(وصفه للبلاد والقرى ورياضها ومنزهاتها)

قال ياقوت في «المعجم» (ج٢ ص٢٢١): بطياس: وأهل حلب كالمُجمِعِين على أن بطياس قرية من باب حلب بين النيرب وبابلّي، كان بها قصر لعلي بن عبد الملك ابن صالح أمير حلب، وقد خَرِبَت القرية والقصر.

وقال الخالديان في كتاب «الديرة»: الصالحيةُ: قريةٌ قرب الرّقة، وعندها بطياس ودير زكّى، وقد ذكرته الشعراء، قال أبو بكر الصنوبري[١]:

(١) في «المعجم»: وقال البحتري، وهو يدل على أنها بحلب:
يا برق أسفر عن قويقَ فطُرَّتي حلبٌ فأعلى القصر من بطياسِ
عن منبت الورد المعصفر صبغه في كل ناحية ومَجنى الآسِ
أرض إذا استوحشتُ ثم أتيتُها حشدت عليَّ فأكثرت إيناسي
وقال أيضاً:
نظرتُ وضمّت جانبيّ التفاتةٌ وما التفتَ المُشتاق إلا لينظُرا
إلى أرجوانيٌّ من البرق كلما تنمَّر علويّ السحاب تَعَصْفَرَا =

إنيّ[1] طربتُ إلى زيتونِ بطياسِ ... فالصالحيةِ ذاتِ الوردِ[2] والآسِ
وصفُ الرياضِ كفاني أن أقيمَ على ... وصفِ الطُّلولِ فهل في ذاكَ من باسِ[3]
من ينسَ عهدَهما يومًا فلستُ له ... وإن تطاولتِ الأيامُ بالناسي
يا موطنًا كان من خيرِ المَواطِنِ لي ... لمّا خَلَوتُ[4] به ما بين جُلّاسي
وقائلٍ لِيْ: أَفِقْ يومًا، فقلت له: ... من سَكْرَةِ الحبِّ أو من سَكْرَةِ الكاسِ
لا أشربُ الكاس إلا من يدي رشأٍ ... مُهَفْهَفٍ كقضيبِ البانِ ميّاسِ
مورَّدِ الخدِّ في قُمْصٍ مُورَّدةٍ ... له من الآسِ[5] إكليلٌ على الراسِ
قل للذي لامَ فيه: هل ترى خَلَفًا ... يا أملحَ الروضِ بل يا أملح الناسِ[6]

وقال في الكلام على دمشق ودير مرّان: وفيه قال أبو بكر الصنوبري:

أمرُّ بدير مُرّانٍ فأحيا ... وأجعل بيتَ لَهوي بيتَ لِهيا
ويُبرِد غلّتي بَرَدَى فسُقيا ... لأيامٍ[7] على بَرَدَى ورَعيا
ولي في باب جيرونٍ ظباءٌ ... أُعاطيها الهوى ظبيًا فظَبْيا

= يضيء غماماً فوق بطياس واضحاً ... يبضّ وروضاً تحت بطياس أخضرا
وقد كان محبوباً إليّ لو أنه ... أضاء غزالاً عند بطياس أحورا (منه)

(١) في الديوان المحقق ص١٦٢: بدل: (إني): ألا.
(٢) في الديوان المحقق ص١٦٢: بدل: (فالصالحية ذات الورد): فصالحية ذات السرّو.
(٣) هذا البيت والذي قبله مع بيتين آخرين بعدهما، من «المسالك والممالك» (ج١ ص٢٦٦) منه رحمه الله.
(٤) في الديوان المحقق ص١٦٢: بدل: (لي لما خلوت): لما أن جلست.
(٥) في الديوان المحقق ص١٦٢: بدل: (الآس): الورد.
(٦) في الديوان المحقق: ص١٦٣.
قل للذي لام فيه: هل ترى كَلِفاً ... بأملح الروض إلا أملحَ الناس
(٧) في الديوان المحقق ص٤٦٥: بدل: (لأيامٍ): لأيامي.

ونِعْمَ الدّارُ داريّا ففيها ... حلا لي العيشُ حتى صار أَرْيا
صَفَتْ دنيا دمشقَ لقاطنيها ... ولستَ ترى بغير دمشقَ دُنيا
تفيضُ جداول البِلَّورِ فيها ... خلالَ حدائقٍ ينبُتْنَ وَشْيا
مظلَّلةٍ فواكهُها بأبهى الـ ... ـمناظر في نواضرها وأهيا
فمِن تفاحةٍ لم تَعْدُ خدًّا ... ومن رُمّانَةٍ لم تُخْطِ ثَدْيا

وله فيه:

متى الأَرْحُلُ مَحْطُوطَهْ ... وعِيرُ الشَّوقِ مَربُوطَهْ
بأعلى دير مُرّانَ ... فداريّا إلى[1] الغوطَهْ
فشطَّيْ بردى في جَنـ ... ـب[2] بُسْطِ الروضِ مبسوطَهْ
رِباعٌ تهبط الأنهـا ... ـرُ منها خيرَ مهبوطَهْ
وروضٌ أحسنَتْ تكتيـ ... ـبَهُ المُزنُ وتنقيطَهْ
ومدّ الروض والآس ... لنا فيه[3] فساطيطَهْ
ووالى طيرُه ترجيـ ... ـعَهُ فيه وتمطيطَهْ
محلٌّ لا ونَتْ فيه ... مُزادُ المُزْنِ معطوطَهْ[4]

وقال ياقوت في الكلام على دير زكّى: قال الخالدي: هو بالرقة، قريب من الفرات، قال الشابشتي: هو بالرقة، وعلى جَنْبَيْهِ نهر البليخ. وأنشد للصنوبري (ج١ ص١٤٢) وهي في «مسالك الأبصار» (ج١ ص٢٦٧):

(١) في الديوان المحقق ص٢٤٩: بدل: (إلى): على.
(٢) في الديوان المحقق ص٢٤٩: بدل: (جنب): حيث.
(٣) في الديوان المحقق ص٢٤٩: بدل: (الروض والآس لنا فيه): الورد والآس حِفافَيه.
(٤) المزاد: جمع مزادة وهي القربة. معطوطة: مشقوقة.

أراقَ سِجالَهُ بالرَّقتينِ ... جنوبيٌّ صَخوبُ الجانبَينِ
ولا اعتزلت عَزَاليهِ المصلى ... بلى خرّتْ على الخزّارتَينِ
وأهدى للرصيفِ رصيفَ مُزنٍ ... يُعاوِدُهُ طريرُ الطُّرّتَينِ
معاهِدُ بل مآلِفُ باقياتٌ ... بأكرمِ مَعهَدَينِ ومألفَينِ
يُضاحكها الفراتُ بكل فجٍّ ... فتضحكُ عن نُضارٍ أو لُجَينِ
كأنّ الأرضَ من حُمرٍ وصُفرٍ[1] ... عَروسٌ تُجتلى في حُلّتَينِ
كأنّ عِناقَ نَهرَيْ دَيرِ زَكّى ... إذا اعتنقا عناقُ مُتيّمَينِ
وَقتْ ذاك البليخَ يدُ الليالي ... وذاكَ النِّيلَ مِن مُتجاوِرَينِ
أقاما كالسِّوارَين استدارا ... على كفَّيه[2] أو كالدُّملُجَينِ
أيا مُتنزَّهيْ في دَيرِ زكّى ... ألم تكُ نُزهتي بكَ نُزهتَينِ
أردِّدُ بين وردِ نَداكَ طَرفًا ... يُرَدَّدَ بين وردِ الوجْنتَينِ
ومبتسمٍ كنظمَيْ أقحوانٍ ... جَلاهُ الطّلُّ بين شقيقَتينِ
ويا سُفُنَ الفراتِ بحيث تَهوي ... هُويّ الطيرِ بين الجَلْهَتَينِ[3]
تَطارَدُ مُقبلاتٍ مُدبِراتٍ ... على عَجَلٍ تَطارُدَ عسكرَينِ
تُرانا واصليكَ كما عَهدنا ... وِصالاً لا نُنغِّصُهُ بِبَيْنِ
ألا يا صاحبيَّ خذا عِناني ... هَوايَ سلِمْتُما من صاحبَينِ
لقد غَصَبَتْنيَ الخمسونَ فتكي ... وقامت بين لذّاتي وبيني
كأنّ اللّهوَ عندي كابنِ أمّي ... فصِرْنا بعد ذاك لِعِلّتَينِ

(١) في الديوان المحقق ص٤٤٣: بدل: (حمر وصفر): صفر وحمر.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٤٣: بدل: (كفّيه): كتفيه.
(٣) الجلهتان: جانبا الوادي.

وبعض هذه الأبيات في «المسالك والممالك» لابن فضل الله العمري (ج١ ص٢٦٧).

وقال فيه (ج١ ص٢٦٥): وإلى جانب دير زكّى قرية تُعرَف بالصالحيّة ذات قصور ودور، وفيها قال الصنوبريّ:

الصالحيةُ موطني ... أبداً وبطياسٌ قراري
من فوقِ غُدرانٍ تفيـ ... ـضُ وبين أنهارٍ جواري
ومُدامةٍ بُزِلَت فأشـ ... ـبَهَ فَتْلُها فَتْلَ السَّوارِ[1]
يا لائمي ما العارُ عا ... رُكَ فامض عني[2]، العارُ عاري
لهفي على مَلَويّةِ الـ ... أصداغِ مُسْبلةِ الإزارِ
قد فُضِّضَت بالياسميـ ... ـن وذَهّبتْ[3] بالجلّنارِ

وفيه قال:

حبّذا الكرخ[4]، حبّذا العمرُ لا بلْ ... حبّذا الدّيرُ، حبّذا السّروتانِ
قد تجلّى الربيعُ من حُلل الزهـ ... ـرِ وصاغَ الحمامُ طِيبَ الأغاني
زُيِّنَتْ أوجُهُ الرياضِ فأضحتْ ... وهْيَ تُزهَى على الوجوه الحسانِ

(١) بزلت: بزل دنها، أي: كسر لتسيل منه. فتلها هنا بمعنى عمود انصبابها.
(٢) في الديوان المحقق ص٥٥: بدل: (عني): مني.
(٣) في الديوان المحقق ص٥٥: بدل: (ذهَّبت): أُذهِبَت.
(٤) وقال ياقوت في الكلام على كرخ الرقة: هو من أرض الجزيرة، قال الصنوبري يذكره:

وإلى الرّقَّتين أطوي قرى البيـ ... ـد بمطوية القَرى مِذعانِ
فأزور الهنيَّ في خفض عيش ... وأمان من حادثات الزمانِ
حبذا الكرخُ، حبذا العمر، لا بل ... حبذا الدير، حبذا السَّروتانِ (منه)

أخضرُ اللونِ كالزَّبَرجدِ(١) في أحـ   ـمَرَ صافي الأديمِ كالعقيانِ(٢)
وبهارٍ مثلِ الزنانيرِ(٣) محفو   فٍ بزهرِ الخَيْريِّ والحَوذانِ
سقِّياني بكلِّ(٤) لونٍ من الرا   حِ على كلِّ هذه الألوانِ

قال: وله أيضاً من أخرى:

يا نديمي أما تحنُّ إلى القصـ   ـفِ فهذا أوانُ يبدو الحنينُ
ما ترى جانبَ المصلَّى وقد أشـ   ـرف منه ظُهورُهُ والبطونُ
أُسرجت في رياضِهِ سُرُجُ القَطْـ   ـرِ وطابت سُهولُه والحُزونُ
إنَّ آذارَ لم يذَرْ تحتَ وجهِ الـ   أرضِ شيئًا أكنّه كانونُ
وكأنَّ الفراتَ بينَهما عيـ   ـنُ لُجينٍ يعُومُ فيها السَّفينُ
كبطونِ الحيّاتِ أو كمتونِ(٥) الـ   ـمشرفياتِ أخلَصَتْها القُيونُ
كم غدا نحو دير زكّى(٦) من قلـ   ـبٍ صحيحٍ فعادَ(٧) وهْوَ حزينُ
لو على الدّير عجتَ يوماً لأَلْهَتْـ   ـكَ فنونٌ وأطربَتْكَ فنونُ
لائمي في صبابتي قَدْكَ مهلاً   لا تلُمني، إنَّ الملام جنونُ

وقال في الكلام على دير العذارى (ص٢٦٠): وهو بين سُرَّ مَن رأى وبغداد، بجانب العلث ودجلة، وللصنوبريّ فيه:

(١) في الديوان المحقق ص٤٤٧: بدل: (كالزبرجد): كالزمرد.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٤٧: بدل: (كالعقيان): كالأرجوان.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٤٧: بدل: (الزنانير): الدنانير.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٤٧: بدل: (بكل): من كل.
(٥) في الديوان المحقق ص٤٤٥: بدل: (كمتون): كظهور.
(٦) في الديوان المحقق ص٤٤٥: بدل: (زكّى): زكّاء.
(٧) في الديوان المحقق ص٤٤٥: بدل: (فعاد): فراح.

أقولُ لمُشبِهِ العذراءِ حُسنًا   علامَ رَعيتَ في دير(١) العذارَى
وما وحدي أغارُ عليه(٢) لكن   جميعُ العالمين معي غيارَى

وقال في الكلام على دير مارمَرُوثا (ج١ ص٣٣٢): هو ديرٌ صغير بظاهر حلب، في سفح جبل جوشن، على نهر العَوجان، وكان سيف الدولة مُحسِنًا إلى أهله، وقلَّما مرَّ به إلا نزلَهُ، ووهَبَ لأهلِهِ هبةً كبيرة، وكان يقول: رأيت أبي في النَّوم يوصيني به، وله بساتين قليلة ومباقل، وفيه نرجس وبنفسج وزعفران، ويُعرَف بالبيعتين؛ لأن فيه مَسكَنَينِ للرجال والنساء.

قال الخالديُّ: وإيَّاه عَنَى الصّنوبريّ بقوله:

ما بالُ أعلى قُويقَ ينشرُ من   وَشْيِ الرّبيعِ الجديدِ ما أدرَجْ
كأنَّما اختيرت الفصوصُ له   بين عقيقٍ وبين فيروزَجْ
أما ترى البِيْعَتَيْنِ أُفرِدَتا   بمفردِ الأقحوان والمُزْوَجْ
أثوابُهُ المُزنُ كيف ما اتَّصلتْ   ونارُهُ البرقُ كيفَ مَا أجَّجْ

قال ياقوت ـ بعد أن ذكر نحو ما تقدَّم ما عدا الأبيات، وسمَّاه (دير مارت مروثا) ـ: وفيه يقول الحسين بن علي التَّميمي:

يا ديرَ مارتْ مَرُوْثا   سُقِيتَ غيثاً مُغيثا
فأنتَ جنّةُ حُسنٍ   قد حُزتَ روضًا أثيثا

قال عبد الله (ياقوت): ذهب ذلك الدَّير، ولا أثر له الآن، وقد استجدَّ في موضعه الآن مشهد زعم الحلبيُّون أنهم رأوا الحسين بن علي رضي الله عنهما فيه، فجمَعَ

(١) في الديوان المحقق ص٤٥: بدل: (رعيت في دير): رغبت عن دين.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٥: بدل: (عليه): عليك.

له المتشيِّعون بينهم مالاً وعَمَرُوه أحسن عمارة وأحكمها[١]، وفيه أيضاً يقول بعض الشامِيِّين:

بـديـر مـارت مـروثـا الــ ـــشريـف ذو الـبَـيـعـتَـيـنِ
والـــراهـــبُ المتـحـلي والـقـسُّ ذو الـطِّـمـرَيـنِ
ألا رثـــيـــتَ لـصـبٍّ مُـــشـــارفٍ لـلـحُـسَـيـنِ
قـد شـفَّـه مـنـك هَـجـرٌ مِـن بـعـد لـوعـةِ بَـيـنِ

وقال ياقوت في الكلام على (الهنيّ والمريّ): معناهما معلوم، نهران بإزاء الرقة والرافقة، حفرهما هشام بن عبد الملك، وأحدث فيهما واسط الرقة، وهما يسقيان عدة بساتين، مستمدّهما من الفرات، ومصبّهما فيه، وفيهما يقول الصنوبري:

(١) أقول: وهو المكان المعروف بمشهد الحسين، فوق جبل جوشن، المطلّ على حلب من غربيِّها، وقد تكلم عليه في «الدرّ المنتخَب في تاريخ حلب» المنسوب لابن الشحنة، وتكلَّمتُ عليه في «إعلام النبلاء» في الجزء الأول منه، في الكلام على ولاية سيف الدولة بن حمدان، وهذا المشهد ظلَّ عامراً إلى سنة ١٣٣٨، ففيها في السابع من شهر ذي القعدة، ضحى يوم الخميس، سمعنا دويًا عظيمًا دوَّت له الأرض، وارتجَّت له جدران المنازل في جميع الشهباء، ثم تبيَّنَ أن قنبلة أو قنابل انفجرت في هذا المشهد من صناديق ممتلئة قنابل وبنادق، كانت موضوعة فيه من قِبَل الدولة العثمانية.
ولما انسحبت من الشهباء في السنة التي قبلَها، واحتلت الجيوش الإنكليزية والعربية مدينة حلب، بقيت هذه الصناديق في هذا المكان، ثم لما احتلت الشهباء الدولة الإفرنسية واضطرب حبل الأمن في التاريخ المتقدِّم؛ ذهب بعض الغوغاء لهذا المكان لنهب ما فيه، فيظهر أن بعضهم بينما كان يحمل صندوقاً فوقع من يده فانفجر ما فيه، فتخرب ذلك المكان، وقُتل جميع مَن كان فيه، ولم يبق من ذلك البنيان العظيم إلا أطراف جدرانه، ولم تزل أنقاضه باقية ثمة إلى يومنا هذا.
وهذا المكان كان يُعدّ في طليعة الآثار الإسلامية القديمة التي كانت في الشهباء، ويعد خرابه في جملة النكبات العظيمة التي أُصيبت بها الشهباء (منه رحمه الله).

بـيـنَ الهَـنـيِّ إلى المَـريْ يَ[١] إلى بسـاتـين النـقـارْ
فـالـديـر ذي الـتـلِّ المُكـلَّـ ـلِ[٢] بـالشـقـائق والبـهـارْ

وقال الصنوبريّ أيضًا يَذكُرُه وَيَذكرُ دير زكّي:

مَـن حاكـمٌ بـينَ الزمـانِ وبيني مـا زالَ حتـى رَاضَنـي بالبَـيـنِ
وأنـا[٣] وربعَـيَّ اللّذَيـن تأبَّـدا لا عَجْـتُ بينهـما عـلى رَبعـيـنِ
مـالي نأيْـتُ عـن الهنيِّ وكنـتُ لا أَسْـطِيعُ أنـأى عنـه طرفـةَ عـيـنِ
يـا دير زكّـى كنـتَ أحسـنَ مألفٍ مـرَّ[٤] الزّمـانُ بـه عـلى إلفَـيـنِ
وبنَفْسِيَ البُرجُ الذي انكشفتْ[٥] لنا جَنَباتُـهُ عـن عسـجـدٍ ولُجـيـنِ
لـو حُمّـلَ الثّقـلانِ مـا حُمّلـتُ مِـن شـوقٍ لأثـقـلَ حَمْـلُـهُ الثّقـلـينِ

وقال ياقوت في الكلام على حلب (ج٣ ص٣١٩): وقد أكثر الشّعراء من ذِكرها ووصفِها والحنينِ إليها، وأنا أقتنع من ذلك بقصيدة لأبي بكر محمد بن الحسن بن مرّار الصنوبري، وقد أجاد فيها[٦]:

احبسـا العِيـسَ احْبِسـاها وسَـلا الـدارَ سـلاهـا

(١) في الديوان المحقق ص٥٣: بدل: (المري): البليخ، والهني والمري: نهران بإزاء الرقة والرافقة، حفرهما هشام بن عبد الملك، والبليخ: نهر على جاني دير زكّى.
(٢) في الديوان المحقق ص٥٤: بدل: (المكلّل): المؤزَّر.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٤٩: بدل: (وأنا): فأما.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٤٩: بدل: (مرَّ): منَّ.
(٥) في الديوان المحقق ص٤٤٩: بدل: (البرج الذي انكشفت): المرج الذي ابتسمت.
(٦) هذه القصيدة في المطبوعة من «معجم البلدان» فيها تحريف كثير، وقد رأيت نسخة منه مخطوطة في أربع مجلدات في رحلتي إلى اللاذقية، في مكتبة الشيخ محاسن الأزهري قاضي اللاذقية سابقاً، وقد تفضل فاستنسخ لي هذه القصيدة بتمامها، فصحَّحت بذلك في الجملة، وإني له من الشاكرين، وجزاه الله عني خيراً (منه رحمه الله تعالى).

وسَـــلا أيـــن ظـبـاءُ الـــ ـــدارِ أم أيـــنَ مَـهَـاهـا
أيـــن قُــطّـانٌ مَحَـاهُـم رَيْـــبُ دهـــرٍ ومحـاهـا
صُـمَّـت الــدّارُ عـن السا ئـل لا صُـــمَّ صَـداهـا
بَـلِـيَـتْ بـعـدَهُـمُ الـدا رُ وأبـــلاني بـلاهـا
آيـةٌ شـطَّـت نـوى الأظـــ ـعـانِ لا شـطَّـتْ نـواهـا
مِـن بُــدور مِـن دُجـاهـا وشـمُـوسٍ من ضُحاها[1]
لـيـسَ يَـنـهـى الـنَّـفـس نـاهٍ مـا أطـاعـت مَـن عصاها
بـأبي مَـن عُـرسـهـا سُخـ ـطي ومَـن عـرسي رضاها
دمـيـةٌ إن جُـلّـيـت[2] كا نـت حُـلى الحُـسـنِ حُلاها
دُمـيـةٌ ألـقَـتْ إلـيـهـا رايـةُ[3] الحُـسْـنِ دُمَـاهـا
دمـيـةٌ تـسـقـيـك عَـيْـنـا هـا كـما تسقي مـداهـا[4]
أُعـطـيَـتْ لـونًـا مـن الـور دِ وزيـدَت وَجْـنَـتـاهـا
حـبّـذا الـبـاءات بـاءا تُ قـويـق[5] ورُبـاهـا
بَـانَـقُـوسَـاهـا بهـا بـا هـي المباهي حـين بـاهـى[6]

(١) في المخطوطة: في ضحاها (منه).
(٢) في الديوان المحقق ص٤٥٦: بدل: (جليت): حليت.
(٣) في الديوان المحقَّق: ربّة.
(٤) في الديوان المحقَّق: يداها.
(٥) قويق: اسم نهر حلب (منه).
(٦) قال ياقوت: بانقوسا جبلٌ في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال، قال البحتري:
أقامَ كلُّ مُلثِّ القطرِ رجَّاسُ علىٰ دِيارٍ بعلوِ الشام أدراسُ
فيها لعلوةِ مُصطافٍ ومرتبعٍ من بانقوسا وبابلّي وبطياسُ
وقد كان حوله بمدة بساتين، ذكر ذلك في «الدر المنتخب في تاريخ حلب»، حيث قال في (ص٢٥): قال ابن الخطيب: وكانت حلب كثيرة الأشجار، وكان موضع بانقوسا أشجار =

وبـبَـاصَـفْـرا وبـابـلـــ ـــلا وبـا مـثـلي وتـاهـا[1]
لا قـلى صـحـراءَ بـافـرْ قَـلَّ شـوقـي لا قـلاهـا

= كثيرة، إلى أن قال: أخبرني الحاج ياروق بن آشود ـ وكان من المعمَّرين ـ ، أنَّه أدرك في بيت والده مجلساً مسقوفاً من الخشب، وأنَّ والده قال: يا ياروق سقف هذا المجلس من مخشبة بانقوسا. اهـ.
أما اليوم فإن بانقوسا محلّة كبيرة من محلات حلب، وبها سوق عظيم، والجبل الذي هناك أَسَّس فيه إبراهيم باشا المصري حين احتلاله حلب ثكنة عسكرية عظيمة، وعمر جانباً منها، ثم أكمل عمارتها جميل باشا والي حلب في أول هذا القرن (منه رحمه الله).
(١) بابلا: قال ياقوت في «المعجم»: بكسر الباء وتشديد اللام؛ قرية كبيرة بظاهر حلب، بينهما نحو ميل، وهي عامرة آهلة في أيامنا هذه، وقد ذكرها البحتري فقال: [أقام كلُّ مُلِثِّ الودقِ رجَّاسُ] إلخ البيتين المتقدِّمَين.
وقال الوزير أبو القاسم المغربي:
حـنّ قلبي إلى معالم بابِلـ ـلا حنينَ المُوَلّـه المشغوفِ
مطلب اللهو والهوى وكناس الخـرَّد العين والظباء الهيفِ
حيث شطّا قويقَ مسرحُ طرْفي والأسـامـي مؤانسي وأليفي
ليس من لم يسلُ حنيناً إلى الأو طان إن شتَّت النّوىٰ بظريفِ
ذاك من شيمة الكرام ومن عهـ ـدِالوفاء المحب المـوصـوفِ اهـ.
ولها ذكر في غير موضعٍ من تاريخي «إعلام النبلاء»، وفي أواخر القرن الثاني عشر كانت عامرة آهلة، يرشدنا إلى ذلك وجود حمام فيها وقفها أحمد أفندي طه زاده المعروف بالحلبي، وعبارته في كتاب وقفه: وجميع الحمام الكائنة بقرية باب الله (بابلا) التابعة لناحية جبل سمعان ظاهر حلب، ـ وبعد أن ذكر مشتملاتها ـ قال: المحدودة قبلة بدار الحاج منصور، وشرقاً بدار ورثة الحاج جمال الدين، وشمالاً بالدّكاكين الكائنات بسوق باب الله، والطريق العام، وإليه باب الحمام الأول، وغرباً بالمخزن الجاري بملك الحاج محمد بن حمد، وتمامه بزقاق نافذ، وإليه باب الحمام الثاني إلخ. وفي عصرنا هذا لا أثر للبنيان هناك، غير أن هناك تربة واسعة، وقبوراً كثيرة لم تزل الألواح قائمة عليها إلى الآن، وكثير من هذه الألواح ما تاريخه من أول القرن الثالث عشر إلى أواسطه. ويغلب على الظن أن خراب تلك المنازل وهذه الحمام كان في الزلزلة الكبرى التي حصلت سنة ١٢٣٧، ولم تعمر بعد ذلك (منه رحمه الله).

لا سلا أجبال باسلْـ   ـلين قلبي لا سلاها
وبباسلّينَ فليبـ   ـغ رِكابي مَن بَغاها
وإلى باشقّليشا(١)   ذو التّناهي يتناهى
وبَعاذينَ فواها   لبعاذين وواها
بين نهرٍ وقناةٍ   قد تَلَتْهُ وتلاها
ومجاري بركٍ يجـ   ـلو همومي مُجتلاها
ورياضٍ تلتقي آ   مالُنا في مُلتقاها
زاد أعلاها عُلوّاً   جَوْشناً لمّا علاها(٢)

(١) في الديوان المحقق ص٤٥٧: بدل: (باشقّليشا): باشلّقيشا.

(٢) جَوشن: بالفتح ثم سكون، والجوشن: الصدر، والجوشن: الدرع، وجوشن: جبل مُطِلٌّ على حلب، في غربيِّها، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة، وقد أكثر شعراء حلب من ذكره جداً.
قال منصور بن المسلم بن أبي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة:
عسى موردٌ من سفح جوشنَ ناقعٌ   فإني إلى تلك الموارد ظمآنُ
وما كلُّ ظنٍّ ظنَّه المرءُ كائن   يحوم عليه للحقيقة برهانُ
وقرأتُ في ديوان شعر عبد الله بن سنان الخفاجي (الحلبي) عند قوله:
يا برق طالعْ من ثنية جوشنٍ   حلباً وحيِّ كريمةً من أهلها
واسأله هل حمل النسيمُ تحيةً   منها فإنَّ هبوبَه من رسلِها
ولقد رأيتُ فهل رأيتَ كوقفةٍ   للبينِ يشفعُ هجرُها في وصلِها   اهـ.
وقال زين الدِّين ابن الوردي:
عليك بصهوة الشهباء يكفي   بجوشَنِها محاربة الزمانِ
فللعرفان في الفردوس طِيب   يفوح شذاه من باب الجنان   اهـ.
والفردوس: اسم لمدرسة بَنَتْها ضيفة خاتون؛ بنت الملك العادل بن أيوب جنوبي حلب خارج باب المقام، ويُعدّ موقعها الآن من جملة منتزهات حلب، يخرج الناس إليه أيام الربيع، وباب الجنان اسم لباب من أبواب حلب في غربيِّها، وبه سُمّيت المحلة، والناس يحرّفونها ويقولون باب أجنين، وقد هدم المجلس البلدي الباب، وصار موضعه حوانيت وذلك نحو ثلاثين =

وازْدَهَت بُرجَ أبي الحا   رثِ حسنًا وازدهاها
واطّبت مستشرفَ الحصـ   ـن اشتياقاً واطّباها
وأرى المنيةَ فازت   كلُّ نفس بمُناها
إذ هوايَ العَوجَانُ الـ   ـسالبُ النَّفسِ هواها(١)
ومَقيلي بركةُ التَّـ   ـلِّ وسيباتُ رجاها
بركةٌ تربتُها الكا   فورُ والدُّرُّ حَصَاها
كم غراني(٢) طربي حيـ   ـتانها لما غراها(٣)
إذ تلى مُطّبَخ الحيـ   ـتان منها مُشْتواها
بمُروج اللهو أَلْقَت   عِيرُ لذّاتي عصاها
وبمَغْنَى الكاملِّ اسـ   ـتكملت نفسي مُناها
وغرت(٤) ذا الجوهريِّ الـ   ـمزنُ غيثًا وغراها(٥)
كَلأَ الراموسةَ الحسـ   ـناءَ رَبّي وكَلاها(٦)

= سنة، وقد كان تجاه المسجد القديم المعروف الآن بالعمري (منه رحمه الله).

(١) في «المعجم»: العَوَجَان بالتحريك: اسم لنهر قويق الذي بحلب، مقابل جبل جوشن. قال ابن أبي الخرجين في قصيدة ذكرت بعضها في اشمونيث:
هل العَوَجَانُ الغمرُ صافٍ لوارد   وهل خضّبته بالخلوق مُدود   اهـ. (منه).

(٢) في الديوان المحقق ص٤٥٧: بدل: (غراني): غزا بي.

(٣) في الديوان المحقق ص٤٥٧: بدل: (غراها): غزاها.

(٤) في الديوان المحقق ص٤٥٧: بدل: (وغرت): وعرت.

(٥) في الديوان المحقق ص٤٠٦: بدل: (وغراها): وعراها.

(٦) قال في «المعجم»: الراموسة من ضياع حلب على فرسخين تلقاء قنسرين. اهـ.
أقول: لعله قد كان هناك قرية تسمى بهذا الاسم في زمنه، والمعروف الآن أن الراموسة اسم لعين تخرج من تحت ربوة تبعد فرسخاً عن حلب في جنوبها، وهناك بستان يُسقى من هذه العين، ولا قرية هناك (منه رحمه الله).

وجـزَى الجنَّـات بالسعـ   ـدي نُعْـمَـى وجـزاهـا
وفـدا البـسـتـانَ مـن فا   رسَ صـبٌّ وفـداهـا
وغـرت[1] ذا الجوهري الـ   ـمُـزن محـلـولاً عُـراهـا
واذْكُـرا دار السلـيـمـا   نـيّـةِ اليـوم اذكـراهـا
حيث عُجْنا نحوها العيـ   ـسَ تَـبـارى في بـراهـا
وصِـفـا العافيـة المـوْ   سُومةَ الوصف صِفاها[2]
فهْيَ في معنى اسمها حَذْ   وٌ بحـذْوٍ وكـفـاهـا
وَصِـلا سطحي وأحْـوا   ضي خليليَّ صِلاهـا
وَردا سـاحـةَ صـهـريـ   ـجي على سوق ردَاهـا
وامْزُجا الراحَ بماءٍ   منه أو لا تمزجاها
حلَبٌ بدر دُجـىً أنـ   ـجُمُها الزُّهـرُ قُرَاهـا

(١) في الديوان المحقق ص٤٥٧: بدل: (وغرت): وعرت.

(٢) بعاذين والعافية: من منتزهات حلب، وقد خرج إلى بعاذين والعافية البليغ المعري المذكور في وقايع الفرنج، في نصر بن صالح، مع أقوام من أهل حلب، فتعب، فأنشد:

يـا فرجةً مـا مـرّ بي مثلهـا   عدمتُ فيها العيشةَ الراضيَهْ
زرتُ بَعاذيـن ولكنني   عدمتُ في العافيةِ العافيهْ

اهـ من كنوز الذهب لأبي ذر.

وفي «المعجم»: بَعاذِين ـ بالفتح والذال المعجمة مكسورة ـ من قرى حلب، لها ذكر في الشعر، قال أبو العباس الصفري ـ من شعراء سيف الدولة بن حمدان ـ:

يـا لأيامنا بمرج بَعاذيـ   ـن وقد أضحك الربا نـوّارُهْ
وحكى الوشي بل أبرّ على الوشـ   ـي بهاءُ منشورِه وبهارُهْ
وكأن الشقيق والريح تنفي الـ   ـطلَّ عنه جمرٌ يطير شرارُهْ
أذكرتني عناقَ من بَانَ عني   شخصُهُ باعتناقِها أشجارُه (منه)

حبَّذا جامعُها الجا   معُ للنَّفسِ تُقاها
موطنٌ يُرسي ذوو البر   رِ بمرساهُ الجِباها
شهواتُ الطَّرْف فيه   فوق ما كان اشتهاها
قِبلةٌ كرَّمها اللـ   ـه بنورٍ وحباها
ورآها ذهبـاً في   لازَوَرْدٍ مَن رآها
ومراقي منبر أعـ   ـظَم شيءٍ مَن رقاها[1]
وذُرى مئذنةٍ طا   لت ذُرَى النَّجم ذراها
والنُّواريّةُ[2] ما لا[3]   تَريَاه لسواها
قصعةٌ ما عدَتِ الكَعْـ   ـب ولا الكعبُ عداها
أبدًا يستقبل السُّحْـ   ـب بسُحْبٍ من حشاها
فهْيَ تسقي الغيث إن لم   يَسقِها أو إن سقاها
كَنَفَتْها قبَّةٌ تضـ   ـحك عنها كَنَفاها
قبَّةُ أبدعَ بانيـ   ـها بناءً إذ بناها
ضاهت الوشْيَ نقوشًا   فحَكَتْهُ وحكاها
لو رآها مُبْتَني قُبَـ   ـبة كسرى ما ابتناها
فبذا الجامع سَرْوٌ   يتباهى مَن تباهى
حيِّيا السارية الخضـ   ـراء منه حيِّياها
قبلة المستشرف الأعـ   ـلى إذا قابلتُماها

(١) في نسخة اللاذقية: مرتقاها، بدل: من رقاها (منه). وكذلك في الديوان المحقَّق.

(٢) في الديوان المحقق ص٤٥٨: بدل: (والنوارية): للنوارية.

(٣) في الديوان المحقق ص٤٥٨: بدل: (لا): لم.

حيث يأتي حَلْقَةَ الآ … داب منها مَن أتاها

من رجالات حبىً لم … يحلُلِ الجهلُ حُباها

من رآهم من سفيهٍ … باع بالجهل[1] السفاها

وعلى ذاك[2] سرور الـ … ـنفس مني وأساها

شَجْوُ نفسي باب قِنّسـ … ـرينَ وهنٌّ وشجاها

جدَثٌ أبكى الذي فيـ … ـهِ ومثلي مَن بكاها

أنا أحمي حلبًا دا … رًا وأحمي مَن حماها

أيُّ حُسنٍ ما حوَتْهُ … حلبٌ أو ما حواها[3]

سَرْوُها الدّاني كما تد … نو فتاةٌ من فتاها

آسُها الثاني القدودَ الـ … ـهيفَ لما أن ثناها[4]

---

(١) في الديوان المحقَّق: باع بالعلم.

(٢) في الديوان المحقَّق: وعلى حال.

(٣) وما أجمل قول كشاجم حيث يقول في هذا المعنى:

أرتك ندى الغيث آثارَها … وأخرجت الأرضُ أزهارَها

وما أمتعت جارها بلدةٌ … كما متعت حلب جارَها

هي الخلد يجمع ما يُشتهى … فزرها فطوبى لمن زارَها (منه).

(٤) تنبيه: وقع في هذه القصيدة في (ص٣٩ سطر١١) والنوارية... إلخ

ثم وجدت في كراسة مخطوطة عندي تتعلق بالجامع الكبير هي من «كنوز الذهب» لأبي ذر فيها بعض أبيات من هذه القصيدة، وهذا البيت هكذا:

ولفوارته ما لا ترياه لسواها. ولعله الأصح.

وجاء في هذه الكراسة بعد قوله في الصحيفة السابقة: حييا السارية الخضراء.. إلخ ما نصه: هذه السارية الخضراء كان يجتمع فيها المشتغلون بالأدب يقرؤونه عندها، وذهبت في الحريق، وما زالت حلقة الأدب لقراءة النحو واللغة معقودة بجامع حلب ليلاً ونهاراً، وكذلك لقراءة القرآن العزيز وما فتئ على هذه الحالة. اهـ (منه).

نخلُها زيتونُها لا … فأرطاها عصفاها[1]

قَبْجُها دُرَّاجُها أو … فحُبَاراها قَطاها

ضحكت دُبْسيّتاها … وبكت قُمْرِيَّتاها

بين أفنانٍ يُناجي … طائرَيها طائراها

تدرُجاها حُبرُجاها … صُلصُلاها بُلْبُلاها

رُبَّ مُلقي الرُّحل منها … حيث تُلفى بِيعتاها

طَيَّرت عنه الكرى طا … ئرةٌ طار كَراها

وَدَّ إذ فاهت بشجوٍ … أنه قبَّل فاها

صَبَّةٌ تندُبُ صبًّا … قد شَجَتْهُ وشجاها

زُيِّنت حتى انتهت في … زينةٍ في منتهاها

فهْيَ مَرجان شَواها … لازوَرْدٌ دفتاها

وهْيَ تِبْرٌ منتهاها … فضّةٌ قِرطِمَتاها

قلّدت بالجَزْع لما … قلّدتْ سالفَتاها

حلبٌ أكرمُ مأوى … وكريمٌ من أواها

بسَطَ الغيثُ عليها … بُسْطَ نَوْرٍ ما طواها

وكساها حُلَلاً أبـ … ـدَعَ فيها إذ كساها

حُلَلاً لُحْمَتُها السَّو … سَنُ والوردُ سُداها

اجْنِ خيريّاً بها بالـ … ـلحظ لا تُحْرَم جَنَاها

وعيون النرجس المنـ … ـهلّ كالدمع نداها

وخُدودًا من شقيقٍ … كاللظى الحُمرِ لظاها

---

(١) هكذا في الأصل. وفي الديوان المحقق:

نخلها زيتونها أو … لا فأرطاها غضاها

وثنايا أقحوانا … تِ سَنا الدّرِّ سناها
ضاع آذرْيُونُها إذ … ضاع(١) مِن تِبرٍ ثَراها
وطَلَى الطَّلُّ خُزاما … ها بمسكٍ إذ طلاها
وانتشى النَّيلوفرُ الشو … قَ قلوبًا واقتضاها
بحَواشٍ قد حَشَاها … كلُّ طيبٍ إذ حشاها
وبأوْساطٍ على حَذ … وِ الزنانيرِ حَذاها
فاخِري يا حلبُ المُدْ … نَ يَزِدْ جاهُكِ جاها
إنّهُ إن تكُنِ المُدْ … نُ رُخاخًا كنتِ شاها

وصفه لنهر حلب:

قال في «الدّرّ المنتخب»: ومن أحسن ما وصف به نهر قويق من الشعر قول أبي بكر أحمد بن محمد الصنوبريّ حيث قال:

قويقٌ له عهدٌ لدينا وميثاقُ … وهذي العهودُ والمواثيقُ أطْواقُ
ففي الخوفِ أنّا لا غريقَ نرى له(٢) … فنحنُ على أمنٍ وذا الأمنُ أرزاقُ
ونزَّهَهُ أن لا سفينةَ تمتطي … مَطاهُ لها وخْدٌ عليه وإعناقُ
وأن ليس تَعتاقُ التماسيحُ شُرْبَهُ … إذا اعتاق شُربَ النّيلِ منهنّ مُعتاقُ
ولا فيه سِلّورٌ ولو كان لم أكُن … أرى أنه إلا حميمٌ وغسّاقُ(٣)
بلى يعلِنُ التّسبيحَ في جَنَباتِهِ … علاجمُ بالتسبيحِ مذ كُنَّ أحداقُ(٤)

(١) في الديوان المحقق ص٤٦٠: بدل: (ضاع): وصاغ.
(٢) في الديوان المحقَّق: نَفَى الخوفَ أنّا لا غريق حِيالَهُ.
(٣) السلور: السمك الجرّي بلغة أهل الشام. قاله في «الأغاني» ١: ٦٦.
(٤) العلاجم جمع علجوم، وهو الضفدع الذكر، والبطة الذكر، وأيضاً طائر أبيض، وفي الديوان المحقق ص٣٥٨: بدل (أحداق): حذّاق.

أقامت به الحيتانُ سوقًا ولم تَزَلْ … تُقام على شَطَّيْهِ للطَّيرِ أسواقُ
وسُربِلَ بالأرحاءِ مَثنى ومَوْحَدًا … كما سَربَلَت غصنًا من البانِ أوراقُ
وفاضت عيونٌ من نواحيهِ ذُرَّفٌ … ولمّا تُعاوِنْها جفونٌ وأحداقُ(١)

وهي طويلة جداً، ومنها قوله:

هو الماءُ إنْ يُوصَف بكُنْهِ صفاتِهِ … فللماءِ إغْضاءٌ لديه وإطْراقُ
ففي اللون بِلّورُ، وفي اللمعِ لؤلؤٌ … وفي الطِّيبِ قِنديدٌ، وفي النَّفعِ درياقُ
إذا عَبَثَت أيدي النّسيم بوجهه … وقد لاح وجهٌ منه أبيضُ بَرّاقُ
فطَوْرًا عليه منه زرق حقيقة(٢) … وطورًا عليه جوشنٌ منه رقراقُ
وكم بعده لينوفرٌ مُتشوِّفٌ(٣) … بأرؤسِ تِبْرٍ والزَّبرجدُ أعناقُ
له وَرَقٌ يعلو على الماء مُطبقٌ … كأطباقِ مدهونٍ يليهنّ أطباقُ
وقد عابه قومٌ وكلُّهمُ له … ـ على ما تعاطوه من العيبِ ـ عشّاقُ
يَهاب قويقٌ أنْ يُمَلَّ فإنما … يُقيمُ زمانًا ثم يمضي فنشتاقُ

ومنها قوله:

وقالوا: أليس الصيف يبلي لباسَهُ(٤) … فقلتُ: الفتى في الصّيف يُقنعه طاقُ
وما الصبح إلا آيبٌ ثم غائبٌ … تُواريه آفاقٌ وتُبْدِيه آفاقُ
وما البدر إلا زائدٌ ثم ناقصٌ(٥) … له في تمام الشهر حبسٌ وإطلاقُ

(١) في الديوان المحقّق: وآماق بدل: وأحداق.
(٢) في الديوان المحقَّق: فطوراً عليه منه درعٌ خفيفةٌ.
(٣) في الديوان المحقَّق: ولم يعده نيلوفر متشوِّف.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٥٨: بدل: (لباسه): ثيابه.
(٥) في «بغية الطلب»: ناقص ثم زائد.

ولـو لم تطـاول غيبـةُ الـوردِ لم تَتُـقْ | إليـه قلـوبٌ تائقـاتٌ وأحـداقُ
وفضلُ الفتى لا يَستبينُ لذي الغِنى (١) | إذا لم يُبَـيِّن ذلـك الفضـلَ إمـلاقُ
فلو دام في الحبِّ الوصالُ ولم يكن | فراقٌ ولا هجرٌ لَمَا اشتاق مشتاقُ
قويقُ رسيلُ الغيثِ يـأتي وينقضي | ويـأتي(٢) انسياقًا تارةً ثم يَنساقُ

وقال فيه:

قويقُ على الصفراء رُكِّب جسمُهُ | رُباهُ بهذا شُهَّدٌ وحَدائقُهْ(٣)
إذا(٤) جَدَّ جِدُّ الصّيف غادر جسمَهُ | ضئيلاً ولكنَّ الشتاء يوافقُهْ

وللصنوبري أيضاً يذكر مَدّه في الشتاء:

قُـوَيْـقُ إذا شمَّ ريحَ الشّتا | ءِ أظهرَ تيهًا وكِبْرًا عجيبا
ونـاسَبَ دجلةَ والنيلَ والـ | ـفراتَ بَهاءً وحُسْنًا وطِيبا
وإذ(٥) أقبلَ الصَّيفُ أبصرتَه | ذليلاً حقيراً حزيناً كئيبا
إذا ما الضفادعُ نادَيْنَه | قُوَيقُ قُوَيقُ أبى أن يُجيبا
فيأوينَ منه ثفايا كُسيـ | ـنَ من طحلبِ الصّيفِ ثوبًا قَشيبا(٦)

(١) في الديوان المحقَّق: وفضل الغنى بدل: وفضل الفتى. وهو الأصح.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٥٩: بدل: (ويأتي): ويأبى.
(٣) قال في «الدرّ المنتخب»: يريد أن أصحاب الأمزجة الصفراوية تنحَلّ أجسامهم في الصيف ويوافقهم الشتاء، وأنَّ قُويقاً يَقِلُّ ماؤه في الصيف حتى يصير حول المدينة كالساقية، وربما انقطع السنين بالكلية. اهـ (منه رحمه الله).
(٤) في الديوان المحقَّق: فإن بدل: إذا. وهو الصواب.
(٥) في الديوان المحقق ص٤٥٧: بدل: (وإذ): وإن.
(٦) هذا البيت والذي بعده من تاريخ أبي ذر المسمَّى «كنوز الذهب» (منه رحمه الله تعالى).

وتمشي الجـرادةُ فيه فلا | تكاد قوائمُها أنْ تغيبا(١)

وله فيه أيضاً:

أما قويقٌ فارتدى بمُعَصْفَرٍ | سَرقَتْ بحمرَتِه العُداةُ بياضَهُ(٢)
وكأنّما فيما اكتسى مِن صبغِه | نقضَت شقائقُه عليه رياضَهُ(٣)

وله فيه:

رياضُ قُوَيْقٍ لا تزالُ مَروضةً | يجاورُ فيها أحمرُ اللّون أبيضَهْ(٤)
يعارضُنا كافورُهُ كلَّ شارقٍ | إذا ما الصَّبا مرَّت به متعرِّضَهْ(٥)
لدى العَوَجاتِ المستفادَةِ عندَهُ | مَعانٍ على حثِّ الكؤوس مُحرِّضَهْ(٦)
إذا ما طفا النّيلوفَرُ الغضُّ فوقَه | مُفتَّحةً أجفانُه أو مُغمَّضَهْ
حسبتَ نجومًا مُذهَباتٍ تتابَعتْ | فُرادى ومَثْنى في سماءٍ مُفَضَّضَهْ

وله فيه أيضاً:

اليومَ يا هاشميُّ يومٌ | لباسُهُ الطَّلُّ والضبابُ
عَيَّدَ في عيدِنا قويقٌ | وخلَّقَتْ وجهَهُ السّحابُ
ما لوَّنَ الزعفرانُ ما قد | لوَّنَ من مائه التّرابُ

(١) هذا البيت في «المعجم» في الكلام على نهر قويق هكذا.
تغوص البعوضة في قعره | وتأبىٰ قوائمها أن تغيبا (منه)
(٢) في الديوان المحقَّق: شِرَقِ بدل: سرقت، والغَداة بدل: العُداة.
(٣) في الديوان المحقَّق: فكأنه بدل: وكأنما، و: نفضت بدل: نقضت، و: شقائقها بدل: شقائقه.
(٤) في الديوان المحقَّق: مُرَيَّضَهْ بدل مروضة، وأحمر الزهر بدل: أحمر اللون.
(٥) في الديوان المحقَّق: كافوره بدل كافورها، ومرَّت بها بدل مرَّت به.
(٦) في الديوان المحقَّق: العوجان بدل العَوَجات، والعوجان هو اسم قويق حين يكون تحت جبل جوشن لاعوجاجه في ذلك الموضع. وفيه أيضا: مَغَان بدل مَعَان.

تـذهَـبُ أمـواجُـهُ كـخَـيلٍ … شُـقـرٍ، لها وسْـطَـهُ ذهـابُ[١]
فـبـادِرِ الـشُّربَ قبل فـوتٍ … قـد بَـردَ المـاءُ والـشَّرابُ[٢]

وللصنوبري أيضاً كما قال أبو ذر في «كنوز الذهب»:

لله يـومًـا مـدّ في صـدرِهِ … قـويـقُ مـقـصـورَ جناحَيْهِ
مصفّـدٌ[٣] لا يلـثم ماء الحيا … مـنـه لمـخـضرٍّ عِـذارَيـهِ

وله من كتاب «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي[٤]:

وللسقّـاط أمثالٌ فمنها … تَمَثُّلُهُمْ لـدى الشَّيءِ المريـبِ
إذا مـا كنـتَ ذا بـولٍ صحيـحٍ … ألا فـاضْرِبْ بـه وَجـهَ الطبيـبِ

نقد الإمام الماوردي للصنوبري

انتقد الإمامُ الماورديُّ ـ في كتابه «أدب الدّنيا والدّين» في فصل الكلام والصمت ـ الصنوبريَّ في نَظْمِه لما يتمثّل به العامّة، حيث قال:

ومِن آداب البليغ: أن يَجتَنِب أمثال العامّة الغوغاء، ويتخصّص بأمثال العلماء الأدباء، فإنَّ لكلِّ صنف من الناس أمثالاً تشاكلُهم، فلا تجد لساقطٍ إلا مثلاً ساقطاً، وتشبيهاً مستقبَحاً، وللسّقّاط أمثالٌ فمنها تَمْثِيلُهم للشـيء المريب؛ كما قال الصنوبري: (إذا ما كنت...) البيت.

(١) في الديوان المحقَّق: لها وسطها عِراب.
(٢) في الديوان المحقَّق: فباكر بدل: فبادر، و: قد برد الشَّرب بدل: قد برد الماء.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٦٥: بدل: (مصفَّد): مصفَّر.
(٤) من مخطوطات الأحمدية بحلب، وانتخب منه أحمد فارس «منتَخَبات» طبعها في مطبعة الجوائب (منه رحمه الله تعالى). وفي الديوان المحقق: وللسفَّالِ بدل: وللسقاط، فقم فاضرب بدل: ألا فاضرب.

ولذلك علّتان:

إحداهما: أن الأمثال مِن هواجس الهِمَمِ، وخطَرات النّفوس، ولم يكن لذي الهمّة الساقطة إلا مَثَلٌ مرذول، وتشبيهٌ معلول.

والثانية: أن الأمثال مستخرَجةٌ من أحوال المتمثِّلين بها، فبحسب ما هم عليه تكون أمثالهم.

فلهاتين العِلَّتَيْنِ وقع الفرق بين أمثال الخاصّة وأمثال العامّة، وربما أَلِفَ المتخصّص مثلاً عاميًا، أو تشبيهًا ركيكًا؛ لكثرة ما يَطْرُق سمعَه من مخالطة الأراذل، فيسترسل في ضربه مثلاً، فيصير به مثلاً، كالذي حُكِيَ عن الأصمعي: أنَّ الرشيد سأله يومًا عن أنساب بعض العرب، فقال: على الخبير سقطْتَ يا أمير المؤمنين، فقال له الفضل بن الربيع: أسقط الله جنْبَيْك، أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا الخطاب؛ فكان الفضلُ بن الربيع ـ مع قِلَّةِ عِلمه ـ أعلمَ بما يُستعمل من الكلام في محاورة الخلفاء من الأصمعي؛ الذي هو واحد عَصرِهِ، وقريعُ دهره. اهـ.

غزلياته («مستطرف» ج٢ ص٢٤٨)

لا تبكينَّ على الأطلالِ والدِّمَنِ … ولا على منزلٍ أقوى من السَّكَنِ[١]
وقُمْ بنا نصطبِحْ صهباءَ صافيةً … تنفي الهمومَ ولا تُبقي على[٢] الحزَنِ
بِكرًا معتّقةً، عذراءَ واضحةً … تبدو فتُخبرنا عن سالف الزّمنِ
خَمرا مروّقةً، صفراء فاقعةً … كأنّما مُزِجت من طَرْفِكَ الوسني
يسعى بها غَنَجٌ في خدِّه ضَرَجٌ … في ثغرِهِ فَلَجٌ يُنمَى إلى اليمنِ

(١) في الديوان المحقق ص٤٤٥: بدل: (السكن): الزمن.
(٢) في الديوان المحقق ص٤٤٦: بدل: (على): من.

في ريقه عَسَلٌ قلبي به خبلٌ[١]   في مشيه مَيَلٌ أربى على الغُصُنِ
كأنه قمرٌ ما مثله بشرٌ   في طَرْفِهِ حورٌ يرنو فيَجْرَحني[٢]
سبحان خالقِهِ، يا ويحَ عاشقِهِ   يهدي لرامِقِه صنفًا من الشَّجَنِ
في روضةٍ زهرتْ، بالنَّبتِ قد[٣] حسنتْ   كأنَّها فرشَتْ من وجهِهِ الحسنِ
يا طيبَ مجلِسِنَا والطيرُ يُطرِبُنَا   والعودُ يُسعدُنا مع منشدٍ لَسِنِ[٤]

(وله في لابسة أخضر «مستطرف» ج٢ ص٣٥)

وشاطرةٍ جفْنَها شاطِرَهْ[٥]   حُلى الرّوضِ من حُسنها مستعارَهْ
أتت في لباسٍ لها أخضر   كما لبِسَ الوَرق الجلَّنارَهْ[٦]
فقلتُ لها: ما اسم هذا اللباسِ   فأبدَتْ جوابًا لطيفَ العبارَهْ[٧]
وقالت: لباسُ حِسانِ الجنانِ   يهيّجُ للصبِّ في القلب نارَهْ

وله:

بدرٌ[٨] غدا يَشرب شمسًا غدت   وحدُّها في الوصفِ مِن حدّه

(١) في الديوان المحقق ص٤٤٦: بدل: (خبل): ثمل.
(٢) قال الشيخ قاسم البكرجي الحلبي في شرحه لبديعيته في بحث التَّسميط: التَّسميط: أن يجعل الشاعرُ بيتَه أربعةَ أقسام، ثلاثة منها على سجَع واحد، بخلاف قافية البيت. وللصنوبري من أبيات على هذا النَّسق، وذكر هذا البيت والبيت الأخير (منه رحمه الله تعالى).
(٣) في الديوان المحقق ص٤٤٦: بدل: (قد): مذ.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٤٦: بدل: (لسن): حسن.
(٥) في الديوان المحقق ص٧٨: بدل: (جفنها شاطره): أدَّبتْها الشطاره.
(٦) في الديوان المحقق ص٧٨: بدل: (كما لبس الورق الجلناره): كطاقة آسٍ على جلناره.
(٧) في الديوان المحقق ص٧٨: بدل: (فأبدت جواباً لطيف): فردت جواباً يطرف.
(٨) في الديوان المحقق ص٤٢٠: بدل: (بدر): شمس.

تغربُ في فِيهِ ولكنَّها   مِن بعدِ ذا تَطلُعُ في خدِّه

وقال أيضاً:

ولم أنْسَ ما عاينتُه من جَمالِه   وقد زُرتُ في بعضِ الليالي مصلّاهُ
ويقرأ في المحرابِ والنّاسُ خلفَه   ولا تقتلوا النَّفس التي حرَّم اللهُ
فقلتُ: تأمَّلْ ما تقولُ فإنَّه   فِعالُك يا مَن تقتل الناسَ عيناهُ

وله من كتاب «تزيين الأشواق» لداود الأنطاكي (ج٢ ص٢٣٨):

ذاتُ خدٍّ يكادُ يُدمِيه وهمٌ   من مُشيرٍ بالجِدِّ أو بالمُزاحِ
في بياضٍ وحُمرةٍ فكأنْ قد   صِيغ حسنًا من ماء مُزنٍ وراحِ

وله يصف سراجًا من «مطالع البدور في منازل السرور» من الباب الرابع عشر:

إن سراجًا[١] نورُه ظلمةٌ   كأنَّما يوقَدُ من قلبي
الحبُّ أضناني فما بالُه   يُفني[٢] وما يشكو جوَى الحُبِّ

وله (من شرح المقامات للشريشي ج١ ص١١٩):

قالوا: به زرقة، فقلتُ لهم   بذاك تمَّت خِصالُه البهِجَهْ
ما كُحُلُ العينِ مثل زُرقتها   كم بين ياقوتةٍ إلى سَبَجَهْ

وله ـ كما رأيتُه في مجموعٍ مخطوطٍ عند أبي الفضل الجندي، من أهالي معرة النّعمان، في رحلتي إليها في صفر سنة ١٣٤٦ ـ قال فيه: وللصنوبري في مليح مُصَلٍّ:

جاء يسعى إلى الصلاة بوجهٍ   يُخجلُ البدرَ في بُروج السعودِ

(١) في المحاضرات (ص ١٦٢): لنا سراج (منه رحمه الله تعالى).
(٢) في المحاضرات: تضو ولا يشكو، ولعل الصواب: يضني ولا يشكو... (منه).

فتمنّيتُ أنَّ وجهيَ أرضٌ   حين أوما بوجهِهِ للسجودِ

ووجدتُها في «مَن غاب عنه المطرب» للثعالبي (ص٢٧٦).

وله (من نزهة الأبصار والأسماع في أخبار ذوات القناع):

بسطتْ أناملُ لؤلؤٍ أطرافَها   فيها تطاريفٌ من المرجانِ
وتقنَّعت لك بالدُّجى فوقَ الضُّحى   وتنقَّبَت بشقائقِ النّعمانِ

وذكر ابنُ عساكر بسندِه إلى الزبيري قال: أنشدَنا الصنوبريّ بالشام:

دخولُ النّارِ للمهجورِ خيرٌ   من الهَجرِ الذي هو يتّقيهِ
لأن دخولَه للنّارِ أدنى   عذابًا من دخولِ النّار فيهِ

وهما في آخر «المسامرات» للشيخ محيي الدّين بن عربي.

وذكر بسنده إلى أبي الحسن المعنوي قال: أنشدني الصنوبريّ:

لا النّوم أدري به ولا الأرقُ   يدري بهذَينِ مَن به رَمَقُ
إنَّ دموعي من طُولِ ما استبقَتْ   كلَّت فما تستطيعُ تستبقُ
ولي مليكٌ لم تَبْدُ صورتُه   مذ كانَ إلا ضَلَّتْ له(١) الحدَقُ
نويتُ تقبيلَ نارِ وَجنتِهِ   وخِفتُ أدنو منها فأحترقُ

وذكر بسندِهِ إلى أبي الحسن ابن جُمَيع قال: أنشدني الصنوبريُّ بحلب:

تزايدَ ما ألقى فقد جاوزَ الحدّا   وكان الهوى مَزحًا فصار الهوى جدّا
وقد كنتُ جَلْدًا ثم أوقفني(٢) الهوى   وهذا الهوى ما زال يستوهِنُ الجلْدا

(١) في الديوان المحقق ص٣٦٩: بدل: (ضلت له): صلت لها.
(٢) في الديوان المحقق ص٤١٨: بدل: (أوقفني): أوهنني.

فلا تعجبي مِن سلبِ(١) ضعفِكِ قُوّتي   فكم من ظباءٍ في الهوى غلبَتْ أُسدا
غلبتُم على قلبي فصرتُم أحقَّ بي   وأملَكَ لي منّي فصرتُ لكم عَبدا
جرى حبُّكم مجرى حياتي ففَقْدُكُم   كفَقْدِ حياتي لا رأيتُ لكم فَقدا

وذكر بسنده إلى عبد المحسن بن محمد بن علي قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي قُدامة الحلبي لأبي بكر الصنوبريّ:

انظر إلى أثرِ المِداد بخدِّهِ   كبنفسجِ الروضِ المَشُوبِ بوردِهِ
ما أخطأت نوناتُه من صَدغِهِ   شيئًا ولا ألِفاتُه من قدِّهِ
ألْقَتْ أناملُه على أقلامِهِ   شَبهاً أراكَ فِرِنْدَها كفرندِهِ
وكأنَّما أقلامُه(٢) من شَعرِهِ   وكأنَّما قِرطاسُه من خدِّهِ
ما صدَّ عنّي حين صدَّ تعمّدًا   لولا المعلّم ما رُميتُ بصدِّهِ

وبسنده إلى أبي الحسن المعنوي قال: أنشدنا الصنوبري لنفسه:

علّليني بموعدي(٣)   امطِلي ما حييتِ بِهْ
ودعيني أفوزُ منـ   ـك بنجوى تطلُّبِهْ
فعسى يغيرُ الزما   ن بنحسٍ(٤) فينتبِهْ

وقال علي بن ظافر في «بدائع البدائه» (ج٢ ص٣٧) نقلاً عن ابن بسام في كتاب «الذخيرة»، في حكاية طويلة ذكرها ثمّة أنّه لمّا اجتمع أبو عبد الله الصفّار الصقلي بابن رشيق أنشده قول الصنوبريّ:

(١) في الديوان المحقق ص٤١٨: بدل: (سَلْب): غُلْب.
(٢) في الديوان المحقق ص٤١٩: بدل: (أقلامه): أنفاسه.
(٣) في الديوان المحقق ص٣٩٦: بدل: (علليني بموعدي): وعديني بموعد.
(٤) في الديوان المحقق ص٣٩٦: بدل: (يغير الزمان بنحس): يعثر الزمان بحُبّي.

إنَّـه[1] مـن عَلامـة العشَّـاقِ   اصفـرارُ الوجـوهِ عنـد التلاقـي

وانقطـاعٌ يكـون مـن غـيرِ عِـيٍّ   وولـوعٌ بالصَّمـتِ والإطـراقِ

وقال الوطواط في «الغرر» (ص١٠٦): وأما ما يَعتري العاشق المشوق من الإفحام عند رؤية المعشوق، فكما قال أبو بكر الصنوبري: إنَّه علامة العشاق... إلخ البيتَين.

[شكواه من الزمان]

قال ابن عساكر: كتب إليَّ أبو سعد السمعاني قال: أنشدني أبو القاسم الخضر بن الفضل المؤدِّب للصنوبريّ:

تقـولُ لي وكلانـا عنـد فُرقَتِنَـا   ضِـدَّان أدمُعنـا دُرٌّ وياقـوتُ

أقِـمْ بأرضِكَ هـذا العـامَ قلتُ لها: كيـف المقـامُ ومـا في منـزلي قـوتُ

ولا بأرضِـكِ حُـرٌّ يُستجارُ بـه   إلا لئيـمٌ ومذمـومٌ وممقـوتُ

[وله في الحسود]

وذكر بسنده إلى عبد المحسن بن محمد قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن أبي قُدامة الحلبيّ لأبي بكر الصنوبري:

أيها الحاسـدُ المُعَـدُّ لذمِّـي   ذُمَّ مـا شئـتَ رُبَّ ذمٍّ كَحَمْـدِ

لا فقـدتُ الحسـودَ مُـدَّةَ عُمري   إنَّ فَقْـدَ الحسـودِ أخيـبُ فقدِ[2]

كيف لا أوثر الحسـودَ بِشُـكري   وهْـوَ عنـوانُ نعمـةِ الله عنـدِي

(١) في الديوان المحقق ص٣٧٠: بدل: (إنه): آية.

(٢) في «طراز المجلس»: خبث فقد.

وهذه الأبيات ذكرَها الشهاب الخفاجي في كتابه «طراز المجالس» في المجلس الرابع والعشرين، وذيَّلها بقوله: جَعْلُ الحسودِ عنوانَ النِّعمة من بديع المعاني، والمعروفُ استعارتُهُ للملابِسِ الحسنة وأضرابها. اهـ.

[وله في الشَّيْب والشَّباب]

وله بسندِه إلى أبي الفضل نصر بن محمد الطوسي قال: أنشدني الصنوبريّ لنفسه:

هدَمَ الشَّيبُ فِيَّ[1] ما بناهُ الشّبابُ   والغـواني مـا غـضِبنَ غِضـابُ

قُلـبَ الآبنـوسُ عاجًـا فَلِلأَعْـ   ـيُنِ منه ولِلـقـلـوبِ انقـلابُ

وضـلالٌ في الـرأي أن يُشنَأَ البا   زي على حُسنِهِ ويُهـوَى الغُرابُ

قال: وأنشدني لنفسه:

مـلأتْ وجهها علـيَّ عُبوسـا   واستشارتْ من المآقي الرسيسا[2]

ورأتنـي أسـرِّحُ العـاجَ بـالعـا   ج فظلَّـت تستحسـن الآبنوسـا

ليـس شـيبي[3] إذا تأمَّلتَ شَـيباً   إنما الشَّـيب ما أشـاب النّفوسـا

وقال الثعالبيُّ في «خاص الخاص» (ص١١٠): لم أسمع في استهداء المسك أحسن من قول الصنوبريّ:

(١) في الديوان المحقق ص٣٩٥: سقطت (فِيَّ)، والصواب إسقاطُها؛ لأنها تكسِرُ الوزن.

(٢) رأيت هذه الأبيات في «المحاسن والمساوي» للبيهقي (ج٢ ص٣٩) وقد نسبها لابن المعتز، غير أن الشطرة الأولى من البيت الأول هكذا: (رفعت طرفها إليَّ عبوسًا)، والباقي كما هنا، وقد تتبّعت ديوان ابن المعتز المطبوع فلم أجدها فيه، ويغلب على الظنّ أن الأبيات للصنوبري، ونسبة البيهقي لها لابن المعتزّ غير صحيحة، والله أعلم (منه). وفي الديوان المحقق ص١٦٨: بدل: (الرسيسا): رسيسا.

(٣) في الديوان المحقق ص١٦٨: بدل: (شيبي): هذا.

الطِّيبُ يُهدى وتُستَهدَى طرائفُه   وأشرفُ النّاس يُهدي أشرف الطِّيبِ
والمسكُ أشبهَ شيءٍ بالشَّباب فهبْ   شِبهَ الشّبابِ لبعضِ العُصبة[1] الشّيب[2]

وله ـ كما في «الكشكول» للبهاء العاملي (ص١٠٨) ـ:

وحقِّكَ ما خضبتُ مَشيبَ رأسي   رجاءً أن يدومَ لي الشبابُ
ولكنّي خشيتُ يرادُ مِنّي   عقولُ ذوي المَشيبِ فلا تُصابُ

وله (كما في «محاضرات الأدباء» للراغب ج١ ص٢٠٦):

الشَّيب عنديَ والإفلاسُ والجَرَبُ   هذا هلاكٌ وذا شؤمٌ وذا عَطَبُ

[مطرباته]

قال الثعالبي في «مَن غاب عنه المطرب» (ص٢٥٦):

ومن مُطربات الصنوبري قوله:

يا ليلةً طلعت بأحسنِ طالعٍ   تاهتْ على ضوءِ النّهارِ الطّالعِ[3]
بمحاسنٍ مقرونةٍ بمحاسنٍ   وبدائعٍ مقرونةٍ[4] ببدائعِ
ضوءُ الشموسِ وضوءُ وجهك مَازجًا   ضوءَ العقارِ وضوءَ برقٍ لامعِ[5]
فكأنّما ألقى الدّجى جلبابَهُ   وأراكَ جِلبابَ النّهارِ السّاطعِ[6]

(١) في الديوان المحقق ص٣٩٨: بدل: (العصبة): المعشر.
(٢) تنبيه: نسبت هذين البيتين في «إعلام النبلاء» إلى الببغا الشاعر (ج٤ ص٦٨) وهو سَبْقُ قلم، والصواب: أنهما للصنوبريّ (منه رحمه الله).
(٣) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (بأحسن): بأيمن، وبدل: (الطالع): الساطع.
(٤) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (مقرونة): موصولة.
(٥) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (الشموس): العقار، وبدل (العقار): الهلال.
(٦) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (الساطع): الناصع.

وقال فيه (ص ٢٧٧):

وللصنوبريِّ في غلام ينفخ في مجمرة:

يا نافخَ الجمرةِ مُستعجِلاً   ليُذكي الجمرَ فأذكاهُ
مهيّأٌ فاهُ لها مثل ما   هيّأ إذ قبّلني فاهُ
لستُ أريد الطيب ريّاك قد   أغنت عن الطيب وَريّاهُ

[أخذ الشعراء من شعره]

قال الثّعالبيّ في «يتيمةِ الدّهر»: قال السريّ الرفا في وصف رقاص:

إذا اختلجَتْ مناكِبُهُ لرقصٍ   نزتْ طيرُ القلوبِ إليهِ نَزوا
أفارسُ أنت أحسنُ من تثنّى   على صَنجٍ وأملحُ من تلوّى

وهو من قول الصنوبريّ:

فمِن مُتلوٍّ على نايِهِ   ومن مُتَثَنٍّ على صَنجِهِ[1]

وقال الشهاب الخفاجي ـ في الرّيحانة، في ترجمة الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري ـ: وقد جرت بينه وبين أخيه منافسات وأمور تُسكَبُ عندها العَبَرات، فلم يزل كلٌّ منهما ينقص أخاه ويغضُّ منه، ويقول لسانُ حاله: أخوك البكري فلا تأمَنه، كما قال الصنوبري:

أحمدُ اللهَ قد ألاحتْ بُروقٌ   منك بالودِّ لا تزالُ مليحَهْ
حسنُ قولٍ وسوءُ فعلٍ كما سَمْـ   ـمَى المسمِّي في وقْتِ ذبحِ الذبيحَهْ[2]

(١) الصَّنج: شيء يُتَّخَذُ من صُفر، يُضرب أحدُهما على الأخر. اهـ. وتقدَّم من هذه القصيدة أبيات في (ص ٢٥) (الطباخ). وفي الديوان المحقق ص٤٠٦: بدل: (نابه): نايه.
(٢) هذا البيت ذكره أيضاً صاحب مواسم الأدب (ج٢ ص٣٣) (منه).

قال: ومنه أخذ عمر بن الوردي قوله:

قد بُلينا بأميرٍ … ظَلَمَ الناسَ وسبَّحْ
فهو كالجزّارِ فينا … يذكرُ اللهَ ويَذبَحْ

[استشهاد علماء البلاغة بشعره]

قال العلامة الشيخ عبد الرحيم ـ في كتابه «معاهد التَّنصيص» في بحث تقديم المسنَد للتشويق إلى ذكر المسنَد إليه، بعد أن أورد شواهد كثيرة في هذا الباب ـ : وفي معناه قول الصنوبريّ:

نارُ راحٍ ونارُ خدٍّ ونارٌ … لحشا[1] الصَّبِّ بينهنَّ استِعارُ
ما أبالي ما كُنَّ ذا الصَّيف عندي … كيف كان الشِّتاءُ والأمطارُ

وأورد له في «مختصر التلخيص» في باب التشبيه قوله:

وكأنّ محمَرَّ الشّقيـ … ـق إذا تصوَّبَ أو تصعَّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ … نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدْ

قال في «معاهد التنصيص» [ص١٣٣]: والشاهد فيهما التَّشبيه الخيالي، وهو المعدوم الذي فُرض مجتمعاً من أمور، كلُّ واحدٍ منها مما يُدرك بالحسن، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يُدرِكه الحسّ، إنما يُدرَكُ ما هو موجود في المادة حاضر عند المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة، لكن مادته التي تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كلّ منها محسوس بالبصر.

وأورد له في «المعاهد» في هذا الباب قوله:

(١) في الديوان المحقق ص٦٢: بدل: (لحشا): بحشا.

وجوهُ شقائقٍ تبدو وتَخفَى … على قُضُبٍ تميسُ[1] بهنّ ضَعْفا
تراها كالعَذارى مُسبَلاتٍ … عليها من حميم[2] الشَّعر سَجْفا
إذا طَلَعَتْ أرَتْكَ السَّرجَ تُذكى … وإن غَرَبَتْ أرَتْكَ السَّرجَ تُطْفا
تخالُ إذا هي اعتدَلَت قِواماً … زجاجاتٍ مُلئنَ الرّاحَ صِرفا[3]
تنازَعَتِ الخدودُ الحُمْرُ حُسنًا … فما قد أخطأَت منهنَّ وَصفا[4]

وقال في شواهد المركب الحسيّ في التّشبيه الذي طرفاه مفردان (ص١٣٩): أحسن الصنوبري في تشبيهه الثُّريا في جميع أحوالها، حيث يقول من أبيات:

قُمْ واسقِنِي والظّلامُ منهزِمُ … والصّبحُ بادٍ كأنّه عَلَمُ
والطّيرُ قد طرَّبَت فأفصحَتِ الـ … ـألحانَ طُرًّا وكلّها عُجُمُ
وميَّلَتْ رأسَها الثّريّا لأسرا … رٍ إلى الغربِ وهْيَ تحتَشِمُ
في الشرقِ كاسٌ، وفي مغاربها … قُرْطٌ، وفي أوسط السّما قدَمُ

قال في «المعاهد» في بحث الغلو (ج٢ ص٦): وعلى ذكر الشّمعة فما أحسن قول الصّنوبري فيها:

مجدولةٌ تحكي لنا … في قدِّها قدَّ الأَسَلْ
كأنّها عمرُ الفتى … والنّارُ فيها كالأَجَلْ

وقال الجرجانيّ في كتاب «الكنايات» (ص٤٤): يُقال لشاربِ الدَّواءِ المسهل: كم لبست نعلك؟ وكم أحد برقك؟ وكم سحت سحبك؟ وكم تخطيت إلى باب

(١) في الديوان المحقق ص٣٢٥: بدل: (تميس): تميد.
(٢) في الديوان المحقق ص٣٢٥: بدل: (حميم): جميم.
(٣) في الديوان المحقق ص٣٢٥: بدل: (قواماً): قياماً، وبدل: (الراح): الخمر.
(٤) في الديوان المحقق ص٣٢٥: بدل: (قد): إن، وبدل: (وصفا): حرفا.

الكرامة؟ كتب الصنوبريّ لصديق له وقد شرب المُسهِل:

أبِـــنْ لي كـــم تخطَّيـــ   ـــتَ إلى بـاب الـكـرامَـهْ؟
كـم حـدا بـرقـك مـن رعـ   ـدٍ؟ وكم سحَّت غمامَهْ[1]؟

فكتب إليه ثانيًا:

أبِـن لي كـيـف أصبحـتَ   عـلى حـال مـن الحـالِ؟
وكـم سـارت بـك الـنَّـاقـ   ـة نـحـوَ المـنـزل الخـالي؟

فكتب إليه يُجيبُه:

كتبتُ إليكَ والنَّعلان ما إن   أغبُّهما[2] من السَّير العنيف
إذا رُمتَ الكتاب إليَّ فاكتُبْ   على العنوان: يُوصَلُ للكنيفِ[3]

وقال الجرجاني في الكتاب المتقدِّم: ويُكنّونَ عن المجدور: بنقشِ الكرسي، تشبيهًا له به، ويكنّون عنه إذا كان نقي البياض: بالدبيقي، إشارة لقول القائل:

وجـهُـهُ لـلـحُـسـنِ مَـعـدَنْ   فـتـأمَّـلْ وتَـبـيَّـنْ
جُـــدَريٌّ في بـيـاضٍ   كـدَبـيـقـيٍّ مُـعـيَّـنْ

وهذا من ألطف ما قيل فيه، رواه بعضهم عن اليمامي الفقيه، ثم وجدتُه في بعض تصانيف الثّعالبي النيسابوري منسوبًا إلى الصنوبريّ.

(١) في الديوان المحقق ص٤٦٦: البيتان على النحو الآتي:

نـبِّـئـني كـيـف تخطيـ   ـت إلى دار الـكـرامَـهْ
كم جـدار هُـدَّ من رعـ   ـد سـحـت غـمـامَـهْ

(٢) في الديوان المحقق ص٤٦٦: بدل: (أغبهما): أقلها.

(٣) في الديوان المحقق ص٤٦٦: بدل: (الكتاب): الجواب، وبدل (يوصل للكنيف): (يدفع في الكنيف).

وقال الثّعالبيّ في كتابه «الكناية والتعريض» ـ وهو مطبوع مع الكتاب السابق ـ في فصل الاحتلام والختان: يكنى عن الختان: بالطّهر والتطهير، ومِن أملَح ما سمعتُ في ذلك قول الصنوبريّ:

أرى طُهـرًا سـيثمرُ بعـدُ عُرسًـا   كـما قـد يُثمرُ الطَّرَبُ المُدامَه
ومـا قَلَمٌ بمُغــــنٍ عنـكَ إلا   إذا ألقـيـتَ منه كالقُلامَه

وما ينقضي تعجبي من حسن هذه الكناية وملاحة هذا التمثيل. اهـ.

وقال الشهاب الخفاجي في «الريحانة» (ص ١١٩): ومن شعر جمال الدّين الأسفراييني قوله:

فنجـانُ قهوةِ ذا المليـحِ وعَيْنُهُ الـ   ـكحـلاءُ حـارَتْ فيهـا الألبابُ
فسـوادُها كسـوادِها، وبياضُهـا   كبياضهـا، ودخانُها الأهـدابُ

قال أبو منصور الجواليقي في كتاب «المعرب»[1]: الفنجان معرّبٌ، وصوابه فنجانة، وفيه نظر، وتشبيهُ الدّخان بالأهداب تشبيهٌ بديع، ومثلُه في الحسن قول الصنوبريّ:

مَجْـمَـرةٌ طـافَ بهـا الغِلمانُ   أبـدعَ في صنعتِها الـزمـانُ
كـأنهـا فيـا حكى الـعِـيـانُ   فـوّراةٌ ومـاؤهـا دُخَــانُ
في بـركـةٍ حَصباؤها نـيرانُ   إذا تـبـدّت حَـزنَ الـريحـانُ

(١) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأحمدية بحلب، بخط العلامة الشيخ عبد القادر البغدادي، صاحب «خزانة الأدب»، وقد استنسخه بواسطتي العلامة الفاضل السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي، أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤلف «أبو العلاء وما إليه»، وأستاذ الآداب في جامعة عليكره في الهند؛ لفاضل من أصدقائه ثمّة عزم على نشره عن هذه النسخة، وهي نسخة في الإسكوربال (إسبانيا)، وعلى نسخة مطبوعة في أوروبا (منه رحمه الله).

وسُرَّتِ الجيوبُ والأردانُ(١)

وأورد له الشيخ عبد الغني النابلسي في «نفحات الأزهار» شرح بديعيته في بحث الجناس التام (ص٥٥) قوله:

تركَ الظاعنونَ قلبي بلا قلـ ـبٍ وعيني عينًا من الهَمَلانِ
وإذا لم تَفِضْ دمًا سُحبُ(٢) أجفا ني على إثرهم فما أجفاني
ووراءَ الحمول(٣) أحسنُ خلقِ الـ ـلهِ خُلقًا عارٍ من الإحسانِ
حلَّ في ناظِري فلو فتَّشُوهُ كان ذاك الإنسانُ في إنساني

وأورد له في الضَّرب الرَّابع من ضروب التَّشبيه، ـ وهو تقرير حال المشبَّه في نفس السامع، وتقوية شأنه ـ قوله:

ومُواتي العناقِ غيرُ مواتي مُطمِعِ اللحظِ(٤) مُؤيِسِ اللَّفَظاتِ
لا يُنيلُ التَّقبيلَ إلا اختطافًا كاختطافِ الخطّافِ ماءَ الفراتِ

وله في ساقٍ ـ وهو مما كتب إلينا به المستشرق الألماني العلّامة سالم كرانكوي ناقلاً له عن النويري ـ:

ومُوَرَّدِ الخدَّيْنِ يَخْـ ـطرُ حينَ يخطرُ في مورَّدْ
يسقيكَ من جفنِ اللُّجـ ـين إذا سقاك دموعَ عسجَدْ
حتى تظنَّ النَّجمَ ينـ ـزِلُ أو تظنَّ الأرضَ تصعَدْ

(١) البيت الأخير من «طراز المجالس» للشهاب الخفاجي ص١٥٣ (منه رحمه الله).
(٢) في الديوان المحقق ص٤٤٨: بدل: (سحب): سحائب.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٤٨: بدل: (الحمول): الحذور.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٠٣: بدل: (اللحظ): اللفظ.

فإذا سقاك بعينِهِ وبفيهِ ثمَّ سقاك باليَدْ
حيّاكَ بالياقوتِ ثُمْـ ـمَ الدرِّ من تحتِ الزبرجَدْ

وله ـ ممّا كتب به إلينا الفاضل المُوماُ إليه ناقلاً عن النويري ـ:

ما بدت شعرةٌ بخدّكَ إلا قلتُ في ناظري أو في فؤادي
أنتَ بدرٌ جنى الخسوفُ عليه ظلمةً لا أرى لها من نَفادِ
فاسودادُ العِذار بعدَ ابيضاضٍ كابيضاضِ العِذار بعد اسودادِ

وله ـ وهو مما كتب به إلينا أيضًا ناقلاً له عن حلبة الكميت ـ:

وأمطرَ الكأسُ ماءً من أبارقِهِ فأنبتَ الدرَّ في أرضٍ من الذَّهَبِ
فسبّح القومُ لمّا أن رأوا عجبًا(١) نُورٌ من الماء في نارٍ من العِنَبِ

وله، وهو مما كُتِبَ به إلينا أيضًا ناقلاً عن حلبة الكميت، والبيت الأول في محاضرات الراغب الأصفهاني (ص٢٦٠) بعنوان، وله في الباقلاء:

فصوصُ زمرُّدٍ في غُلْفِ دُرٍّ بأقماعٍ حكَت تقليمَ ظفرِ
وقد خاط الرّبيعُ لها ثيابًا لها وجهان من خُضرٍ وصُفرِ

وله، كما في تاريخ ابن عساكر بسنده إلى أبي الحسن المعنوي، قال:

أنشدنا الصنوبري لنفسه:

أفنيتُ يومي هكذا باطلاً منتظرًا للدعوة الباطلَهْ
همِّيَ للرُّسْلِ وأنبائهمْ همُّ التي تُطلَقُ بالقابلَهْ

(١) في الديوان المحقق ص٣٩١: بدل: (فسبح القوم لما أن رأوا عجباً): ناهيك من فضة تجري على ذهب.

يا دعوةً ما حصلتْ في يدي ... بل ذَهَبَتْ بالدعوة الحاصِلَهْ

وله في غلام يكتب ـ من كتاب «أحسن ما سمعته» للثعالبيّ:

ما كنتُ أحسب أنّ الخنجرَ القلمُ ... من قَلْمِ هذا ولا أنَّ المِدادَ دَمُ
حتى كتبتَ فما أبقيتَ جارحةً ... إلا وفيها على مِقدارها ألَمُ
يا كاتبًا جَرَحَتْ روحِي كتابتُهُ ... والجُرحُ في الرّوح جرحٌ ليس يلتئِمُ
اذهبْ فحقُّ أميرٍ أنت كاتِبُهُ ... أن لا يقومَ له عُربٌ ولا عَجَمُ

(وله في العقل)

قال الراغب ـ في كتابه «محاضرات الأدباء» تحت عنوان: (موصوف بالعقل) (ج١ ص٦) ـ : كان ابن المقفّع والخليل يحبّان أن يجتمعا، فاتّفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران، فقيل لابن المقفّع: كيف رأيتَه؟ فقال: وجدتُ رجلاً عقلُه زائدٌ على علمه، وسُئل الخليل عنه، فقال: وجدتُ رجلاً علمُه فوق عقله.

قال بعضُ العلماء: صَدَقا، فإنَّ الخليلَ مات حتف أنفِهِ في خُصٍّ، وهو أزهد خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مُستغنيًا عنه حتى قُتل أسوأ قتلة.

الصنوبري:

فإن يُلتمَس يومًا حِجاكم فإنكم ... جبالُ الحِجا لكنّكم أبحُرُ الجدوى

وقال (في ص١٣٠):

يا خيرَ مستَصرَخٍ لنائبةٍ ... يضيقُ بالعالمين قُطراها

وقال (في ص١٩٥): وله تهنئة بالصوم:

نلتَ في ذا الصّيامِ ما ترتجيهِ ... ووَقاكَ الإلهُ ما تتّقيهِ

أنتَ في الناسِ مثلُ ذا الشهرِ في الأشـ ... ـهُرِ، بل مثلُ ليلةِ القدرِ فيهِ

وقال (في ص٣٢٩): وله في وصف الخمرة عند المزاج:

ناهيكَ مِن فضّةٍ تَجري على ذَهَبِ ... ماءٌ من النُّورِ في مَاءٍ من اللَّهبِ

وقال (في ج٢ ص١٦): وله في شكوى مَن قلّ الالتقاء معه:

إذا حضرنا غبتَ أو لم تَغِبِ ... نحضرْ فنحنُ الوردُ والنّرجسُ
لم يُجمعا للعينِ في روضَةٍ ... قطُّ ولم يَجمعْهما[1] مجلسُ

وقال في (ص٧٢): وله في عذر تارك توديع محبوبه:

بأبي مَن هربتُ مِن توديعِهِ ... وبعثتُ الدّموعَ في تشييعِهِ

وقال في (ص٢٨): وله في ارتحال القلب بارتحال المحبّ:

ذكَروا أنَّ الفراقَ غدا ... وفراقُ النّفسِ بعدَ غدِ

وقال في (ص٤٦): وله في ظهور الهوى بنُحُول الجسم:

أكفُّ لسانَ الدّمعِ أن أشكوَ[2] الهوى ... كأنّ لسانَ السُّقمِ لا يُحسنُ الشّكوَى

وقال في (ص١٣٦): وله:

للغصنِ أعطافُها وقامتُها ... وللرَّشا جِيدُها وعيناها

وقال في (ص١٣٧): وله في الصدغ:

عقربُ الصُّدغِ لماذا ... سالمتْهُ وهْوَ وحدَهْ

(١) في الديوان المحقق ص١٥٢: بدل: (يجمعها): يحوهما.
(٢) في الديوان المحقق ص٣٧٩: بدل: (أشكو): يشكو.

تلدغُ النَّاسَ جميعًا   ثم لا تلدغُ خدَّهْ

وقال في (ص٢٥٧): وله في الشّقائق:

شقائقُ يَحملنَ النَّدى فكأنَّه   دموعُ التّصابي في خدودِ الخرائدِ

وقال في (ص٣٢٠): تحت عنوان: مفردات من الأبيات البديعة:

وتجشُّمُ المكروهِ ليس بضائرٍ   ما خِلْتَهُ سببًا إلى المحبوبِ

وفي «مطالع البدور في منازل السرور» (ج١ ص١١): الآذريون: حارّ يابس، منافعُه أن يُسحَق بالخلّ، ويطلى به داء الثعلب، يَنبُت الشعر فيه، وينفع سائر السّموم، ثم قال بعد أنْ عدَّد خواصّه: قال الصنوبري:

كأنّ آذريونَها   من فوقِ تلكَ القُضُبِ
خيامُ مِسكٍ فوقَها   سُرادقٌ من ذَهَبِ

وقال ابن المعتزّ وأجاد:

كأنّ آذريونَها   والشمسُ فيه كاليَهْ
مَداهِنٌ من ذهبٍ   فيها بقايا غاليَهْ

وللصنوبريِّ من كتاب «الأدب والإنشاء» لأبي حيان التوحيديّ (ص٧٤):

يا ناصحًا ما زال يُتبِعُ نُصحَهُ   غِشًّا إذا نصحَ الصّديقَ صديقُهُ
فله[١] العزاءُ يُرام لستُ أرومُهُ   قلتُ: السّلوُّ يُطاق، لستُ أطيقُهُ

وله من كتاب «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي، قال (في ص٢٦٠): من أحاسن

(١) في الديوان المحقق ص٣٦٣٢: بدل: (فله): قلت.

محاسن الصنوبري الربيعيات، ومن غُرَرِه قوله:

ما الدَّهرُ إلا الربيعُ المستنيرُ إذا   جاءَ[١] الربيع أتاك النَّور والنُّورُ[٢]

وقوله:

ومَن ذا الذي تُرضى سَجاياه كلّها   كفى المرءَ نبلاً أن تُعدّ معائبُهْ

وقوله:

إني لرحّالٌ إذا الهمّ بَرَكْ   رَحبُ اللّبانِ عند ضِيقِ المعترَكْ
عُسري على نفسي ويُسري مشترَكْ   لا تُهلكِ النَّفسَ على شيءٍ هَلَكْ
فليسَ للهمِّ إذا فاتَ دَرَكْ   لا تُنكِرَنْ ضَراعتي لا أمَّ لَكْ
رُبَّ زمانٍ ذَلِّهِ أرفَقَ بِكْ   لا عاد إن ضَامَكَ دهرٌ أو مَلَكْ

وله من كتاب «مواسم الأدب» تأليف الأديب جعفر البيتي العلوي (ج١ ص١٠٦)، ومن «ثمار القلوب» للثعالبي (ص١٠٣) في نظم قصة عرقوب:

قال[٣] لنا نخلةٌ وقد طَلَعتْ   نخلتُنا، فاصطبر لطلعَتِها
حتى إذا ما صارَ طلعُها بَلَحًا   قال: توقَّع بلوغ بُسرتِها[٤]
حتى إذا بُسرُها غَدَا رُطَبًا   قال: اصطبر فيها لتمرتِها[٥]
فَعَدِّ عن نخلةٍ كنخلةِ عُر   قُوْبٍ، وعن قصّةٍ كقصَّتِها[٦]

(١) في الديوان المحقق ص١٥٢: بدل: (جاء): أتى.
(٢) هذا البيت من أبيات تقدَّمت: ص ١٨ (منه) وهو في طبعتنا ص٥٥.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٠٢: بدل: (قال): قالوا.
(٤) في الديوان المحقق ص٤٠٢: بدل: (إذا): إذا ما، وبدل: (قال): قالوا.
(٥) هذه الشطرة في «ثمار القلوب» هكذا: فازوا بأعذاقها برمتها (منه رحمه الله).
(٦) في «ثمار القلوب»: عدمتها نخلة إلخ البيت، (منه رحمه الله)، بدل (عن): من.

وله منه (ج١ ص٣٠٦):

ولقَّبوهُ بحبِّ الظُّرفِ ليتهُمُ   ضاعوا كما ضاعَ وضعًا ذلك اللقبُ[1]

وله منه (ج٢ ص٣٤):

صبرتُ على غيرِ اختيارٍ وإنه   ليصبرُ مَن لا يستطيعُ سوى الصبرِ

وقال:

مذ رأيناكَ بيننا كعبةَ الجو   دِ صَرَفنا إليكَ حجَّ القوافي

وقال:

إذا ما استحلَّ الدهرُ ظُلمي فإنَّني   جديرٌ بأن لا أجعلَ الدَّهرَ في حِلِّ

وقال:

ونُهًى غادرتْ ضميرَ القراطيـ   ـسِ مُصيخًا لألسُنِ الأقلامِ
وكذا الهاشميُّ مثلُكَ لا يُمـ   ـدَحُ إلا بهاشميِّ الكلامِ

وقال: وهو من الأمثال السائرة:

مَن تحلَّى بغيرِ ما هو فيهِ   كذَّبتهُ شواهدُ الامتحانِ

وقال:

أقلِّ لن يَحُلَّ اللهوُ دارًا   إذا ألقى المشيبُ بها عَصاهُ
دجى شعرٍ أرتكَ يدُ الليالي   نجومُ الحلمِ تطلُعُ في دُجاهُ
كانَ يُعْدي بحسنِهِ فهْوَ يُعْدي   بقبحِهِ اليومَ من رأى من رآهُ

(١) في الديوان المحقق ص٣٨٨: بزيادة: (يا نفس) ضاعوا.

وله منه في هذه الصحيفة:

أتاني نديمي مستمِدًّا شفاعتي   أظنُّ نديمي غيَّر الدَّهرُ حِسَّهُ
فقلتُ له لما ألجَّ[1] بجهلِهِ   رويدَك ليتَ الفجلَ يهضمُ نفسَهُ

وله من ورقة مخطوطة من كتاب ناقلاً عن «تحفة العجايب»:

قدِمَ الرَّبيعُ فكان أحسنَ قادمٍ   من موكبِ الزهر[2] أحسَنِ مَوكِبِ
وتخلَّت[3] الأشجار من أوراقها   حُلْيَينِ بين مُفضَّضٍ ومُذهَّبِ

وله ـ [من كتاب «مناهج الفكر ومباهج العبر» للوطواط، من نسخة خطية في المكتبة المارونية بحلب، مخرومة الآخر، الموجود منها **٥٨١** صحيفة، كل صحيفة **٣٠** سطرًا]، من باب القول في طبايع الذباب (ص٤٦٢) ـ: قال أبو بكر الصنوبري يصفُ الخازيار، وهو الذباب الكبير يكون في الرياض، ويصف روضة وسحابًا:

خللُ السحابِ لو يُعمِّرُ حُسنَها   لغلَتْ على مُبتاعِها أثمانُها
غنَّى عليها الخازيارُ تطرُّبًا   فعلَ القِيانِ تجاوَبتْ ألحانُها

وله من (ص٥٦٠) في بحث القول في أحداق[4] النّرجس:

ونرجسٍ مُضْعَفٍ تَضاعفَ فيـ   ـه الحسنُ في أبيضٍ وفي أصفَرْ
الدُّرُّ والتِّبرُ فيهِ قد خُلطا   للعينِ، والمسكُ فيه والعنبَرْ

(١) في الديوان المحقق ص٤٢٨: بدل: (ألجّ): ألحّ.
(٢) في الديوان المحقق ص٣٩٩: بدل: (الزهر): الأزهار.
(٣) في الديوان المحقق ص٣٩٩: بدل: (تخلّت): تحلّت.
(٤) في الأصل: «أفلاح النرجس» ولا يصح، ولعله خطأ مطبعي.

وله منه (ص٥٧٤):

شقيقةٌ قد[1] شقَّ على الوردِ ما ... قد أخذَت[2] من كثرةِ الصِّبْغِ
كأنَّها في حُسنِها وَجنةٌ ... يَلوحُ فيها طَرَفُ الصُّدغِ

وله من هذا الكتاب[3]:

قال من أبيات للصنوبريّ وذكر الجرزان يصف هرًّا:

زادَ همِّي بهـرّ أزرق تركيـ ... ـيُّ السِّبالَين أنمر الجلبابِ[4]
ليثُ غابٍ خَلْقًا وخُلْقًا فمن عا ... ينَهُ قال: إنه ليثُ غابِ
قنفذٌ في ازبراره وهْوَ ذئبٌ ... في افتراسٍ[5] وحيَّةٌ في انسيابِ
ناصبٌ طرْفَه إزاءَ الزّوايا ... وإزاءَ السُّقوفِ والأبوابِ
ينتضِي الظُّفرَ حين يَظفَرُ في الحر ... بِ وإلا فظفرُه في قرابِ
يسحب الصيدَ في أقلَّ من اللمْـ ... ـحِ ولو كان صيْدُهُ في السَّحابِ
غاسلٌ وجهَهُ بإحدى يديهِ ... مستعينٌ في غَسلِهِ باللعابِ
وَيَعي الصوتَ إذ يَعي في طويّ ... وهْوَ يَرنو إذا رَنا من شِهابِ

(١) في الديوان المحقق ص٣٠٩: سقطت قد.
(٢) في الديوان المحقق ص٣٠٩: بدل: (أخذت): منحت.
(٣) من قطعة منه عند صديقنا الفاضل الأديب السيد أحمد عبيد الكتبي بدمشق، وهي غير موجودة في نسخة المارونية، ولعلّها فيما هو مخروم منها. وقد نقلها لنا الشاب الفاضل الشيخ مصطفى الزرقا الحلبي أثناء وجودِه في دمشق، في معهد الحقوق (منه رحمه الله).
(٤) في الديوان المحقق: زاد همي بهنَّ أورق تركي، والصواب: بهرٍّ كما في «الروضيات»، وأما ما جاء في «الروضيات»: أزرق فالصواب كما في الديوان: أورق.
(٥) في الديوان المحقق ص٤٨٦: بدل: (افتراس): اغترار.

ثم تظرَّفَ فقال:

قرّظوه وقلّدوه وغالو ... ه أخيرًا وأولاً بالخِضابِ
فهْوَ طورًا يبدو بنحرِ عروسٍ ... وهْوَ طورًا يمشي على عُنّابِ
حبَّذا ذاكَ صَاحبًا فَهْوَ في الصُّحْـ ... ـبةِ أوفى من سائرِ الأحبابِ

وله ـ كما في «زهر الآداب» للحصري (ج١ ص٢٢٣) في بحث مدح الشرب في الصحو وذمّه في المطر ـ:

أنيسُ ظِباءٍ بوحشِ الظّبا ... وصبغُ حياء مثلُ صبغ الحَيَا
ويوم تكلّلهُ الشمسُ مِن ... صفاءِ الهوى وصفاءِ الهَوَا[1]
بشمسِ الدِّنانِ وشمسِ القِيانِ ... وشمسِ الجِنانِ وشمسِ السَّما

وله في باب الشّرابِ أيضًا كما في (ج٢ ص٦٧):

نازعتُهم كأسًا تخالُ نسيمَها ... مِسكًا تضوَّعَ في الإناءِ عتيقا[2]
شقَّتْ قِناعَ الفجر[3] لمّا غادرَت ... كفُّ النّديمِ قناعَها مشقوقا
صبغت سوادَ دُجاه حُمرةُ لونِها ... فكأنه سَبَجٌ أُعيدَ عَقيقا

وله في وصف الإشراق («نهاية الأرب» للنويري ج١ ص١٤٢):

يا ليلةً طلَعَت بأسعدِ[4] طالعٍ ... تاهَت على ضَوءِ النّهارِ السّاطعِ
بمحاسنٍ مقرونةٍ بمحاسنٍ ... وبدائعٍ مَوصولةٍ ببدائعِ

(١) في الديوان المحقق ص٣٨١:
ويوم يكلّله بالشموس ... صفاءُ الهوىٰ في صفاء الهواء
(٢) في الديوان المحقق ص٣٤٠: بدل: (الإناء عتيقاً): الأنوف فتيقاً.
(٣) في الديوان المحقق ص٣٤٠: بدل: (الفجر): الليل.
(٤) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (بأسعد): بأيمن.

ضوءُ الشّموعِ وضوءُ وجهكَ مَازجاً   ضوءَ العقـارِ وضوءَ بـرق لامِعِ[١]
فكأنّمـا ألـقـى الـدُّجى جِلبابَـهُ   وأراكَ جِلبـابَ النّهـارِ السَّـاطِعِ[٢]

وله في تباشير الصباح («نهاية الأرب» ج١ ص١٤٥):

ولـيـلـةٍ كـالـرّفـرفِ المعلَمِ   مـحفوفـةِ الظلـماءِ بالأنجُمِ
تـعـلّـقَ الـفـجـرُ بأرجائها   تـعـلُّـقَ الأشـقـرِ بـالأدهـمِ

وله في وصف الخريف («نهاية الأرب» ج١ ص٧٤) و«صبح الأعشى» (ج٢ ص٣٩٩):

مـا قـضى في الربيـعِ حـقَّ المسرّا   تِ مُضِيعٌ زمانَـهُ في الخريفِ[٣]
نحـن منـه عـلى تلقّـي شـتاءٍ   يوجِبُ القصفَ أو وَداعِ مَصِيفِ
في قميـصٍ مـن الزمـان رقيـقٍ   ورداءٍ مـن الهـواء خَفيـفِ
يرعـدُ المـاءُ منـه خوفًـا إذا مـا   لَمستـهُ يَـدُ النّسيمِ الضَّعيفِ

وله في «النهاية» (ج١ ص٢٢٨) في وصف العَوَجان وهو يفيض من نهر قويق، خارج محلة باب أنطاكية في حلب، ويمر بالبساتين إلى أن يخرج من أمام جبل الجوشن، وقد تقدَّم ذكره في (ص٣١ وص٣٧)[٤]:

والعَوَجـانُ الـذي كَلِفـتُ بـه   قد سُـوِّيَ الحسـنُ فيه مـذ عَوَّجْ
مـا أخطـأ الأيْـمَ في تعوُّجِـهِ   شـيئًا إذا مـا اسـتقام أو عـرَّجْ
تُـدرِّجُ الريـحُ متنَـهُ فـتَرى   جَوشَـنَ مـاءٍ عليـه قـد درَّجْ
إن أعنقـت بالجنـوب أعنَـقَ في   لُطْـفٍ وإن هَمْلَجَـتْ بـه هَمْلَجْ

(١) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (الشموع): العقار، وبدل: (العقار): الهلال.
(٢) في الديوان المحقق ص٢٧٥: بدل: (الساطع): الناصح.
(٣) في الديوان المحقق ص٣١٠: بدل: (المسرات): الفتوات، وبدل: (زمانه): لحقها.
(٤) تقدم ذكره في هذا الفصل ص٨٣.

مِن أين طافت شـمسُ النّهارِ به   حسبتَ شَمسًا من جَوفه تخرجْ

وقال في وصف دولاب («نهاية» ج١ ص٢٨٩):

فَلَكٌ من الـدُّولابِ فيه كواكبٌ   مـن مائِـهِ تنقـضُّ سـاعةَ تطلـعُ
متلـوِّنُ الأصواتِ يُخفِضُ صوتَه   بغنائـهِ طَـورًا وطـورًا يرفـعُ

وله فيما قيل في السواد («نهاية» ج٢ ص٣٩):

يـا غُصُنـاً مـن سَبَجٍ رطْـبِ   أصبـح منـك الـدُّرُّ في كَـرْبِ
حبُّـكَ مـن قلبـي مـكان الـذي   أشـبهتـه مـن حبّـة القلـبِ

وله في الثنايا («نهاية» ج٢ ص٦٦):

تلـك الثنايـا من عقدهـا نُظِمَتْ   بـل نُظِـمَ العَقْـدُ مـن ثناياهـا

وله في وصف الخدّ («نهاية» ج٢ ص٧٦):

رقَّ فلـو كلَّفتَـهُ أعيُنَنـا   أنْ يرشَـحَ الخمرَ خـدُّه رَشَحَا

وله من كتاب «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي، ومن «النهاية» للنويري (ج ٣ ص ١٠٣):

رُبَّ حـالٍ كأنّهـا مذهـب الديـ   ـباجِ صارت من رقّـة كاللّاذ[١]
وزمـانٍ مثـلَ ابنـةِ الكَرْمِ حُسْـناً   صار[٢] عند العيون مثل الداذي[٣]
أوَ مـا مـن فسـاد رأي الليـالي   أنّ شـعري هـذا وحـالي هـذي

(١) اللاذه: ثوب حرير أحمر صيني، والجمع لاذ (منه رحمه الله).
(٢) في الديوان المحقق ص٤٢٤: بدل: (صار): عاد.
(٣) الداذي: شراب للفساق. اهـ «نهاية الأرب».

وله من هذين الكتابين:

مِحَنُ الفتى تُنبيك[1] عن فضل الفتى ... كالنَّـار مخـبِرةٌ بفضـل العنـبرِ

وفي كتاب «أحسن ما سمعت» للثعالبيّ: ومما قيل في غلام ينفخ في الخمر قول الصنوبري:

وجهُـك فـوق النـار في حسـنِها ... وفـوكَ فوق المِسـكِ والعنـبرِ[2]

وفي «نزهة الأنام في محاسن الشام» لعبد الله البدري المصري الدمشقي (ص ٢٥٣)[3]:

ومن تشابيه الصنوبري قوله في السفرجل:

لك في السفرجَلِ منظَرٌ تَحظَى به ... وتفـوزُ منـه بشـمِّـه ومَـذاقِـهِ
يحكي لنـا الذّهـبَ المصفّى لونُه ... وتزيـد بهجتُـهُ عـلى إشراقِـهِ
والشَّكل من أعلاه يحكي سُفْلَهُ[4] ... ثـديَ الكَعـاب إلى مـدار نطاقِهِ
والشّكل[5] من سُفْلاه يحكي سرّةً ... مـن شـادنٍ يَزهـو عـلى عشّـاقِهِ

وله من شرح العلامة البرقوقي لديوان أبي الطيب المتنبي [ج ١] عند قوله: (ويسمن عن برد خشيت أذيبه) إلخ.

---

(١) في «النهاية» و«مواسم الأدب» (ج ٢ ص ٣٤): (يخبرن) بدل (تنبيك) (منه رحمه الله).

(٢) في الديوان المحقق ص٦٠: بدل: (وجهك): خدك، وبدل: (في حسنها): من صبغه، وبدل: (فوق المسك): نشر العود.

(٣) وهي في «مناهج الفكر ومباهج العبر» للوطواط أيضاً، والشطرة الأولى من البيت الثالث فيها هكذا: والشكل من أعلاه يحكي إذ بدا. ولعلها أولى (منه رحمه الله).

(٤) في الديوان المحقق ص٤٣١: بدل: (والشكل): فالشطر، وبدل: (سفله): شكله.

(٥) في الديوان المحقق ص٤٣١: بدل: (الشكل): الشطر.

وضـاحـكٍ عن بـرَدٍ مُـشرِقٍ ... أبـاحَـنِـيـهِ دون جُـلّاسي
فكلما قـبّـلـتُـه خِـفْـتُ أن ... يـــذوبَ مـن حـرّ أنـفـاسي

(تتمة لبحث استشهاد علماء البلغاء بشعره)

(سهونا عن وضعها في محلِّها)

قال البكرجي الحلبي في شرح بديعيته في تعداد أغراض التَّشبيه: والضرب السادس: تشويه المشبَّه في عين السامع؛ كقول الصنوبري في زامرة سوداء:

وكأنَّـما المزمـار في أشـداقِها ... غرمـولُ عِـيرٍ في حَيـاءِ أتـانِ
وتـرى أناملهـا عـلى مزمارهـا ... كخنافسٍ دبَّـت عـلى ثعبـانِ

وذكر هذين البيتين في «مطالع البدور» (ج ١ ص ٢٣) وقال بعدهما: قال السراج المختار الحلبي فيها:

ولَـرُبَّ زامـرَةٍ تهيـج بزَمْرِهـا ... ريـحُ البطـون فليْتَهـا لم تزمـرِ
شـبَّهتُ أُنْمُلَهَـا عـلى ضرباتهـا ... وقبيحَ مبْسَـمِها الشـنيع الأبخـرِ
بخنافسٍ قصدَتْ كنيفاً واغتدت ... تسـعى إليـه عـلى خيـار الشَّـنْبَرِ

وقال في «معاهد التنصيص» في قول الكميت الشاعر (ج٢ ص ٢٥):

أحلامكم لشـفاء الجهل شـافيةٌ ... كما دماؤكمُ تشـفي مـن الكَلَبِ

الشاهد في البيت: التفريع: وهو إثبات حكم لمتعلق بعد إثباته لمتعلق له آخر على وجه يُشعر بالتفريع والتعقيب، إلى أن قال: ومن التفريع الجيد قول الصنوبريّ:

مـا أخطـأَتْ نُوناتُهُ مـن صدغِهِ ... شـيئاً ولا أَلِفَاتُـهُ مـن قـدِّهِ

وكأنما أقلامُه من شَعْرِهِ   وكأنما قرطاسُه من جِلْدِهِ[1]

وقد تقدَّم هذان البيتان[2].

كان صديقنا الفاضل المؤرِّخ الشيخ كامل الغزّي ممن تصدّى لجمع شعر الصنوبريّ، وذكر في مقالته المنشورة في مجلة «المجمع العلمي العربي» التي أشرنا إليها في أول الكتاب أنه جمع منه (٤٠٠) بيت، ولما أعلمناه بشروعنا بطبع ما جمعناه من شعره تفضَّل فأرسل إلينا بأوائل الأبيات التي جمعها، فقابلناها على ما لدينا فوجدنا مقطعتين ليستا عندنا، فحرَّرَهما لنا وهما الستة أبيات الآتية:

الجوُّ بين مضمَّخٍ ومضرَّجٍ   والرَّوض بين مزخرَفٍ ومدبَّجِ
والثلج يهطل كالنِّثارِ فقُمْ بنا   نلهو بربّةِ[3] كرمةٍ لم تُمزَجِ
ضحك النهارُ وبان حسنُ شقائقٍ   وزَهَتْ غصون الورد بين بنفسجِ
فكأنَّ يومك من غلالة فضةٍ   والنّورُ من ذهبٍ على فيروزجِ

وله:

قد أحدَقَ الوردُ بالشَّقيقِ   فاشرب عقيقاً على عقيقِ[4]
كأنَّ حولَه[5] وجوهٌ   مشرقاتٌ على حريقِ

* * *

(١) في الديوان المحقق ص٤١٩: بدل: (أقلامه): أنفاسه، وبدل: (جلده): خده.
(٢) ينظر هذا الفصل ص ٨٩.
(٣) في الديوان المحقق ص٤٠٦: بدل: (نلهو بربة): نلتذُّ بابنة.
(٤) في الديوان المحقق ص٣٦٧: بدل الشطر الثاني: خلال بستانك الأنيق.
(٥) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: كأنَّ من حوله.

مدائحــه

وله ـ كما ذكرته في تاريخي الكبير «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤) ـ مدائح كثيرة في أبي الحسن ذكا بن عبد الله أمير حلب، وكان رجلاً كريماً يَهَبُ ويُعطي، وفي كاتبه أبي الحسن محمد بن عمر النفري، غير أني لم أعثر منها على شيء.

وقال الصاحب الكمال بن العديم الحلبي في كتابه «الإنصاف والتّحرّي» الذي ترجم فيه أبا العلاء المعرّي وأسرته، وهو مُدرَج في تاريخي المتقدِّم (ج ٤): ومنهم جدُّ أبي الشيخ أبي العلاء أبو بكر محمد بن سليمان بن أحمد، ولي القضاء بمعرة النّعمان بعد موت أبيه وجدّه، في حدود الثلاث مئة، وكان فاضلاً أديباً ممدوحاً، وفيه يقول أبو بكر الصنوبريّ:

بأبي يابن سليما   نَ لقد سُدتَ تَنُوْخا
وهمُ السادة شُبّا   ناً لعَمْري وشُيوخا
أدرك البغيةَ مَن أضـ   ـحى بناديكِ مُنيخا
وارداً عندك نِيلاً   وفراتاً وبليخا[1]
واجداً منك متى استصـ   ـرخ للمجد صريخا
في زمانٍ غادر الهمْـ   ـمَات في الناس مسوخا

وقال: ومدحه بغير هذه الأبيات.

(ما قاله في ولده لمَّا فُطِم)

ذكر ابن عساكر في «تاريخه» بسنده إلى علي بن حمدان الفارسي، قال: كان للصنوبري ابنٌ مسترضَع ففُطِم، فدخل الصنوبريُّ يوماً داره والصبيُّ يبكي، فقال: ما لابني؟ فقالوا: فُطِم، قال: فتقدَّم إلى مَهْدِهِ وكتب عليه:

(١) البليخ: اسمُ نهر بالرقة، يجتمع فيه الماء من عيون متعدِّدة (منه رحمه الله).

منعُوهُ أحبَّ شيء إليه   من جميعِ الورى ومِن والِدَيْهِ
منعوه غِذَاه[1] وقد كا   ن مباحاً له وبين يديه
عجباً منه ذا على صِغَرِ السِّنْـ   ـنِ هوى فاهتدى الفراق إليه

(مراثيه)

(رثاؤه لابنته)

ذكر ابن عساكر بسنده إلى أبي الطيّب قال: أنشدني أبو بكر الصنوبريّ يرثي ابنته على قبّة قبرها:

بأبي ساكنةٌ في جَدَثٍ   سكَنَتْ منه إلى غير سَكَنْ
نفسي فازدادي عليه حزناً   كلما زادَ البلا زادَ الحَزَنْ

وفي الجانب الآخر:

أساكنَة القبر: السّلوُّ محرَّمٌ   علينا إلى أن نستوي في المساكنِ
لئن ضُمِّنَ القبرُ الكريم كريمتي   لأكرم مضمونٍ وأكرم ضامنِ

وفي الجانب الآخر:

أواحدتي عصاني الصبر لكن   دموعُ العين سامعةٌ مُطيعَهْ
وكنتِ وديعتي ثم استُرِدَّت   وليس بمنكَرٍ ردُّ الوديعَهْ

وقال في الجانب الآخر:

يا والديَّ رعاكما الله   لا تهجُرا قبري وزُوراهُ
خلّيتماوجهي يحدّبه[2] (هكذا)   للقبر يُخلقُهُ ويمحاهُ

(١) كذا جاءت في الأصل، والوزن غير مستقيم.

(٢) في الديوان المحقق ص٤٦٧: بدل: (خليتما وجهي يحد به): أخلقتما وجهي بجدته.

وفي الجانب الآخر:

آنس الله وحشتَكْ   رحمَ الله وحدَتَكْ
أنتِ في صحبةِ البِلى   أحسنَ اللهُ صحبتَكْ

وفي الجانب الآخر:

أبكيكِ ربَّة قبّةٍ[1]   تبلى وقبَّتُها تجدَّدْ
لك منزلان فذا يُبَيْـ   ـيَضُّ للبكاء وذا يُسَوَّدْ

وفي «الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية» (ج ٢ ص ١٤): محمد بن أحمد بن عبد الله بن موسى أبو الحسن الرافعي، نسبة إلى الرافعة، بلدة كبيرة على الفرات. حدَّث بحلب عن النّسائي الإمام، وأحمد بن الأسود الحنفي، مات بحلب في حدود الثلاثين وثلاث مئة، ورثاه أبو بكر الصنوبريّ بأبيات، وكان عالماً أديباً فاضلاً. اهـ.

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى الصنوبريّ يُعزِّيه بابنتِه أبياتاً، وهي كما في ديوانه المطبوع و«نهاية الأرب» للنويري (ج ٥ ص ٢٢):

أتأسى يا أبا بكرٍ   لموتِ الحرّة البِكْرِ
وقد زوّجتَها قبراً   وما كالقبرِ من صِهْرِ
وعوّضتَ بها الأجرَ   وما كالأجرِ من مَهْرِ
زفافٌ أُهدِيَت فيه   من الخِدرِ إلى القبرِ
فتاةٌ أسبلَ اللهُ   عليها أسبغَ السِّترِ
ورزء أشبه النِّعمـ   ـة في الموقع والصدرِ
وقد يختار في المكرو   ه للعبد وما يدري

(١) في الديوان المحقق ص٤٦٧: بدل: (أبكيك ربة قبة): يا ربة القبر التي.

فقابل نعمةَ الله الـ ... ـتي أولاك بالشُّكرِ
وعزِّ النَّفسَ ممّا فا ... ت بالتّسليمِ والصبر .اهـ.

(مطارحات بين كشاجم والصنوبري في العتاب)

وفي مجموع مخطوط لبعض الأدباء في مكتبة المدرسة الأحمدية رقمه [١٢٠٨] قال: كتب كشاجم إلى الصنوبريّ:

أخٌ لي كنتُ أُغبَط باعتقادِهْ ... ولا أجني التّنكُّرَ من ودادِهْ
هلالٌ في إضاءته حياءٌ ... سماحتُه شهابٌ في اتّقادِهْ
مُعنّى في انتقادِ حليّ شعري ... وفضل الحَلْيِ يظهرُ في انتقادِهْ
أُهاديه القوافي مُترعَاتٍ ... إليه فليتَ أنّي لم أُهادِهْ
فأقبسه فيُوري من زنادي ... ويقبسني فأوري من زنادِهْ
وأعضدُه برأيٍ من سَدادي ... ويعضدُني برأيٍ من سدادِهْ
وأسعدُهُ فأَقْبَل ما دعاني ... له من غيِّه أو من رشادِهْ
وكان وكنتُ بالإخلاص فيه ... بحيث نُرى ابنَ صخر من زيادِهْ
صلحْتُ له فأدرَكَهُ نُبُوٌّ ... فأظهَرَهُ التنافُس من فسادِهْ
وكان قِيادُهُ مني ذليلاً ... فضيّعت الحوادثُ من قِيادِهْ
فأصبح قد تبرّى من ودادي ... كما بَرِئ المُتيَّم من فؤادِهْ
وعاندَني ولم أعلَمْ بأني ... سأنقلُ مِن هواه إلى عِنَادِهْ
ومال إلى البِعاد ولستُ أَجني ... حِمامَ الموتِ إلّا في بِعَادِهْ
وكايَدني ولم أرَ قطّ أحلى ... من المحبوب إلا في كِيادِهْ
ومعتدٌّ عليَّ ولستُ ممّن ... يكدِّرُ صَفْوَ مَنٍّ باعتدادِهْ
ولو حاولتَ أن تُزْري ببدرٍ ... طلبت له المعايِبَ من سوادِهْ

وما كل الكواكبِ مُستنيرٌ ... ويُغني بالإضاءة في انفرادِهْ
وقد ينهلُّ بعد الطّلّ وَبْلٌ ... وغَمْرُ الماء يَظهَرُ من ثُمادِهْ
جفا فأبانَ عن طرفي لذيذ الـ ... ـكرى وأزالَ عن خدِّي وسادِهْ
كأنّي قد عذلتُ له حبيباً ... فصارمَهُ وشرَّدَ عن قيادِهْ
ولو سفكت يداهُ دمَ ابن عمّي ... أوِ ابني لم أُثِرْهُ ولم أُعادِهْ
ولو قتلي أرادَ قتلتُ نفسي ... له عَمْداً ليبلُغَ مِن مُرادِهْ
أواصلُ إن جفا وأغضُّ إن ما ... هفا وأَلِينُ في وقت احتِدادِهْ
وكنتُ عليه مُعتمِداً فلما ... تغيَّر لي قمتُ على اعتمادِهْ
وتُبتُ إليه من ذنبٍ جناهُ ... ولم أُفقِدْهُ شخصي بافتقادِهْ
أبا بكرٍ بجدِّك حين يسمو ... بطارِفِهِ ويضحَكُ عن تِلادِهْ
ونظمُك درُّ لفظٍ في قريضٍ ... كنظمِ العقد يزهي في انعقادِهْ
أَقِلْني إن عثرتُ وجُدْ بكفِّي ... أخيك وفُكَّ طرفي من سُهادِهْ
فما كتبَتْ يدي الأبياتَ حتى ... جرى قلمي بدمعي من مدادِهْ
وإن ألكُ مذنباً وعفوتَ عني ... فإن الله يعفو عن عبادِهْ

قال: فأجابه الصنوبري وأجاد(١):

أخٌ لي عاد من بعدِ اجتنابِهْ ... ففَرّق بين قلبي واكتئابِهْ
حباني بالعتابِ وكان ظنّي ... به أن لا سبيل إلى عتابِهْ
وخاطبني فخِلتُ بأنَّ زَهْرَ الـ ... ـرُّبى المُوشيَّ يُجنى من خطابِهْ

(١) هي موجودة في ديوان كشاجم المطبوع ومنسوبة له، ومصدّرة بقوله: وقال في الصنوبري مجيباً له، والصواب ما نقلناه عن المجموع المخطوط، وأن العبارة: وقال فيه الصنوبري إلخ. ويؤيّد ذلك قول الصنوبري في القصيدة (أبا الفتح افتتحتَ الفضل لما) وأبو الفتح كنية كشاجم كما في كثير من كتب الأدب (منه رحمه الله تعالى).

بلفظٍ لو بدا لِحليفِ شيبٍ ... لَفَارَقَـهُ وعــادَ إلى شــبابِـهْ
ففرَّق[١] بين أجفاني وغَمضي ... وباعدَ بين دمعي وانسكابِهْ
ورَدَّ البُرءَ في جسمٍ نَوى من ... سقامِ الصدِّ حين نوى لما بِهْ[٢]
أتاني أزْيُ منطقِه فعضَّ[٣] ... على ما ذقتُه من طعم صابِهْ
وكان ألذّ عندي من رضابِ الـ ... ـحبيبِ إذا قدرتُ على رِضابِهْ
إذا انتسبَ الثقاتُ إلى وفاءٍ ... فحسبُك بانتسابي وانتسابِهْ
على أني وإن جُزتُ الثّريّا ... فليس أقاسُ بعد إلى ترابِهْ
ولو أقسمت أنَّ المجد شيءٌ ... له دون البرية لم أحابِهْ
خليلٌ كنتُ إن واريتُ شخصي ... رأتْ عيناكَ شخصي في ثيابِهْ
حِمامي في تنائيه ولكن ... حياتي حين يقرُبُ في اقترابِهْ
إذا ما اقتادني ألْفَى قيادي ... قِيادَ الماءِ أسرَعَ في انصبابِهْ
فلمّا أحدثَ الدّهرُ ارتياباً ... غدا متعلّقاً بعُرَى ارتيابِهْ
يعاقبُني على غير اجترامٍ ... فأَصْبِرُ حينَ يبلغ في عقابِهْ
رجاءَ إيابِهِ لي بالذي لم ... أزل صبّاً إليه من إيابِهْ
وما لي لا أخاف ذهابَ ودٍّ ... رأيتُ[٤] ذهاب ودّي في ذهابِهْ
أمن معنىً تبسَّم عن صوابٍ ... فأحببتُ الزيادة في صوابِهْ
يغادرني التجنّي كلّ يوم ... صريعاً بين مخلبه ونابِهْ
كأني قد رضيت على الليالي ... وأسعدت الزمانَ على انقلابِهْ

---

(١) في الديوان المحقق ص٣٩٣: بدل: (ففرَّق): فقرَّب.
(٢) في الديوان المحقق ص٣٩٣: بدل: (نوى): ثوى، في الموضعين.
(٣) في الديوان المحقق ص٣٩٣: بدل: (فعض): فعفى.
(٤) في الديوان المحقق ص٣٩٣: (وجدت) بدل: (رأيت).

وما أنا وارتكاب الأمر حتى ... أرى ما خلفَهُ قبل ارتكابِهْ
أبا الفتح افتتحتَ الفضلَ لمَّا ... فككتَ[١] معذَّباً بك من عذابِهْ
أعيذُك أن يكون رضاكَ يعدو ... فتىً ما كان سُخْطُكَ في حسابِهْ
فقد سكَّنْتَ قلباً كاد مما ... حشدتَ عليه يخرج من إهابِهْ
وأطفأ بردُ وصلِكَ حَرَّ هجرٍ ... تلهَّبتِ الجوانحُ بالتهابِهْ
وكنتَ إذا مددْتَ لحسمِ أمرٍ ... يداً لم تأتِه من غير بابِهْ
بنفسي شيمةٌ لك لو أُبيحَت[٢] ... لدى ظمأٍ لكانت من شرابِهْ
كتبتُ ومن أحرِّ الشوق يوماً ... قسيماً ما يحن على كتابِهْ[٣]
ولي قلمٌ إذا كاتمت ما بي ... تبيَّن في انتحابي وانتحابِهْ

هذا ما وفّقنا لجمعه من شعر الصنوبري، ولا أعدم فاضلاً يأتي بعدنا له شغف بإحياء آثار الفضلاء، فيزيد على ما جمعناه، أو يظفر بتمام ديوانه، فينهض لنشره، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

---

(١) في الديوان المحقق ص٣٩٤: أرحت بدل: (فككت).
(٢) في الديوان المحقق ص٣٩٤: بدل: (أبيحت): أتيحت.
(٣) في الديوان المحقق ص٣٩٤: بدل: (أحر): أجن، وبدل: (يوماً): قدماً، وبدل: (يحن): يجن.

ديوان الغزّي (مخطوط)[١]

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزّي، الشاعر المجيد المتوفَّى سنة **٥٢٤**[٢]، كان له في عصره شهرة ذائعة وصيتٌ بعيد، عرف أدباء تلك العصور مكانته، واعترفوا بتفوّقه، وشهدوا ببراعته، وتناقلوا شعره في كثير من كتبهم، واستشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره ومعانيه البديعة، وحُسْن صناعته الشعريَّة.

وترجمه معاصروه وأهل قرنه، وأثْنَوا عليه، وأول هؤلاء على ما رأيته: الإمام الحافظ ابن عساكر المتوفّى سنة **٥٧١** في «تاريخه الكبير»، والإمام الأديب أبو البركات عبد الرحمن الأنباري في «نزهة الألبَّاء»، والعماد الكاتب المتوفّى سنة **٥٩٧** في «خريدته»، وتلا هؤلاء: ياقوت المتوفّى سنة **٦٢٦**، فقد نقل شيئاً من شعره في «معجم البلدان»، وابن الأثير المتوفّى سنة **٦٣٠** في تاريخه الكبير المعروف بـ«الكامل» والحافظ محب الدين ابن النجار المتوفَّى سنة **٦٤٣** في «تاريخ بغداد»، وابن خَلِّكان في «وَفَيَات الأعيان»،

(١) مجلة المجمع العلمي، الجزءان ٣ و ٤، المجلد الحادي والعشرون: (١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م).

(٢) ولد بغزة سنة ٤٤١هـ، ونشأ فيها، وتلقى تعليمه الأولي، وغادرها وهو في ريعان الشباب إلى دمشق، وتفقه على نصر المقدسي (ت ٤٩٠هـ)، وانتقل إلى بغداد، ودرس في النظامية، وتحول إلى خرسان، وأصفهان، أما وفاته فكانت بين مرو وبلخ من بلاد خراسان، ونقل إلى بلخ ودفن بها عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عاماً. وهو القائل:

لا تَعْجَبنَّ لمن أغناه عن أدبٍ جهلٌ فإن العمى يُغني عن السُّرُجِ
أخفاكَ مُكثُكَ في أرضٍ نشأتَ بها وليس يُعرَفُ قدر الدُّرِّ في اللُّجَجِ

وهو القائل أيضاً:

إنما هذه الحيـــاة متـــاعٌ والسفيه الغَويُّ من يصْطفيها
ما مضى فات والمؤمَّل غيبٌ ولك الساعة التي أنتَ فيها

وذكره من أهل القرن الثّامن: أبو الفداء في «تاريخه» المشهور، والحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، ومن أهل القرن الحادي عشر: ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب»، والأديب محمد العُرْضي الحلبي في «مجموعته الخطيّة».

ثناء الأدباء عليه وعلى شعره واستشهادهم به:

قال الأنباري في «النزهة»: وأما أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزّي فكان أحد الفضلاء، ومَنْ يُضْرَب به المثل في صنعة الشعر، ومحاسن شعره كثيرة، فمنها قوله:

إن يكرهوا نَظْمَ القريض فعُذْرُهم بادٍ كحاشية الرداء المعْلَمِ
هم مُحرِمون عن المناقب والعُلا والشّعر طِيْبٌ لا يَحلُّ لِمُحْرِمِ

ومنها قوله:

قالوا: تركت الشّعر، قلتُ: ضرورةً[١] بابُ الدَّواعي والبواعث مُغْلَقُ
لم يبقَ في الدّنيا كريمٌ يُرْتَجى[٢] منه النَّوالُ، ولا مليحٌ يُعْشَقُ
ومِن العجائب أنَّه لا يُشترى ويُخانُ فيه مع الكساد ويُسْرَقُ

ثم قال: وكان أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الطبري الأديب يقول ـ غير مرّة في المذاكرة ـ إذا استحسن شيئاً من شعر نفسه: هذا يشبه شعر الغزّي.

وقال ابن خَلِّكان في ترجمته: ذكره ابن النجّار في «تاريخ بغداد»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، والعماد الكاتب في «الخريدة» وأثنى عليه، وقال: إنه جاب البلاد وتغرّب، وأكثر النقل والحركات، وتَغلْغل في أقطار خراسان وكرمان، ولقي الناس، ومَدَح ناصر

(١) في ابن خلكان وديوانه: قالوا: هجرت... (الطباخ).

(٢) في ديوانه وأماكن متعدِّدة هكذا:
خَلَت الديار فلا كريمٌ يُرتجى (الطباخ).

الدين مُكْرَم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها ولقد أبدع فيه:

حملنا من الأيام ما لا نطيقُه ... كما حمل العَظْمُ الكسير العَصائبا

ومنها في قِصَر الليل وهو معنى لطيف:

وليلٍ رجونا أن يدبَّ عِذارُهُ ... فما اختطَّ حتى صار بالفجر شائبا

ثم قال: وله في القصائد والمطوَّلات كل بديع، ومن شعره وهو مما يستملحه الأدباء ويستظرفونه قوله من جملة قصيدة:

إشارةٌ منك تكفيني وأحسنُ ما ... رُدَّ السلام غَداةَ البَيْن بالعَنَمِ[1]
حتى إذا ضاع منها القرط[2] من دَهَشٍ ... وانحلَّ بالضمِّ سِلك العقد في الظُّلَمِ
تبسَّمَتْ فأضاءَ الليلُ فالتقطَتْ ... حبَّاتِ مُنتَثِرٍ في ضوء منتظمِ

وقال أبو الفداء في حوادث سنة **٥٢٤**: وفيها توفي إبراهيم بن عثمان الغزي، ومولده سنة **٤٤١**، وهو من الشعراء المجيدين، فمن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي أولها:

أمِطْ عن الدُّرَرِ الزُّهر اليواقيتا ... واجعل لحجِّ تلاقينا مواقيتا

ومنها:

في فتيةٍ من جيوش[3] الترك ما تركت ... للرعد كَرَّاتُهم[4] صوتاً ولا صيتا
قومٌ إذا قوبلوا كانوا ملائكةً ... حُسْناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

(١) العنم: شجر حجازي له ثمر أحمر، يشبَّه به البنان المخضوب.
(٢) هكذا في الأصل، وفي ديوان الغزي المحقق: حتى إذا طاح عنها المِرْط.
(٣) هكذا في الأصل، وفي ديوان الغزي المحقق: وفتيةٌ من كُماة الترك.
(٤) هكذا في الأصل، وفي ديوان الغزي المحقق ص**٤٥٢**: للرعد كبَّاتهم. جمع كَبَّة، وهي الدفعة في القتال، والحملة في الحرب.

وقال العماد الحنبلي في «الشذرات» في وَفَيات سنة **٥٢٤**: وفيها: أبو إسحاق الغزّي إبراهيم بن عثمان، شاعر العصر، وحامل لواء القريض، وشعره كثير، قاله الذهبي في «العبر».

وقد أكثر الصلاح الصفدي من الاستشهاد بشعره في مواضع كثيرة من شرحه للامية العجم، وجاء في آخر «معاهد التَّنصيص في شرح شواهد التلخيص» للعلامة عبد الرحيم العباسي في شرح قوله:

بقيتَ بقاءَ الدهر يا كهفَ أهْلِهِ ... وهذا دعاءٌ للبريَّة شاملُ[1]

البيت من الطويل، ونُسب لأبي العلاء المعري، ونسبه ابن فضل الله لأبي الطيب المتنبي، ولم أرَه في ديوان واحد منهما، والشاهد فيه حُسْن الانتهاء. انتهى.

أقول: البيت ليس لواحد من هذين، وهو لصاحبنا الغزّي، وهو موجود في ديوانه المخطوط الآتي ذكره، وهو آخر بيت من قصيدةٍ يمدح بها مُكْرَمَ بنَ العلاء[2] مطلعها:

قلوبُ الورى أشْراكُهُنَّ الشمائلُ ... وشُهْبُ العُلا أفْلاكُهُنَّ الفضائلُ

على أنَّ العباسي نفسه أنشد للغزّي بعد أسطر من هذا الباب قوله:

بقيتَ بقاءَ الدهر ما ذرَّ شارقٌ ... وغار جديدُ المكرَماتِ وأنْجَدا

(١) ديوان الغزي المحقق ص**٣٤٥**.
(٢) مكرم بن العلاء: أبو عبد الله، ناصر الدين، وزير كرمان، مدحه الغزي في أول ديوانه بقصيدته البائية التي مطلعها:
ورودُ ركايا الدمع يكفي الركائبا ... وشمُّ تراب الرَّبْع يشفي الترائبا
كما مدحه بأربع قصائد أخرى، هي في ديوانه: (**٢، ٣، ١١٧، ١٨٨**).

ديوانه:

في رحلتي إلى اللاذقية من نحو **١٥** عاماً، زرت نقيب أشرافها الفاضل الشيخ محمد محاسن الأزهري قاضي الموصل قديماً، فمن جملة ما وجدته في مكتبته القيمة نسخة مخطوطة من «معجم البلدان» لياقوت، ونسخة مخطوطة من «ديوان أبي إسحاق الغزي»، وقيّدت ذلك عندي.

ومنذ ثلاث سنوات حضر أحد أنجاله إلى حلب فأعربت له عن رغبتي في استنساخ هذا الديوان، فذكر ذلك لوالده فكان المُنْعِم المتفضّل بإعارته وإرساله مع ولده، وقد كتب قديماً على ظاهره بخطِّه الحسن: استنسخه الفقير محمد بن خالد بن خليل الأزهري الحسيني اللاذقي، النائب في مركز ولاية الموصل، عفا الله تعالى عنهم في **٢٢** محرم سنة **١٣١٨**، وتحت ذلك بخطّه ما نصّه:

«استنسخ ولم يقابل على الأصل لما فيه من التحريف والتصحيف»، فعلى هذا النسخة محررة في الموصل عن نسخة هناك، ويظهر أنها منقولة عن النسخة التي هي في مكتبة أمين بك بن أيوب بك الجليلي، وهي مكتبة خاصَّة ذكرها الدكتور الفاضل داود الجلبي في كتابه: «مخطوطات الموصل، وقال: إنَّ من جملتها ديوان أبي إسحاق الغزّي (تامّ محرّر سنة **٩٩٤**) ولم يذكر غيرها في مكتبات الموصل.

اشتغالي بهذا الديوان:

رتّبت هذا الديوان على حروف الأبجديَّة، ثم كلَّفت ناسخاً باستنساخه على مقتضى ترتيبي له، على ما فيه من تحريف وتصحيف، والقصد من ذلك: أن تسهل عليّ مقابلة ما أجده من شعره في ترجمته المذكورة في تواريخ متعدّدة، وما أعثر عليه في كتب الأدب، كشرح الصلاح الصفدي «للامية العجم»، فقد أكثر فيه من شعره، وكمجموعة مخطوطة عندي مخرومة الأول

والآخر للأديب الشيخ محمد العُرْضي الحلبي، فقد ذكر له سبع صحائف.

على أنَّ الغزّي وإن كان قد تُنوسي في القرون الأخيرة، فقد تَنبّه له في عصرنا هذا فاضلان جليلان، الأول: الشاعر الكبير السيد محمود سامي باشا البارودي المتوفى سنة **١٣٢٢**هـ، فإنه ذكر صاحبنا في «مختاراته» التي جمع فيها ما اختاره من شعر ثلاثين شاعراً من فحول الشعراء، سَرَدهم في خطبة كتابه، ذكر له في الجزء الأول في باب الأدب **١٢٥** بيتاً، وفي الجزء الثالث في باب المديح **٧٨٥** بيتاً، وفي الجزء الرابع **١٠٥**، المجموع **١٠١٥** بيتاً.

الثاني: صديقنا وزميلنا الفاضل الأديب الشيخ بهجة الأثري البغدادي، فقد كتب عنه مقالةً ضافيةً في مجلة «الزهراء» المصرية (ج٤ م٣) ربيع الثاني سنة **١٣٤٥**، أي: منذ تسعة عشر عاماً.

قال في مطلعها: منذ ثلاثة أعوام تقريباً، اطَّلعت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره، وعَلِقت منه في ذهني أبيات رقيقة، لم يكدْ يمحوها من صحيفة ذاكرتي كرّ الغداة ومرّ العشيّ، فكانت سبباً لإثارة البحث عن قائلها، ونشر صحيفته بعد أن طوتها يدُ الدهر منذ أزمان.

ثم بعد ترجمته التي نقلها عن ابن الأثير في «كامله» وعن ابن خَلِّكان قال: أما نسخة الديوان التي بيدنا فهي سقيمة الخطّ كثيرة الغلط، ولعلَّ عمرها لم يبلغ قرناً واحداً. وهنا علّق صديقنا الأديب الجليل السيد محبّ الدين الخطيب على هذه العبارة ما خلاصته:

«ونحن لإعجابنا بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع، بحثنا عن ديوان الغزي في القاهرة فوجدنا نسخة منه في خزانة علامتنا الجليل الأستاذ أحمد تيمور باشا، والنسخة كتبت سنة **١٢٧٦**هـ وصفحاتها **٢٢٣**وأسطر الصحيفة **٢٥**».

ثم ذكر السيد الأثري خطبة النسخة البغداديَّة للناظم، وقد جاء في آخرها: وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره ألف بيت، وكذلك يقول لنا ابن خَلِّكان: وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته أنه ألف بيت، والنسخة المصرية كما ترى تبلغ ٥٥٠٠ بيت، وقد جاء في خطبة النسخة التي نقلنا عنها نسختنا:

وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره نبذة خمسة آلاف بيت... إلخ، وهي في ١٦٥ صحيفة، كل صحيفة ٣٣ سطراً فيكون المجموع نحو ٥٥٠٠ بيت كالنسخة المصرية.

فعلى هذا تكون كلمة خمسة قد سقطت من تاريخ ابن خَلِّكان، ومن النسخة البغدادية.

على أنَّ السيد الأثري قال: وقد جَدَّ بنا الحرص على إحصاء أبيات نسختنا فإذا هي تنيف على (١٢٥٠) بيتاً. انتهىٰ.

ولعلّ الناظم أو غيره اقتضب من الديوان هذا المقدار، وعلى هذه النسخة اطّلع ابن خَلِّكان وغيره، وذكر أن ديوانه في ألف بيت، إن لم تكن كلمة خمسة قد سقطت من تاريخه، والنسخة الموصلية التي هي أمّ نسخة اللاذقية، والنسخة المصريَّة اتفقتا على أن ديوانه أزيد من خمسة آلاف بيت، ثم أورد السيد الأثري في مقالته سبع صحائف من شعره، ثم قال: وفي الجملة فإنَّ جلَّ هذا الديوان ـ لم أقل كلّه ـ دُرر وغُرر تشهد للغزّي بالبراعة في الصناعة، ولو لم يكن فيه سوى ما أزجيناه بين يديك من المقاطيع السحريَّة والأبيات السائرة لكفى.

فما في هذه المقالة من شعره، وما في مجموعة الأديب العُرْضي الحلبي، وما في «مختارات البارودي»، وما في «ترجمته» في عدّة مواضع، وما في «شرح لامية العجم»، وما في «المعجم» لياقوت، كلّ ذلك قابلته على النسخة التي استنسختها وصحّحتها

بقدر الإمكان، وذلك يقرب من نحو نصف الديوان، ووجدتُ له فيما تقدّم إحدى وثلاثين بيتاً لا وجود لها في نسختنا فأثبتها في الآخر، مع العزو إلى الكتاب الذي وجدت فيه.

وفي دار الكتب المصرية نسخة تحت رقم (١٢٢) في قسم الأدب بقطع الربع في (١٢١) ورقة، بخطّ معتدل إلى الجودة أقرب، وعلى حواشيه تفسيرات وتوضيحات تفيد أنَّ قارئه أو مالكه كان على علم باللغة والشعر، وخطّ الديوان واحد من أوله إلى آخره، بخط عمر بن محمد بن مشعل العلوي فرغ منه سنة ١٠٩٩[1].

ولإعادة النظر فيما صحّحناه ولتصحيح الباقي؛ نحتاج إلى النسخة المصرية ليكون هذا الديوان صالحاً للنشر، وليُستفاد من غُرَرِه ودُرَرِه[2].

محمد راغب الطباخ

---

(١) قال الدكتور عبد الرزاق حسين ـ في وصف هذه النسخة ـ: نسخت سنة ١٠١٩، وكتبه: عمر ابن شنبل البلوي.

(٢) حقق ديوان الغزِّي ـ على عشر نسخ خطية ـ الدكتور عبد الرزاق حسين، أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، في المملكة العربية السعودية، وقد جعله في قسمين: القسم الأول: عرَّف في الفصل الأول بالشاعر وعصره، وعرض في الفصل الثاني للشاعر والشعر والشاعرية، وخصص الفصل الثالث لأغراض وموضوعات شعره، وجلّى في الفصل الرابع والأخير بلاغة الغزي في جوانبها التصويرية والبيانية، وفي تألق المعاني لديه، وفي القسم الثاني تكلم عن مصادر شعره ومنهجه في التحقيق، ووصف مخطوطات الديوان العشرة التي اعتمد عليها، ثم أورد نص الديوان المحقق، وختمه بعمل الفهارس المتنوعة للشعر والأعلام والأماكن، ونشره في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث سنة ٢٠٠٨ في ٨٧٧ صفحة.

الفصل السادس

مقدِّمات الكتب التي حقّقها وقدَّم لها

١ ـ بيان السنة والجماعة، للطحاوي.

٢ ـ الطب النبوي، لابن القيم.

٣ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار، للحازمي.

٤ ـ السِّمط الثمين في مناقب أمَّهات المؤمنين، للمحب الطبري.

٥و٦ ـ كتاب الفراسة، لفيلمون الحكيم، ويليه: جُمَل أحكام الفِراسة.

٧ ـ السفينة النُّوحية في علم النفس والروح، للخويي.

٨و٩و١٠ ـ العقود الدريّة في الدواوين الحلبية، للجزري والنحاس ومصطفى البابي الحلبي.

١١ ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخَرزي.

١٢و١٣ ـ فضل الخيل للدمياطي، ويليه: رشحات المداد، للبخشي.

١٤و١٥ ـ علوم الحديث، لابن الصلاح. ومعه:
التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للعراقي.

١٦و١٧و١٨ ـ ثلاث رسائل حديثيَّة، لسِبْط ابن العجمي.

١٩و٢٠و٢١ ـ الأنوار الجليَّة في الأثبات الحلبيَّة.
منار الإسعاد، لعبد الرحمن الحنبلي.
إنالة الطالبين، لعبد الكريم الشراباتي.
كفاية الراوي والسامع، ليوسف الحسيني.

٢٢ ـ معالم السّنن، للخطابي.

٢٣ ـ الإفصاح عن معاني الصحاح، للوزير ابن هبيرة.

بيان السنة والجماعة

وهي

عقائد الإمام احمد بن جعفر الطحاوى الحنفي

المتوفى سنة ٣٢١

الطبعة الأولى

ناشرها ومصححها محمد راغب الطباخ الحلبي

عفي عنه

طبعت على نسختين خطيتين قديمتين

بالمطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٤

بيان السنة والجماعة

(ترجمة الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى)[١]

هو أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوي، الأزدي، الحنفي، المصري، إمامٌ جليلٌ، مشهورٌ في الآفاق ذكرُه، ولد سنة ٢٣٠[٢]، ومات سنة ٣٢١، وكان يقرأ على المزني الشافعي، وهو خاله، وكان الطحاويُّ يُكثِر النَّظَرَ في كُتُبِ أبي حنيفة، فقال له المزني: والله لا يجيء منك شيء، فغضب وانتقل من عنده، وتفقَّه على مذهب أبي حنيفة، وصار إماماً، فكان إذا درس أو أجاب في شيءٍ من المشكلات يقول: رحم الله خالي، لو كان حيّاً لكفَّر عن يمينه.

أخذ الفقه عن أبي جعفر أحمد[٣]، ولقيَ بالشام أبا خازم عبد الحميد قاضي القضاة[٤].

(١) أورد الطباخ هذه الترجمة المختصرة في آخر رسالة «بيان السنة والجماعة» للطحاوي، المتوفّى سنة (٣٢١) رحمه الله تعالى. وقد طبعت هذه الرسالة على نسختين خطيتين في المطبعة العلمية بحلب سنة، ١٣٤٤ في ١٦ صفحة، ولم يقدِّم لها بمقدمة. واقتصر على هذه الترجمة. بينما ما نشره قبل هذه الرسالة من آثار لم يقدم لها ولم يكتب ترجمة لأصحابها، ولهذا أوردتها في هذا الفصل.

(٢) الصواب: أن مولده في سنة ٢٣٩.

(٣) أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى الحنفي البغدادي، الفقيه المحدِّث الحافظ، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٥: ٣٣٦ لازمه أبو جعفر الطحاوي وتفقَّه به، وولي قضاء مصر مدة، وكان من بحور العلم، وتوفي سنة ٢٨٠ رحمه الله تعالى.

(٤) عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني البصري ثم البغدادي الحنفي، توفي ببغداد سنة ٢٩٢ رحمه الله تعالى.

وكان إماماً في الأحاديث والأخبار، وسمع الحديث من كثير من المصريين والغرباء إلى مصر.

وله تصانيف جليلة معتبرة، منها: «أحكام القرآن»، وكتاب «معاني الآثار» [وهو مطبوع في الهند]، و«مُشكِل الآثار»، و«المختصر»، و«شرح الجامع الكبير»، و«شرح الجامع الصغير»، وكتاب «الشروط الكبير»، و«الصغير»، و«الأوسط»، و«المحاضر والسجلات»، و«الوصايا»، و«الفرائض»، وكتاب «مناقب أبي حنيفة»، و«تاريخ كبير»، و«النوادر الفقهية»، و«الردّ على أبي عُبيد فيما أخطأ في اختلاف النسب»، و«الردّ على عيسى بن أبان»، و«حكم أراضي مكة»، و«قسم الفيء والغنائم» وغير ذلك.

والطحاوي نسبة إلى طحية[١]؛ قرية بصعيد مصر.

وقد ذكره السيوطي في «حسن المحاضرة» في حفّاظ الحديث، وقال: كان ثقةً ثبتاً فقيهاً لم يخلِّف بعدَه مثلَه، انتهت إليه رياسة الحنفيَّة بمصر. اهـ. ملخصاً من «الفوائد البهية في تراجم الحنفية».

* * *

(١) نقل اللكنوي عن أنساب السمعاني: أن الطحاوي نسبة إلى طحا ـ بفتح الطاء المهملة والحاء المهملة ـ قرية بأسفل أرض مصر.
وقد اشتهر عن الإمام الطحاوي أنه من أهل (طحا): كورة بمصر، والصحيح أنه من قرية (طحطوط): قرية قريبة من (طحا)، لكنه نُسب إلى (طحا)!



كتاب

الطب النبوي

تأليف الشيخ الأمام العالم العلامة ابي عبد الله

محمد بن ابي بكر بن ايوب المعروف بابن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١

رحمه الله تعالى ١٧٢٥

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٦ هجرية و١٩٢٧ ميلادية

طبع في المطبعة العلمية بحلب

على نفقة محمد راغب الطباخ الحلبي

حقوق الطبع محفوظة له

الطب النبوي، لابن القيم(١)

كلمة الناشر

في أثناء بحثي عن البقية الباقية من المخطوطات النفيسة في مكاتب حلب الشهباء، عثرت في مكتبة المدرسة الحلوية على كتاب قديم الخط، يرجع عهد كتابته إلى القرن الثامن أو التاسع، كُتب عليه: (كتاب الطب النبوي)، للشيخ الإمام العالم العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة.

وبعد أن أَجَلْتُ النظر في عدّة مواضع منه، وجدته قد تكلم عن هدي النبي ﷺ في الطب الذي تطبَّب به، ووصفه لغيره، وذكر ما وَرَدَ من الأحاديث النبوية التي تتعلق بالأمراض والعلاجات ومنافع النباتات ومضارها، وبيَّن صحيح هذه الأحاديث وحسنها وضعيفها وموضوعها، وما هنالك من الفوائد الجليلة والحكمة الباهرة؛ بحيث إذا كنت واسع الاطلاع في صناعة الطبابة، آخذاً منها بحظٍّ وافر، ومن الواقفين على أقوال أطباء الغرب ونظريتهم فيها، تجد أن النبيَّ ﷺ قد سبقهم إلى هذه الأقوال قبل أربعة عشر قرناً، وأتى بما يبهر العقول، وتعجز عن دركه البصائر المستنيرة، ولا غرابة في ذلك؛ لأنها خرجت من قلب تلألأت فيه أنوار النبوَّة، وتفجَّرت منه ينابيع الحكمة، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

---

(١) طبع في المطبعة العلمية سنة: (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) في ٢٧٩ صفحة.

أودع المؤلف فيه من الأبحاث الهامة التي تتعلق بالطب ما يهمُّ الكثير من الناس الوقوف عليها، ومن الآراء والنظريات ما يخال القارئ لها والمتدبر لمعانيها أنَّ مؤلفه من حُذَّاق أطباء هذا العصر، المتضلِّعين في أسرار هذا الفن، وتراه إذا تكلم في بحث أشبع المقال فيه، ورفع اللثام عن حقائقه، واستخرج كنوز دقائقه، وأتى من الأدلة الناصعة والبراهين الواضحة القاطعة بما يشفي النفوس ويروي الغليل شأنه في كل مؤلفاته.

وترى في الآراء التي بيَّنها والعلل التي أوردها، أنه قد وافق ما عليه أطباء الغرب في هذا العصر، أو أتى بما هو قريب من آرائهم التي عوَّلوا عليها، وهناك تجلّى لك أن المؤلف كان من أعاظم الأطباء كما كان من أكابر العلماء، وعند ذلك تعلم علم اليقين أن العرب هم أساتذة الغرب حقاً، وأن لهم الفضل الكبير عليهم في نشر العلم في ربوعهم.

وبعد أن تصفَّحت الكتاب تذكَّرت أن هذه الفصول ذكرها المؤلف ضمن كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» الذي طبع في مصر سنة **١٣٢٤** في مجلدين ضخمين، ولما قابلت بين هذا الكتاب وبين الفصول التي ذكرها في الجزء الثاني منه، وجدتها بعينها بدون زيادة ولا نقص، فتبيَّن أن بعض الناس جرَّد هذه الفصول من هذا الكتاب في كتاب على حدة؛ إذ لا ذكر له في ترجمة المؤلف، وكذلك لم يذكره صاحب «كشف الظنون» في كلامه على علم طب النبي ﷺ.

ومن يقرأ في فهارس الكتب اسم «زاد المعاد في هدي خير العباد» أو يطَّلع عليه ويقرأ البعض منه، يظنه كتاباً في السيرة النبوية لا غير، ولا يخطر له أن به فصولاً طوالاً في الطب النبوي، وأسرار هذا الفن والحكمة البالغة التي فيه، فلا يوجِّه نظره إليها، إذ ليست المقصودة بالذات من هذا الكتاب، فلذا كانت هذه الفصول البديعة والأبحاث الهامة مهملة فيه قلَّ من يهتدي إليها، وحُرِمَ الكثير من الوقوف عليها والاقتباس من

فوائدها، فوقع في خاطري ضرورة نشر هذا الكتاب على حِدَة كما فعل ذلك الناسخ لِتُستخرج كنوزه، وتُلتقط فرائده، وتعمّ فوائده.

ورأيت قبل أن أعوِّل على ذلك أن أُطْلع على هذا الكتاب بعض أرباب هذا الفن، وآخذ رأيه فيه؛ لأنَّ ربَّ البيت أدرى، فأرسلتُه إلى الطبيب الشاعر السيد علي الناصر، فبعد أن أمعن النظر في أبحاثه؛ أرسل لي بالكتاب الآتي، المفيد[1] لاستحسانه

---

(١) قد تكرّم.............. الشيخ راغب الطباخ وأرسل إليَّ كتاب «الطب النبوي» لابن القيم قبل طبعه لأُبيِّن فكري فيه قبل النشر، فوجدته مفيداً من عدة وجوه:
الأول: لأنه مضى على تأليفه ما ينوف عن ست مئة سنة، فيمكن بواسطته درك ما وصل إليه الطب العربي في ذلك التاريخ، ومقايسته بالطب الحاضر، ولا يخفى ما لهذه المقايسة من فوائد كثيرة تفيد مَن يهمه أمر الطب.
الثاني: أمر المصطلحات الطبية، فقد وجدت فيه كثيراً منها بغاية الفائدة، لسهولتها واختصارها؛ كلٌّ يعلم ما نكابده من المشاق في انتقاء الألفاظ والمصطلحات الطبية في الزمن الحاضر، لأننا أهملنا كل الإهمال ما خلفه لنا السلف من التراث المفيد، وارتمينا في أحضان الغرب نُعرّب اللفظة الأجنبية المنحوتة من اللاتيني ببضع كلمات لجهلنا طرق الاستفادة من النحت والتركيب في لغاتنا، فأصبحت لغة الطب عندنا مشوهة لا عربية ولا أعجمية.
الثالث: فائدته الطبية، لا جرم أن من يتمعن في هذا الكتاب يجد فيه قواعد وأساسات قيمة في علم حفظ الصحة، فهو كتاب حفظ صحة أكثر مما هو كتاب طب، فمطلب الاستحمام والرياضة والغذاء والتوقِّي من الأمراض السارية إلخ كلها تقرب كثيراً مما وصلت إليه الطبابة الحديثة.
انظر ماذا أتى بخصوص عدوى الطاعون، فقد قال عليه السلام: (إذا وقع الطاعون في بلد وأنتم فيه فلا تخرجوا منه، وإذا كان ببلد فلا تدخلوه)، فهل الحجر الصحي المعروف الآن والمتَّبع في المحلات الموبوءة يخالف ذلك في شيء؟ فمنع الخروج من المحل الموبوء هو لئلا ينتشر الوباء بواسطة الخارجين منه، ومنع الدخول إليه لئلا يَسْري إلى الأصحَّاء القادمين عليه.
وقد شرح شرحاً وافياً مسألة التداوي بالأشياء المفردة، والتدرج منها إلى المركَّبة إذا =

وجدارته بالنشر لعدة أسباب، فقوَّى ذلك همَّتي وصحّت حينئذ عزيمتي على طبعه،

= اقتضت الظروف، فهو ينحي باللائمة على الأطباء الذين يبذرون باستعمال الأدوية المركبة كما يسمى عندنا بالبوليفارماسي (polhparmce)، ويصرّ كل الإصرار بخصوص تشخيص الأمراض وتحرِّي عواملها، وهذه لَعَمْر الحق أساس الفلسفة الطبية العصرية.

وقد أخذني العجب من صحة تعريف المعدة القائل: (المعدة عضو عصبي مجوف كالقَرعة في شكله، مركَّب من ثلاث طبقات، مؤلفة من دقيقة عصبية تسمى الليف، ويحيط بها لحم، وليف إحدى الطبقات بالطول، والأخرى بالعرض، والثالثة بالوراب، وفم المعدة أكثر عصباً وقعرها أكثر لحماً وفي باطنها خمل....).

هكذا نجد في هذا الكتاب كثيراً من الأمور التي تفيد محبِّي البحث والتنقيب، وإنني قبل انتهائي من هذه الكلمة الوجيزة أرى من الواجب أن أنبه القراء لمطالب فيه يقتضي تركها لخلوها من الفائدة، وللضرر الذي ينجم عن السير عليها بمقتضى الطب الحديث، منها:

القيء: يذكر الكتاب أن القيء من الدواء، ويذكر أوقاته إلى غير ذلك. والحقيقة أن القيء لا يستعمل إلا في الأطفال المصابين بآفات رئوية، يستعمل لإفراغ البلغم إذ لا يحسن الطفل إفراغه لوحده.

الحجامة: فهي مما تُرك بتاتاً وليس لها أقل استطباب، اللهم إلا في آفات القلب المترقية حينما لا يستطيع القلب حمل الكتلة الدموية، وأننا نستعيض عنها بأخذ الدم رأساً من الوريد وبصورة فنية.

الكي: ليس له وجه استطباب إلا في بعض الحالات المَرَضية النادرة، ولا يستعمل كما كان يستعمل في الزمن الغابر.

هذا وإنني لا أنكر مفعول الاعتقادات في بعض الحالات العصبية بعد أن ثبت حديثاً مفعولها الحسن في الهيتريا.

وما ورد من المطالب في هذا الكتاب كالرقية والتعويذات والتوكل تفيد من هذا القبيل إن لم يُسأ استعمالها، وبعد أن يتداوى المريض بحسب ما يقتضيه الفن، ومن ينكر أن في التوكل والاستكانة شيئاً يريح الضمير، ويخفف من الآلام!!

وصفوة القول: أن كتاب «الطب النبوي» كتاب جليل جدير بالطبع لتعم الاستفادة منه، والله من وراء القصد.

الطبيب علي الناصر

فشرعت في ذلك بعد الاتكال على الله ذي الجلال، مستمداً من الله تعالى العون، والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) قال الشيخ راغب في آخر الكتاب: «تمَّ بتوفيقه تعالى طبع هذا السفر الجليل، وهو كتاب «الطب النبوي» في مطبعتي العلمية في مدينة حلب، في السادس والعشرين من شهر صفر سنة ألف وثلاث مئة وستة وأربعين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية. ولم آل جهداً في تصحيحه على النسختين المطبوعة والخطية، وهما لم تَخْلُوَا من الغلط والتحريف، فما كان غلطاً في هذه صحح على تلك مع مراجعة كتب اللغة والحديث، فجاءت هذه النسخة أصح من النسختين بحيث تكاد تكون خالية من الغلط، إلا الخطأ المطبعيّ، وهو قليل جداً، ومُدْرَك لمن رزق حظاً من الفهم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».



كتاب

الاعتبار

في الناسخ والمنسوخ

من

الأخبار

تأليف العلامة الحافظ الشهير ابي بكر محمد بن موسى
الحازمي الهمداني المتوفى سنة ٥٨٤ رحمه الله تعالى

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٦ هجرية و١٩٢٧ ميلادية

طبعه على نفقته وصححه محمد راغب الطباخ الحلبي
في مطبعته العلمية بحلب

حقوق الطبع محفوظة له

الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار[1]

للعلامة الحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني

المتوفى سنة ٥٨٤ رحمه الله تعالى

كلمة للناشر

مضى على الطباعة العربية في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية والغربية؛ أزيد من مئتي عام، وإلى الآن لم يظهر لعالم المطبوعات في علم ناسخ الحديث ومنسوخه ـ مع ما في هذا العلم من الأهمية ـ سوى كتابين:

أحدهما: للإمام الحافظ ابن الجوزي، وهو موجز جداً في سبع صحائف، لا يفي بالمرام في هذا المقام.

والثاني: كتاب «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار»؛ للعلامة الحافظ الشهير أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني رحمه الله، وهو كتاب جليل في هذا الفن، وكان قد طُبع في مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الواقعة في حيدرآباد ـ الدكن (بالهند)، عاصمة مملكة دولة النظام سنة ١٣١٩، وقالت في الإعلان عنه: «إن المؤلّف أورد في مقدِّمة الكتاب أصولَ هذا الفنّ إجمالاً، ثم عقّبها بذكر الأحاديث المنسوخة على ترتيب أبواب الفقه، مع إيضاح النّسخ، وبيان وجوهه»، وهو في مجلد واحد، صفحاته ٢٤٨.

(١) طبعه وصحَّحه محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م.

طُبع هذا الكتاب ثمة عن نسخة منقولة عن نسخة أخرى، ومصحَّحة على نسختين أُخرَيَين؛ كما ذكر في خاتمة الطبع، ولم أجد مِن نُسخ هذا الكتاب المخطوط ـ فيما اطلعت عليه من الفهارس ـ سوى: نسخة في البلاد الأندلسية (أسبانيا)، ذكرها العلّامة البحَّاثة الشيخ محمد محمود الشنقيطي في «تذكرته» التي ذكر فيها نوادر المخطوطات ونفائس الكتب في أسبانيا، وعبارته عن الكتاب (٣١٤): كتاب «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ....»، وهو كتاب جليل القدر، قديم الخط، يُحتاج إليه. اهـ.

ونسخة عثرتُ عليها سنة **١٣٤٥**، في مكتبة المدرسة العثمانية في مدينة حلب، بينما كنتُ أنقِّب عن البقية الباقية من نفائس المخطوطات فيها، وهي محرَّرة سنة **٦٣٢**، بخط محمد بن أحمد بن أبي بكر بن خليل البكري المزدقاني بمدينة السلام، بغداد في ١٧٧ ورقة، وهي حسنة الخطّ، مضبوطة بالشَّكْل.

وعليها في آخرها خطّ الحافظ محمد بن سعيد بن يحيى بن علي الدبيثي، تلميذ المصنف[1]، ذاكراً بذلك سماع الكتاب عليه، وهذا نصُّ ما كتبه:

[١] قرأ عليَّ جميع هذا الكتاب صاحبه الشيخ الأجلّ العالم.... [٢] تاج الإسلام، فخر العلماء، أبو العباس أحمد بن عبد المحسن بن [٣] أبي العباس بن محمد بن علي الحسيني الغرّافي نفعه الله بالعلم [٤] فسمعهُ ولده النجيب تاج الدّين أبو الحسن علي أنشاه [٥] الله نُشوّاً صالحاً، ورَوَيْتُه لهما عن مصنِّفه الشيخ الحافظ [٦] أبي بكر محمد ابن موسى الحازمي رحمة الله عليه، وصحَّ لهما ذلك [٧] في شهر رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وست مئة وكتب: محمد [٨] بن سعيد بن يحيى بن علي بن الدبيثي، حامداً لله على نِعَمِه، مُصلّياً [٩] على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين، ومسلِّماً كثيراً كثيراً. اهـ.

(١) ترجمة العلّامة السبكي في الجزء الخامس من «طبقاته»، وقال: إن وفاته كانت سنة ٦٣٧. (منه).

وهناك على هامش الصحيفة الأخيرة ما خلاصته: «سمع جميع هذا الكتاب «الناسخ والمنسوخ في الحديث» على السيد الشريف الفقيه الإمام المحدِّث عليّ بن أبي العباس أحمد بن المحسن الغرّافي ـ أبقاه الله ـ بسماعه فيه أصلاً ببغداد؛ على الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن الدبيثي ـ رحمه الله ـ بسماعه من مؤلِّفه المذكور؛ بقراءة الفقيه العالم محيي الدين أبي الوفا كامل بن عبد العزيز بن محمد، [ثم ذكر أشخاصاً آخرين سَمِعوه منه إلى أن قال]: والعبد الفقير إلى الله تعالى: محمد ابن فتوح بن أبي.... بن يوسف الصفوي، والخط له عفا الله عنه»، [ثم ذكر أشخاصاً آخرين منهم مَن سمعه جميعه، ومنهم مَن سمع بعضه، وهناك في الحاشية تصحيحٌ لهؤلاء السامعين وإجازة لهم ونصّها:

«صحَّ لهم السّماع والإجازة كما ذكر وفّقهم الله وَسَدَّدهم، وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن أحمد بن عبد المحسن بن أبي العباس بن محمد بن الحسن الغرافي الحسيني رحمهم الله تعالى حامداً لله تعالى، ومُصلّياً على خير خلقه محمدٍ نبيّه وعبدِه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومسلِّماً». اهـ.

ويجدر أن أُورِد هنا ما ذكره أئمة هذا العلم، ومقدار عناية السَّلف الصالح به، وأذكر بعد ذلك ترجمة الإمام الحازمي، مؤلِّف هذا الكتاب الجليل.

قال ابن الصلاح في مقدمته في «علوم الحديث»: النوع الرابع والثلاثون: معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه: هذا فنٌّ مهم مستَصعَب، رُوِّينا عن الزهري رضي الله عنه أنه قال: أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يَعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ، وكان للشافعيّ رضي الله عنه فيه يدٌ طُولى وسابقة أولى.

روينا عن محمد بن مسلم بن وارة ـ أحد أئمة الحديث ـ أنَّ أحمد بن حنبل قال له ـ وقد قَدِمَ من مصر ـ: كتبتَ كتب الشافعي؟ قال: لا، قال: فرّطت. ما علمنا المجمَل

من المفسَّر، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي، ثم ساق أحاديث من هذا النوّع.

وقال في «التقريب» للإمام النووي، وشرحه «التدريب» للحافظ السيوطي رحمهما الله تعالى: «النوع الرابع والثلاثون: ناسخ الحديث ومنسوخه؛ وهو فنٌّ مهمّ، فقد مرَّ عليٌّ على قاضٍ، فقال: تعرفُ النّاسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، فقال: هلكتَ وأهلكتَ، أسنَدَهُ الحازمي في كتابه، وأسنده نحوه عن ابن عباس، وأسند عن حذيفة أنه سئل عن شيء فقال: إنما نعني مَن عرف الناسخ من المنسوخ، قالوا: ومَن يعرف ذلك؟ قال: عمر، [ثم قال]: وكان للشافعي فيه يدٌ طُولى، وسابقة أُولى، فقد قال الإمام محمد[1] لابن وارة ـ وقد قَدِم من مصر ـ: كَتَبْتَ كُتُبَ الشافعي؟ قال: لا، قال: فرّطت، ما علمنا الـمُجْمَل من المفسَّر، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي.

وقال العلامة ابن خلدون في «مقدمته»: «وأما علوم الحديث فهي كثيرةٌ متنوعة؛ لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، وذلك لما ثبت في شريعتنا من جواز النّسخ ووقوعه؛ لطفاً من الله بعباده، وتخفيفاً عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفَّل لهم بها، قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، فإذا تعارض الخبران بالنّفي والإثبات، وتعذَّر الجمع بينهما ببعض التّأويل، وعُلِمَ تَقَدُّم أحدهما؛ تعيَّن أنَّ المتأخِّر ناسخ.

ومعرفة النَّاسخ والمنسوخ من أهمِّ علوم الحديث وأصعبها، قال الزّهري: أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه، وكان للشافعيِّ رضي الله عنه فيه قَدَمٌ راسخة». اهـ.

(١) هكذا في المطبوع، وقد تقدّم أنه الإمام أحمد بن حنبل. (منه).

وقال في «كشف الظّنون» في الكلام عن علم الحديث بعد كلام طويل: «إنَّ معرفة التواتر والآحاد والناسخ والمنسوخ؛ وإنْ تعلَّقت بعلم الحديث؛ فإنَّ المحدِّث لا يفتقر إليه؛ لأنَّ ذلك من وظيفة الفقيه؛ لأنه يستنبط الأحكام من الأحاديث؛ فيحتاج إلى معرفة التواتر والآحاد والناسخ والمنسوخ، فأما المحدِّث فوظيفتُه أن يَنقل ما سمعه من الأحاديث كما سمعه؛ فإن تصدَّى لما رواه فزيادة في الفضل». اهـ.

(ذِكر مَن أَلَّف في هذا العلم)

قال في «كشف الظنون»: [ناسخ الحديث ومنسوخه]، أَلَّف فيه جَمْعٌ كثير؛ منهم:

أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبي النَّحوي، المتوفَّى سنة **٣٤٠** أربعين وثلاث مئة.

وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيباني، أحد أصحاب ابن كَيْسان، المتوفّى سنة [لم يذكر].

وأحمد بن إسحاق الأنباري، المتوفَّى سنة **٣١٨** ثمان عشرة وثلاث مئة.

وأبو جعفر أحمد بن محمد النَّحّاس النحوي[1]، المتوفَّى سنة **٣٣٨** ثمان وثلاثين وثلاث مئة.

وأبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني، المتوفَّى سنة **٥٨٤** أربع وثمانين وخمس مئة.

وأبو القاسم هبة الله بن سلامة النَّحوي، المتوفَّى سنة **٤١٠** عشرة وأربع مئة[2].

وأبو حفص عمر بن شاهين البغدادي الواعظ، المتوفَّى سنة **٣٨٥** خمسة وثمانين وثلاث مئة.

(١) كتابه في «ناسخ القرآن ومنسوخه» لا في الحديث النبوي.

(٢) وكتابه في «الناسخ والمنسوخ في القرآن» وهو جزء صغير، لا صلة له بالحديث.

وقد اختصر كتابَ ابنِ شاهين إبراهيمُ بن عليّ المعروف بابن عبد الحق في مجلد، وتوفي سنة **٧٤٤**، أربع وأربعين وسبع مئة.

وللإمام: عبد الكريم بن هوازن القشيري، المتوفَّى سنة **٤٦٥** فيه كتاب.

وألَّف محمد بن بحر الأصبهاني المتوفى سنة **٣٢٢** اثنين وعشرين وثلاث مئة فيه كتاباً أيضاً. اهـ.

(ترجمة المؤلِّف رحمه الله تعالى)

قال العلَّامة ابن خلِّكان في تاريخه «وفيات الأعيان»: «أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن حازم، الحازمي الهمداني الملقب زين الدِّين، أحد الحفَّاظ الـمُتقِنِين الصّالحين، حفظ القرآن الكريم، وحضر بهمذان أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السِّجزيّ، وسمع بها من أبي منصور شَهْرَدار بن شِيْرَوَيه الدَّيلَميّ، وأبي زُرعة طاهر بن محمد المقدسي، وأبي العلاء الحسن بن أحمد الحافظ، وجماعة كثيرة.

وتفقَّه ببغداد على الشيخ جمال الدين واثق بن فضلان وغيره.

وسمع الحديث ببغداد من أبي الحسين عبد الحق، وأبي نصر عبد الرحيم ابني عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي الفتح عبيد الله بن شاتيل وغيرهم.

ثم عني بنفسه، فارتحل في طلبه إلى عدَّة بلاد من العراق، ثم إلى الشام والموصل، وبلاد فارس وأصبهان وهمذان، وكثيرٍ من بلاد آذربيجان، وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد، وغلب عليه الحديث، وبرع فيه، واشتهر به، وصنَّف فيه وفي غيره كتباً مفيدة؛ منها: «الناسخ والمنسوخ» في الحديث [وهو هذا]، وكتاب «الفيصل في مشتبه النسبة»، وكتاب «العجالة في النَّسب»، وكتاب «ما اتفق لفظه وافترق معناه[1]» في الأماكن

(١) هكذا في الأصل، والصواب: مسماه.

والبلدان المشتبهة في الخط. وكتاب «سلسلة الذَّهب فيما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام الشافعي»، و«شروط الأئمة»، وغير ذلك من الكتب النافعة.

واستوطن بغداد، وسكن بالجانب الشرقي، ولم يزل مواظب الاشتغال، ملازم الخير، إلى أن اخترمته المنيّة وغصن شبابه نضير، وذلك في ليلة الإثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى، سنة أربع وثمانين وخمس مئة، بمدينة بغداد، ودفن في المقبرة الشونيزية إلى جانب سمنون بن حمزة، مقابل قبر الجنيد رضي الله عنه بعد أن صلَّى عليه خلقٌ كثير، برحبة جامع القصر، وحُمل إلى الجانب الغربي فصُلّي عليه مرة أخرى، وفرّق كتبَه على أصحاب الحديث.

وكانت ولادته في سنة ثمان ـ أو تسع ـ وأربعين وخمس مئة بطريق همذان، وحُمِلَ إليها، ونشأ بها رحمه الله تعالى. والحَازِمي ـ بفتح الحاء المهملة، وبعد الألف زاي مكسورة، وبعدها ميم ـ هذه النسبة إلى جدِّه حازم المذكور». اهـ.

وترجمه العلَّامة السبكي رحمه الله في «طبقات الشّافعية»، فقال: «رحل إلى بغداد والموصل، وواسط والبصرة وأصبهان، والجزيرة والحجاز، فسمع مَن خلقٍ منهم: خطيب الموصل أبو الفضل، وأبو موسى المديني الحافظ، وله إجازة من السِّلفي، وابن السمعاني، وأبي عبد الله الرستمي.

وروى عنه أبو عبد الله الدبيثي، وابن أبي جعفر، والتقي علي بن ماسويه المقرئ، وغيرهم.

قال ابن الزيني[1]: قدم بغداد عند بلوغه، واستوطنها وتفقَّه بها على المذهب الشافعي، وجالس علماءها، وتميَّز وفهِم، وصار من أحفظ النّاس للحديث وأسانيده ورجاله، مع زهد وتعبُّد ورياضة وذِكر.

(١) هكذا في الأصل، والصواب: ابن الدبيثي.

وصنَّف في علم الحديث مُصنَّفات، وأملى عدَّة مجالس.

قال: وكان يغلب عليه معرفة أحاديث الأحكام، وأملى طرق الحديث التي في كتاب «المهذّب» للشيخ أبي إسحاق، وأسندها ولم يتمهَّل.

وقال ابن النجار: وكان من أئمة الحفّاظ العالمين بفقه الحديث ومعانيه ورجاله، ألَّف «الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «عجائب[1] المبتدئ في الأنساب»، و«المؤتلف والمختلف في البلدان».

قال: وكان ثقةً، حُجَّةً، نبيلاً، زاهداً، ورعاً، ملازماً للخلوة والتّصنيف، ونشر العلم، أدركه أجَلُّهُ شابّاً. اهـ.

وعلى ظاهر النسخة الهندية ترجمته نقلاً عن «طبقات الحفّاظ» للإمام الذهبي، وهي نحو ما هنا، وقال في آخرها: «وكان الحافظ أبو موسى يُفضِّلُه على عبد الغني المقدسي، ويقول: ما رأيت شاباً أحفظ منه». اهـ.

وكتاب «الفيصل في مُشتبه النسبة»[2] منه نسخة في المكتبة الظاهرية في دمشق، في قسم الحديث، ورقمه (٥٣٠).

وكتابه: «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي» موجود في المكتبة الأحمدية في حلب، في قسم كتب اللغة، ضمن مجموع رقمه ٨٨٢، وهو في ٣٢ ورقة، راويه تقيُّ الدِّين علي ابن أبي الفتح بن ماسويه الواسطي، محرر سنة ٦٣٢.

وله من التصانيف كتاب «معرفة ما يجب للشيوخ على الشباب»، رأيتهُ صدفة في «كشف الظنون»، ولعلَّ مَن تَتَبعَ «الكشف» يرى له غير ذلك من المؤلَّفات رحمه الله تعالى.

---

(١) سيأتي اسمه صحيحاً: «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي».

(٢) حققه سعود بن عبد الله المطيري، ونشر في مكتبة الرشد في مجلدين، سنة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

ويَظهر أن المطبوع من هذا الكتاب قد نَفَدَ منذ مدَّة، وأصبح نادرَ الوجود، وقد طلبتُه من مصر من مكاتب متعدِّدة؛ فبعد الجهد حتى استحصل لي على نسخة، فدعاني ذلك أن استنسخْتُ هذا الكتاب عن النسخة الموجودة في مكتبة المدرسة العثمانية، وبعد أن قابلته على الأصل عَزَمتُ على طبعه وتصحيحه على هاتين النّسختين، متوكِّلاً على الله، مستمداً منه التوفيق والتيسير[1].

الناشر

محمد راغب الطباخ

❊ ❊ ❊

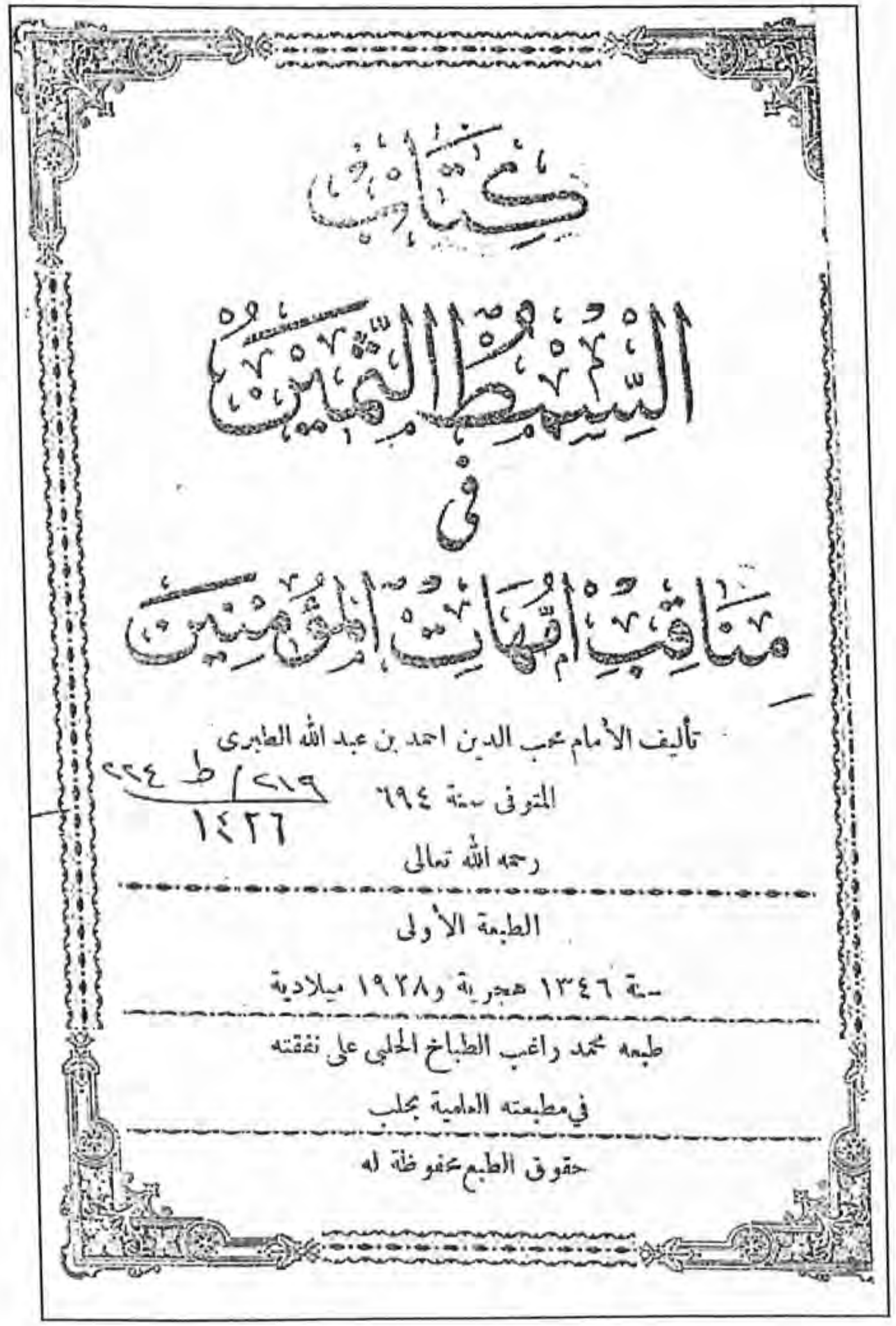
---

(١) قال العلامة الطباخ في آخر النسخة المطبوعة: تم بتوفيقه تعالى طبع كتاب «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني، في مطبعتي العلمية في مدينة حلب، في العشرين من شهر رجب، سنة ألف وثلاث مئة وستة وأربعين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل السلام وأتم التحية.

ولم آلُ جهداً في تصحيحه على النّسختين المطبوعة والخطيّة، مع الإشارة في الذَّيل إلى الاختلاف بينهما إلى ما ترجَّح لديَّ صحَّته، وهما لم تخلوا من الغلط، فراجعتُ لذلك كتب الحديث وأسماء الرجال، فبرزت هذه الطبعة متحلِّية بمحاسن الطبع، رافلةً ببرود الصحة، بحيث تكاد تكون خاليةً من الغلط، إلا الخطأ المطبعي، وهو قليل جداً، ومُدْرَك لمن رُزِقَ حظاً من الفَهم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب».

ناشره ومصححه

محمد راغب الطباخ


كتاب
السمط الثمين
في
مناقب أمهات المؤمنين
تأليف الامام محب الدين احمد بن عبد الله الطبري
المتوفى سنة ٦٩٤
رحمه الله تعالى
الطبعة الأولى
سنة ١٣٤٦ هجرية و١٩٢٨ ميلادية
طبعه محمد راغب الطباخ الحلبي على نفقته
في مطبعته العلمية بحلب
حقوق الطبع محفوظة له

السِّمْط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين(١)

للإمام محبّ الدّين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفَّى سنة ٦٩٤

[ترجمة المؤلف]

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الحافظ أبو العباس محبّ الدّين الطبري، ثم المكي، شيخ الحرم وحافظ الحجاز بلا مدافع، مولده سنة عشر وست مئة في جمادى الآخرة، سمع ابن القيروان وابن الجُمَّيزي وغيرهما.

روى عنه البرزالي وغيره، وتفقّه بقُوص على الشيخ مجد الدّين القشيري، والد شيخ الإسلام تقيّ الدّين، وصنَّف التّصانيف الجيدة، منها في الحديث: «الأحكام» الكتاب المشهور المبسوط، دلَّ على فضل كبير، وله مختصر في الحديث أيضاً رتَّبه على أبواب التّنبيه، وله كتاب في فضل مكة حافل، وله شرح على التنبيه مبسوط، فيه علم كثير.

استدعاه المظفّر صاحب اليمن ليسمع عليه الحديث؛ فتوجَّه إليه من مكّة، وأقام عنده مدَّة، وفي تلك المدّة نظم قصيدة يتشوَّق إلى مكّة منها.

مريضكَ من صُدودكَ لا يعادُ ... بـه ألـمٌ لـغـيرك لا يـعـادُ
وقـد أَلِـفَ التـدواي بالتـداني ... فهـل أيـام وصلكُـمُ تعادُ

(١) الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م، في المطبعة العلمية بحلب.

ومنها:

لحـا الله العـواذلَ كـم ألحُّـوا   وكم عذلـوا فما أُصغـي وعادوا
ولو لمحوا مـن الأحباب معنى   لمـا أبـدَوا هنـاك ولا أعـادوا

ومنها:

أريـد وصالها وتـريـدُ بعدي   فـما أشـقـى مـريـداً لا يُـرادُ

وهي طويلةٌ خـمَّسها بعض الأدباء لاستحسانه لها. اهـ. «طبقات الشافعية» للسبكي.

إنَّ هذا الكتاب لم يذكر في ترجمته هنا، وقد ذكره صاحب «كشف الظنون»، فقال: «السّمط الثّمين في مناقب أمهات المؤمنين» لمحبّ الدّين أحمد بن عبد الله الطبري، المتوفّى سنة ٦٩٤ست مئة وأربع وتسعين في مجلد. اهـ.

وقد ظفرتُ بنسخته الخطيّة في مكتبة التكية المولوية في حلب، وقد كُتب في آخرها: «انتهى كتاب «السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين»، تأليف الإمام محب الدين الطبري الشافعي رحمه الله تعالى، ونفع الله به بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وكان الفراغ منه في ليلة الأربعاء، من أوسط شهر ربيع الأول من سنة ١٠٠٢، والحمد لله وحده وحسن رفيقه [هكذا]، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصبحه وسلّم تسليماً». اهـ.

ومن مؤلفاته التي لم تذكر في ترجمته أيضاً: «الرياض النَّضِرة في فَضَائل العشرة»، وهو يذكر في «كشف الظنون»، وقد طُبع في مصر(١)، وهو كتابٌ جليلٌ متداوَل(٢).

(١) بتصحيح الشيخ محمد بدر الدين النعساني الحلبي.

(٢) قال الشيخ راغب في آخر الكتاب: تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب في ثامن شهر صفر ١٣٤٧هـ، وإني لم آل جهداً في تصحيحه والرجوع إلى الأصول، وآمل أن تكون أغلاطه قليلة جداً، وإذا علمت أن ليس لدي سوى نسخة واحدة، تعلم أني قد بذلت في ذلك أقصى الجهد والإمكان، وما توفيقي إلا بالله. ناشره: محمد راغب الطباخ.


كتاب الفراسة
لفليمون الحكيم
ويليه
جمل احكام الفراسة
لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١
رحمه الله
الطبعة الأولى
طبعها وصححها محمد راغب الطباخ
في مطبعته العلمية * بحلب
سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م
حقوق الطبع محفوظة له

كتاب الفراسة لفيلمون الحكيم
ويليه: جمل أحكام الفراسة لأبي بكر الرازي[١]

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس في هذا الكون من علم من العلوم؛ إلَّا وكان لأسلافنا العناية التامّة به، والمؤلّفات الجليلة فيه، غير أنَّ عوادي الزمان قد ذهبَتْ بآلافٍ من الأسفار القيِّمة، وبدَّدت شملَها، وتسرَّب منها عدد غير قليل إلى الدّيار الغربيّة، وهناك أعدّت له الخزائن المنظَّمة؛ التي تكفل بقاءَه أحقاباً متطاولة، والاستفادة منه، ونحن ـ معشر الأُمّة الإسلامية ـ لا نزال في غفلة عن هذا، بل أصبح فينا مَن يقول: إنْ هي إلا أساطير الأوَّلين، فكُنَّا وكانت الأُمم الغربيّة كما قال شاعرنا العربي:

نزلـوا بمكّـة في منـازل هاشـمٍ ونزلـتُ في البيـداء أبعـدِ منـزلِ

ولعلّ هذا النُّواح يُجدي فنستفيق مِن هذه الغفلة، ونستيقظُ بعد تلك الرَّقْدة، وننهضُ إلى إحياء البقيّة الباقية من آثار أسلافنا الصّالحين، ونستردُّ بضاعتنا ولو كانت في الصّين، ونجاريها في العكوف عليها والاستفادة منها، وعند ذلك نستعيد عِزّاً مضى نندُبُه، ومجداً سلف نَبْكيه، وإلا فنحن باقون في وَهْدَتِنا نتمنَّى على الله الأماني.

(١) طبع في المطبعة العلمية سنة: (١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م)

ومن جملة العلوم التي كان أجدادُنا يُعنَون بها (علم الفراسة)، وقد ذكره صاحب «كشف الظنون» وقال: إن صاحب «مفتاح السعادة» قد عَدَّه من فروع العلم الطبيعي، وقال: وهو علم يُعرَف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظّاهرة؛ من الألوان والأشكال والأعضاء، وبالجملة الاستدلال بالخَلق على الخُلُق الباطن، وموضوعه ومنفعته ظاهران.

ومن الكتب المؤلّفة فيه كتاب الإمام الرازي، خلاصة كتاب أرسطو مع زيادة مهمة.

ولأفليمون كتاب في الفراسة يختصّ بالنسوان، وكتاب السياسة لمحمد بن الصوفي مختصر مفيد في هذا العلم.

وكفى بهذا العلم شرفاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾، وقوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن»[١]. انتهى.

أما كتاب السياسة لمحمد بن الصوفي، وهو محمد بن أبي طالب الصوفي الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة؛ فهو مطبوع في مصر ١٨٨٢م ـ ١٢٩٩هـ؛ كما قال الأديب جرجي زيدان في مقدمة كتابه «علم الفراسة الحديثة»، ومنه نسخة في خزانة الوجيه السيد أسعد العينتابي بحلب، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الأحمدية بحلب ورقمها ١٢٦٩، وعندي قطعة منه من أوَّله بخطّ حديث.

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣١٢٧) وقال: حديث غريب، والطبراني في الأوسط (٧٨٤٣)، وأبو الشيخ في الأمثال (١٢٧)، عن أبي سعيد الخدري. ورواه الطبراني في الكبير (٨: ١٠٢)، والأوسط (٣٢٥٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٩٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩٤٠): إسناده حسن، وقال السيوطي في «اللآلىء المصنوعة» (٢: ٢٧٨): حسن صحيح، وعقب عليه الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص ٢٤٤: وعندي أن الحديث حسن لغيره، وأما صحيح فلا.

والعَجَب من الأديب المذكور حيث لم يَذكر في مقدِّمة كتابه المتقدِّم كتاب أفليمون الحكيم مع ذكر صاحب «الكشف» له كما قدَّمنا.

وقد ظفرتُ بالكتابَين الآخرَين في المكتبة المتقدِّمة الذِّكر، وهما كتابا «الفراسة» لأفليمون وكتاب عُنْون بـ«جمل أحكام الفراسة» لمحمد بن أبي بكر الرازي (الطبيب المشهور المتوفى سنة ٣١١).

والنّسختان قديمتا الخطّ جميلتا الكتابة:

الأولى: ليس عليها تاريخ كتابتها، ولا اسم كاتبها، غير أنَّها على ما ظهر لي كُتِبَتْ في القرن الثَّامن أو التَّاسع، ورقمها في المكتبة ١٣٧٠.

والثّانية: داخل مجلّدة فيها ثلاثة كتب:

الأول: «السفينة النوحية والسكينة الروحية» في علم الرّوح؛ لأبي العبَّاس أحمد ابن الخليل بن سعادة الخويي، وهو في ٣١ ورقة، وقد طبعتُه حديثاً فجاء في ٣٣ صحيفة مثل هذه.

والثاني: هذا الكتاب «جُمل أحكام الفراسة».

والثالث: رسالة في معرفة أحوال الملوك والسلاطين، وما يتمّ من أمورهم في مستقبل أحوالهم، تأليف محمد بن عبد الحقّ السبتي، وهو في ١٥ ورقة، وهو منقول من خطّ المؤلِّف المحرّر سنة ٧٣٤.

والكتب الثلاثة بخط واحد، قال محرِّرُها في آخر الكتاب الثالث أنَّه حرَّرها سنة ٨٦٨، ولم يذكر اسمه، ورقم هذه المجلَّدة في المكتبة ٨٣٠.

فاستنسختُ هذين الكتابَين الفريدَين في بابهما بخطِّي، وعزمت ـ بعد الاتكال

على الله تعالى ـ على طبعها إحياءً لهما، ولتكون الفائدة منهما شاملة، وإعلاماً لهذه الأُمَّة العربية أنَّ أسلافنا لم يدعوا علماً من العلوم إلا وولجوا أبوابه، وخاضوا في غمرات بحوره.

وإليك ترجمة أفليمون منقولةً عن كتاب العلّامة الوزير جمال الدّين علي بن يوسف القِفْطِي، المتوفّى بحلب، سنة ٦٤٦، المسمّى «إخبار العلماء بأخبار الحكماء».

قال: «أفليمون فاضل كبيرٌ في فنٍّ من فنون الطبيعة، وكان معاصراً لبقراط، وأظنُّه شاميَّ الدار، كان خبيراً بالفراسة، عالماً بها، إذا رأى الشَّخص وتركيبه استدلّ بتركيبه على أخلاقه، وله في ذلك تصنيف مشهور، خرج من اليونانية إلى العربية، وله قصَّة مع أصحاب بقراط ظريفة، تُذكَر في ترجمة بقراط في حرف الباء إن شاء الله تعالى.

وقال ثمّة: ذُكِرَ أن أفليمون صاحب «الفراسة» كان يزعم في زمانه أنه يَستدلّ بتركيب الإنسان على أخلاق نفسه، فاجتمع تلاميذُ بقراط وقال بعضهم لبعض: هل تعلمون في زماننا هذا أعلم من هذا المرء؟ ـ يعنون بقراط ـ فقالوا: لا، فقالوا: نمتحنُ به أفليمون فيما يدَّعي من الفراسة، فصوَّروا صورة بقراط، ثم نهضوا بها إلى أفليمون، وكانت يونان تُحكِم الصُّورة بحيث تَحْكِيها على الوجه في قليل أمرها وكثيره.

وسبب ذلك أنَّهم كانوا يُعظّمون الصّورة ويعبدونها، فأحكموا لذلك التصوير، وكلُّ الأمم تَبَعٌ لهم في ذلك، ويظهر التَّقصير من التابعين في التصوير ظهوراً بيِّناً، فلما حضروا عند أفليمون قالوا: أيها الفاضل؛ انظر الشَّخص واحكم على أخلاق نفسه من تركيبه.

فلمَّا وقف على الصّورة وتأمَّلها، وأَنْعَمَ النَّظَرَ فيها؛ قال: هذا رجل يحبُّ الزِّنا.

وهو لا يدري مَن هو المصوَّر، فقالوا: كذبت، هذه صورة بقراط.

فقال: لا بدَّ لعلمي أن يَصدُق، فاسألوه، فإنَّ المرء لا يرضى بالكذب.

فرجعوا إلى بقراط وأخبروه بالخبر، وما قال لهم أفليمون، فقال أبقراط: صدق، أُحِبُّ الزِّنا ولكنني أملِكُ نفسي.

فهذا يدلُّ على فضل أبقراط، وملكه لنفسه، ورياضته لها بالفضيلة. اهـ.

ونحوه في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، وقد اقتضبنا منه بعض جمل.

وأما أبو بكر محمد بن زكريا الرازي؛ فإنَّ له في هذَين الكتابَين وفي تاريخ ابن خلّكان ترجمة حافلة طويلة، وقد ذكر الأخير أن وفاته كانت سنة ٣١١، ولم يَحْكِ غير هذا القول، وبالله المستعان.

الناشر

محمد راغب الطباخ

❊ ❊ ❊

كتاب

السفينة النوحية

في

السكينة الروحية

تأليف قاضي القضاة ابي العباس احمد بن الخليل ابن سعادة الخوبي الدمشقي المتوفى سنة ٦٨٧ رحمه الله

الطبعة الأولى

طبعه وصححه محمد راغب الطباخ

في مطبعته العلمية ❊ بحلب

سنة ١٣٤٧هـ – ١٩٢٩م

كتاب السفينة النّوحية في السكينة الروحيّة[١]

للإمام أبي العباس أحمد بن خليل الخويي المتوفى سنة٦٨٧[٢]

كلمة الناشر

البحثُ عن الرّوح وما هي، والنَّفسِ وأحوالها؛ من أهم ما تتوجَّه إليه أنظار مُحِبِّي المدنية الفاضلة، والراغبين في تخلية النَّفس من الكدورات النفسانيَّة، وتهذيبها، وتحليتها بالفضائل الإنسانيّة، لتلتحق بالملأ الأعلى، ويشملها خطاب: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾، ولأسلافنا أساطين العلماء عدَّة مؤلفات في هذا البحث؛ خاضوا لُجج بحوره، وأتَوا فيه بالعجب العجاب، ومِن هذه المؤلفات: كتاب «السفينة النّوحية في السكينة الروحيّة»، تأليف قاضي القضاة شمس الدّين أبي العباس أحمد بن الخليل الخويي الدمشقي، المتوفّى سنة ٦٨٧[٣].

عثرت على هذا الكتاب في مكتبة المدرسة الأحمدية في مدينة حلب، ولما سرحت الطَّرْف فيه، ألْفَيْتُه من أحسن ما أُلِّف في هذا البحث، وأصغرها حجماً، وأغزرها علماً، وأسهلها عبارةً، فبادرت في الحال إلى استنساخه بيدي، وعوَّلت في طبعه إخراجاً له من

(١) طبعه وصححه الشيخ محمد راغب الطباخ، ونشره في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٤٧هـ= ١٩٢٩م.

(٢) هكذا في الأصل المطبوع، والصواب: ٦٣٧.

(٣) الصواب: ٦٣٧ كما سيأتي.

زوايا الإهمال، وتعميماً للانتفاع من أبحاثه القيِّمة، وفوائده الجليلة؛ التي يحتاج إليها عشَّاق الكمال، والمتصدِّرون للإرشاد، وإخراج الناس من ظلمات الجهالة والغَواية إلى منهاج الرّشد والهداية والسعادة الحقيقية.

رقم النسخة في المكتبة ٨٣٠، وهي جميلة الخطّ جداً، وفي ٣١ ورقة مضبوطة بالشَّكل، ومع هذا الكتاب رسالتان أُخرَيَتان، والثلاثة خطها واحد، وكتب ناسخها في آخر الثالثة أنَّه حرَّرها سنة ٨٦٨، ولم يذكر اسمه.

وللمؤلِّف ترجمة في «طبقات الشّافعية» للإمام السّبكي، وهي كما في (ج٥ص٨): «أحمد بن الخليل أبو العباس الخويي، ولد في شوّال سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، دخل إلى خراسان، وقرأ بها الكلام والأصول على الإمام فخر الدّين الرازي فيما قال بعضهم، وقيل: إنما قرأ على القطب المصري تلميذ الإمام، وقرأ الفقه على الرّافعي، وعلم الجدل على علاء الدّين الطاووسي، وسمع هناك من المؤيد الطوسي، وسمع بدمشق من ابن الزبيدي وابن الصّلاح وغيرهما.

سمع منه تاج الدّين بن أبي جعفر، وأبو عمرو بن الحاجب، والجمال محمد بن الصابوني، وولده قاضي القضاة شهاب الدّين محمد بن قاضي القضاة شمس الدّين وغيرهم.

وكان فقيهاً أصولياً، متكلّماً مناظراً، ديِّناً ورعاً، ذا همَّةٍ عالية، حفظ القرآن على كِبَر، وكان هو قاضي القضاة يجيء إلى الجامع بدمشق، وربما كان بطيلسان يتلقَّن على مَن يُقرِئه القرآن كما يتلقَّن الأطفال.

ولي قضاء القضاة بالشام؛ فحدَّث بسيبويه، وفيه يقول شهاب الدّين أبو شامة ـ وقد وقف على مصنّف له في العروض ـ:

«أحمدُ بن الخليل أرشده اللـ ـه لِما أرشد الخليلَ بن أحمَدْ
ذاك مستخرجُ العروضِ وهذا مظهر السّرّ منه والعَوْدُ أحمَدْ

وللقاضي شمس الدّين مصنّفات كثيرة، ونظم كثير، توفي في سابع شعبان، سنة سبع وثمانين وسبع مئة[1] بدمشق، ودُفن بسفح قاسيون». اهـ.

ذكر المترجَم في الباب الثامن من كتابه هذا ـ وهو خاتمة الأبواب ـ نبذةً صالحة من ترجمة نفسه، وحالته في مبدئه ونشأته، وذكر رحلته إلى الإمام فخر الدّين الرّازي وأَخْذَه عنه، وهذا يزيل التردّد الذي ذكره السبكي في ترجمته هنا[2].

وفي «المعجم» لياقوت: «خُوَيّ: بالتصغير، بلد مشهور من أعمال آذربيجان، حصن كثير الخير والفواكه، يُنسَب إليها الثياب الخوية»، ثم ذكر مَن ينسب إليها.

وفي «القاموس»: خوي: بلد بآذربيجان، منه المحدِّثون محمد بن عبد الله، وأحمد ابن الخليل؛ قاضي دمشق وأبو قاضيها، والطيب معاذ بن عبدان الخوييون. اهـ.

ووقع في «الطبقات»: الخوني بالنون، وهو خطأ من الطبع.

---

(١) هكذا في الأصل المطبوع، وهو تحريف عن ست مئة، والصواب في وفاته: سنة سبع وثلاثين وست مئة، عن خمس وخمسين سنة بالمدرسة العادلية، وللمصنف ابن، اسمه: شهاب الدين محمد بن أحمد بن خليل الخويي، كان محدِّثاً فاضلاً، توفي سنة **٦٩٣**هـ.

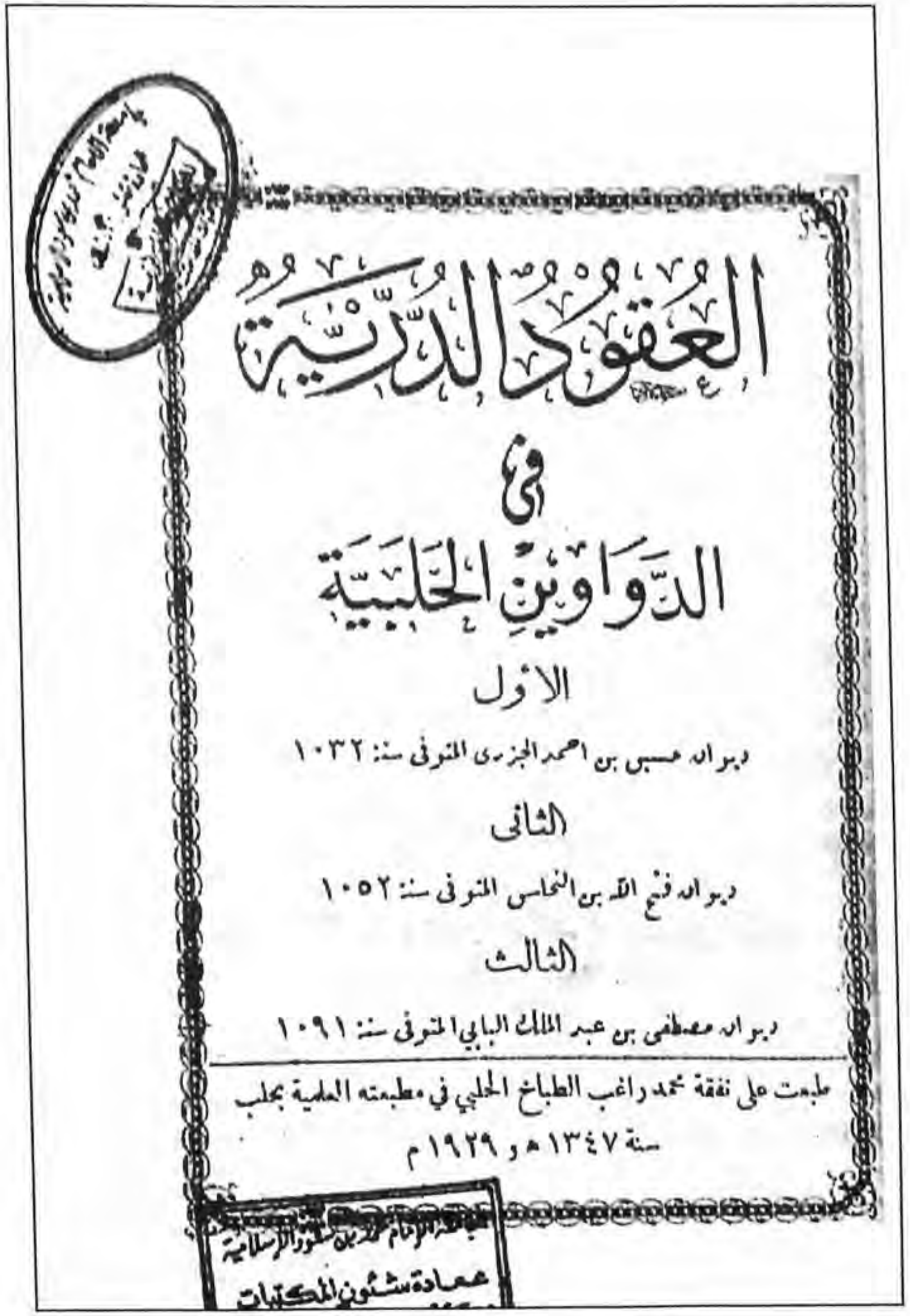
(٢) وقد رجَّح العلامة عبد الرحمن المعلمي أنه أكمل تفسير الإمام الفخر الرازي، وحدَّد المواضع التي أكملها في بحثه حول تفسير الرازي، المنشورة في مجلة (الحج) السعودية، وخلص إلى أن الأصل من هذا الكتاب ـ وهو القدر الذي هو من تصنيف الفخر الرازي ـ وهو من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة القصص، ثم من أول تفسير الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، ثم تفسير سورة الحديد والمجادلة والحشر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلى آخر الكتاب؛ وما عدا ذلك فهو من تصنيف أحمد بن خليل الخويي، وهو من التكملة المنسوبة إليه، فإن تكملته تشمل زيادة على ما ذكر تعليقًا على الأصل. والله أعلم.

ولم أجد ذكراً لهذا الكتاب في «كشف الظنون»، ولعل عذر مؤلّفه أنّه لم يقف عليه، ولم يُذكر شيء من مؤلفاته في ترجمته هنا، أو في غيره من الكتب التي ترجمته ليكتفي بالإشارة إليه كما هو عادته.

الناشر

محمد راغب الطباخ

❋ ❋ ❋



العقود الدرية

في

الدواوين الحلبية

الأول

ديوان حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢

الثاني

ديوان فتح الله بن النحاس المتوفى سنة ١٠٥٢

الثالث

ديوان مصطفى بن عبد الملك البابي المتوفى سنة ١٠٩١

طبعت على نفقة محمد راغب الطباخ الحلبي في مطبعته العلمية بحلب
سنة ١٣٤٧ هـ و ١٩٢٩ م

العقود الدّريّة في الدّواوين الحلبيّة[1]

مقدّمة الناشر

حمداً لمن زيَّن الأُمّة العربية بفصاحة اللّسان، وحلَّاها بلطافة المنطق، وعذوبة البيان، وخصَّ الناطقين بها بجزالة المباني، ومبتكرات المعاني؛ حتى أَتَوا في نظمهم ونثرهم بما يقضي بالعُجاب، ويأخذ بمجامع الألباب، وصلاةً وسلاماً على مَن أُوتِي الحكمة وفصل الخطاب، وبهر أرباب النُّهى بجوامع كَلِمِه العِذاب، وقال: «إنَّ مِن البيان لَسِحراً»[2]، و«إنَّ مِن الشِّعر لحكمة»[3].

[وبعد] فلمّا منَّ عليّ المولى الكريم الوهّاب بوضع تاريخي «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»؛ الذي جمعتُ فيه أوابد حوادثها من عهد فتح أبي عُبيدة رضي الله عنه إلى عصرنا هذا، ونَظَمْتُ إلى تلك الفرائد تراجم أعيانها مِن كلِّ ملك كبير، وأميرٍ، ومُحدِّثٍ، وفقيه وزعيم، ووَجيهٍ وطبيب وأديب؛ وجدتُها قد كان فيها في كلِّ جيلٍ شعراءَ مُجِيدُون، وكُتَّاب ماهرون؛ زيَّنوا أجيالهم بقلائد النَّظْم، وبدائعِ النثر، وطَبَّقَتْ شهرتهم الآفاق، وسار شِعرهم إلى أقاصي البلاد.

وحَسْبك أن نذكر لك منهم: الوليدَ بن البحتري؛ الذي كان شاعر القرن الثَّالث،

(١) طبع في المطبعة العلمية بحلب سنة: (١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م).

(٢) «إن من البيان لسحرا». رواه البخاري في الطب (٥٧٦٧) عن ابن عمر.

(٣) حديث «إن من الشعر لحكمة»، رواه البخاري في الأدب (٦١٤٥)، وأحمد (١٥٧٨٦)، عن أبي ابن كعب.

وأبا فراس الحمداني، وأبا بكر الصنوبريّ، والناشئ، وعبد الواحد النَّصيبي[١]، وأبا العباس النّامي، وهؤلاء مِن شعراء القرن الرّابع، ومن جملة مَن كان بحضرة سيف الدّولة: ابن حمدان؛ محيي دولة الأدب في حلب؛ الذي به نما غراسها، وبَسَقَتْ أغصانها.

وأبا العلاء المعرّي؛ وناهيك به شهرةً، والكثير من أُسرته الذين ذكرناهم في ترجمته، وأحمد الموازيني المعروف بابن الماهر، والأمير أبا الفتيان محمد بن حيُّوس، والمطهّر بن المفضَّل التَّنوخي الذين كانوا في القرن الخامس.

ومحمد الكفرطابي، وعبد الرزاق بن حصين المعري، وسعيد بن لؤلؤ الفيلسوف، وحمدان بن عبد الرحيم الأثاربي، والقاضي محمد بن عبد الله المعري، ويحيى الحلاوي، وأحمد بن منير الطرابلسي، ومحمد بن نصر القيسراني، وعبد القاهر الشيباني المعروف بالوأواء، والأمير حميد بن منقذ الشَّيزري، ومحمد بن أحمد بن حمزة الشاعر الكاتب، والأمير أسامة بن مرشد[٢]، وعلوان المعروف بالباز الأشهب؛ إلى غير هؤلاء ممَّن كانوا في هذه العصور والتي تليها، ويطول الكلام لو استقصيت ذِكرَهم، وقد أتيتُ على تراجمهم في تاريخي المتقدِّم.

وفي القرن الحادي عشر، أنبتت الشهباء عدَّةً من الشعراء المبرزين، عطَّروا أرجاءَهم بأريج نظمهم، وكانوا دُرَّة في تاج عصرهم، منهم: الشاعر الأديب، حسين بن أحمد الجزري، والشّاعر فتح الله بن النّحاس، والشاعر مصطفى البابي.

وإني أذكر لك ترجمة هؤلاء الثلاثة؛ لتعلَم مكانتهم في هذه الصناعة، وما كان

---

(١) هو أبو الفرج الببغاء، عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبي، ولقب بالببغاء لفصاحته، وقيل: للثغة في لسانه، توفي سنة ٣٩٨هـ.

(٢) هو مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ الشيزري، المتوفى سنة ٥٨٤هـ عن ٩٦ عاماً رحمه الله تعالى.

لهم من رفيع المنزلة، وجليل الاعتبار بين أدباء عصرهم، وفضلاء جيلهم، وأُسهِب المقال في ترجمة الأول منهم؛ لأن نشر ديوانه ـ حيث لم ينشر مِن قبل ـ هو المقصود الأول من نشر هذه الدّواوين التي دعوتها:

«العقود الدّريّة في الدواوين الحلبية».

وبالله التوفيق.

* * *

(ترجمة الشاعر حسين بن أحمد الجزري)

[الترجمة الأولى]

أما حُسين بن أحمد، فقد ترجمه المحبِّي في «خلاصة الأثر»، ومما قاله فيه: «إنَّه أحد الـمُجيدين، جَمَعَ في شعره بين الصّناعة والرِّقّة، وشُغِفَ بتعلُّم الشعر صغيراً، وحفظ قصائد عديدة، وفحص عن معانيها، وأكثر من مطالعة كتب الأدب واللغة حتى صار له رسوخ، ثم أخذ يمدح الأعيان.

وكان ـ أحياناً ـ يتردَّد لبني سيفا أمراء طرابلس، وله فيهم المدائح الكثيرة، وجمع له ديواناً، وهو موجود بأيدي النّاس، وكان مُغْرَماً بشعر أبي العلاء المعرّي، كثيرَ الأخذ منه، وأخبر أنّه رآه في منامه، وكان يقرأ عليه اللزوم، وفهم من تقريره في تلك الرؤيا: الخير كلّ الخير فيما أكرَهْتَ النّفسَ الطّبيعية عليه، والشّرّ كلّ الشّرّ فيما أكرَهَتْكَ النّفس الطبيعية عليه، وكتب على ديوانه اللزوم قوله:

إنْ كنـتَ متَّخـذاً لجرحك مَرهماً ... فكتـابُ ربِّ العالـمين المرهـمُ
أو كنتَ مُصْطحباً حبيباً سـالكاً ... سُـبُلَ الهـدى فلـزوم مـا لا يلزمُ

وبعد أن أورد له جملة مستكثرة من شعره قال: وسافر في آخر عمره إلى حماة لرجاءٍ عنَّ له بها؛ فرأى ليلةَ سيره كأنّه يودِّع أهلَه؛ فاستيقظ وهو ينشد:

قُومَي احسِـني منـكِ وداعي فما   بعـدَكِ حُسـناً يـا ابنـة القَـومِ
وزوِّدِي جَفْنـي طيـفَ الكـرى   فليـسَ بعـد اليـوم مـن نـومِ

فلمّا دخلها توفّي ابنُ أميرِها علي بن الفرج الأعوج، واسمه: (روحي)، فقال:

لا تعجَبـوا إنْ سـال دمعِـي دما   واشـتعلـت نـار تبـاريحـي
فلستُ مَـن يبكـي عـلى غـيره   وإنَّـما أبـكـي عـلى روحـي

وبعد مدَّة توفي، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين، هكذا ذكر البديعيّ وفاته في السّنة المذكورة.

ثم رأيت في نسخة من ديوان ابن الجزري بخط بعض الدّمشقيين، ذكر أنَّه أخبره الأمير علي بن الأعوج أن الجزري مات بعد إنشاد البيتين المذكورين بثلاثة أيام، ولم يقل بعدهما شعراً، وأن وفاته كانت في سنة أربع وثلاثين.

وناقض أبو الوفاء العُرْضي في وفاته؛ فذكر أنها كانت في سنة اثنتين وثلاثين، ولست أدري أي المقولات أصح.

وزاد العُرْضي أنّه توفّي غريباً بحماة ـ كما تُوفي والده بالبصرة غريباً ـ وعمره نحو الخمس والثلاثين، ودُفن بالتربة المعروفة بالعليليات.

والجزريّ نسبة إلى جزيرة ابن عمر من بلاد الأكراد، وبها كان أجدادُه، ولهم فيها المكانة والجاه، كما أشار إلى ذلك في بعض قصائده:

إنَّ الـجزيـرة لا عـدا   جُوْدَيْهـا الغيـث الهتـونُ

خُـلِـقُـوا بهـا آبـائـيَ آ   ساد الـشرى وهي العرينُ
ولهـم بهـا الـبيـت المـؤثّـ   ـل في قـواعـده المكـينُ
وبِـركـنِـه المـجـد المتيـ   ـن وظـلّـه المجـد المبينُ
ولـنـا بهـم نسب عـلى الـ   ـدّنـيـا لـه شرف ودِيـنُ

[الترجمة الثانية]

وترجمه الشهاب الخفاجي في «ريحانته» ومما قاله: أديبٌ له أوصافٌ حُسْنى، ومناقب هُنَّ الوشْيُ بهجةً وحُسْناً، إذا صَغَتْ له أُذنُ أديب؛ حَلَّت منه بوادٍ خصيب.

سِحْرٌ من اللَّفظ لو دارت سُلافَتُهُ   على الزمان تمشَّى مِشْيَةَ الثَّمِلِ

رأيتُه بالروم وهو شاب، يَجُرُّ رداءَي شبابٍ وآداب، وهلالُه مُشْرِقٌ في أفقِ نمائِه، وغُرَّةُ صبحِهِ؛ تُؤذِنُ بوجه ذُكاء ذكائه. وقد سَلكَ للمجد طريقة غير مطروقة، بهمَّة غير همَّةٍ، وخليقةٍ غير خليقة، وللدّهر فيه عِدَات يُرْجَى إنجازها، وحُلَل منشورة سيلوحُ طِرازها، فلم يَنْبَسِط بُردُها حتى انْطَوَى، ولم يُورِق قضيبُه الرَّطيب حتى ذوى.

ثم أورد له جملةً من شِعرِه.

[الترجمة الثالثة]

وترجمَهُ السيد علي صدر الدّين في كتابه الموسوم بـ«سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر»، فقال: هو أحد صاغة القريض، البديع التصريح فيه والتعريض، العالم بشعار الأشعار، والمفتضّ لأبكار الأفكار، فتح بقرائحه باب البيان المقفل، ووسم من غفلة ماسها عنه غيره وأغفل، راقت بدائع آدابه ورقَّت، وملكت روائعه حرَّ الكلام واسْتَرَقَّت؛ فهو إذا نظم أهدى السِّحر للأحداق، والرقة للخصور، وشاد

من أبيات أدبه ما تعنو له مشيدات القصور، فتملك المسامع إبداعاً وإعجاباً، وكشف عن وجود المحاسن نقاباً وحجاباً. ثم أورد له أيضاً جملة من شعره.

[الترجمة الرابعة]

وترجَمَهُ في كتاب موسوم بـ«تراجم الأدباء»(١)، فقال: حسين بن الجزري، أحد المشهورين بجودة نَظْم هذا الجُمان، والمتميِّزين في هذا الفنّ بكل حُسْنٍ وإحسان، نادرة فلك الشِّعر، وينبوع كلّ بلاغة وسحر، أخذ الأدب عن الشيخ إبراهيم بن الشهاب أحمد بن الملا وغيره من أفاضل الشهباء.

ولما ترعرع وبرع، وأغرب وأبدع؛ التحق ببني سيفا، وامتدحهم بالقصائد الطنَّانة، وحصل عندهم على أمنيته ولبانه، ثم إنه ركب مطيَّة الأسفار، وجال في الآفاق والأقطار، فشرَّق وغرَّب، وأَتْهم وأَنْجَد، وامتدح كلَّ مَن لقيه ممَّن ظنّ فيه خيراً، وتوقّع عنده ميراً، ولم يزل على ذلك إلى أن اختطفَتْه يد المنيّة، وله شعر تكاد تحفظه الأيام والدهر ينشده، وجمع فيه بين عذوبة ألفاظ، ومتانة معاني، وسلاسة تراكيب، وتشييد مباني، إلا أنَّه مدح به غالباً مَن لا يستحق مدحاً ولا هجاء(٢)، ولا يرغب فيه لخوف ولا رجاء، وما ذاك إلا لشدَّة كساد هذه الصّناعة، وقلّة الراغبين في تنفيق هذه البضاعة، ولو صادف شعره من نباهة ممدوحيه محلاً، وتزيَّن عاطل جيده بشرف ذوي الرفعة وتحلّى، لوجدته نال في الشّهرة رتبة الشّمس والقمر، وتناشده

---

(١) هو من مخطوطات مكتبة محمود أفندي الجزار الموضوعة الآن في المدرسة الشرفية، شرقي الجامع الكبير بمدينة حلب، رقمه [١٦٢٥]. (منه رحمه الله)

(٢) هذا فيه شيء من التغالي؛ فإن ممدوحيه هم ما بين عالم كبير، وأمير خطير، ومعظمهم من رجال المحبي في «خلاصة الأثر»، ولهم فيه تراجم حافلة، تُعرِبُ عن عظيم فضلهم، وجلالة قدرهم، نعم ربما كان فيهم اثنان أو ثلاثة ممن لا يستحقون مدحاً كما قال (منه رحمه الله).

أهل البدو والحضر، وسار به من لا يسير مشمّراً، وغنى به مَن لا يغني مغرِّدا، وقد وقفتُ على ديوانه، وها أنا متحِفٌ منه بما تيسر التقاطه من هاتيك الدُّرر، والبعض بالبعض يعتبر.

فمن ذلك قوله يمتدح به المرحوم العلامة كمال الدين أفندي، وكان إذ ذاك قاضياً بعساكر روم أيلي بالديار الرومية.

إلى هنا انتهى الكلام، ولم يذكر القصيدة، ومطلعها كما سيأتي:

سَقَاك الحيا ريًّا وحيّاكَ أربعا   نَعِمْنا بنعمان بهنَّ ولعلعا

[الترجمة الخامسة]

وترجَمَهُ الأديب الكبير الشيخ محمد العُرْضي في كتابه المخطوط؛ الذي ترجم به فضلاء عصره على نسق «الرّيحانة» و«السلافة» فقال: الحسين بن أحمد المعروف بابن الجزري الحلبي، هو ثاني المتنبي أحمد بن الحسين، وكلامه كما قيل: نقش الفص وناظر العين.

قالوا خُذِ العين من كلٍّ فقلتُ لهم   للعين فضلٌ ولكن ناظر العينِ

حرفين من أَلْفِ طومارٍ مسودّةٍ   وربما لم تجد في الألْف حرفَينِ

له غُررٌ ودُرَرٌ، كلمات إذا فوَّفَها بخطه تعدل أجنحة الطواويس وصدور البزاة، وكان إذا قَصَد جاوز حدَّ الاقتصاد إلى الإبداع، وإذا قطع الشعر قطع السعر بالثمن البخس من المبتاع.

وله طريقة واحدة يأتي فيها بالسحر الحلال، وهي وصف السير وندب الأطلال، وبالجملة: كان النيِّر الأعظم من بين سيَّارة كواكب الشهباء، بل الدّنيا في العصر الأخير، ولقد وقف بعده فَلَكُ الشِّعر فما أَذِنَ بالمسير.

كان ظريف الخَلْق، كريم الخُلق، يغلب عليه الصّمت والسّكون، فهو كالبحر إن لم تهجْه الريح ساكن، لكنْ أحشاؤه منطوية على الدّرّ المكنون، له ديوان شعر تتهاداه أكفّ الرواة، وتزدحم على رشف سلافه الآذان والشِّفاه، ومع هذا لقد احتار في اختيار طريق يوصله إلى المعاش، فما زال بين قصّ أجنحة وارتياش، فتارة سافر إلى الروم ومدح الأستاذ القاسمي، فأوصله إلى المولى كمال الدين المعروف بابن طاش كبري، وهو قاضي العسكر، ولقيه بقصيدة، نفث فيها بعقد سحره، ونثر عقد درره الفريدة، فضمن له نجح المقاصد، إلا أنّه حال بينه وبينها دهره أبو اليقظان وبخته الراقد، فزحزح مخدومه عن قضاء العسكر سريعاً، فخجل صاحب الترجمة أن يلاقيه بعد ذلك، وكرَّ راجعاً إلى حلب مرتبع شبابه، وملعب أترابه، وقنع من ظفره بإيابه، فوجَّه العزمَ تلقاء حضرة بني سيفا، وعلى بابهم إذ ذاك كلّ شاعر وكاتب، فحكوا بذلك أيام الرشيد، أو أيام ابن عبّاد الصاحب، واختصّ منهم بالأمير محمد، أمير عسكر الشعر بالاتفاق، وسُوقه عنده نافقة قائمة على ساق، فارتفق بمدحه وارتزق، حتى قضى الأمير نحبه، ولقي ربه غريباً شهيداً بمدينة قونية في طريق الروم، وأنشد المذكور فيه:

عَجِبْتُ لسيفٍ كيف يُغْمَد في الثّرى   وكيف يُوارى البحر في طيّة الكفَنِ

ثم اختص بعده من بين رؤساء حلب بسمِيِّه محمد الشهير بابن العلبي.

وقد تولّى إمارة لواء عزاز، فتلقّاه بإكرام وإعزاز، وفوَّض إليه أمر الكتابة، فتوسَّد حضرتَه وافترش أعتابَه، وهي حضرة تَرِدُها النّاس عُفَاة، وتصدر عنها كُفاة، إذ صاحبها من أسرةٍ أيديهم للكرم والسماحة، ووجوهُهم للوضاءة والصباحة، بيت مال للمسلمين؛ إلا أنّهم جمعوه بكدِّ اليمين وعَرَقِ الجبين؛ إذ كانوا أهل سفر وتجارة، يضربون بآباط الإبل إلى أكباد البلاد، مع أنّهم مطامح لأعين النظارة.

وبالجملة كانت الشهباء تتجمَّل بهم، وتضرب برئاستهم الأمثال؛ إلا أنّه الآن قد أقفر قصرهم، وعاد أثاثهم مقصوراً على الإناث دون الرّجال.

ولنرجع إلى تتمّة خبر صاحب الترجمة: فلمّا عزل مخدومه عن لواء عزاز، قصد صاحب الترجمة الأمير حسين ابن الأعوج صاحب حماة، وفيها دَعَاه داعي حِمامه فلبَّاه غريباً، في سنة اثنين وثلاثين وألف.

ومن غريب الاتفاقيات: ما أخبرني صاحبنا الأديب الشيخ عبد القادر الشهير بابن الطبَّال الحمَوي رحمه الله تعالى، قال: لما انتقل صاحب الترجمة إلى جوار ربّه؛ فكَّرت في نظم تاريخ لوفاته، لِمَا كان بيننا من المودَّة المنسوجة؛ التي هي وراء لُحْمة الأدب الآكد من لُحْمة النّسب، فنِمْتُ تلك الليلة فرأيتُه في منامي، وهو يقول لي: (أنا تاريخ وفاتي كتبته بالأقلام **١٠٣٢**)، فاستيقظتُ فحسبتُه؛ فإذا هو كما قال، طِبق النّعل بالنّعل، ولا أدري هل أدخل هذا الكلام في كفّة الميزان أم أبقاه على حاله، وبالجملة فقد رأى وسنان ما لم يختلجْ بباله وهو يقظان.

ثم أورد العلامة الأديب الشيخ محمد العُرْضي ما وقع عليه اختياره من عيون ديوانه، وآثار بنانه، وأكثر من ذلك.

أما تاريخ وفاته فهي بلا ريب كانت أواخر سنة **١٠٣٢**، كما ذكره الأديب العلامة الشيخ محمد العُرْضي مؤيِّداً له بالقصة المتقدّمة، وكما قاله أخوه شيخ الإسلام أبو الوفا العُرْضي، كما نقله عنه المحبِّي في «خلاصة الأثر»، وهما أدرى لأنهما كانا مُعَاصِرَيْن له وهو ابنُ بلدهما.

ويؤيِّد ذلك أنّك لا تجد له قصيدة قالها بعد سنة **١٠٣٢**، فإنه سيأتيك عند ذكر بيتَيه اللّذَين رثى بهما الأمير محمد بن سيفا ـ وقد تقدَّم أوّلهما ـ أنّه قالهما في أواخر شهر

جمادى الأولى، سنة **١٠٣٢**، وفي قصيدته التي مدح بها حسين بك الأعوج التي يقول في مطلعها:

يـا أخـا العـين في المحاسـن عينا   مـنْ لنـا أن تمـنَّ وصـلاً علينـا

أن ذلك كان في جمادى الآخرة في سنة **١٠٣٢**.

(الأسباب التي دعتني لجمع هذا الديوان وترتيبه)

هـذه التراجم تُنْبيك برسوخ قـدم الجَزَري في الأدب، وإجادتـه في صناعة القريض، وأنه كان من الشعراء المفلقين، وأنَّ أدباء عصره أنزلوا شعره في الذروة العليا والمكانة القصوى، حيث جمع بين الرقَّة والمتانة، وحُسْن السَّبْكِ والجزالة، وذلك يتجلَّى لك ببداهة من تلاوة شعره؛ إذا كنتَ ممَّن رقَّ طبعه، وسَلِم ذوقُه؛ إلا أبياتاً قلائل، فإنك تجده قد خرج فيها عن جادة الإجادة، وهذا مما لم يَسْلَم منه الشعراء المتقدِّمون على سُمُوِّ مكانتهم، وُرقيِّ عصورهم، وزد على ذلك أنَّ الجزري، لِتَشَبُّعِهِ بشعر أبي العلاء المعري، وأبي الطيب المتنبي، لا تقرأ له البيتين أو الثلاثة إلا وتراه قد أتاك بَمَثل رائع، أو حكمة بالغة، أو موعظة حَسَنة، تلك طريقته في شعره؛ كما قال هو في قصيدته السينيَّة:

والشِّـعر ما شـاقتك منـه حكمة   لا ما يُشـوِّقُكَ الكثيب الأعوَسا

وبالجملة فهو إذا تغزَّل، أتاك بالـمُرقِص الـمُطْرِب، وشوَّقك إلى التَّصابي، وإن كان قد علاك النذير، وإذا طرق باب الحماسة، أثارَ بكَ الحميَّة، وطار بك إلى الميدان، ومنازلة الأقران، وإذا وصف المنازل والأطلال؛ أهاج أشواقك إليها، واستفرغ من مآقيك درر الدمع.

والخلاصة: أنك تجده السابق في كلِّ حلبة، وصاحب الصَّدر في كل مقام.

وكنتُ كلَّما كرَّرت ما وقفتُ عليه من شعره في تراجمه، يزداد حلاوةً لديّ، فأزداد به شَغَفاً، وله تعشُّقاً، وتناديني النَّفس: أنَّ مثل هذا الشعر لا ينبغي أن يبقى في بطون الدفاتر مُبدَّداً، وفي الزوايا مُهملاً.

ولما عاودتْ ذلك النداء المرّة بعد المرّة، وجدتُ أن لا محيص من تلبية ندائها، وتحقيق أمنيتها، فعزمتُ على جمع متفرِّق شعره، والتنقيب عنه في بطون المجاميع والأوراق المبعثرة، ولا رَيْبَ أنَّ صدق العزيمة يذلِّل المصاعب، ويسهِّل الوصول إلى أسمى المطالب، فكان أول ما عثرتُ عليه مِن شعره بعد وقوفي على ترجمته وما له من الشّعر في «المحبِّي» و«الريحانة» و«السلافة» مجموعاً في أوله ثلاثون ورقة من شعره، وفي آخره: تراجم منقولة عن كتاب العلّامة الأديب الشيخ محمد العُرْضي الحلبي (أحد رجال تاريخنا أعلام النبلاء)، ترجَمَ فيه عدَّة أشخاص من نبلاء عصره على نَسَق «الريحانة» و«السلافة» وفي جملتها ترجمة الجزري التي قدّمناها.

ثم عثرتُ على أربع عشرة ورقة من ديوانه عند صديقي الشيخ عبد القادر الهلالي، شيخ الزاوية الهلالية في محلّة الجلُّوم، ثم عثر على سبع أوراق من أوَّل الدّيوان فأعطانيها، فوجدتُ فيها خطبة الدّيوان من إنشاء النّاظم، وذكر بعدها قصيدةً مدَحَ فيها قاضي قضاة العساكر الإسلامية في القسطنطينية المولى كمال الدّين أفندي المشهور بطاش كبري، وبعض هذه الأوراق ممزَّق ذهب منها بعض الأبيات.

وعلى الورقة الأولى في ظاهرها وباطنها ختم أحمد أفندي الكواكبي، وقد نقش عليه:

هذا الكتابُ مِـن عطايا الواهبِ   وَقْـفٌ عـلى ذريَّتـي والطَّالـبِ
مشـترِطاً أن لا يُعـار أرّخـوا   أُجْـرِيَ خـير أحمد الكواكبي **١١٦٧**.

فتبيَّن من ذلك أن هذا الدِّيوان كان بتمامه في المكتبة القيِّمة التي وقَفَها أحمد أفندي الكواكبي مفتي حلب، المتوفّى سنة ١١٩٧، وهو أحد رجال تاريخي «إعلام النبلاء» على مدرسة الكواكبيَّة الكائنة في محلَّة الجلُّوم، وهذه المكتبة قد تبعثرت ولم يَبْقَ لها هناك من أثر.

وكنتُ قبل الحصول على هذه الأوراق، عثرتُ على ديوانه في بعض البيوت، فابتعتُه من صاحبه، وهو محرَّر بخطِّ عبد القادر بن أحمد الدَّهان الحلبي، حرَّره سنة ١٣١٥، وقال في أوله: أنه نسخهُ عن نسخةٍ عتيقة، أوراقه بالية، وبعض سطورها ممحو، وهو في ١٨٠ صحيفة، ولدى مقابلته على المجموعة المتقدّمة، وتلك الأوراق، وعلى قصيدة نونية وجدتُها في قطعة من ديوان القاضي صلاح الدّين الكوراني، معاصر المترجَم، وما ذكره مترجِموه من شعر، تبيَّن لي أن هذا الدّيوان لم يستوعب شعره، وأنَّ الكثير منه لا وجود له فيه.

عند ذلك رأيتُ من الواجب عليَّ أن أرتِّب هذا الدِّيوان، وما تجمَّع لديّ من شعره على الحروف الهجائية، إلا القصيدة التي صدَّر النّاظم بها ديوانه التي امتدح بها المولى طاش كبري، فإني اسْتَنْسَبْتُ أن أذكرها في أول الدّيوان متابعةً للنّاظم، ولعلاقتها في الخطبة.

وقصدتُ في ترتيبه على الحروف الهجائية، مبتدِئاً في كلِّ حرف بالقصائد المطوَّلة، أن تسهل مراجعته إذا ظفر أحدٌ بشيء من شعره في المجاميع، وأحبَّ أن يَعلم إن كان موجوداً في هذا الديوان، أو هو مما لم نَعثُر عليه.

وإني أعتقد أنّه لا زال هناك جملة مستكثَرة من شعره، منثورةٌ في المجاميع المبعثرة في المكاتب، فعسى أن ينهض في الحال أو في المستقبل بعض ذوي الهمَّة، فيتتبَّع بقية

شعره ويضيفه إلى ما جمعناه، ويشرح جميع غريبه، لأنّي لم أجد من الوقت ما يسمح لي بذلك إلا في بعض المواضع، ورأيت أن أبادر لتقديمه للطبع خشيةَ من أن يحصل في التأخير ما يحول دون المرام[1].

التحقيق عن النسخة الموجودة من هذا الدِّيوان في المكتبة العامة في برلين

ومما يجدرُ ذكره هنا والتنبيه عليه؛ أنَّ الأديب جرجي زيدان قال في كتابه «آداب اللغة العربية» (٣: ٢٧٦): إنَّ ديوانه في مكتبة برلين (ألمانيا) هو مُرتَّب على المواضيع.

ففي السنة الماضية زار الشهباء المستشرق البارون (فون أوبنهايم) من عظماء الألمان ومُثْريهم، فأُتيحَ لي الاجتماع به، وهو يَعرِف العربية، فذكرتُ له هذا الشاعر، وما قاله جرجي زيدان من أن نسخةً مِن ديوانه في المكتبة العامّة في برلين، ويغلب على الظَّنِّ أنّه أخذ ذلك من كتاب «آداب اللغة العربية» لبروكلمن [Brockelmann] الألماني الموضوع باللغة الألمانية، فوعَدَ بأخذ الدّيوان بالمصوّر الشمسي (الفوتوغراف)،

(١) جاء في مجلة «الزهراء» المصرية في عدد ذي الحجة ١٣٤٦: كتب إلينا الأستاذ المفضال الشيخ محمد راغب الطباخ أنه قد عثر على ديوان الشاعر المجيد حسين بن أحمد الجزري الحلبي المتوفى سنة ١٠٣٢ وقد بحث فوجد أن له في هذا الديوان شعراً، وهو من مدة آخذ في جمع متبدّد شعره الذي لا ينبغي أن يبقى ملقىً في زوايا الإهمال لسلوكه مسلك أبي العلاء المعري في فلسفته، وأبي الطيِّب في حكمياته وأمثاله، وقد صار لديه من شعره ما يزيد عن أربعة آلاف بيت، وهو مع ذلك يؤمِّل أن يكون له في المجاميع المخطوطة غير ما عثر عليه. وسيمثل هذا الديوان عمَّا قريب للطبع. فمن كان عالماً بنسخة من هذا الديوان ـ غير النسخة التي في برلين ـ أو كان واقفاً على شيء من شعره في المجاميع المخطوطة فليتفضَّل بإرساله إليه باسمه في المطبعة العلمية بحلب، وهو مستعدّ لدفع أجرة نسخه، ويشكر كل من يتحفه بشيء من ذلك مزيد الشكر ويقدّر له سعيه.

وفي آذار من سنة ١٩٢٨، أرسل لي سبع أوراق من ديوانه من صحيفة ٧٨ إلى صحيفة ٨٥، وفيها ٨ قصائد، وقد تُوِّجت الورقة الأولى بقوله: قال الشيخ حسين الحلبي:

شـهابٌ تبـدَّى أم هـلالٌ بَـدا بدرا	أم ارتفعت شمسٌ لأوج العُلى قدرا
نَعَمْ قد بـدا مِن ثَغْر مَـن جَلّ بارقٌ	فَلاحَ فلاحي عندمـا أوضح السرّا

وقال في مطلع القصيدة الثانية:

أمـا آن إطـلاق المعنَّـى مـن الحسِّ	ليصعد بالتطهير من دَنَس الرِّجْسِ
ويـبرح عـن غـين المظاهـر باطنـاً	ويربـح عين العـين منه بـلا بخْسِ

ولما قرأتُ هذه القصائد، تبيَّن لي أنَّها ليست من شعر الجزري؛ لعدَّة أمور:

(الأول): إنَّ المتأمل في هذه القصائد، يرى أنَّ روح ناظمها روح شاعر من متصوِّفة الإسلام؛ لأنَّ في نظمه كثيراً من الكلمات التي هي من اصطلاحاتهم ـ كما تراه في الأبيات المتقدِّمة ـ، وأما ابن الجزري فليس في شعره شيء من ذلك.

(الثاني): أنَّ معظم هذه القصائد مختومة بمديح النبي ﷺ، وأما ابن الجزري فلا تجد في قصائده شيئاً من ذلك، غاية الأمر أنه مدح النبي ﷺ بأبيات خاصَّة في محلَّين أو ثلاثة من ديوانه.

(الثالث): أنَّك تجد نَظْمَ هذه القصائد ليس بالنَّظم المتين الذي يُوصف بالإجادة والتبريز، بل لا تجد أنَّها قاربت درجة الوسط، والتكلُّف فيها ظاهر، بخلاف شِعر ابن الجزري؛ والفرق بين النظمين مثل الصبح.

(الرابع): أنك لا ترى في هذه القصائد تقرير حقيقة كونية، أو ما يصلح أن يكونَ مَثَلاً سائراً وحكمة بالغة؛ بخلاف شعر ابن الجزري فإنَّك لا تقرأ له البيتين أو

الثلاثة إلا وتجدُه قد أتاك بما لَذَّ وطاب من هذا الباب.

وذلك لأنَّ ابنَ الجزريّ كانت روحه مُتشبِّعة بروح الشاعرَين العظيمَين أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري، وقد تقدَّمَت الإشارة إلى ذلك في تراجمه.

وصادف بعد ذلك وصول هذه الأوراق إليّ، حضور وايل (Well) قيِّم المكتبة الألمانية في برلين إلى حلب؛ فبيَّنتُ له ملاحظاتي هذه، فأحبَّ أن أكتب له بها إلى برلين ليُحقِّق عنها ثمَّة ويجاوبني؛ فتلقَّيت منه جواباً مؤخَّراً في ٢١ حزيران سنة ١٩٢٨، ومما جاء فيه ما ترجمتُه: إني استنتجتُ أنَّ حكم مثلكم أنَّ هذه القصائد بحسب الظاهر ليست قصائد حسين الحلبي الذي يهمك، وأن هذه الأوراق السبعة موجودة في مجموعة كبيرة، يوجد بها قصائد كبيرة وصغيرة لشعراء من العرب متعدِّدين.

وكلمة [قال الشيخ حسين الحلبي] التي هي مكتوبة فوق صحيفة ٧٨ بمداد مغاير لمداد القصائد نفسها، يُمكن أن يُشْتَبه في أنها زِيدَت من بعد تحرير هذه القصائد.

(ثم قال): وأما باقي مؤلفاته فلا يوجد منها في مكتبتنا إلا جزء واحد من شرحه على ألغاز ابن الفارض شرحاً شعرياً مُسمَّى بـ«المنحة العارضية»، وهو محفوظ مع كتبنا الخطية ورقمه ١٧٦٥.

فتبيَّن من هذا أن ما قاله بروكلمن في كتابه «آداب اللغة»، وتابعه في ذلك جرجي زيدان من أن هذا الديوان موجود في مكتبة برلين، فيه شبهة؛ إلا إذا كان القيِّم المخصص بالقسم العربي قد سَهَا وأخرج هذا المجموع للبارون (فون اوبنهايم) والدّيوان في مكان آخر.

ذكر بني سيفا أمراء طرابلس الشام

الذين أكثر شاعرنا من مديح واسطة عقدهم الأمير محمد بن علي بن سيفا

علمت ممَّا تقدَّم أن الشاعر الجزري كان خِصِّيصاً بأمراء بني سيفا، وقد جعل حضرتهم محطَّ رحاله، ومنتهى آماله، وأنَّه قد أكثر من مديحهم، وصوَّغ عقود الثناء عليهم، فرأيتُ من المناسب أن أذكر هنا ما وقفتُ عليه من تراجم هذا البيت الكبير، فأقول:

قال المحبي في «خلاصة الأثر» (٤ : ٥٠٣): «الأمير يوسُف بن سيفا أمير طرابلس الشام، وأحد المشاهير بالكرم والإنعام، وَلِيَ حكومةَ طرابلس مدّة طويلة، واشتهر عنه عزّة عظيمة، ونعمة جزيلة، وقَصدَه الشعراء بالمدائح، وأهدوا إليه أنفس بَدايِهِ المدائح، وكان في نفس الأمر ممن تفرَّد بالهبات الطائلة، ورغب في ادِّخار الثناء الحسن بالعطايا الشاملة، واقْتدى به أخوه الأمير علي، وابنه الأمير حسين، وابن أخيه الأمير محمد، فكانت دولتهم السيفيَّة اليوسفيَّة كما سمعت عن الدولة البرمكيَّة والمعتمدية، جمعوا للمعالي شَمْلاً، وأصبحوا للمكارم أهلاً، وكانت لهم بلاد طرابلس صافية، ووعود الزمان بالمراد لمن قصدها وافية.

وكان الأمير يوسف أكبر القوم سناً، وأوحدهم في النجدة والبأس سناً، وهو الذي أَسَّس لهم الدولة، فبنوا على أساسه، واقتدوا به في أمر الحكومة، مستضيئينَ بنبراسه، وله من الآثار مسجد بناه بطرابلس، فقيل في تاريخه:

بنى ابن سيفا يوسفُ مسجداً   دام أمـــيراً لـلعـلى راقـيـا
ومـــن بـنـى لله بـيـتـاً يكُن   عـلـيـه في تـاريخـه راضـيـا

قال: وقصته مقاتلة (ابن جانبولاذ) وانكساره قد قدَّمناها في ترجمة (ابن

جانبولاذ)؛ فلا حاجة إلى إعادتها، وكانت وفاته في عشر الثلاثين. والله أعلم». اهـ.

(ترجمة الأمير محمد بن علي السيفي الطرابلسي)

وقال في «الخلاصة» (٤ : ٤٧): «الأمير محمد بن علي بن السيفي الطرابلسي، أحد أمراء بني سيفا، حكّام طرابلس الشام، وولاتها المشهورين بالكرم والأدب، كان هؤلاء القوم في هذا العصر كبني بَرمَك في عصرهم فضلاً وكرماً ونبلاً، وما برحوا في طرابلس لهم العزّة الزاهرة، والحرمة الباهرة، والدولة الظاهرة، وهم مقصد كل شاعر، ومَوْرد كل مادح، ومدحهم شعراء كثيرون قَصَدوهم، وكانوا يعطون أعظم الجوائز، وكان الأمير محمد بينهم كالفضل في بني برمك.

وكان من أهل الأدب الظاهر، والفضل السّامي، أديباً فاضلاً بليغاً، وَلِيَ حكومة طرابلس بعد الأمير يوسف السيفي، وبذل العطايا، وكانت إحساناته تستغرق العدّ.

ويُحكى عنه من ذلك ما يبعد وقوعه، فمن ذلك ما حكاه الأديب الشاعر محمد ابن مليحة العكاري، وكان من شعراء الأمير المختصّين به، قال: لما دَهمَ الأمراء بني سيفا الخطب من فخر الدّين بن معن، وركب عليهم وحاربهم، كنتُ إذ ذاك في خدمة الأمير محمد، فما برحت أدفع عنه بالمقاتلة حتى لَقِيَني رجل من عسكر ابن معن؛ فضربني على رجلي بسيف فجرحها، فبعث بي الأمير إلى منزله، وأمر بمعالجة رِجلي حتى برأت، وكان أمرهم انتهى إلى الصُّلح والمصافاة، فخرج الأمير يوماً إلى التَّنزُّه وأنا معه، وكان الفصْل فصل الربيع، وقد ازدهرت الأشجار، فجلستُ إلى جانب شجرة مزهرة، فسألني عن رجلي؟ فقلتُ: قد برأت، وأريد أن أريك قوَّتها، ثم ضربت بها تلك الشجرة، فتناثر من نُوارِها شيء كثير، فسُرَّ بذلك، وأمرَ لي بجائزة من الدّنانير بمقدار ما سقط من النوّار، وكان شيئاً كثيراً.

واختصَّ به جماعة من الشعراء كحسين بن الجزري الحلبي، وسرور بن سنين (الحلبي)[(١)]، وكان يقع بينهما محاورات بحضرته، حتى خاطب الأمير محمد بن الجزري بقوله معرضاً بسرور، وكان قد انقطع عن المجلس أياماً:

وحقّكَ ما تركتكَ من مَلالٍ   وسهوٍ أيها المولى الأميرُ
ولكن مُذْ ألفت الحزن قدماً   أَنِفْتُ مواطناً فيها سرورُ

وأنشده بديهةً في مجلس شراب وسرور حاضر، وقد ألقى فَرَاشٌ نفسَه إلى النّار:

يظنّ الفَراشُ اللّيلَ سجناً مؤبّداً   عليه وضَوْءِ الشمس من سجنه بابا
كذاك السخيفُ العقلِ يُقصي مهذّباً   كريماً ويُدني ناقصُ العقل مرتابا[(٢)]

وطلب الأميرُ حسيناً ليلةً للشراب؛ فجاء وهو سكران، فأنشده ارتجالاً:

يا ابن المكارم والعُلا   إني أُريك الذّنب منّي
فلقد ثملتُ بليلتي   في منزلي من خمر دنّي
والعفو من شيم الكرا   م فإن تشأ عفوت عنّي

وأنشده بديهة في مجلس شراب:

خَلَونا بدار للمُدام تكاد أن   تماثلها الأفلاك لولا نعيمُها
فهذي النّدامى كالبدور وشمسها الـ   أمير وأقداحُ المدام نجومُها

وكان معه في قبولا بجبل عكار فأوقَدَ ناراً شعاعها متَّصل بالجو؛ فأنشد بأمر منه:

---

(١) هو سرور بن الحسين بن سنين الحلبي، شاعر من أهل حلب، رحل إلى طرابلس الشام، ومدح أمراءها بني سيفا، وتوفي فيها نحو سنة ١٠٢٠ هـ.
(٢) ستأتي هذه الشطرة على هذا الشكل، وهنا بيت آخر قبل هذا البيت لم يذكر هنا (منه).

كأنَّ نارَكَ يا مَوْلايَ قَلبُ شَجٍ   به الصَّبابة تعلُو حين تَشْتَعِلُ
ومن أشعتها في الجوِّ ألسنةٌ   تدعُو الإلهَ ببقياكُم وتَبْتَهِلُ

وسافر الأمير محمد إلى حلب في عاشر ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وألف، فبلغ حسيناً أنَّ بعض حُسَّاده أكثروا الوقيعة فيه عنده، فأنشده قصيدته المشهورة:

هلما نُحَيِّيها رُبىً ورُبوعا   وهيّا نُسقِّيها دماً ودموعا

وهي من أعذب شعره وأحلاه، ولولا شهرته لذكرتها بتمامها، وللأمير محمد من القريض (مواليا) كثير، ولم أظفر له بشيء من الشعر، ولعلّه كان ينظم، وكانت وفاته في سنة اثنتين وثلاثين وألف بمدينة قونية مسموماً، وكان متوجِّهاً إلى الروم، هكذا رأيته بخط الأديب عبد الكريم الطاراني.

ولما بلغ ابن الجزري خبر وفاته قال يرثيه:

ولما احتوت أيدي المنايا محمد الـ   أمير بن سيفا طاهرَ الروح والبَدَنْ
تعجَّبتُ كيف السيف يُغمد في الثّرى   وكيف يُوارى البحر في طيّة الكَفَنْ

حكي أن أختاً للأمير محمد سمعت بهذين البيتين، فبعثَت إلى ابن الجزري بسبع مئة قرش وفرس.

وكان الأمير المذكور نظام البيت السيفي، ومن بعده تقلّب بهم الزمان، وخرجت عنهم الحكومة، وتفرَّقوا أيادي سبا.

وحكى لي بعض الأدباء قال: أخبرني بعض الإخوان: أنه جاور منهم امرأة بدمشق، وكانت تعرف الشعر حقَّ المعرفة، قال: فسألتُها يوماً عن دولتهم وما كانوا فيه من النّعمة؟ فتنهَّدت وأنشدت:

كان الزمان بنا غِرّاً فما بَرِحَت   به الليالي إلى أن فطَّنَتْه بِنا

نبذة من شعر أمراء بني سيفا

ورأيت في مكتبة المدرسة الشرفية في مدينة حلب، في مجموع رقمه **(١٧١٣)**، وهو من الكتب التي وقفها السيد محمود أفندي الجزار، أحد رجال تاريخنا بيتين (مواليا) للأمير محمد بن سيفا المترجَم وهما:

دَعْ عنك سمر القَنَا والمرهفات البيض وابرز بمالِك إذا رمت الثنايا البيض
وليس يغنيك عن وصل الحسان البيض إذا أنفقت الذهب إلا الصحاح البيض

وفي هذا المجموع **١١** ورقة من ديوان الأمير علي بن محمد بن سيفا، والد المترجم قال في خطبته: قد سألني بعض الإخوان أن أجمع له ما تيسَّر لي نظمُه من مديح المصطفى ﷺ، وغير ذلك من نَسَب وغزل ومديح وتخميس وبيت ومَوّال، فأجبتُه إلى ذلك، وذلك في نهار الثلاثاء، من غرَّة شهر محرّم الحرام، افتتاح سنة اثنين بعد الألف، قال في مطلع أول قصيدة له في مدح النبي ﷺ:

تبدَّا فكبَّرت المهيمن بالنِّدا وجاد فأحيا ميت الخصب بالندى
حبيبٌ إذا وافى أقول لمهجتي لك البِشْر قد وافى حبيبيَ موعدا

ومن نظمه هناك:

تفكَّرْ في الأمور وكن لبيباً ترى فعلَ الإله بدا جميلا
وأصعبُ ما يلاقي المرء حقّاً بلادٌ لا يَرى فيها خليلا

ومن نظمه هناك:

قفا نسألِ الأطلال والرسم والدّما متى عهدها بالغيد والخود والدُّما
فقد خلّفوا جفني جريحاً وعندما سَرَوْا ساح دمعي فوق خدّيّ عندما

وذكر له في هذا المجموع قبل هذه الأوراق هذا المواليا:

نحنا الذي قد ملكنا السمر ثم البيض بعزمنا وهممنا ولا بوزن البيض
وإن شككت فسل يا من فعاله بيض ينبيك عن عزمنا سمر القنا والبيض

وكتب لي السيد كامل البابا[1] أحد أدباء طرابلس والمشتغلين بتاريخها الآن، وقد سألتُه عن بني سيفا، وآثارهم، فقال: إن بني سيفا الَّذين قد انقرضت سلالتهم انقراضاً ضُرِبَ به المثل؛ صار من الصعب جداً العثور على كتاب مخصوص من كتبهم، أو مجموع من مجاميعهم بعد ما انقضى على حادثة انقراضهم أمد طويل، ولا أعلم أنَّه باق منهم أحد غير امرأة كنتُ عرفتُ بِوجودِها منذ خمس عشرة سنة، ولا أعلم الآن عنها شيئاً[2].

(ترجمة فتح الله بن النحاس)

وأما الشاعر الأديب فتح الله بن النّحاس المتوفّى سنة **١٠٥٢** فقد ترجمَه المحبّي في «خلاصة الأثر»، وابن معصوم في «سلافة العصر»، وقد أدرجتُ الترجمتين في تاريخي.

وقد أكثر كلُّ واحدٍ منهما من إيراد شعره.

وممَّن ترجَمَهُ الأديب الشيخ محمد العُرْضي في كتابه الذي ألمعنا إليه.

قال في حقّه: «فتح الله بن النّحاس الحلبيّ، ذو المعاني الغُر، والمنطق الحر، وطالما

---

(١) المولود سنة ١٨٨٠هـ، والمتوفى سنة ١٩٧٠هـ عن ٩٠ عاماً. له كتاب: «طرابلس في التاريخ» في **٤٣٩** صفحة، ونقد كتاب «تاريخ العرب»، و«موجز تاريخ آل كرامة».

(٢) قال الطباخ في آخر ديوان الجزري ص **٢٣١**: تمَّ طبعه في العشرين من شهر شوال **١٣٤٧**، وقد بذلت أقصى الوسع في تصحيحه، وآمل أن تكون أغلاطه قليلةً جداً. وإذا تأمَّلت الخطوط التي نقلت عنها تحقق لديك أن ليس في الإمكان أبدع مما كان. والحمد لله أولاً وآخراً.

نادى على رقيق كلامه من الرواة كل نخاس، كلام يتحلّى باللاذ، ويحل برقّته الفلاذ، فابنُ أبي الحديد يُعدُّ من شيعته، وابن الصائغ ـ مع جودة سبكه ـ من أقلّ صاغته، وهو ـ وإن كان قليل الشِّعر إلا أنّه ـ كالإكسير غالي السعر، نشأ المذكور في حِجْر النّعمَة والدّلال، وتلقّته قوابل الأيام بالسّعد والإقبال، وقد خلع عليه يوسف خلعة البهاء من غير سرف، فكان كالقمر في الشّرف، والدرّة في الصّدف، فلم يزل يقتنص القلوب تارةً بشِبَاك أهدابه، وأخرى بشِرَاك آدابه، ويفتن ويسلب تارة بسحر لَحْظِه، وأخرى بسحر لَفْظِه، حتى إذا دَنت شمس حُسْنه بالأفول، وبدرُ جماله بالمحاق، وغصنُ قوامه بالذبول، تدَرْوَش وتنسّك، وتشبَّث بأذيال الفقر وتنسّك، ولبس الخشن من الثياب بعد الرّقاق، وخدّر لآلامه باستعمال الأفيون، واتخذه لسموم همومه كالترياق، كما وصف حاله هذه في قصيدته الأفيونية التي كتب بها إلى المرحوم العلامة صاحبنا نجم الدين الحلفاوي، ومعتذراً من بادرةٍ صَدَرت منه حيث يقول:

من يدخل الأفيونَ بيتَ لهاتِهِ فَلْيُلقِ بين يديه نقد حياتِهِ

وها أنا كاتب من كلماته ما يعلق بالطبع، ويرفع له حجاب السمع، مثل قوله مضمناً مطلع قصيدة ابن سينا في الروح:

لا يدَّعي أحدٌ لوجهكَ نسبة فأخاف أن يسودَّ وجه المدَّعي
والشمس لو علمت بأنك دونها هبطت إليك من المحل الأرفع»

ثم أورد له جملة من الشعر.

وكان طبع ديوانه في مصر سنة ١٢٩٠ في ٦٨ صحيفة، إلا أن نُسَخه نادرة الوجود، ومع هذا فإنَّ فيه أغلاطاً كثيرة، فقابلتُ معظم الدّيوان على قصائده المنثورة في تراجمه وفي المجاميع، فكان لذلك جديراً بأن يُعاد نشرُه وتعمّ فائدته.

ويوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأُمة في باريس، وفي المكتبة السلطانية في مصر، ولم أعثر بعد البحث على نسخة في مكاتب الشهباء[1].

(ترجمة مصطفى بن عبد الملك البابي)

أما مصطفى بن عبد الملك المتوفّى سنة ١٠٩١، فقد ترجمَه صاحب «الخلاصة»، وأدرجتُ ترجمتَه في تاريخي أيضاً، وقد قال المحبِّيُّ في حقِّه: «وأما أشعارُه فكلُّها نفيسةٌ فائقة، مُطْربة رائقة، وهي في الجزالة والفصاحة فوق شعر المفلقين من المتقدِّمين، وفي الرشاقة وحُسْن التَّخيُّل تفوق قول المجيدين من الـمُحْدَثين، وها أنا أتلو عليك منه ما به الأرواح تنتعش، والأرواح ترتعش، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها ابن الحسام القاضي:

سرى عائداً حيث الضَّنا راع عوّدي سُرَى البدر طيفٌ بالدّجنّة مُرتَدِ

وأورد له بعد هذه القصيدة جملة من شعره، وكان طبع ديوانه في بيروت سنة ١٨٧٢م الموافقة لسنة ١٢٨٠هـ.

وقد عثرت على ثلاث نسخ خطية منه في حلب، منها نسخة في مكتبة صديقنا الوجيه السيد أسعد العينتابي، فوجدتُ فيه لدى مقابلته عليه أغلاطاً كثيرة، شوَّهت محاسنها فعوَّلت لهذا، ولندرة نُسَخِه أيضاً، على إعادة طبعه ليبرز ـ إن شاء الله تعالى ـ بحُلَّة قشيبة، وحِلْية نَيِّرة، فتبتسم لها الثغور، وتنشرح لها الصدور.

---

(١) قال الطباخ في أول ديوان فتح الله النحاس: «تنبيه: قلت في المقدِّمة: إني بعد البحث لم أظفر بنسخة خطية من هذا الديوان، وقد عثرت بعد ذلك على نسخة من مكتبة المدرسة الأحمدية محرَّرة سنة (١٠٩١)، رقمها في المكتبة (١٢٠١)، ولم تكن موضوعة في مكانها، وسنصحِّح عليها أيضاً، ولدى مقابلتها في المطبوعة، وجدتُ فيها زيادة ٢٩ بيتاً سأثبتها في آخر الديوان إن شاء الله».

وقد أصبحت هذه الدواوين الثلاثة ـ بتوفيقِهِ تعالى لنا لجمعِ الأول منها وترتيبه، وتصحيح الثاني والثالث ـ عَذْبَةَ المورد، سَهْلَةَ المجْتَبى.

وقد زدنا بإبرازها لعالم المطبوعات عَدَد ما طبع من الآثار الحلبيَّة، وبالله المستعان.

وإني أستغفر الله من الخطأ والزَّلل، وأسأله التوفيق إلى خير القول، وأحسن العمل[1].

الناشر

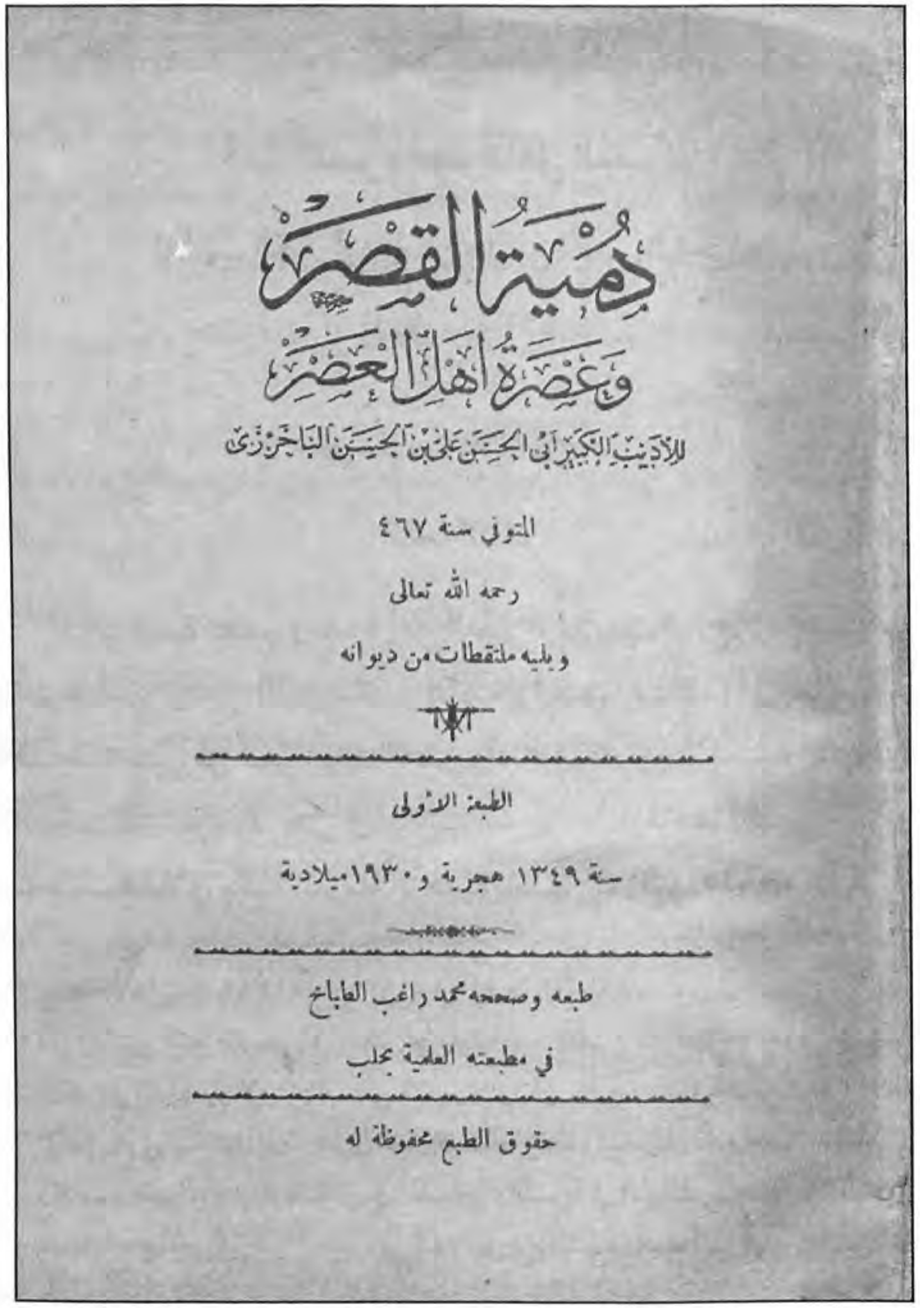
محمد راغب الطباخ

❊ ❊ ❊

---

(١) قال الطباخ في آخر الكتاب: تمَّ ـ بعون الله وحُسن توفيقه ـ طبع هذه الدواوين الثلاثة التي سميتها: «العقود الدرية في الدواوين الحلبية» في ثاني ذي الحجة ١٣٤٧، وذلك بعد جمع شوارد الأول منها، والتقاط الزوائد من الأخيرين، إلى أن انتظمت منها لآلئ تلك العقود، وقد بلغ مجموعها مع المقدمة (٤٠٣) صحائف، ولم آل جهداً في العناية في تصحيحها والرجوع إلى معاجم اللغة. وآمل لذلك أن يكون الخطأ فيها قليلاً جداً. وإني لا أدَّعي أنها خرجت خالية منه، إذ لا يزال في القلب شيء من عدَّة كلمات، وذلك للتحريف الواقع في النسخ والأصول المخطوطة، والغلط الواقع في ديوانَي النحاس والبابي المطبوعين قديمًا، وخصوصاً الثاني منهما. وإذا قابلت بين ما هنا وما هنالك، يتجلى لك ما عاينته في التصحيح حتى برزت في هذا الثوب البهي المزدان بحُسن الوضع وجمال الطبع، على أن ذلك العناء وتلك المشقة قد كان لي فيها عين الراحة إذ وفق الله لنشر هذه الآثار بعد أن كانت ملقاة في زوايا الإهمال، وقلَّ من يعلم بها، ورحم الله الأديب البابي حيث يقول:

كلُّ صعب يهونُ إن أنعم اللـ ـــه على عبدِهِ بحُسن الختام


دُمْيَةُ القَصْرِ وَعُصْرَةُ أَهْلِ العَصْرِ
للأديب الكبير أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي
المتوفى سنة ٤٦٧
رحمه الله تعالى
ويليه ملتقطات من ديوانه
الطبعة الأولى
سنة ١٣٤٩ هجرية و١٩٣٠ ميلادية
طبعه وصححه محمد راغب الطباخ
في مطبعته العلمية بحلب
حقوق الطبع محفوظة له

دُمية القصر وعصرة أهل العصر (١)

للأديب الكبير أبي الحسن علي بن الحسن الباخَرْزي

المتوفى سنة ٤٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

كتاب «دُمية القَصر وعَصرة أهل العصر»، للأديب البارع أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي؛ مِن أَنْفَس الكتب الأدبية وأحسنها سَبْكاً، وأغزرها مادّة، وقد جَمَعَتْ خلقاً كثيراً من شعراء ذلك العصر وأدبائه، وقد ذَهَبَتْ بنُسَخِه أيدي الزّمان، وأصبحت نادرةَ الوجود، حتى في المكاتب الغربيّة والهندية، وقد أظفرني حُسْنُ الحظّ بنُسخة نفيسة منه في مكتبة المدرسة الأحمديَّة بحلب(٢)، رقمها (١١٩٤)، وهي جميلة

(١) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م في المطبعة العلمية بحلب.

(٢) قال الدكتور محمد التونجي في خاتمة تحقيقه لـ«دمية القصر» ص ١٥١٠: «وهي نسخة كثيرة النقص في التراجم والاستشهاد، ففي القسم الثاني: أورد ترجمة ستة وعشرين شاعراً في حين أن الأصل يحوي تسعة وستين، ويحوي القسم السادس ثلاثاً وتسعين ورقة، وفي نسخة السليمانية مئة وثلاث وخمسون، ناهيك بالنقص في المضمون والتّشويه في الأبيات.. أما تاريخ نسخها واسم ناسخها فغير معروفين، ولا مذكورين فيها، ويرجّح الشيخ راغب أنها كتبت في القرن الحادي عشر الهجري تبعاً لنوع خطها وعنايتها ببعض الزخرفة. والجيد في هذه النسخة أمران: أوّلهما: جمال الخطّ وكمال العرض، وثانيهما: أن النسخة مختومة بأربع وعشرين ورقة من ديوان الباخرزي».

الخطّ، ومقابلة على الأصل المنقول منه، وعلى هامشها بعض تعليقات بخطّ بعض الفضلاء، غير أنّه لم يذكر في آخرها تاريخ كتابتها، ولا اسم ناسخها، إلا أنَّ ظاهر النّسخة يدلّ على أنّها كتبت في القرن العاشر أو الحادي عشر، وفي أوَّلها بخطّ ناسخها قطعة من ديوان الباخرزي في ٥٠ صفحة، كُتِبَ في آخره: آخر الملتَقَطات من ديوان أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي، والحمد لله وحده(١).

ولما كانت خزانة الأدب العربي في حاجة إلى مثل هذا الكتاب النَّفيس؛ بادرتُ إلى نشرِه مع تلك القطعة من ديوانه.

وتصفَّحت بعض الكتب الأدبيَّة فجمعتُ جملةً من شعره؛ سأذكرها بعد تلك القطعة إن شاء الله تعالى.

وقد ظفرتُ بنسخةٍ مِن «الدُّمية» في المكتبة المارونية في حلب، ورقمها (٤٧٤)، وسأقابل عليها أثناء الطَّبع، وهي بخطِّ الأديب البارع يوسف البديعي الحلبي، أحد رجال تاريخنا الكبير «إعلام النّبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٦: ٣٣٥)، كُتِبَ في آخرها ما نصُّه: «أُنجِزَ نسخُه ـ بعون الله تعالى ـ بقلم فقير ربِّه الغني، يوسف البديعي، في شهر ذي القعدة سنة ١٠٥١، وذلك برسم خزانة المولى العالم العلامة مولانا نجم الدِّين أفندي، أدام الله تعالى فضائله». وبعد ذلك قصيدة قرّظ فيها «الدُّمية»، ومدح بها المولى نجم الدِّين، وهو محمد بن محمد نجم الدِّين الحلفاوي، علامة الشهباء، المتوفّى سنة (١٠٥٤)، وهو أيضاً أحد رجال تاريخنا [٦: ٢٧٩].

وسنُثبِت هذه القصيدة في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

(١) وقد نشر الأستاذ الطباخ ملتقطات من «ديوانه» في آخر كتاب «الدمية» بتحقيقه، ومن الديوان نسخ كثيرة، منها: نسخة في مكتبة الدراسات العليا، بكلية الآداب جامعة بغداد، وانظر شيئاً من شعره في «وفيات الأعيان» (٣: ٣٨٨)، و«معجم الأدباء» (١٣: ٣٤) وما بعدها.

دُمية القصر وعصرة أهل العصر [1]

للأديب الكبير أبي الحسن علي بن الحسن الباخَرْزي

المتوفى سنة ٤٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

كتاب «دُمية القَصر وعَصرة أهل العصر»، للأديب البارع أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي؛ مِن أَنْفَس الكتب الأدبية وأحسنها سَبْكاً، وأغزرها مادّة، وقد جَمَعَتْ خلقاً كثيراً من شعراء ذلك العصر وأدبائه، وقد ذَهَبَتْ بنُسَخِه أيدي الزَّمان، وأصبحت نادرةَ الوجود، حتى في المكاتب الغربيّة والهندية، وقد أظفرني حُسْنُ الحظّ بنُسخة نفيسة منه في مكتبة المدرسة الأحمديَّة بحلب[2]، رقمها (١١٩٤)، وهي جميلة

(١) الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م في المطبعة العلمية بحلب.

(٢) قال الدكتور محمد التونجي في خاتمة تحقيقه لـ«دمية القصر» ص ١٥١٠: «وهي نسخة كثيرة النقص في التراجم والاستشهاد، ففي القسم الثاني: أورد ترجمة ستة وعشرين شاعراً في حين أن الأصل يحوي تسعة وستين، ويحوي القسم السادس ثلاثاً وتسعين ورقة، وفي نسخة السليمانية مئة وثلاث وخمسون، ناهيك بالنقص في المضمون والتَّشويه في الأبيات.. أما تاريخ نسخها واسم ناسخها فغير معروفين، ولا مذكورين فيها، ويرجّح الشيخ راغب أنها كتبت في القرن الحادي عشر الهجري تبعاً لنوع خطها وعنايتها ببعض الزخرفة. والجيد في هذه النسخة أمران: أوّلهما: جمال الخطّ وكمال العرض، وثانيهما: أن النسخة مختومة بأربع وعشرين ورقة من ديوان الباخرزي».

الخطّ، ومقابلة على الأصل المنقول منه، وعلى هامشها بعض تعليقات بخطّ بعض الفضلاء، غير أنّه لم يذكر في آخرها تاريخ كتابتها، ولا اسم ناسخها، إلا أنَّ ظاهر النّسخة يدلّ على أنّها كتبت في القرن العاشر أو الحادي عشر، وفي أوَّلها بخطّ ناسخها قطعة من ديوان الباخرزي في ٥٠ صفحة، كُتِبَ في آخره: آخر الملتَقَطات من ديوان أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي، والحمد لله وحده[1].

ولما كانت خزانة الأدب العربي في حاجة إلى مثل هذا الكتاب النَّفيس؛ بادرتُ إلى نشرِه مع تلك القطعة من ديوانه.

وتصفَّحت بعض الكتب الأدبيَّة فجمعتُ جملةً من شعره؛ سأذكرها بعد تلك القطعة إن شاء الله تعالى.

وقد ظفرتُ بنسخةٍ مِن «الدُّمية» في المكتبة المارونية في حلب، ورقمها (٤٧٤)، وسأقابل عليها أثناء الطَّبع، وهي بخطٍّ الأديب البارع يوسف البديعي الحلبي، أحد رجال تاريخنا الكبير «إعلام النّبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٦: ٣٣٥)، كُتِبَ في آخرها ما نصُّه: «أُنجزَ نسخُه ـ بعون الله تعالى ـ بقلم فقير ربِّه الغني، يوسف البديعي، في شهر ذي القعدة سنة ١٠٥١، وذلك برسم خزانة المولى العالم العلامة مولانا نجم الدِّين أفندي، أدام الله تعالى فضائله». وبعد ذلك قصيدة قرّظ فيها «الدُّمية»، ومدح بها المولى نجم الدِّين، وهو محمد بن محمد نجم الدِّين الحلفاوي، علامة الشهباء، المتوفّى سنة (١٠٥٤)، وهو أيضاً أحد رجال تاريخنا [٦: ٢٧٩].

وسنُثْبِت هذه القصيدة في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

(١) وقد نشر الأستاذ الطباخ ملتقطات من «ديوانه» في آخر كتاب «الدمية» بتحقيقه، ومن الديوان نسخ كثيرة، منها: نسخة في مكتبة الدراسات العليا، بكلية الآداب جامعة بغداد، وانظر شيئاً من شعره في «وفيات الأعيان» (٣: ٣٨٨)، و«معجم الأدباء» (١٣: ٣٤) وما بعدها.

ولحُسنِ الحظّ ظفرتُ بنسخة أخرى أيضاً في كتاب مخطوطات الموصل؛ للطبيب الأديب داود جلبي المطبوع في بغداد سنة [١٣٤٦]، وقد وعدني هو والأديب السيد أحمد الصوفي باستنساخ نسخة عنها، وإرسالها تباعاً، فشُكراً لِـهِمَّتِهما[1].

ترجمة المؤلِّف:

قال ابن خلّكان: «أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطّيّب الباخرزي الشّاعر المشهور، كان أوحدَ عصره في فضله وذهنه، والسابق إلى حيازة القَصْب في نظمِه ونثرِه، وكان في شبابه مُشتغِلاً بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، فاختصّ بملازمة درس الشّيخ أبي محمد الجويني والد إمام الحرمَين، ثُمَّ شرع في فنِّ الكتابة، واختلف إلى ديوان الرَّسائل، وارتفعت به الأحوال وانخفضت، ورأى مِن الدهر العجائب سفراً وحضراً، وعلا أدبُه على فقهِه، فاشتهر بالأدب، وعمل الشّعر، وسمع الحديث، وصنَّف كتاب «دُمية القصر وعُصرة أهل العصر»، وهو ذيل «يتيمة الدَّهر» التي للثعالبيّ، وجمع فيها خلقاً كثيراً، وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً سمَّاه: «وشاح الدّمية»، وهو كالذَّيْل له، هكذا سمّاه السمعاني في «الذَّيل».

وقال العماد في «الخريدة»: هو شرف الدِّين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي.

وديوان شعر الباخرزي كبير، والغالب عليه الجودة، وبعد أن ساق شيئاً من

(١) وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، الأولى: بحلب سنة ١٩٣٠ بتحقيق العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ التي أوردت مقدمة الشيخ لها، والطبعة الثانية في القاهرة، بتحقيق عبد الفتاح الحلو، صدر المجلد الأول منها: ١٩٦٨، والطبعة الثالثة في بغداد، صدر المجلد الأول منها عام ١٩٧٠ بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني، والطبعة الرابعة في دمشق، بتحقيق الدكتور محمد التونجي، نشر دار الجيل ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

شِعره، قال: وقتل الباخَرْزي في مجلس الأُنس بباخرز، في ذي القعدة، سنة سبع وستين وأربع مئة، وذهب دمه هدراً.

وباخَرْز: بفتح الباء الموحّدة، وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة، ثم راء ساكنة، وبعدها زاي، وهي ناحية من نواحي نيسابور؛ تشتمل على قرى ومزارع، خرج منها جماعة من الفضلاء، وغيرهم». اهـ.

وفي «معجم البلدان»: باخَرْز: كُورَة ذات قرى كبيرة، وأصلها بادهرزه؛ لأنّها مهبّ الرّياح، وهي باللّغة البهلوية تشتمل على مئة وثمان وستين قرية، قصبتها مالين، خرج منها جماعة كثيرة من أهل الأدب والفقه والشّعر.

منهم علي بن الحسن الباخَرزي؛ صاحب كتاب «دُمية القصر»، وأبوه كان أديباً فاضلاً، وهي بين نيسابور وهراة. اهـ.

وقال ابن خلّكان في ترجمة العماد محمد بن محمد الكاتب (٥٩٧): «وصنَّف التصانيف الفائقة، من ذلك: كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر»، جعله ذيلاً على «زينة الدّهر في لطائف شعراء العصر» تأليف: أبي المعالي سعد بن علي الورَّاق الحَظِيري (٥٦٨)»[1].

(١) قال ابن خلّكان في «الوفيات» (٢: ٣٦٦-٣٦٨): «أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب؛ كانت لديه معارف، وله نظم جيد، وألّف مجاميع ما قصَّر فيها، منها كتاب «زينة الدهر وعُصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعراء العصر» الذي ذيَّله على «دمية القصر» لأبي الحسن الباخرزي جمع فيه جماعة كبيرة من أهل عصره ومن تقدمهم، وأورد لكل واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره. وقد ذكره العماد الكاتب في «الخريدة» وأنشد له عدَّة مقاطيع، وروى عنه لغيره شيئاً كثيراً. وكان مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم، وله كتاب سماه «مح الملح» يدل على كثرة اطلاعه. وله كل معنى مليح مع جودة السبك. وتوفي يوم الإثنين الخامس والعشرين، وقيل: الخامس عشر، من صفر =

والحَظِيري جعل كتابه ذيلاً على: «دمية القصر وعَصْرة أهل العصر» للباخرزي.

والباخرزي جعل كتابه ذيلاً على «يتيمة الدّهر» للثعالبي(١).

والثعالبي جعل كتابه ذيلاً على كتاب: «البارع» لهارون ابن المنجم(٢)». اهـ.

= سنة ثمان وستين وخمس مئة ببغداد، ودفن بمقبرة باب حرب، رحمه الله تعالى.
والحظيري ـ بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ـ: هذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له: «الحظيرة»، ينسب إليه كثير من العلماء، والثياب الحظيرية منسوبة إليه أيضاً».

(١) قال ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» (٣: ١٧٨ - ١٨٠): «أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، وله من التواليف «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها، وفيها يقول أبو الفتوح نصر الله قلاقس الإسكندري الشاعر المشهور:

أبيـات أشعـار اليتيمَهْ ... أبكارُ أفكارٍ قديـمَهْ
ماتـوا وعاشـت بعدهـم ... فلـذاك سُمِّيَتِ اليتيمَهْ

وله أيضاً كتاب «فقه اللغة»، و«سحر البلاغة وسر البراعة»، و«من غاب عنهم المطرب»، و«مؤنس الوحيد» وشيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم وفيها دلالة على كثرة اطلاعه. وله أشعار كثيرة. وكانت ولادته سنة خمسين وثلاث مئة، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربع مئة رحمه الله تعالى.
والثعالبي: بفتح الثاء المثلثة والعين المهملة وبعد الألف باء مكسورة وبعدها لام موحدة هذه النسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، قيل له ذلك لأنه كان فراء». انتهى.

(٢) قال ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» (٦: ٧٨-٧٩): «هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور، المنجم البغدادي الأديب الفاضل، وكان حافظاً راوية الأشعار، حسن المنادمة، لطيف المجالسة. صنف كتاب «البارع» في أخبار الشعراء المولَّدين، وجمع فيه مئة وواحداً وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن برد العُقَيلي، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه، وقال في أوله: إني لما عملت كتابي في أخبار الشعراء المولَّدين، ذكرت ما اخترته من أشعارهم، وتحرَّيت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته وانتهى إليه علمي، والعلماء تقول: دل على عاقل اختياره، وقالوا: اختيار الرجل من وفور عقله، وقال بعضهم: =

وللدُّمية شرح ذكره صاحب «الكشف» في الكلام على طبقات الشعراء (٢: ٩٣)، ولم يذكر اسمَ مؤلّفه، ولا وقفت عليه، وبالله التوفيق(١).

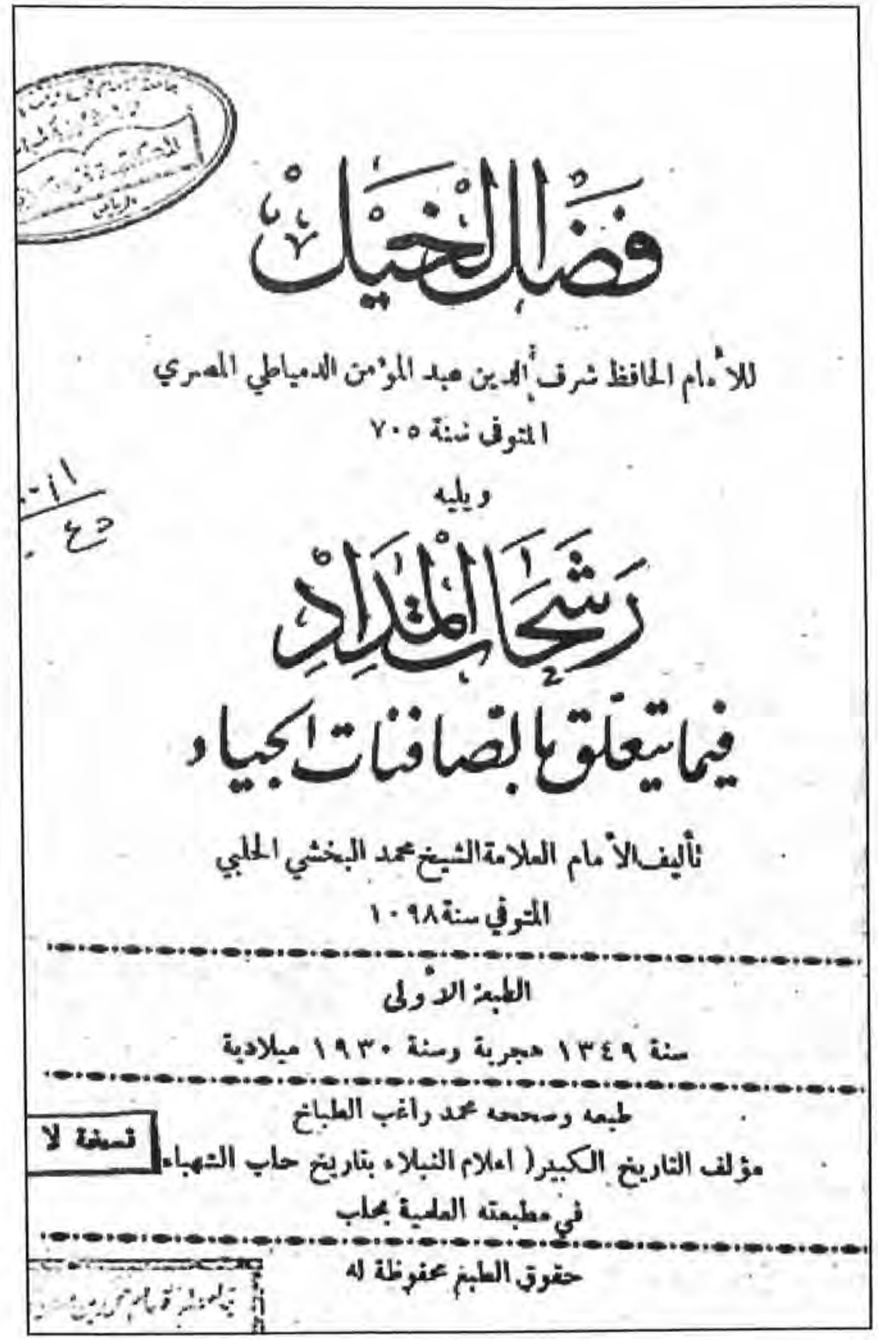
الناشر

محمد راغب الطباخ

* * *

= شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنه قطعة من عقله، واختياره قطعة من علمه. وطوَّل الكلام في هذا، وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن، وأنه كان طويلاً، فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر، وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة، فإنه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم، فإنه مَخَضَ أشعارهم، وأثبت منها زبدتها وترك زبدها، وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الأصبهاني وقلت: إن كتاب «الخريدة» وكتاب الحظيري، والثعالبي فروع عليه، وهو الأصل الذي نسجوا على منواله. وله كتاب «النساء وما جاء فيهنَّ من الخبر ومحاسن ما قيل فيهنَّ من الشعر والكلام الحسن»، توفي سنة ٢٨٢هـ وهو حَدَث السن». انتهى. عن ٣١ سنة، فإنَّ مولده كما ذكر الزركلي في «الأعلام» سنة ٢٥١هـ.

(١) ختم العلامة الطباخ تحقيقه الكتاب بقوله: «نجز بتوفيقه تعالى طبع كتاب «دُمية القصر وعُصرة أهل العصر» للباخَرزي، إمام الأدب في عصره وبزغت شمسه في الآفاق بعد أن كانت متحجّبة في زوايا الخزائن عدة قرون، ولم آل جهداً في تصحيحه على ثلاث نسخ خطية غير أني لا أدّعي أني أخرجته للناس خالياً من الغلط، بل إن في القلب شيئاً من بعض الكلمات خصوصاً تلك التي في الأبيات الفارسية، ويعذرنا من رأى الأصول التي لدينا ويتحقق أن ليس في الإمكان أبدع مما كان. وعسى أن يتدارك ذلك النزر من الغلطات أهل الأدب والفضل خصوصاً من كان لديه نسخة خطية، ويتحفنا بها خدمة للعلم أو يتحف بها، فيما بعد، من ينهض بطبع هذا الكتاب مرة ثانية». غير أن الشيخ، رحمه الله، لم يتيسّر له إتمام النقص الموجود في النسخة الأحمدية، كما أنه لم يشرح شيئاً، وإذا مرّ شرح لفظ ما فإنما هو منقول عن هوامش المخطوطة غالباً».


فضل الخيل
للإمام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي المصري
المتوفى سنة ٧٠٥
ويليه
رشحات المداد
فيما يتعلق بالصافنات الجياد
تأليف الإمام العلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي
المتوفى سنة ١٠٩٨
الطبعة الأولى
سنة ١٣٤٩ هجرية وسنة ١٩٣٠ ميلادية
طبعه وصححه محمد راغب الطباخ
مؤلف التاريخ الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء)
في مطبعته العلمية بحلب
حقوق الطبع محفوظة له
نسخة لا

فَضْل الخيل[1]

للحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي المصري المتوفَّى سنة ٧٠٥

ويليه:

رَشَحات المداد فيما يتعلَّق بالصَّافنات الجياد

للعلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفَّى سنة ١٠٩٨

كلمة الناشر

كان للعرب في الجاهلية عنايةٌ كبرى في كثير من العلوم التي لا بدَّ للإنسان منها في أمر هذه الحياة، يشهد لذلك بقية آثارهم الباقية في بلاد اليمن؛ فإنَّها ناطقة برسوخ قدَمِهم في علم الهندسة، وصناعة البناء.

وقد أسهب المقال في ذلك العلّامة الألوسي في كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» في الجزء الثالث منه، وعدَّد ما كان للعرب في الجاهلية من العلوم والمعارف، وقال في كلامه على علم العرب بأدواء الخيل ودوائها: «اعلم أن العرب كانوا في معرفة شؤون الخيل وأحوالها بمنزلةٍ لم يصل إليها غيرهم، وربّما بقيت هذه

---

(١) طبعه وصحَّحه محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م. وأعاد طباعة كتاب «فضل الخيل» الأخ الشيخ نظام يعقوبي معتمداً على طبعة الطباخ، ومقابلاً على نسخة خطية نفيسة لم يعتمد عليها العلامة الطباخ، وصدر في دار النوادر سنة ١٤٣٢ في ٤٢٨ صفحة.

المعرفة في أفرادٍ منهم إلى اليوم، جائلين في الفيافي والفَلَوات، فيعرفون أدواءها ودواءها معرفة حاذق مُتقِن، ولهم في ذلك قَدَمٌ راسخة، وباع طويل، ورَوَتْ عنهم ثِقات الرّواة أخباراً طريفة؛ تستلذّها الأسماع». اهـ.

ولشدَّة عنايتهم بالخيل أكثروا في شعرهم الكثير من ذِكْرِها، ووصفوها أدقّ وصف، بحيث لم يَلحقهم في ذلك لاحق، ولم يُجارِهم في هذا الميدان أُمّةٌ من الأُمم.

والسبب في ذلك ـ كما ذكر العلاّمة الألوسي ـ : «أنَّ كلَّ مَن مارس شيئاً ولازمه؛ كانَ أدرى بشؤونه، وأعرفَ بأحواله مما سواه، هؤلاء العرب لما كانوا على ممرِّ الأيام في كَرٍّ وفَرٍّ، وإقدامٍ وإحجامٍ؛ لم تَزَلْ مواكبُهم مُصْطَفَّة، وكتائبُهم مُلْتَفَّة، وأعلامهم منشورة، وراياتهم مشهورة، وبنودهم خافقة، وجموعهم مشتبكة، وأقرانهم متطاعنة، وفرسانهم متضاربة، وسيوفهم بدم النُّحور مُشرقة، ورماحهم متشاجرة، وخيولهم مُتَصاهلة، ونيران حروبهم مشتعلة، كانت الخيل من أعظم عُدَدِهم، وأنْفَذِ آلات ظفرهم بمقصدهم، بل كانت حصونهم المشيدة، وكنوزَهم المخلَّدة، وعزَّهم الرّفيع، وحِرْزَهم المنيع، فلذلك وقفوا من أحوالها وأوصافها المحمودة والمذمومة [على] ما لم يقف عليه غيرُهم، وعلموا من عِلَلِها وأدوائها ما لم يعلمْه سواهم، حتى بلغ في ذلك صَبِيُّهم ووليدُهم ما لم يبلُغْه شيوخ قوم آخرين، والشّواهد على ذلك كثيرة، واستوعبتها كتبهم المؤلَّفة في الخيل، ثم أورد شاهداً مشتملاً على بيان ما هو بصدده» (٣: ٨٢).

هذه حالتهم في الجاهلية، وبعد أن جاء الإسلام ودانوا به، ازدادوا معرفة بالخيل وأنواعها، وكيفيّة تربيتها وترويضها، وتعويدها على الكرِّ والفرّ، دعتهم لذلك ضرورة التوسُّع في الفتوحات في الشرق والغرب، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ

لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، (وبما ورد في ذلك من الأحاديث الكثيرة الحاثّة على العناية بها).

لذلك نهض علماء الإسلام في قديم الزمن وحديثه، وألَّفوا مُؤلَّفات كثيرة في فضل الخيل، وأوصافها، ومحاسنها، وعيوبها، وأسمائها، وأعضائها، وما يَعتَرِيها من الأدواء، وما تُطبَّب به إلى غير ذلك.

ولعلَّ أوّل من ألَّف فيه من السَّلَف: مَعْمَر بن المثَنّى البصري، المتوفّى سنة ٢٠٩، وعبد الملك الأصمعيّ، المتوفَّى سنة ٢١٦.

قال ابن خلِّكان في ترجمة الأصمعيّ: «قال الأصمعيُّ: حضرت أنا وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى عند الفضل بن الرّبيع؛ فقال لي: كم كتابك في الخيل؟ فقلتُ: مجلّد واحد، فسأل أبا عبيدة عن كتابه؟ فقال له: خمسون مجلدة[1]، فقال له: قُم إلى الفرس وأمسِك عضواً عضواً منه وسمِّه، فقال: لست بيطاراً، وإنَّما هذا شيء أخذتُه عن العرب، فقال لي: قُم يا أصمعيُّ وافعل أنت ذلك، فقُمتُ وأمسكتُ ناصيتَه، وشرعتُ أذكر عضواً عضواً، وأضعُ يدي عليه وأُنشد ما قالت العرب فيه، إلى أن فرغت منه، فقال: خُذه، فأخذتُه، وكنت إذا أردتُ أنْ أُغيظ أبا عبيدةَ ركبتُهُ إليه.

وقد رُوي من طريق آخر: أن ذلك كان عند هارون الرشيد، وأن الأصمعيَّ لما فرغَ من كلامه في أعضاء الفرس؛ قال الرّشيدُ لأبي عبيدة: ما تقولُ فيما قال؟ قال: أصاب في بعضٍ وأخطأ في بعضٍ، فالَّذي أصاب فيه منِّي تعلَّمه، والذي أخطأ فيه ما أدري مِن أين أتى به».

(١) منه نسخة في مكتبة عارف بك في المدينة المنورة، ذكر ذلك المرحوم أحمد تيمور باشا في مقالته: «نوادر المخطوطات»، المنشورة في مجلة «الهلال»، وقال عنه: إنَّه أوفى كتب المتقدمين في هذا الموضوع. (منه).

وذكر ابنُ خلِّكان هذه الحكاية في ترجمة أبي عبيدة المقدَّم ذكرُه بشكل آخر، فقال: «قال أبو عثمان المازني: سمعتُ أبا عبيدة يقول: دخلت على هارون الرشيد، فقال لي: يا مَعْمَر! بلغني أنَّ عندَكَ كتاباً حسناً في صفة الخيل؛ أحبُّ أن أسمعَهُ منك، فقال الأصمعيُّ: وما تصنعُ بالكتب؟ يُحْضَرُ فرسٌ، فأُحضِر، فقام الأصمعيُّ، فجعل يضعُ يده على عضوٍ عضوٍ منه، ويقول: هذا كذا، قال فيه الشاعر كذا، حتى انقضى قوله..»، إلخ ما تقدَّم.

وتلاهما: أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية القرشي الأموي؛ المعروف بالعُتْبي الشاعر، المتوفَّى سنة **٢٢٨**، وأبو عليّ إسماعيل بن القاسم، المشهور بالقالي، المتوفَّى سنة **٣٥٦**، فصنَّفَا في الخيل، ذكر ذلك ابن خلِّكان في ترجمتهما.

وأبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، المتوفَّى سنة **٢٤٥**، ومحمد بن هشام الشيباني اللغوي، المتوفَّى سنة **٢٤٥** أيضاً، ومحمد بن رضوان، المتوفَّى سنة **٦٥٧**، ومحمد بن يعقوب الجيلي، ذكر ذلك صاحب «الكشف» في الكلام على كتاب الخيل.

ثم تتابَع التأليف في هذا العلم، وممَّن ألَّف فيه: أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، المتوفَّى سنة **٨٢٦**، سمَّاه: «فضل الخيل وما فيها من الخير والنَّيل» ومَن تتبَّع «كشف الظنون» وجد كُتباً كثيرةً فيه.

وذكر العلَّامة المِفضال المرحوم أحمد تيمور باشا في مقالته «نوادر المخطوطات» ـ المنشورة في السنة الثانية والعشرين من مجلة الهلال المصرية ـ عدَّة كتبٍ فيه، مع ذِكر أماكنِ وجودِها، وهي:

«**الدّرّ المطابق في علم السوابق**»؛ في الخيلِ وتعليمها ومعالجتها، في السلطانية بالقاهرة.

وفيها أيضاً: «**رشحات المِداد فيما يتعلَّق بالصَّافنات الجياد**» للبخشي.

وكتاب «**الزروقة في معرفة الخيل وأجناسها وأمراضها**»، مصوَّر.

وكتاب في الفروسية وركوب الخيل، ومعرفة أنواعها وعِلَلِها.

(ثم قال): وعندنا:

«**قَطْرُ السَّيْلِ في أمر الخيل**»، للبلقيني[1].

و«**الأقوال الشافية**» في الخيل وما يتعلق بها؛ لملك اليمن علي بن داود من بني رسول، وخمس رسائل أخرى في هذا الموضوع. اهـ.

وممَّن تصدَّى للتأليف في هذا الفنّ من المتقدِّمين: الإمام العلَّامة الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف الدمياطي، المتوفَّى سنة **٧٠٥**، فإنَّه وضع فيه كتاباً على طريقة المحدِّثين كما قال في «كشف الظنون» سمَّاه: «فضل الخيل».

وقد عثرتُ في حلب على نُسختين نفيسَتين من هذا الكتاب[2]، أظنُّ أن لا نظير لهما:

إحداهما: في مكتبة المدرسة العثمانيّة، وهي حسنة الخطّ، مضبوطةٌ بالشَّكْل، وعليها في آخر صحيفة منها خطّ المؤلف رحمه الله، وقد كتب على طرفها: «بَلَغَ قراءةً

(١) في «الكشف»: هو للشيخ الحافظ سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر البُلقيني الشافعيّ؛ المتوفَّى سنة **٨٠٥**هـ، مختصر: أوَّلُه: الحمدُ لله الذي عرَّفنا بفضله إلخ، اختصره من تأليف الشَّرَف الدمياطي، وأضاف إليه أشياء، ورتَّبه على سبعة فصول (منه). اهـ. وقد حقق الكتاب الدكتور حاتم صالح الضامن، وصدر في **٢٥٦** صفحة، ونشرته دار نينوى بدمشق، سنة **٢٠٠٥**م.

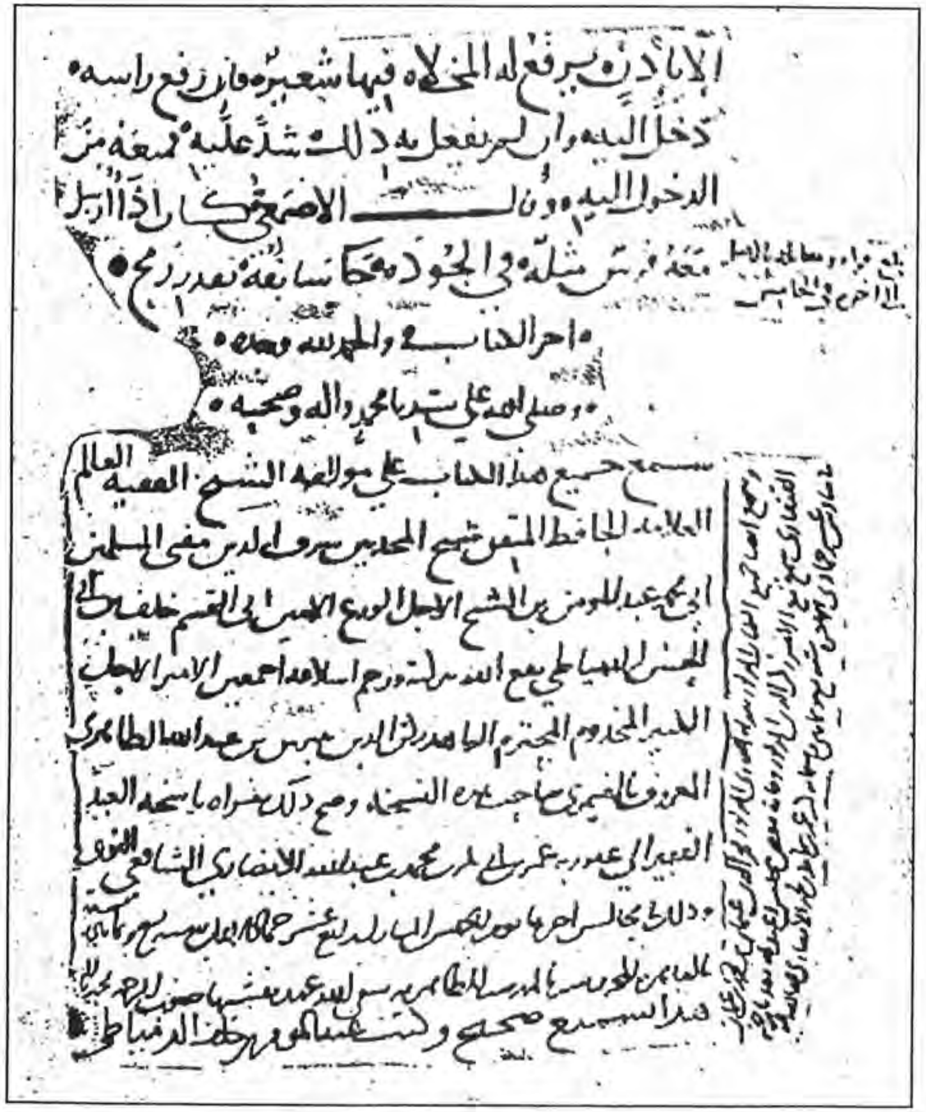
(٢) في المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة منه، وقفت عليها في رحلتي إليها سنة **١٣٤٨**هـ (منه).

ومقابلةً بالأصل إلى آخره في الخامس»، وكتب فيها كما تراه في الصورة المأخوذة بالمصوِّر الشمسيِّ.

(١) سمع جميع هذا الكتاب على مؤلِّفه الشيخ الفقيه العالم (٢) العلّامة الحافظ المتقِن شيخ المحدِّثين شرف الدِّين مفتي المسلمين (٣) أبي محمد عبد المؤمن ابن الشيخ الأجلّ الورع الأمين أبي القاسم خلف بن أبي (٤) الحسن الدمياطي، نفع الله ببركته وَرحم أسلافه أجمعين الأمير الأجل (٥) الكبير المخدوم المحترم الزَّاهد ركن الدّين بيبرس بن عبد الله الظاهري (٦) المعروف بالتيمري صاحب هذه النّسخة، وصحَّ ذلك بقراءة ناسخه العبد (٧) الفقير إلى عفو ربِّه: عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الأنصاري الشافعي المزي (٨) وذلك في مجالس آخر يوم الخميس المبارك رابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وست مئة (٩) بالقاهرة المحروسة بالمدرسة الظاهرية سقى الله عهد مُنشِيها صوب الرحمة بمحمد وآله (١٠) هذا تسميع صحيح وكتب عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.

وفي طرف ذلك ما نصُّه:

(١) وسمع أيضاً جميع الكتاب المذكور بقراءة القارئ المذكور فخر الدِّين عثمان ابن محمد بن عثمان (٢) القنعاري، سمع مع الأمير ركن الدِّين المذكور وفاته بعض مجلس أُعيد له بعد تاريخه (٣) في سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وست مئة كتبه عمر بن أبي بكر بن محمد الأنصاري عفا الله عنه.



والنسخة الثانية: في مكتبة المدرسة الأحمديَّة في قسم الحديث، وقد كُتِبَ على ظهرها كما تراه في الصورة المأخوذة عنها بالمصوِّر الشمسي.

كتاب في «فضل الخيل وما يُستحبُّ وما يُكره من ألوانها وشياتها، وما جاء في كراهة أكل لحومها وإباحتها، وما ورد في سباقها وسهامها وصدقتها»، تأليف أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدّمياطي.

وكتب هناك: قرأتُ جميع هذا الكتاب على الشيخ الإمام العلّامة المؤرّخ تقي الدّين[1] (وهناك ورقة مُلصقة لتمزّق الورقة الأصلية).

وقال في السطر الثاني: «فسمعه الشيخ المحدِّث الرحَّال نجم الدّين محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي المكيّ، وسمع من أوله إلى قوله: يقول حمزة: ليس عندي إلا السّلاح».

(ثم قال): «وسمع السيّد الشريف شرف الدّين قاسم بن محمد بن محمد بن الحسني الأبياري الموقّع وولده أحمد».

(ثم قال): «وسمع ناصر الدِّين محمد بن محمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ابن أخي».

(ثم قال): «وسمع بهاء الدّين محمد بن أبي بكر بن علي المسندي»، (إلى أن قال): «قال ذلك وكتبه عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن القلقشندي القرشي، عفا الله عنه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، وحسبنا الله».

وكتب على ظاهره أيضاً: «قرأه محمد بن عبد الرحمن السخاوي».

(١) هو المقريزي، صاحب الخطط.

وكتب عليه أيضاً: «سمعت جميعه على الشيخين الجليلين: جمال الدّين الحنبلي، وشمس الدّين الزراقيني بقراءةِ الأخ أبي البقاء محمد، وسمعه جماعة. كتبه أبو حامد محمد بن أحمد بن الضياء الحنبلي المكي».



وعلى ظاهره أيضاً خطّ شيخ الإسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي ـ شارح الشِّفا ـ ونصُّ ما كتبه: «آل إليَّ ملْك هذا الكتاب في خامس عشر شهر رمضان سنة أربع عشرة وألف، وأنا حامدٌ لله شاكرٌ له، مُصَلٍّ مُسلِّمٌ على سيدنا محمد وآله وصحبه. وكتبه: عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العرضي الشافعي القادري».

وعلى صحيفة **٢٨** خطـوطُ كثيرٍ من مشاهير العلماء، منهم الشيـخ إبراهيم البقاعي، تلميذ الحافظ ابن حجر، ونصّ ما كتبه: «بلغ كاتبه إبراهيم بن عمر بن الرباط البقاعي، قرأه من أوّله إلى هنا؛ على الشيخة الصالحة عائشة ابنة الإمام علاء الدِّين علي ابن محمد الكنانية، سبطة القلانسي، بسماعها آخره على الشيخ شهاب الدين أحمد بن رجب الدّمشقي وأجازت، والحمد لله ذلك، وذلك بمنزلها... (لعلها درب) الصالحية من القاهرة يوم الثلاثاء **١٥** جمادى الآخرة سنة **٨٣٧**».

وهناك خطوط آخرين أَثبتوا سماعَهم عليها وعلى غيرها، وكتب ما نصه: «بلغ السماع من الأوّل على الشيخ تقيّ الدِّين المقريزي بقراءة الخيضري في المرة الثانية بجماعة في القاهرة».

وكتب على صحيفة **٥١**: «بلغ محمد ابن الشُّمُنِّي وولده تقي الدين أحمد سماعاً على الشيخ شمس الدِّين الغزولي المقرئ، في المجلس الثاني، في ثامن ذي القعدة، سنة إحدى عشرة وثمان مئة».

وعلى صحيفة **٩٢** خط الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وخطّ غيره.

وكتب على صحيفة **١٢٤**: «الحمد لله بلغ السماع في **٣** على الشيخ العلّامة تقي الدِّين أحمد بن علي المقريزي بجماعة بقراءة.. محمد بن الخيضري غفر الله تعالى له بمنزل المسمع وأجاز ولله الحمد».

وكتب على صحيفة **١٣٩** ما نصه: «بلغ كاتبه عبد الرحمن القلقشندي قراءة في الرابع على الشيخ العلامة تقي الدين المقريزي والجماعة سماعاً ولله الحمد».

وعلى الصحيفة الأخيرة ـ كما تراه في الرسم ـ خطّ الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وخطّ الشيخ إبراهيم البقاعي، وخطّ عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل القلقشندي، وخطّ محمد بن عبد الله الأزهريّ، وخطّ أبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشي، أثبت سماعه للكتاب على الشيخين الإمامين جمال الدّين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدّين محمد بن الكناني العسقلاني الحنبلي، والشيخ شمس الدّين الغزولي المقري، في خمسة مجالس، آخرها الليلة التي أسفر صباحها عن يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الأول، عام خمسة عشر وثمان مئة.

وخط تَغْري برمش الفقيه، ونصُّ كتابته: «بلغ كاتبه تغْري برمش الفقيه قراءة على الشيخ المعمَّر المسنِد الرّحالة شرف الدّين يونس بن حسين بن علي الألواحي جميع كتاب «فضل الخيل» للشيخ الإمام العالم الحافظ الدّمياطي بسماعه كاملاً على ناصر الدّين محمد بن علي الطبردار بسماعه من المؤلِّف». والنسخة محرَّرة سنة **٧٢٩**.

وعلى النُّسختَين هوامش كثيرة للمؤلِّف، تكلَّم فيها على بعض الأحاديث التي أوردها، وشرح فيها كثيراً من الغريب الوارد في كتابه، علمنا ذلك من التعليقة الثالثة حيث قال فيها: «قال شيخنا الحافظ المنذري». والحافظ المنذري هو من شيوخ المصنِّف، وقد لازمه سنين في مصر كما سيأتي في ترجمته.

واشتمل الكتاب على ثمانية أبواب:

الباب الأول: في فضل الخيل المتَّخذة للجهاد في سبيل الله، وما جاء في مسح نواصيها وبركتها والنَّفقة عليها وخدمتها.

الباب الثاني: في التماس نَسْلِها ونمائها وخصائصها، وجزّ نواصيها وأذنابها وإزالتها وتعذيبها.

الباب الثالث: في الأمر بارتباطها وما يستحب من ألوانها وشياتها.

الباب الرابع: في كراهية شؤمها وشكلها وما يذم من عِصَمِها ورجلها.

الباب الخامس: في سباقها وما يَحِلّ أو يَحرم في سباقها.

الباب السادس: فيما يقسم لصاحبها من الغنائم والسّهام.

الباب السابع: في سقوط الزّكاة فيها.

الباب الثامن: فيما وقع إليّ من تسمية مراكب النبي ﷺ ودوابّه وتسمية دوابّ مَن كان من أصحابه وأحزابِه.

وممّن تصدّى للتّأليف في هذا الفنّ العلاّمة الشيخ محمد بن محمد البخشي الحلبيّ المتوفّى سنة ١٠٩٨، عثرتُ على مؤلّفه في مكتبة المدرسة الأحمدية، والنّسخة جميلة الخطّ، ومضبوطة، غير أنّه لم يُثبت عليها اسم الكتاب، ولم يذكر المؤلّف في خطبته اسم كتابه، وقد اهتدَيْتُ لاسمه، وهو «رشحات المِدَاد فيما يتعلّق بالصّافنات الجياد» ممّا كتبَه العلاّمة المرحوم أحمد تيمور باشا في مقالته «نوادر المخطوطات» كما قدّمت ذكر ذلك[1].

(١) من هذا الكتاب نسخة في مكتبته، ونسخة في مكتبة المجلس البلدي بالإسكندرية؛ مكتوبة بقلم عادي سنة ١١٦٥، ن ٣٦١٠ (منه).



واشتمل هذا الكتاب على ثمانية أبواب أيضاً:

الباب الأول: في أصل خلقها واشتقاق اسمها، وأوّل مَن اقْتناها، وما قيل في الفَرق بين ذكَرها وأُنثاها.

الباب الثاني: في فضل اقتنائها وإعدادها للجهاد، وما وَرَدَ في ذلك.

الباب الثالث: في الأحاديث الواردة في فضلها، وفيه فصول.

الباب الرابع: فيما يتعلَّق بها من أحكام، من ذلك الزكاة.

الباب الخامس: في أحكام السّباق عليها وما ورد في ذلك، وأسماء خيل السباق وما يلحق به.

الباب السادس: في ألوانها وشياتها وصفاتها، وما يُمدَحُ من ذلك وما يُذمّ.

الباب السابع: في أمْزِجَتِها وخواصّها وأدوائها وعلاجاتها، وما يتّصل بذلك.

الباب الثامن: في تسمية خَيْل النبي ﷺ وأسماء دوابّه، وما وصل إلينا من أسماء خيل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

ومع أهمية هذا العلم عند أربابه، ومَنْ لهم عناية باقتناء الخيل وتربيتها؛ فإنَّه لم يُطبع إلى الآن ـ فيما أعلم ـ شيء من مؤلّفات المتقدِّمين[1] على كثرتها، لذا عزمتُ ـ بعد

---

(١) رأيت للمعاصرين مؤلَّفَين: أحدهما: «عقد الأجياد في الصَّافنات الجياد» للأمير محمد باشا الجزائري ثم الدّمشقي، نجل العلامة الأمير عبد القادر الحسني الشهير، وهو مرتَّب على مقدمة وستة أبواب وخاتمة، في (٣٧٥) صحيفة، وهو مطبوع سنة ١٢٩٣، قال في آخره: «ولم آلُ جُهداً في البحث عن كتبه المؤلَّفة لأنسج على منوالها بروداً مفوّفة، فلم أظفر بها ولا بباب، فضلاً عن مجموع كتاب، ثم طفقت ألتقط من كُتُبِ الأدب مسائله، وأستخرج من زواياها رسائله». ثم إنه اختصر كتابه هذا وسمّاه: «نخبة عقد الأجياد في الصَّافنات الجياد»، وهو مطبوع أيضاً سنة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٧م، في المطبعة الأهلية في بيروت، وقال في خطبته: «قد كنتُ جمعتُ كتاباً =

التَّوكّل على الله تعالى ـ على إبراز هذين الكتابَين الجليلَين اللّذَين هما من أحسن ما أُلِّف في هذا الفنّ، إلى عالم المطبوعات ليعمَّ منها النفع إن شاء الله تعالى، وهما كتابا حديث وفقه، وبَيْطرة ولغة وأدب، يَرُوقان لكلِّ مَن له عناية بهذه العلوم. وتتميماً للفائدة أذكر هنا ترجمة مؤلّفيهما، وبالله التوفيق.

(الإمام الحافظ عبد المؤمن الدمياطي)

ترجمه الإمام العلّامة الشيخ عبد الوهاب السبكي في «طبقات الشّافعية» ترجمة حافلة، فقال: عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدِّين بن الخضر بن موسى التُّوْني، من أهل تُوْنة، قرية من عمل دمياط [هناك قال من عمل تنيس] ـ بضم التاء المثناة وإسكان الواو وبعدها نون ثم هاء ـ كان حافظ زمانه، وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب، وإمام أهل الحديث المجمَع على جلالته، الجامع بين الدّراية والرواية بالسند العالي القدر الكبير[1]، وله المعرفة بالفقه، وكان يلقّب شرف الدّين.

تفقّه بدمياط على الأخوين الإمامين أبي المكارم عبد الله وأبي عبد الله الحسين بن منصور السعدي، وسمع بها منهما، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النّعمان،

= في الخيل العِراب، سمَّيته «عقد الأجياد في الصّافنات الجياد» بَيْد أني ذكرتُ فيه ما هو خارج عن الموضوع، والآن قد لخصتُه وزدتُ عليه ما ناسبه، وهو مرتَّبٌ ترتيب الأصل».

وثانيهما: «الخيل وفرسانها» تأليف الطبيب نجيب بك الخوري اللبناني، وهو مطبوع سنة ١٩١٢م في المطبعة الأنطونية ببعبدا (لبنان).

والأول (الأصل والمختصر): يغلب عليه بيان ألوان الخيل، وما يتعلَّق بالغرّة والتحجيل، والنعوت الممدوحة والمذمومة، إلى غير ذلك من الفوائد.

والثاني: يغلب عليه بيان تركيب هيكل الجواد، وأجناس الخيل، وعناية الإفرنج بها، وفن البيطرة إلى غير ذلك. والكتابان جيّدان في بابهما، لا يُغْني أحدهما عن الآخر (منه رحمه الله).

(١) في النسخة المحققة للطبقات: للقدر الكثير.

وهو الذي أرشده لطلب الحديث بعد أن كان مقتصراً على الفقه وأصوله.

ثم انتقل إلى القاهرة واجتمع بحافظها زكيِّ الدّين عبد العظيم المنذري، ولازمه سنين، وبرَّز في حياته، وسمع من الجمّ الغفير والعدد الكثير بالإسكندرية ودمشق وحلب، ولازم بها الحافظ أبا الحجّاج يوسف بن الخليل، وسمع بمكّة والمدينة وبغداد وماردين وحماة وغيرها، وخرَّج ببغداد أربعين حديثاً للإمام أمير المؤمنين المعتصم[1] الشهيد ابن المستنصر.

وله مصنّفات كثيرة حسنة، وحدَّث قديماً، سمع منه الشيخ أبو الفتح محمد بن محمد الأبيوردي، وكتب عنه في «معجم شيوخه»، ومات قبله بتسع وثلاثين سنة.

وروى عنه من الأئمة تلاميذه: الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي، وقال: ما رأيتُ أحفظ منه، والحافظ أبو عبد الله الذهبي، والحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس، والحافظ أبو عبد الله محمد بن شامة الطائي، والحافظ الوالد رحمهم الله، وكان الحافظ الوالد أكثرهم ملازمةً له، وأخصّهم بصحبته، وهو آخر خلق الله من المحدِّثين به عهداً.

ودَرَّس بالقاهرة لطائفة المحدِّثين بالمدرسة المنصورية، وهو أول من درَّس فيها لهم (ثم ذكر ولادته ووفاته كما تقدَّم)[2]، ثم قال: أنشدنا الشيخ الوالد رحمه الله من لفظه في ثاني عيد الأضحى سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة، قال: أنشدنا شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي من لفظه لنفسه:

روينـا بإسـناد عـن ابـن مُغفَّـلِ ... حديثاً شهيراً صحَّ من علة القَدْحِ

(١) في الطبعة المحققة لطبقات الشافعية: المستعصم.
(٢) لم يتقدم ذكر مولده، وولد سنة ٦١٣، وتوفي ٧٠٥ عن ٩٢ عاماً رحمه الله تعالى.

بـأنَّ رسـول الله حـينَ مسـيرِهِ ... لثامنـةٍ وافتـه في غـزوة الفتـحِ
تلا خَيْرَ مقروءٍ على خير مُرْسَـلِ ... فرجَّع في الآيات من سورة الفتحِ

وترجمه العلامة ابن شاكر في «فوات الوفيات»، فقال:

«الشيخ الإمام البارع الحافظ المجوِّد الحُجَّة، عَلَم المحدِّثين، عُمْدَة النقَّاد، شرف الدِّين الدّمياطي الشّافعي، صاحب التّصانيف، مولده بتونة، قرية من عمل تنيس، وُلد عام ثلاثة عشر وست مئة، ووفاته في خامس عشر ذي القعدة، سنة خمس وسبع مئة، ودُفن بمقبرة باب النصر خارج القاهرة.

وكان منشؤه بدمياط، وتميَّز في المذهب، وقرأ القراءات، وطلب الحديث، وقد صار له ثلاث وعشرون سنة، فسمع بالإسكندرية في سنة ستٍّ وثلاثين، من أصحاب السِّلَفي، ثم قدم القاهرة، وعُني بهذا الشأن روايةً ودرايةً، ولازم الحافظ زكيّ الدّين حتى صار مُعيده، وحجَّ سنة ثلاث وأربعين، وسمع بالحرمين، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين، وارتحل إلى الجزيرة والعراق مرّتين، وكتب العالي والنازل، وصنَّف وحدَّث، وأملى في حياة كبار مشايخه.

وكان مليحَ الهيئة، حسنَ الأخلاق، بسَّاماً فصيحاً، نحوياً لغوياً، مقرئاً سريع القراءة، جيّد العبارة، كثير التفنُّن، جيدَ الكتب، مُكثِراً مفيداً، حسن المذاكرة، حسن العقيدة، كافّاً عن الدّخول في الكلام.

سمع من: ابن المقيّر، ويوسف بن عبد المعطي المحلّي، والعلم ابن الصابوني، وابن العليق، وابن قميرة، وموهوب بن الجواليقي، وهبة الله بن محمد بن مفرج الواعظ، وشعيب بن الزعفراني، وابن رواح، وابن رواحة، وابن الجميزي، والرشيد بن سلمة، ومكيّ بن علان، وسمع من أصحاب السِّلفي وشهدة وابن عساكر، وخلقٍ من

أصحاب ابن شاتيل، والقزاز وابن بري النحوي، وابن كليب، وأصحاب ابن طبرزذ، وحنبل، والبوصيري، والخشوعي.

وكتب عنه طائفة منهم: الصاحب كمال الدّين ابن العديم، وأبو الحسين اليُونِيني، والقاضي علم الدّين الأخنائي، والشيخ أثير الدّين أبو حيان، وفتح الدّين ابن سيد الناس، والمزي، وقاضي القضاة تقيّ الدّين السبكي، ومحيي الدّين النووي، وخلق كثير من الراحلين، وطال عمره، وتفرّد بأشياء.

وحمل على الظعائن عشرين مجلداً من تصانيفه في الحديث واللغة، وسكن دمشق مدّة وأفاد أهلها، وتحوَّل إلى مصر، ونشر بها علمه، وكان مُوسَّعاً عليه في الرزق، وله حُرمة وجلالة، ووَلِيَ مشيخة الظاهرية بين القَصرين.

من تصانيفه: كتاب الصلاة الوسطى؛ مجلد لطيف، كتاب الخيل؛ مجلد [وهو هذا]، قبائل الخزرج؛ مجلد، العِقْد الـمُثْمِن فيمن اسمه عبد المؤمن؛ مجلد، الأربعون المتباينة الإسناد في حديث أهل بغداد؛ مجلَّد، مشيخة تشهد له بالحفظ والعمل، مختصر السيرة النبوية.

وما زال يسمع الحديث إلى أن مات فجأة في ذي القعدة، وصُلِّيَ عليه بدمشق غائباً رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين.

وترجم له الشيخ جمال الدِّين عبد الرحيم الإسنوي في «طبقات الشافعية»[1]، فقال: الشيخ شرف الدِّين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي

(١) وهي من مخطوطات المكتبة الأحمدية في حلب ورقمها ٦٥٥، وهي مقروءة على المؤلف، وعليها خطه في عدَّة مواضع، محرَّرة سنة ٧٦٩، وكانت وفاته ـ كما هو مذكور في ترجمته على ظاهر هذه النسخة بخط الشيخ علي بن مصطفى الدباغ الحلبي نقلاً عن طبقات ابن شهبة ـ: سنة ٧٧٢ (منه).

التُّوني؛ نسبة إلى تونة ـ بضم التّاء المثنّاة من فوق بعدها واو ساكنة ثم نون ـ وهي بلد من عمل دمياط، وكان إمام أهل الحديث في زمانه في جميع أنواعه، الجامع بين الدّراية والرّواية بالسند العالي، فقيهاً أصولياً، نحْوياً لغوياً، أديباً شاعراً، قطعت إلى حضرته المراحل، وسارت بتصانيفه السُّفُن والرّواحل، وعدا بها الفارس والرّاجل.

ولد بدمياط سنة ثلاث عشرة وست مئة، وقرأ بها الفقه والأصول والفرائض على قاضيها ابن الخل، وعلى الأخوين الإمامين: أبي المكارم عبد الله، وأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن منصور السعدي، وسمع بها على أبي عبد الله المذكور تصنيفه المسمَّى بـ«اللمعة في أحكام البدعة»، وهو أول سماعه، ثم قدم عليهم الشيخ أبو عبد الله بن النّعمان، فسمع عليه، وهو الذي أشار عليه بطلب الحديث بعد أن كان مقتصراً على الفقه وأصوله، فرحل إلى القاهرة، وسمع بها، ولازم الحافظ الزكي عبد العظيم سنين، وتخرَّج به، وبرع في حياته، ثم رحل إلى الحجاز والشام، وإلى بغداد مرّتين، وسمع على خلائق كثيرين، وأدرك الأسانيد العالية، وعلَّق تعاليق كثيرة، وعاد بعلم كثير، ودرَّس بالظاهرية وبالقبّة المنصورية، وهو أول من درَّس بها، وصنَّف التصانيف الكثيرة المشهورة، ورحل إليه الطلبة من الأقطار، وتُوفِّي فجأة، فإنَّه صلَّى العصر في الظاهرية، وحضر الميعاد، ثم غُشِيَ عليه في موضعه، فحُمِلَ إلى منزله، فمات من ساعته يوم الأحد، خامس عشر ذي القعدة، في السنة الخامسة بعد سبع مئة، ودُفِن من الغد خارج باب النصر، بتربة معروفة به.

قال البرزالي في «تاريخه»: وكان آخر مَن بقي من الحفّاظ وأهل الحديث أصحاب الرّواية العالية، والدراية الوافرة. اهـ.

ومِمَّا يُنْبئك عن جلالةِ قدرِ الـمُتَرْجَم وواسع علمِه؛ ما ذكرَه الحافظ السيوطي في أول كتابه «التدريب في علم مصطلح الحديث»؛ حيث قال: «قال الشيخ تقي

الدِّين السبكي: أنه سأل الحافظ جمال الدِّين المزِّي عن حدِّ الحفظ الذي إذا انتهى إليه الرجل جاز أن يُطلق عليه الحافظ؟ قال: يرجع إلى أهل العرف. فقلت: وأين أهل العرف؟ قليل جداً. قال: أقل ما يكون أن يكون الرجال الذين يَعرِفُهم ويعرفُ تراجمهم وأحوال بلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم؛ ليكون الحكم للغالب. فقلت له: هذا عزيزٌ في هذا الزمن، أدركتَ أنت أحداً كذلك؟ فقال: ما رأينا مثلَ الشيخِ شرف الدّين الدّمياطي».

وقال العلامة السبكي في «طبقات الشافعية» في ترجمة والده [علي بن عبد الكافي]: «بلغني عن شيخنا الذّهبي أنه قال: ما رأيتُ أحفظ من أربعة: ابن دقيق العيد، والدمياطي، وابن تيمية، والمزي.

فالأول: أعرفهم بالعلل وفقه الحديث، والثاني: بالأنساب، والثالث: بالمتون، والرابع: بأسماء الرجال».

قال: وسمعتُه يقول في شيخنا الدمياطي: أنه ما رأى أحفظ منه.

(العلامة الشيخ محمد البخْشي الحلبي)

ترجمه العلامة الأمين المحبِّي في تاريخه «خلاصة الأثر» وعنه نقلنا ترجمته إلى تاريخنا الكبير «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» قال: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المعروف بالبخشي البَكْفالوني الحلبي الشافعي، المحدِّث الفقيه، الصُّوفي العذْب الطريقة، كعب الأحبار، ولد ببَكفالون ـ بفتح الموحّدة ـ قرية من أعمال حلب، وبها قرأ القرآن، ونشأ في حِجْر والده، ورحل في أوائل طلبه إلى دمشق، وأخذ عمَّن بها من علماء، كالشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ محمد الخبّاز البطنيني، وشيخنا الشيخ محمد العيثاوي، وغيرهم.

وأخذ طريق الخَلوتية عن العارف بالله الشيخ أيوب الخلوتي [الدمشقي]، وقرأ عليه جملة متون، وأطْلَعه على أسرار علمه المكنون، حتى نال منه غاية الأمل، وأثمرت له غيث دعائه أغصان العلم والعمل، فرجع إلى أهلهِ بنِعَم وافرة، ثم توطَّن حلب، وأخذ بها عن عالمها محمد بن الحسن الكواكبي المفتي بها، وأقام على بثِّ العلم ونشره في غالب أوقاته، وانتفع به كثير من فضلاء حلب.

وله من التآليف: «الشافية نظم الكافية»، و«شرح على البردة»، وغيرهما.

وسافر إلى الروم في سنة ست وثمانين وألف، واجتمعتُ به بأدرنة، ثم اتّحدت معه اتحاداً تامّاً، فكنّا نجتمع في غالب الأوقات، وكنتُ شديدَ الحرص على فوائده، وحُسْن مذاكرته مع الأدب والسكينة، وما رأيت فيمن رأيت أحلمَ ولا أحملَ منه.

وكان ـ روَّح الله تعالى رُوَحه ـ من خيار الخيار، كريم الطّبع، مُفْرط السّخاء.

ثم اجتمعتُ به بقسطنطينية بعد عَوْدنا إليها، وكان لأخي الوزير الأعظم الفاضل مصطفى بيك عليه إقبال تامّ، وله إليه محبَّة زائدة، وكان جاء إلى الروم بخصوص التكيَّة الإخلاصية بحلب، فَتَوجَّهت إليه، وتوجَّه إلى حلب، وأقام بالتكيَّة المذكورة مُبجَّلاً مُعظَّماً مقصوداً، ثم نازعه فيها بعض الخلوتيَّة، فلم تتمّ له، وبقيت على صاحب الترجمة، ودرس بالمقدميّة التي بحلب.

ثم بعد مدّة ملَّ الإقامة بحلب، فقصدَ الحجَّ بنيَّة المجاورة، وأقام ابنه محمداً مقامه في المشيخة، ودخل دمشق صُحبةَ الحاج، وأقام بمكّة مجاوراً، وأقبلت عليه أهالي مكة المشرفة على عادتهم، وقرأ عليه بعض أفاضلها، ولقيَ حظاً عظيماً من شريفها المرحوم الشريف أحمد بن زيد؛ لِما كان بينهما من المودّة والصّحبة بالروم، أيام كان وكنت، حتى مَدَحه وأخاه الشّريف سعد بقصيدة غرّاء مطلعها:

خليليَّ إيهٍ مـن حديث صَبَا نجْدِ ... وإن حرَّكَت داءً قديماً من الوجْدِ

ثم قال بعد إيرادها: وكانت ولادته في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وألف، بقرية بَكفالون، وتوفِّي بمكة المشرفة، ليلة الثلاثاء الخامس من شهر ربيع الثاني، سنة ثمان وسبعين[1] وألف، ودُفن بالمعلاة بالقرب من مَزار أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها.

الناشر

محمد راغب الطباخ

* * *

(١) هكذا في الأصل، والصواب: ثمان وتسعون وألف عن ٦٠ عاماً.



علوم الحديث

المعروف بمقدمة ابن الصلاح

للإمام الحافظ ابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المشهور بابن الصلاح

المتوفى سنة ٦٤٣

وشرحه

التقييد والإيضاح

لما اطلق واغلق من مقدمة ابن الصلاح

لشيخ الأسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى سنة ٨٠٦

وتعليقات عليه فى الذيل

لناشر الكتابين محمد راغب الطباخ الحلبي عفى عنه سماها

المصباح على مقدمة ابن الصلاح

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٠ هجرية وسنة ١٩٣١ ميلادية

طبعها وصححها محمد راغب الطباخ

مؤلف التاريخ الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء)

في مطبعته العلمية بحلب

حقوق الطبع محفوظة له

التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح[1]

للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحُسين العراقي

المتوفَّى سنة ٨٠٦ رحمه الله تعالى

مقدمة الناشر

كتاب علوم الحديث، المعروف بمقدّمة ابن الصلاح؛ وهو الإمـام الحافـظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الشافعي، المتوفَّى سنة **٦٤٣**. مِن أحسن مَن ألَّف[2] في هذا الفنّ المعروف بـ«علم مصطلح الحديث»، بل قال الشيخ برهان الدين الأبناسي[3] ـ كما في «كشف الظنون» ـ : إنَّ كتابه هذا أحسن تصنيف فيه، وحصر ذلك في خمس وستين نوعاً، وقد اعتنى العلماء به في زمانه إلى هذا الزمان.

وبعد أن ذكر في «الكشف» مَن اختصره، ومَنْ نظمه قال: (وشرحه الشيخ الإمام أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي؛ المتوفّى سنة **٨٠٦** ست وثمان مئة،

(١) طبع بعناية الشيخ محمد راغب الطباخ بحلب سنة (١٣٥٠هـ = ١٩٣١م)، ثم توالت بعد ذلك طبعات الكتاب، وقد أعاد تحقيقَه أسامة بن عبد الله الخيّاط، معتمِداً على أربع نسخ خطية، وصدر في مجلدين كبيرين، عن دار البشائر الإسلامية ببيروت.

(٢) الوجه: ما أُلِّف.

(٣) إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي ثم القاهري، المتوفى سنة ٨٠٢ عن ٧٧ عاماً، وله كتاب «الشذا الفيَّاح من علوم ابن الصلاح»، حققه صلاح فتحي، وطبعته مكتبة الرشد سنة ١٤١٨.

أوَّلُه: الحمد لله الذي ألهم لإيضاح ما أبهم إلخ، سمّاه: [التقييد والإيضاح لما أُطلق وأُغلق من كتاب ابن الصلاح].

قال: فإنَّ أحسنَ ما صَنَّفَ أهلُ الحديث في معرفة الاصطلاح كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، جمع فيه غُرر الفوائد فأوعى، إلا أنَّ فيه غير موضع قد خُولِف فيه، وأماكن أخرى تحتاج إلى تقييد وتنبيه، فأردتُ أن أجمع نكتًا عليه تقيِّد مطلقَه، وتفتح مُغلقَه، ورداً على إيراد ما أُورِد عليه، وقد كان الشيخ علاء الدّين مُغلطاي أوقفني على شيءٍ جمعه عليه؛ سمّاه: «إصلاح ابن الصلاح»، وأيضاً اختصـره جماعة، وتعقّبوه في مواضع منه، فحيث كان الاعتراض عليه غير صحيح ولا مقبول، ذكرتُه بصيغة اعترِض عليه؛ وسمَّيته: «التقييد والإيضاح لما أُطلق وأُغلق من كتاب ابن الصلاح»؛ فذكَرَهُ بالقبول، وفرغ مِن تبييضه يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة، سنة اثنين وثمانين وسبع مئة اهـ).

وقد كان السيِّدان أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي طبعا «مقدمّة ابن الصلاح» في مصر، سنة **١٣٢٦** على نسختين:

الأولى: طُبِعت في إحدى البلاد الهندية؛ باعتناء العالِم المحدِّث الشيخ عبد الحي اللكنوي.

والثانية: نسخة مطبوعة، قُوبِلَت على المؤلِّف، محفوظة برواق الأتراك بمصر.

ومع هذا ففيها غلطات كثيرة غير ظاهرة، وتصحيفات يَصعُب معرفة صوابها، وقد منَّ الله عليّ بتدريس هذا الكتاب في المدرسة الخسـروية في مدينة حلب، في سني **١٣٤٧** و**١٣٤٨**و**١٣٤٩**، وأسعدني الحـظّ بالعثور على نُسخةٍ من شرحـه «التقييد

والإيضاح» في مكتبة التكية الإخلاصيَّة بحلب، هي بخط الحافظ الكبير الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني، حرَّرها ـ كما قال في الصحيفة الأخيرة ـ بثغر عدن، سنة ست وثمان مئة، وكان قد قرأه كلّه على مؤلِّفه؛ فاستنسختُها بخطّ يدي، ولا تسأل عما لاقيتُه من صعوبة في استنساخها؛ بالنظر لسقامة خطّ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، وزاد على ذلك خلوّه من الإعجام إلا قليلاً.

وممَّن وصف خطَّه بذلك الفاضلُ الشّيخ محمد زاهد الكوثري؛ في تعليقاته على «ذيول تذكرة الحفّاظ» للذهبي؛ التي نشرها السيد القدسي الدّمشقي، فقال في ترجمته [ص٣٣٦]: «كان سريع الكتابة؛ إلا أنّه كان رديء الخطّ، ومع رداءة خطّه ما كان يجري في كتاباته على نمط واحد، ومن ثمة تصعُب معرفة خطّه، والممارسة على قراءته، على ما أشار إلى ذلك أبو المحاسن في «المنهل الصافي»، وقد طالعنا عدّة كتب بخطّه سوى خطوطه في الطباق والسماعات، فوجدنا ما يشير إليه أبو المحاسن صواباً». اهـ.

وكنت عند الاستشكال أرجع إلى المقدمة المطبوعة؛ لأنه ينقل في أول كلّ مقولة السطر والأسطر، ثم يأخذ في الشرح، وإلى «التدريب» للحافظ الجلال السيوطي، وهو شرح «التّقريب» للإمام النووي، وهو مطبوع في مصر، إلى غير ذلك من كتب هذا الفن.

ومع ذلك كلّه فقد بقي هناك بعض كلمات تعسَّر عليَّ قراءتها على الصواب، فكنت أضع ثمّة نقطاً على الهامش إشارةً إلى ذلك للرجوع إليها مرة أخرى.



(آخر صحيفة من نسخة الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى)

ووجدتُ في هذه النسخة نقصاً قدر ورقتين في أثناء النّوع الثاني، وهو معرفة الحَسَن، وقد تنبَّه لذلك بعض الفضلاء، فأشار إليه على الهامش فتركتُ له موضعاً، وكتبتُ للشاب النجيب الفاضل السيد جميل العقاد الحلبي المجاور الآن في الأزهر في مصر، فاستنسخ لي هذا النّقص عن النسخة في المكتبة السلطانية، وهي بخطّ يعقوب ابن أحمد بن عبد المنعم الأزهري الأطفيجي، محرّر سنة ٧٩٣، وفي آخرها إجازة من المؤلِّف لكاتبها.

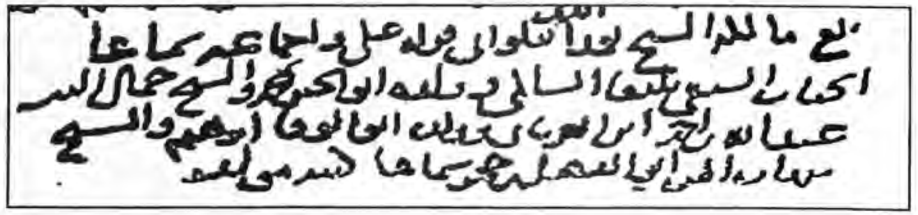
وتاريخ الإجازة سنة ٧٩٩، أوراقها ١٠٧ نمرة النسخة ٣٦ ن ع ٨٨٩، فأكملت النسخة.

وفي العام الماضي؛ وهو عام ١٣٤٩ أتحفني شيخي بالإجازة ـ علّامة الدِّيار المغربية، وحافظ العصر، ذو التصانيف الكثيرة المفيدة، الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي حفظه الله تعالى، وأدام به النّفع ـ بكتابه «فهرس الفهارس والأثبات»، فرأيته ذكر ـ في الجزء الثاني منه (ص ١٩٨) في ترجمته الحافظ العراقي ـ أنَّ عنده نسخة من شرحه على علوم الحديث لابن الصلاح، وسمَّاه: «النّكت»، وهو يُسمَّى بذلك، كما يُسمَّى بـ«التقييد والإيضاح»، وذكر أنَّ عليها خطّ المؤلِّف، فكتبت إليه فتفضَّلَ ـ حفظه الله ـ بإعارتها، فوجدتها نسخة نفيسة، لا تقلّ نفاسة عن النّسخة التي هي بخطّ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، وهي بخط العلامة نور الدين التلواني، وعليها خطّ المؤلِّف رحمه الله تعالى في ١٩ موضعاً، يذكر في هذه المواضع قراءة الشيخ نور الدّين المذكور لهذا الكتاب عليه، وأحياناً يذكر سماع غيره.

وأحفل تلك الكتابات ما كتبه على هامش الورقة الثامنة حيث قال (كما تراه في الرسم):

«بلغ مالكه الشيخ نور الدين التلواني قراءة عليَّ والجماعة سماعاً الجناب السيفي

يلبغا السالمي، وولده أبو الحسن محمد، والشيخ جمال الدّين عبد الله بن أحمد ابن الغرياني، وولده أبو الوفا إبراهيم، والشيخ شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر سماعاً كتبه مؤلّفه».



فقابلتُ نسختي المنقولة عن خطّ الحافظ ابن حجر على هذه النّسخة من أوّلها إلى آخرها، وحرَّرت الكلمات التي تعسَّر عليَّ قراءتها، فجاءت نسخة صحيحة أصحّ من تينك النسختين على نفاستهما؛ لأنهما لم تخلوا من سقوط بعض الكلمات، وخصوصاً النسخة التي هي بخطّ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

والشيخ نور الدِّين التلواني ترجمه ابن حجر في «إنباء الغمر» ـ وهو من مخطوطات المدرسة العثمانية بحلب في مجلدين ضخمين ـ فيمن توفِّي سنة ٨٤٤، فقال: «علي بن الحسن بن عمر الشيخ نور الدّين التلواني، مات في آخر يوم الإثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة، وبيده تدريس الصلاحية بجوار قبّة الشافعي، ومسجد الرباط بالبيبرسية، اشتغل قديماً ومارس العربية، وكان جَهْوريَّ الصوت، مشهورَ الصِّيت، قليل التّحقيق، كثير الدّعوى، حسن البِشْر، مكرِماً للطّلبة، بحيث كان الفيُّومي يُسمّيه وزير الطلبة، وقد سمع الكثير من شيوخنا، كابن أبي المجد والشامي وأنظارهما، وحدَّث وأسمع البخاري مدة بالجامع الأزهر، ودرس بعدّة أماكن، وناهز الثمانين أو جاوزها». اهـ.

وقد وفّقني المولى بمنِّه وكرمِه للعثور على ثلاث نسخ خطية من مقدمة ابن الصلاح في مكتبة المدرسة الأحمدية بمدينة حلب.

الواحدة: رقمها **٣٥٢**، وهي محرّرة سنة **٨١٥** بخط عثمان بن أحمد بن محمد بن العفيف العلوي الأسعردي، لكن ليس عليه شيء من السماعات، ولا خط أحد من العلماء.

والثانية: ضمن مجموع كبير رقمه **٣٠٨**، هي بخط العلامة الشيخ عبد الخالق بن محمود بن عبد الخالق السميرمي، محرّرة سنة **٨٠٢**، جاء في آخرها ما نصّه:

كاتبه لنفسه ـ نفعه الله تعالى به وبأمثاله ـ الفقير المضطر إلى رحمته الواسعة؛ عبد الخالق بن محمود بن عبد الخالق السميرمي ـ وُقِيَ شرَّ نفسه، وتيب عليه ـ ضحى السبت الثالث من ذي القعدة الحرام، لسنة اثنتين وثمان مئة الهجرية ـ بحمد الله تعالى، وحُسْن كرمه ـ بالمدرسة المباركة القرارية بشيراز، حُفَّتَا بالإعزاز وحُمِيَتَا من الإعواز، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه.

وفي آخر هذا المجموع صحيفة بخط الإمام الحافظ المقرئ محمد بن محمد بن محمد الجزري الدّمشقي، ذكر فيها ما سمعه منه الشّيخ عبد الخالق المذكور من كتب الحديث والقراءات، قال في آخرها:

(١) وقد استخرتُ الله تعالى، وأجزتُ له رواية جميع ذلك عني بأسانيدي المثبتة
(٢) في كتابي «توضيح المصابيح»، وكتابي «نشر القراءات العشر»، وغير ذلك، ورواية
(٣) جميع ما تجوز لي روايته، وتلفَّظتُ له بذلك، والله تعالى ينفعه بما علَّمه، ويثبِّت
(٤) على الصِّراط المستقيم قدمي وقدمه، قاله وكتبه: محمد بن محمد بن محمد الجزري
عفا الله تعالى (٥) عنهم، في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة
عشر وثمان مئة بالجامع (٦) العتيق، من مدينة شيراز المحروسة. والحمد لله وحده،
وصلواته على سيد خلقه محمد وآله وصحبه وسلامه. اهـ.

والحافظ الجزري كانت وفاته سنة ٨٣٤، وقد ترجمه الحافظ ابن حجر في «إنباء الغَمْر» في وفيات هذه السنة، ومما قاله في ترجمته: أنه لما أُسِرَ ابن عثمان (من سلاطين الدولة العثمانية) اتَّصل ابن الجزري باللنك (تيمرلنك)، فعظَّمه وفوَّض إليه قضاء شيراز، فباشره مدّة طويلة، وكان كثيرَ الإحسان لأهل الحجاز، وأخذ عنه أهل تلك البلاد في القراءات، وسمعوا عليه الحديث.

(ثم قال): وكانت عنايته بالقراءات أكثر، فجمع «ذيل طبقات القرَّاء» للذهبيّ، أجاد فيه، ونظم قصيدة في قراءة الثلاثة، وجمع النشر في القراءات العشر إلخ.

والثالثة: وهي أَنْفَسُها رقمها **٣٥٣**، جاء في آخر صحيفة منها ما نصه:

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة في يوم الإثنين، الرابع والعشرين من جمادى الأولى، سنة أربع عشرة وثمان مئة. وهنا على الهامش: بلغ مقابلة حسب الطاقة، (وتحت ذلك ما نصُّه):

رأيتُ في النّسخة الثانية التي كملت منها هذه النّسخة ما مثاله: فرغ مصنّفه من تصنيفه وإملائه بين صلاتي يوم الجمعة، آخر المحرم من سنة أربع وثلاثين وست مئة، سوى ما بعد الحمدلة من صفة الكتاب؛ فإنَّه أملاه يوم الأحد، ثاني صفر، سنة أربع وثلاثين، أملاه أجمع بدار الحديث الملكية الأشرفيَّة، غفر الله لواقفها ولوالديه، في مدّة تخلَّلَها فترات صادف أولها: يوم الجمعة، السابع من شهر صفر، سنة ثلاثين وست مئة، وآخرها: يوم الجمعة المذكور قبيلُ. وكان فتح الدار للتحديث، وأول مجلس حدَّث فيه مصنّفها أول شهر رمضان المذكور، ولله الحمد كلُّه، ومنه الخير كلّه، وله الكمال كلّه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

فهرس القوافي الشعرية

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
جسومٌ لا يلائمها البقاءُ	الثَّواءُ	الوافر	ابن هبيرة	٦	٢/٣٤٩-٣٥٠
أما الخيامُ فإنها كخيامهم	نسائِها	الكامل	-----	١	١/٤٦٤
لا تَركَنَنَّ إلى الهَوى	الهواءِ	مجزوء الكامل	ابن دريد	٥٧	٢/٣٦٤
الحمدُ لله على آلائهِ	نعمائِهِ	الرجز	محمد بن مسعود الكواكبي	١٢	١/٣١٥-٣١٦
سقى حلَبُ المزنِ مَغنى حلَبْ	بالطَّرَبْ	المتقارب	الصنوبريّ	٤	٢/٦٢
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً	رَكبا	الطويل	المتنبي	١	٢/٥٢
حملنا من الأيام ما لا نطيقُهُ	العَصائبا	الطويل	أبو إسحاق الغزّي	١	٢/١٢٢
وليل رجونا أن يدبَّ عِذاره	شائبا	الطويل	أبو إسحاق الغزّي	١	٢/١٢٢
يظنّ الفَراشُ اللّيلَ سجناً مؤبَّداً	بابا	الطويل	الشيخ حسين الحلبي	٢	٢/١٨٢
يا ريمُ قومي الآنَ وَيْحَكِ فانظري	إعجابَها	الكامل	الصنوبريّ	٩	٢/٥٧
بالله يا نشر الصَّبا	حلبا	مجزوء الكامل	محمد بن مسعود الكواكبي	٢٨	١/٣١١-٣١٢
ما أنصف القومُ ضبّه	الطُّرطُبّه	المجتث	المتنبي	١	٢/٥١
فُوَيْقُ إذا شمَّ ريحَ الشِّتا	عجيبا	المتقارب	الصنوبري	٦	٢/٨٢-٨٣

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
ومَن ذا الذي تُرضى سَجاياه كلّها	معائبُهْ	الطويل	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٣
يلذُّ بـذي الدنيا الغبيُّ ويَطرَبُ	المجرِّبُ	الطويل	ابن هبيرة	٤	٢/ ٣٥٠
هـدَمَ الشَّيبُ فِيَّ ما بناهُ الشّبابُ	غِضابُ	المديد	الصنوبري	٣	٢/ ٩١
الشَّيب عنديَ والإفلاسُ والجَرَبُ	عَطَبُ	البسيط	الصنوبري	١	٢/ ٩٢
ولـقَّبـوهُ بحبِّ الـظُّـرفِ ليَتْهَمُ	اللقبُ	البسيط	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٤
الـيـومُ يـا هـاشـمـيُّ يـومٌ	والضبابُ	مخلع البسيط	الصنوبري	٥	٢/ ٨٣ ـ ٨٤
وقائلٍ ورأى من حِجْبَتي عَجَبا	محجوبُ	البسيط	أبو سليمان الخطابي	٣	٢/ ٢٨٧
فـيا عـطـشي وهـذا المـاء يجري	قريبُ	الوافر	-----	١	١/ ٢١٣
وحقِكَ ما خضبتُ مَشيبَ رأسي	الشبابُ	الوافر	الصنوبري	٢	٢/ ٩٢
فنجانُ قهوةِ ذا المليحِ وعينُهُ	الألبابُ	الكامل	جمال الدّين الأسفراييني	٢	٢/ ٩٧
أنـت عَـلَيَّ وهـذه حـلـبُ	الطلبُ	المنسرح	-----	٣	٢/ ٤٢
كُـلُّ مَـن جاءنـا بـديـنٍ غريب	كـذابُ	الخفيف	ابن هبيرة	٢	٢/ ٣٥٠
تنفّسَ صُبْحُ الشيب عن ليل هامتي	معايبي	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	٢	١/ ٣٠٩
تَبَاشَرُ أهل العلم من كلِّ جانبٍ	الكواكبي	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	١٢	١/ ٣١٠
سَلَكْتُ عقاباً في طريقي كأنّها	عقابِ	الطويل	أبو سليمان الخطابي	٢	٢/ ٢٨٨
يا من له همَّـةٌ تسمو إلى الرتَبِ	والأدبِ	البسيط	كمال الدين ابن العديم	٧	١/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
الطِّيبُ يُهدى وتُستَهدَى طرائفُه	الطِّيبِ	البسيط	الصنوبري	٢	٢/ ٩٢
وأمـطـرَ الـكـأسُ مـاءً من أبـارقِـهِ	الذَّهَبِ	البسيط	الصنوبريّ	٢	٢/ ٩٩
ناهيكَ مِن فضّةٍ تَجري على ذَهَبِ	اللَّهبِ	البسيط	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠١
أحلامكم لشفاء الجهل شافية	الكلبِ	البسيط	الكميت	١	٢/ ١١١
يـا أيُّـهـا الـنـاس إني نـاصـحٌ لكُمُ	تَجاريبِ	البسيط	ابن هبيرة	٢	٢/ ٣٤٨
وللسقّـــاط أمـثـالٌ فمنها	المريبِ	الوافر	الصنوبري	٢	٢/ ٨٤
أخٌ لي عـاد مـن بـعـدِ اجتنابه	واكتئابِه	الوافر	الصنوبريُّ	٣٠	٢/ ١١٧ ـ ١١٨
وتجـشُّـمُ المـكـروهِ ليس بضائرٍ	المحبوبِ	الكامل	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٢
قـدِمَ الرّبيعُ فكان أحسنَ قادم	مَوكِبِ	الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/ ١٠٥
هـذا الكتاب من عطايا الواهب	والطَّالبِ	الكامل	-----	١	٢/ ١٧٥
كـــأنّ آذريــــونَـهـــا	القُضُبِ	مجزوء الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/ ١٠٢
نِـعْـمَ مـا نـوَّلـتـنـي مـن أربي	الطلبِ	الرمل	مصطفى الزرقا	٤	١/ ٣٤٢
إن سراجَـــا نـــورُه ظلـمـةٌ	قلبي	السريع	الصنوبري	٢	٢/ ٨٧
يـا غـصـناً مـن سَـبَـجٍ رطب	كَرْبِ	السريع	الصنوبريّ	٢	٢/ ١٠٩
أيُّـها الصَّاحب الأجـلّ كـمال الد	للغريبِ	الخفيف	أبو الحسين الجزار	٨	١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤
زادَ همِّـي بهـرٌ أزرقٌ تركيـ	الجلبابِ	الخفيف	الصنوبريّ	١١	٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
يريدون من نظمي وخطي قصائداً	انْقَضَتْ	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	٢	٣٠٩/١
جوانحي لِلِقَا الأحبابِ قَدْ جَنَحتْ	جَنَحتْ	البسيط	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	١٩	٢٢/٢
قد كنتُ أعرفُ في الهوى مِقْدارَها	عوضَتْ	الكامل	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٨/٢
وإن غرَّ غِرًا أنَّ خُلْقِيَ هيِّنٌ	حقيقَتَهْ	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	٢	٣١١/١
أمِطْ عن الدُّرَرِ الزُّهر اليواقيتا	مواقيتا	البسيط	أبو إسحاق الغزّي	٣	١٢٢/٢
وما تنفعُ الآدابُ والعلمُ والحِجا	يموتُ	الطويل	-----	١	٤٨٢/١
تقولُ لي وكلانا عند فُرقَتِنَا	وياقوتُ	البسيط	الصنوبري	٣	٩٠/٢
قُلْ إنْ نسبتَ: عَزَوتُه وعزَيْتُه	وَكَنَيْتُه	الكامل	محاسن الشوّاء	١٩	٣٧٠/٢
مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ	العَرَصَاتِ	الطويل	-----	١	٢٧٢/١
مِن الفُستُقِ الشَّامي كل مصونةٍ	تابوتِ	الطويل	الصنوبريّ	٢	٦٠/٢ـ٦١
وكم شامت بي عند موتي جهالة	وفاتي	الطويل	-----	٢	٣٥٥/٢
ما دمتَ حيّاً فَدَارِ الناسَ كلّهم	المُداراةِ	البسيط	أبو سليمان الخطابي	٢	٢٨٧/٢
من يدخل الأفيون بيت لهاته	حياتِه	الكامل	فتح الله بن النحاس	١	١٨٦/٢
ومواتي العناقِ غيرُ مواتي	اللفظاتِ	الخفيف	الصنوبريّ	٢	٩٨/٢
وفاتر الحسن في محبته	مَكَثَا	المنسرح	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٩/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
يا ديرَ مارتْ مَروثا	مُغيثا	المجتث	الحسين بن علي التَّميمي	٢	٦٩/٢
ولو كان سهماً واحداً لاتَّقيتُهُ	وثالثُ	الطويل	-----	١	٢٩٧/١
أبلغ أبا الحَسَنِ السَّلامَ وَقُل له	لِلشِّيعَةِ	الكامل	ابن سنان الخفاجي	٤	١٩٢/١
قال لنا نخلةٌ وقد طَلَعتْ	لطلعَتِها	المنسرح	الصنوبريّ	٤	١٠٣/٢
ما بالُ أعلى قُويقَ يَنشرُ من	أدرَجْ	المنسرح	الصنوبريّ	٤	٦٩/٢
والعَوَجانُ الذي كَلِفتُ به	عَوَّجْ	المنسرح	الصنوبريّ	٥	١٠٨/٢
قالوا: به زرقة فقلتُ لهم	البهجَه	المنسرح	الصنوبري	٢	٨٧/٢
لله ألحاظ سقتْ ألبابنا	مزاجِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٩/٢
ما أحسنَ الشمسَ المنيرة إذ بَدَتْ	الأبلجِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٢/٢
يا حبَّذا بنفسج طيب الشَّذا	المدبَّجِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٢/٢
الجوُّ بين مضمَّخٍ ومضرَّجٍ	ومدبَّجِ	الكامل	الصنوبريّ	٤	١١٢/٢
وللظَّهرِ من حَلَبٍ منزلٌ	حَجِّهِ	المتقارب	الصنوبريّ	٤	٦٢/٢
تخيّله ساطعًا وهجُهُ	وَهجِهِ	المتقارب	أبو العلاء المعرِّي	١	٦٣/٢
وساقٍ إذا هَمَّ نَدْمانُنا	يُزجِهِ	المتقارب	الصنوبريّ	٤	٦٣/٢
فمن مُتلوٍّ على نايهِ	صَنجِهِ	المتقارب	الصنوبري	١	٩٣/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
حـتَّـام في لـيـل الهـمـو	ينقدحْ	مجزوء الكامل	عبد الله الحجازي الحلبي	١٠	١٤٧/١
قـد بُـلـيـنـا بـأمـيرٍ	وسبَّحْ	مجزوء الرمل	ابن الوردي	٢	٩٤/٢
سَفْـك دم عشَّاقِه قد أباح	صِفاحْ	السريع	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٤	٢٩/٢
قل للفرنسيس إذا جـئـتَـهُ	نصيحْ	السريع	ابن مطروح	٦	٢٧٦/١
:لما بَـدَا كالبدرِ قال عاذلي	الضُّحَى	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٣/٢
رقَّ فلو كلَّفْتَهُ أعْيُنَنا	رَشَحا	المنسرح	الصنوبريّ	١	١٠٩/٢
أحمدُ الله قد ألاحَتْ بروقٌ	مليحَه	الخفيف	الصنوبري	٢	٩٣/٢
روينا بإسناد عن ابن مغفَّل	القَدَحِ	الطويل	أبو محمد الدمياطي	٣	٢١٢/٢-٢١٣
جُنح الدُّجَى ظهرتْ دلائلُ صُبحِه	بصَدْحِه	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	١٨	٢٣/٢-٢٤
لا تعجبوا إنْ سال دمعِي دما	تباريحي	السريع	حسين بن أحمد الجزري	٢	١٦٨/٢
ذات خدٍّ يكادُ يُدمِيه وهم	بالمُزاح	الخفيف	الصنوبري	٢	٨٧/٢
ظَبْـي بخيـل بالرضى	سلخْ	مجزوء الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٩/٢
بأبي يابن سليما	تنوخا	مجزوء الرمل	الصنوبريّ	٦	١١٣/٢
ذاك أم أعصمٌ كأنْ مدرَباه	جاخا	الخفيف	المتنبي	١	٥١/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
كان عيشي بهم أنيقاً فولى	فشاخا	الخفيف	الصنوبري	١	٥١/٢
وكأنّ محمَرَّ الشَّقيقِ	تصعَّدْ	مجزوء الكامل	الصنوبريّ	٢	٩٤/٢
ومُوَرَّدِ الخدَّيْنِ يَحْـ	مورَّدْ	مجزوء الكامل	الصنوبريّ	٥	٩٨/٢-٩٩
أبكيكِ ربَّة قبَّةٍ	تجدَّدْ	مجزوء الكامل	الصنوبريُّ	٢	١١٥/٢
ربي في بدء المقال أحمد	أحمدْ	الرجز	محمد بن مسعود الكواكبي	٤٤	٣١٦/١-٣١٨
أحمد بن الخليل أرشده الله	أحمدْ	الخفيف	شهاب الدِّين أبو شامة	٢	١٦٢/٢
ومَنْ سرَّه أن لا يرى ما يسوؤه	فَقْدَا	الطويل	-------	١	١٤٨/١
بقيت بقاء الدهر ما ذرَّ شارقٌ	وأنجدا	الطويل	أبو إسحاق الغزّي	١	١٢٣/٢
بروحي كحيل المقلتَين مُهَفْهف	أوْدَى	الطويل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٩/٢
تزايدَ ما ألقى فقد جاوزَ الحدّا	جدّا	الطويل	الصنوبري	٥	٨٨/٢-٨٩
تبدَّا فكبَّرت المهيمن بالندا	بالندا	الطويل	محمد بن سيفا	٢	١٨٤/٢
ما زال في جِلَّق دمعي يزيد إلى	بَرَدَا	البسيط	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٤	٢٦/٢
مُغرّد الليلِ ما يألوكَ تغريدا	مَجهودا	البسيط	الصنوبريّ	٤	٦١/٢
عقربُ الصُّدغِ لماذا	وحدَه	مجزوء الرمل	الصنوبريّ	٢	١٠١/٢
مريضك من صدودك لا يعاد	يعادُ	الطويل	محب الدِّين الطبري	٥	١٥١/٢-١٥٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وقـال لها الأمـلاءُ من كل معشر	سديدُها	الطويل		١	١/١٢٠
بـروحـيَ خـدٌّ قـد تفتَّح وَرْدُه	وِرْدُه	الطويل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	١٦	٢/٢٨ـ٢٩
إذا قلتَ ليثٌ فهو أمضى عزيمةً	وأجْوَدُ	الطويل	أبو الفتح بن الأديب	١٠	٢/٣٥٢
بروحي الـذي لم أحـظَ منه بنظرةٍ	يُردي	الطويل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/٣٠
شقائقُ يَحملنَ الـنَّـدى فكأنَّه	الخَرائِدِ	الطويل	الصنوبريّ	١	٢/١٠٢
سرى عائداً حيث الضَّنَا راع عوّدي	مرتدِ	الطويل	مصطفى بن عبد الملك البابي	١	٢/١٨٧
خليليَّ إيـهٍ من حديث صَبَا نجد	الوجْدِ	الطويل	محمد البخْشي الحلبي	١	٢/٢١٨
ذكَـــروا أنَّ الــفــراقَ غـدا	غدِ	المديد	الصنوبريّ	١	٢/١٠١
يا أحسن الناس نظماً غير مفتقر	توحُّدِهِ	البسيط	كمال الدين ابن العديم	٧	١/٤٨٦ـ٤٨٧
أخٌ لي كـنـتُ أُغـبَـط باعتقاده	ودادِهْ	الوافر	كشاجم	٣٠	٢/١١٦ـ١١٧
مـالي إليك سـوى التحيَّة حاجة	سعادِ	الكامل	-----	٤	١/٤٦٤
لي بالعقيق سَقَى العقيقَ غمامةٌ	فَادِ	الكامل	الحاجري	٣	١/٤٦٤
ولـقـد أراني لم أقـم بـفـرائضٍ	وبلادي	الكامل	محمد بن مسعود الكواكبي	٤	١/٣٠٨
انـظـر إلى أثـرِ المِـداد بـخـدِّهِ	بوردِهِ	الكامل	الصنوبري	٥	٢/٨٩

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
مـا أخـطـأت نوناته مـن صدغه	قدِّه	الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/١١١ـ١١٢
أيهـا الحـاسـدُ المُـعـدُّ لـذمِّي	كَحَمْدِ	المنسرح	الصنوبري	٣	٢/٩٠
جـاء يسعى إلى الـصـلاة بوجهٍ	السعودِ	الخفيف	الصنوبري	٢	٢/٨٧ـ٨٨
إنَّ هـذا الطّاعونَ يفتك في العا	حقودِ	الخفيف	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٩	٢/٣٥
حـبـذا يـوم أحـمـدِ	ومنجدِ	مجزوء الخفيف	الصنوبريّ	٤	٢/٥٩
بـدرٌ غـدا يَـشرب شمسًا غدت	حدِّه	السريع	الصنوبري	٢	٢/٨٦
مـا بـدت شـعـرة بـخـدك إلا	فؤادي	الخفيف	الصنوبريّ	٣	٢/٩٩
يا حاكماً قد أثبت السّحر الحلال	نفذا	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/٣٠
رُبَّ حـالٍ كـأنَّهـا مذهب الديـ	كاللاَّذِ	الخفيف	الصنوبريّ	٣	٢/١٠٩
بـيـنَ المَـنـيّ إلى المَـريّ	النقارْ	مخلع البسيط	الصنوبري	٢	٢/٧١
وطـالما واصـلـتُ ليلي بالسهرْ	الدُّرَرْ	الرجز	-----	٢	١/٣٩١
لمـا طـما نهـر قـويـق ولم	غزيرْ	السريع	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٢/٣٥
ونرجس مُضْعَف تَضاعفَ فيـ	أصفَرْ	المنسرح	الصنوبريّ	٢	٢/١٠٥
إذا طمحتُ للمعالي النفوسُ	القدرُ	المتقارب	(أبو القاسم الشّابي)	١	١/١٤٠
أليس بياضُ الأفـق بالليل مُؤْذناً	أسفرا	الطويل	كمال الدين ابن العديم	٢	١/٤٨٥

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
ألا قل لمن يبغي ظهورَ سيادةٍ	الزّهرا	الطويل	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٤/٢
شهابٌ تبدّى أم هلالٌ بَدا بدرا	قدرا	الطويل	الشيخ حسين الحلبي	٢	١٧٨/٢
أقولُ لُمشبِهِ العذراءِ حُسنًا	العذارَى	الوافر	الصنوبريّ	٢	٦٩/٢
لَعَمْرُكَ ما الحياة وإنْ حَرَصْنا	مستعارَهْ	الوافر	أبو سليمان الخطابي	٢	٢٨٧/٢
سرَّ الفؤادَ طيفُه لما سرى	الكرى	الكامل	كمال الدين ابن العديم	١٧	٤٨٨/١
وإذا سمعتَ بحربِ قيسٍ بعدها	تكفيرا	الكامل	جرير	١	٥١٣/١
ألحاظُه شهدت بأنّي مخطئ	تذكارا	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٦/٢
لها عيون بالعجيب قد أتتْ	وكاسرة	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٠/٢
عمائمُ الأشرافِ قد تميَّزت	مَنْظرا	الكامل	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٤/٢
الوردُ والنّرجسُ مذ عاينا	أنهارَهُ	السريع	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٩/٢
وشاطرةٍ جفنها شاطره	مستعارَه	المتقارب	الصنوبري	٤	٨٦/٢
افرحا لي ما ازداد شوقي أوارا	أُوراى	الخفيف	محمد بن مسعود الكواكبي	٧	٣١٣/١
يا عَذولي دَعْني وخَفِّف مَلامي	عُذرا	الخفيف	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٦/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
بي غزالٌ يَغْزو الوَرَى بجفونٍ	مشهورة	الخفيف	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٠/٢
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا	سامرُ	الطويل	------	١	١١٤/١، ٤١/٢
وأهيفَ معسول المراشف خِلتُه	عاصرُ	الطويل	كمال الدين ابن العديم	٨	٤٨٣/١
وكنت إذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي	يَقْطُر	الطويل	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٧/٢
ومن كان ذا عُذرٍ لَدَيكَ وحُجَّة	عذرُ	الطويل	------	١	٣٧/٢
صَفَتْ نِعمَتان خصَّتاك وعمَّتا	يُذكَرُ	الطويل	ابن حَيُّوس	٤	٣٢٣/٢
إن كان في الصيف ريحانٌ وفاكهةٌ	تنُّورُ	البسيط	الصنوبريّ	١٤	٥٥/٢
ما الدَّهرُ إلا الربيع المستنيرُ إذا	والنُّورُ	البسيط	الصنوبريّ	١	١٠٣/٢
شَرُّ السباع العوادي دونه وزر	وزَرُ	البسيط	أبو سليمان الخطابي	٢	٢٨٧/٢
الحمد لله هذا العين لا الأثر	يُنتَظرُ	البسيط	ابن هبيرة	٨	٣٤٩/٢
كأن دمشق أفلاك تدور	البدورُ	الوافر	أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك التنوخي المعري	٢	١٨٨/١
وحقك ما تركتك من مَلالٍ	الأميرُ	الوافر	الشيخ حسين الحلبي	٢	١٨٢/٢
أضحَتْ رُقَيَّةُ دونَها البِشرُ	فالغَمرُ	الكامل	عبد الله بن قيس الرقيات	٢	١٧٤/١

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
يا ناظراً فيما قصدتُ لجمعه	يعذرُ	الكامل	-----	٥	٣٩٢/١_ ٣٩٣
الحبُّ يهجر والطيوفُ تزورُ	زورُ	الكامل	أبو عليّ بن الفلاس	٥	٣٥٣/٢
وتاجر حلو الحلى لي على	زَاجِرُ	السريع	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٦/٢
خجل الوردُ حين لاحظَه النّر	البَهارُ	الخفيف	الصنوبريّ	١٥	٥٧/٢_٥٨
نارُ راحٍ ونارُ خدٌّ ونارٌ	استِعارُ	الخفيف	الصنوبريّ	٢	٩٤/٢
نَصَحتُ فما أثَّرت في ذي تعنُّت	والزجْرِ	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	٣	٣٠٨/١
ألا إنَّ فضل المرء ميزان قدره	لِحِجْرِهِ	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	١٠	٣١٤/١
أعدْ ذكرَ مَن حلَّ الغَضَا يا مُحدِّثي	والصدرِ	الطويل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٥/٢
صبرتُ على غيرِ اختيارٍ وإنه	الصبرِ	الطويل	الصنوبريّ	١	١٠٤/٢
هذا كتابي إلى من غاب عن نظري	والبصرِ	البسيط	كمال الدين ابن العديم	٧	٤٨٧/١
ثمَّ استمرَّ يغنيه الذُّبابُ كما	بمزمارِ	البسيط	الكميت	١	٥١٤/١
فصوصُ زمرُّدٍ في غلف دُرٍّ	ظفرِ	الوافر	الصنوبريّ	٢	٩٩/٢
أتأسى يا أبا بكر	البِكْرِ	مجزوء الوافر	الصنوبريُّ	٩	١١٥/٢
هل فارسٌ كَرِةَ النزّال يعيرني	الصُّفْرِ	الكامل	خالد بن سعيد بن العاص	١	١٣٦/١

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
يا ابن العديم عدمتَ كلَّ فضيلةٍ	الإدبارِ	الكامل	-----	٢	٤٧٣/١
جعلوا لأبناء الرسول علامةً	يشهرِ	الكامل	ابن جابر الأندلسي	٢	٣٤/٢
مَحْنُ الفتى تُنبيك عن فضل الفتى	العنبرِ	الكامل	الصنوبريّ	١	١١٠/٢
ولَرُبَّ زامرةٍ تهيج بزَمْرِها	تزمرِ	الكامل	السراج المختار الحلبي	٣	١١١/٢
الصالحية موطني	قواري	مجزوء الكامل	الصنوبريّ	٦	٦٧/٢
أقسمتُ إن جدَّ وطال المدى	الزَّاخرِ	السريع	زين الدِّين بن الوردي	٢	١٣/٢
وجهُك فوق النار في حسنها	والعنبرِ	السريع	الصنوبريّ	١	١١٠/٢
تلكَ آثارُنا تدُلُّ علينا	الآثارِ	الخفيف	-----	١	١٨٣/١
علقت بيحيى رجائي بمن	وفرِهِ	المتقارب	منصور النُّميري	٥	٣٥٣/٢_ ٣٥٤
أتاني نديمي مستمِدًّا شفاعتي	حِسَّهُ	الطويل	الصنوبريّ	٢	١٠٥/٢
والشِّعر ما شاقتك منه حكمة	الأعوسا	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	١	١٧٤/٢
ملأتْ وجهها عليَّ عُبوسًا	الرسيسا	الخفيف	الصنوبري	٣	٩١/٢
وعندنا نرجسٌ أنيقٌ	النفوسُ	مخلع البسيط	الصنوبريّ	٣	٦٠/٢
إذا حضرنا غبتَ أو لم تَغِبِ	والنَّرجسُ	الكامل	الصنوبريّ	٢	١٠١/٢
معبد الشام يجمعُ النَّاسَ طراً	النفوسُ	الخفيف	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٣/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أما آن إطـلاق المعنَّى من الحس	الرَّجسِ	الطويل	الشيخ حسين الحلبي	٢	٢/١٧٨
إنِّي طـربـتُ إلى زيـتـونٍ بطياسِ	والآسِ	البسيط	الصنوبريّ	٨	٢/٦٤
بلدٌ به مِـنْ كل ما طلب الفتى	مجلسِ	الكامل	محمد بن مسعود الكواكبي	٢	١/٣٠٨
أرأيـتَ أحسن من عيونِ النَّرجسِ	المجلسِ	الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/٦٠
يـا ذا النُّـهَـى إنَّ الـثـريـا آيـة	الكُنَّسِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	١٠	٢/٣٢
أرأيت أحسنَ من عيونِ النّرجسِ	المجلسِ	الكامل	الصنوبريّ	٦	٢/٥٦
وَجْـنَـتُـه الحـمـراء لـما اكتستْ	الطواويسِ	السريع	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/٣١
وضـاحـك عـن بـرد مـشرق	جلاسي	السريع	الصنوبريّ	٢	٢/١١١
بـخـدِّ مُـعَـذِّبي آيـاتُ حُـسْـنٍ	تُحاشي	الوافر	ابن القَيْسراني	٢	١/٤٦١
وعَـذَارٍ مـزخـرفِ الخـدِّ يهوى	الفراشِ	الخفيف	بدر الدين بن حبيب	٢	١/٤٦١، ٢/٣١
وبـركـة راقَ الـعـيـونَ مَـاؤُهـا	يُرخِصُ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/٣٣
ذهَـبُ كـؤوسَـك يـا غلا	مُفضَّضُ	مجزوء الكامل	الصنوبريّ	٤	٢/٥٩
ريـاضُ قُـوَيْـقٍ لا تـزال مروضة	أبيضَهْ	الطويل	الصنوبري	٥	٢/٨٣
أمـا قـويـقٌ فـارتـدى بمُعَصْفَرٍ	بياضَهْ	الكامل	الصنوبري	٢	٢/٨٣
هَـبْـنـي تَخَـطَّـيـتُ إلى زلَّـة	مَضى	السريع	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٢/٣٧

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
ولـمّـا تعالى الـبـدرُ وامـتـدَّ ضـوؤهُ	والعَرْضِ	الطويل	الصنوبريّ	٣	٢/٦٢
دَعْ عنك سمر القَنَا والمرهفات البيض	البيضِ	البسيط	محمد بن سيفا	٢	٢/١٨٤
دَيْـنُ الهـوى حَـلَّ فـقُـم نَقْضِه	نَقْضِه	السريع	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	١٤	٢/٢٦-٢٧
مـتـى الأرْحُـــلُ مَحْـطُـوطَـه	مَرْبُوطَه	الوافر	الصنوبريّ	٨	٢/٦٥
سَـقَـاك الحيا ريًّـا وحـيـاك أربعا	ولعلعا	الطويل	-----	١	٢/١٧١
هـلـمّا نحييها رُبـى ورُبـوعـا	ودموعا	الطويل	الشيخ حسين الحلبي	١	٢/١٨٣
أواحـدتي عـصـاني الـصـبر لكن	مطيعةْ	الوافر	الصنوبريُّ	٢	٢/١١٤
جَفْني لحبِّك قد جَفَاه هجوعُهُ	ولوعُهُ	الكامل	ابن قرناص الخزاعي الحَمَوي	٧	١/٤٦٣-٤٦٤
فَلَكٌ من الـدُّولابِ فيه كواكبٌ	تطلعُ	الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/١٠٩
والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه	يضيعُ	الكامل	ابن هبيرة	١	٢/٣٤٨
أرى آثـارهـم فَـأذوبُ شَـوْقـاً	دُموعي	الوافر	-----	٢	١/٣٣٢
فكأنه بَـرْقٌ تـألَّـق في الحِمى	يلمعِ	الكامل	-----	١	١/٢٩٨
يـا ليلةً طلعت بأحسنِ طالعٍ	الطّالعِ	الكامل	الصنوبري	٤	٢/٩٢
يـا ليلةً طلَعَت بأسعدِ طالعٍ	السّاطِعِ	الكامل	الصنوبريّ	٤	٢/١٠٧-١٠٨
بـأبي مَـن هـربـتُ مِـن تـوديـعِـهِ	تشييعِهِ	الكامل	الصنوبريّ	١	٢/١٠١
لا يـدَّعـي أحـد لوجهك نسبة	المدَّعي	الكامل	فتح الله بن النحاس	٢	٢/١٨٦
الـثـوب إنْ أسرعَ فـيـه الـبِـلى	الصانعِ	السريع	-----	٢	٢/٣٦٠

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
شقيقةٌ قد شقَّ على الوردِ ما	الصِّبغِ	السريع	الصنوبريّ	٢	١٠٦/٢
وجوهُ شقائقٍ تبدو وتخفى	ضَعفا	الوافر	الصنوبريّ	٥	٩٥/٢
إِحْذَر من ابن العَمّ فهو مُصحَّفٌ	أحْرُفُ	الكامل	كمال الدين ابن العديم	٤	٤٨٤/١
أضعفَ قلبي النّرجسُ المضعَفُ	مدنَفُ	السريع	الصنوبريّ	٢	٦٠/٢
كتبتُ إليكَ والنَّعلان ما إن	العنيفِ	الوافر	-----	٢	٩٦/٢
نومي سَبَا في الليلِ طرفُ شادنٍ	والحيفِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٠/٢
أطراف تيجانٍ أتتْ من سُندس	الأشرافِ	الكامل	شمس الدين المزيِّن الدمشقي	٢	٣٤/٢
ما حلَّ بي منك وَقْتَ مُنصَرَفي	التَّلَفِ	المنسرح	الصنوبريّ	٣	٥٤/٢
مذ رأيناكَ بيننا كعبةَ الجُودِ	القوافي	الخفيف	الصنوبريّ	١	١٠٤/٢
ما قضى في الربيعِ حقَّ المسرَّا	الخريفِ	الخفيف	الصنوبريّ	٤	١٠٨/٢
وإني لأعرفُ كيف الحقوق	الصّديقْ	المتقارب	أبو سليمان الخطابي	٢	٢٨٩/٢
تمسَّك بتقوى الله فالمرءُ لا يبقى	يَلْقى	الطويل	ابن هبيرة	٣	٣٥٠/٢
نازعتُهم كأسًا تخالُ نسيمَها	عتيقا	الكامل	الصنوبريّ	٣	١٠٧/٢
نفسٌ نسيمُ القربِ منكم شَاقَها	ميثاقَها	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٦	٢٨/٢
شَرُفَتْ دمشقُ بحاكمٍ أوصافُه	والتُّقى	الكامل	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٦-٣٥/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أخذتَ سويداء الفؤاد وصُغتَها	يعبقُ	الطويل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٧/٢
قويقٌ له عهدٌ لدينا وميثاقُ	أطْواقُ	الطويل	الصنوبري	٢٤	٨٢-٨٠/٢
قويقٌ على الصفراء رُكِّب جسمُه	وحَدائقُهُ	الطويل	الصنوبري	٢	٨٢/٢
ركبتُ بحارَ الحبّ جهلاً بقدرها	غريقُها	الطويل	ابن هبيرة	٣	٣٤٢/٢
الطَّرفُ بعدَك قد عادتْ مَدَامِعُه	يطرُقه	البسيط	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢٨/٢
ما في زمانك مَنْ بحقٍّ ينطقُ	تُصَدَّقُ	الكامل	محمد بن مسعود الكواكبي	١٣	٣٠٦/١
خَلَت الديار فلا كريمٌ يُرتجى	يعشَقُ	الكامل	-----	١	٢٩٨/١
الصدقُ يورثُ قائِليه مهابة	طريقُهُ	الكامل	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٦/٢
يا ناصحًا ما زال يُتبعُ نُصحَه	صديقُهُ	الكامل	الصنوبريّ	٢	١٠٢/٢
قالوا: تركت الشّعر قلت: ضرورةٌ	مُغْلَقُ	الكامل	أبو إسحاق الغزّي	٣	١٢١/٢
لا النّوم أدري به ولا الأرقُ	رَمَقُ	المنسرح	الصنوبري	٤	٨٨/٢
لعينكِ ما يَلقى الفؤاد وما لَقِي	بقي	الطويل	المتنبي	١	٤٥/٢
إذا شاء أن يَلهو بلحية أحمق	الحَقِ	الطويل	المتنبي	١	٥٢،٤٥/٢
بغدادُ دارٌ لأهل المال طيبةٌ	والضيق	البسيط	عبد الوهاب البغدادي	٢	٣٠٨/١
لو أن «مالكَ»عالمٌ بذوي الهَوَى	العُشَّاقِ	الكامل	-----	٢	٣٣٢/١

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
لـه ردفٌ كـبـيـرٌ للخطايا	ويستميلُ	الوافر	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/ ٣٣
خِـلالُ الفَضْلِ في الأمجـادِ فوضى	كمالُ	الوافر	-----	١	١/ ٤٥٢
يـا سائلي عـن مذهبي وعقيدتي	يسألُ	الكامل	ابن تيمية	١٦	١/ ٢٢٦ـ ٢٢٧
إذا ما استحلَّ الدهرُ ظُلمي فإنَّني	حِلِّ	الطويل	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٤
وما غمَّة الإنسان في شقّة النَّوى	الشكلِ	الطويل	أبو سليمان الخطابي	٢	٢/ ٢٨٧
قد جُدتَ لي باللّهى حتى ضجِرتُ بها	البخلِ	البسيط	ابن نباتة السعدي	٣	٢/ ٤٣
سِحْرٌ من اللّفظ لو دارت سُلافَتُه	الثَّمِلِ	البسيط	-----	١	٢/ ١٦٩
أبِـــن لي كـيـف أصـبـحـتَ	الحالِ	مجزوء الوافر	الصنوبريّ	٢	٢/ ٩٦
قاد الجيوشَ لِسَبْعَ عَشْرَة حَجَّة	أشغالِ	الكامل	-----	١	١/ ٤٥٢
خُـــوْدٌ لهـا وجـهٌ كـمـرآةٍ على	التمثيلِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/ ٢٧
نحفى وننزلُ وهـو أعظم حرمةً	ناعلِ	الكامل	السَّري الرفّاء	١	٢/ ٥٢
نـزلـوا بمكّة في مـنـازل هاشم	منزلِ	الكامل	-----	١	٢/ ١٥٤
شَـغَـلْـتَ يمينك يـا ذا المعالي	النوالِ	المتقارب	سعد الدين بن عربي	٣	١/ ٤٦١
ألـــم عـلى جـدث حـوى	سلامْ	الكامل	منصور النُّميري	٢٤	٢/ ٣٥٦
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هلكُ واحدٍ	تهدَّما	الطويل	-----	١	١/ ٣٢٠
وَساحِرَة الأجفانِ مَعْسُولَةِ اللَّمَى	الظَّما	الطويل	كمال الدين ابن العديم	١٢	١/ ٤٨٣ـ ٤٨٤

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
سألزم نفسي الصَّفْحَ عن كلِّ من جَنَى	وتكرُّما	الطويل	كمال الدين ابن العديم	١٣	١/ ٤٨٥
قفا نسأل الأطلال والرسم والدّما	والدُّما	الطويل	محمد بن سيفا	٢	٢/ ١٨٤
سـبـقـتُ الـعـالمـين إلى المـعـالي	هِمَّهْ	الوافر	علاء الدين السمرقندي	٣	١/ ٢٨٣
أبِـــنْ لي كـم تـخـطَّـيـتَ	الكرامَه	مجزوء الوافر	الصنوبريّ	٢	٢/ ٩٦
أرى طُـهـرًا سيثمرُ بعدُ عُرسًا	المُدامَه	الوافر	الصنوبريّ	٢	٢/ ٩٧
أوَرْقَــــاءُ مهلاً إنَّ قلبي مُتَيَّمُ	متألّمُ	الطويل	محمد كامل الهبراوي	١١	١/ ٢٩٥ـ ٢٩٦
هو الدَّهرُ ما تَبْنِيْهِ كَفَّاكَ يَهدِمُ	فيظلمُ	الطويل	كمال الدين ابن العديم	٩	١/ ٤٧٦ـ ٤٧٧
إذا ظَـفِـرَتْ منكَ العيونُ بنظرةٍ	ورازِمُه	الطويل	المتنبي	١	٢/ ٤٣
نثرنا رؤوسًـا بالأحيدبِ منهم	الدراهمُ	الطويل	المتنبي	١	٢/ ٥٤
خـلَـونـا بـدار لـلـمُـدام تكاد أن	نعيمُها	الطويل	الشيخ حسين الحلبي	٢	٢/ ١٨٢
تَسامح ولا تَسْتَوف حقَّك كلَّه	كريمُ	الطويل	أبو سليمان الخطابي	٢	٢/ ٢٨٨
وا حـرَّ قلباه ممَّـن قلبُه شَـبِـمُ	سقمُ	البسيط	المتنبي	١	١/ ٣٢٢
ما كنتُ أحسب أنّ الخنجرَ القلمُ	دَمُ	البسيط	الصنوبريّ	٤	٢/ ١٠٠
وفي يمينك فيـما أنـت واعـده	متَّهمُ	البسيط	المتنبي	١	٢/ ٣٣١
والهـم يخـترم الجسيـم نـحـافـة	ويُهرِمُ	الكامل	المتنبي	١	١/ ١٤٧
وشرُّ ما قَنَصَتْه راحتي قَنصٌ	والرَّخَمُ	الكامل	المتنبي	١	٢/ ٥٤

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
إنْ كنتَ متَّخذاً لجرحك مَرهماً	المرهمُ	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	٢	١٦٧/٢
قمْ واسقِني والظّلامُ منهزمُ	عَلَمُ	المنسرح	الصنوبريّ	٤	٩٥/٢
من يَهُنْ يَسْهُل الهوانُ عليه	إيلامُ	الخفيف	-----	١	١٥٣/١
ما لنا قطُّ غيرُ ما شَرع الله	الكريمُ	الخفيف	ابن هبيرة	٢	٣٥٠/٢
إشارة منك تكفيني وأحسنُ ما	بالعَنَم	البسيط	أبو إسحاق الغزّي	٣	١٢٢/٢
إذا خَلَوتُ صفا ذهني وعارضني	الظُّلَمِ	البسيط	أبو سليمان الخطابي	٢	٢٨٨/٢
يرى الجبناء أنَّ الجبن حزمٌ	اللئيمِ	الوافر	المتنبي	١	١٥١/١
ومَيزٌ بين فُوديهِ وفَرقٌ	المستقيمِ	الوافر	علي بن عثمان الأربيلي	٢	٤٦١/١
إن يكرهوا نَظْمَ القريض فعذرهم	المَعْلمِ	الكامل	أبو إسحاق الغزّي	٢	١٢١/٢
وليلةٍ كالرّفرفِ المعلّمِ	بالأنجُمِ	الكامل	الصنوبريّ	٢	١٠٨/٢
يا مَنْ يرومُ بظفره	المظلمِ	مجزوء الكامل	بدر الدّين بن حبيب الحلبي	٣	٣٣/٢
قُومِي احسِني منكِ وداعي فما	القَومِ	السريع	حسين بن أحمد الجزري	٢	١٦٨/٢
ريعَ صبري يا ناصري وشَفيعي	الكليمِ	الخفيف	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٣٦/٢
ونُهى غادرتْ ضميرَ القراطيـ	الأقلامِ	الخفيف	الصنوبريّ	٢	١٠٤/٢
ولما احتوت أيدي المنايا محمد الـ	والبَدَنْ	الطويل	الشيخ حسين الحلبي	٢	١٨٣/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
كان الزمان بنا غِراً فما بَرِحَتْ	بِنا	البسيط	-----	١	١٨٣/٢
بأبي ساكنةٌ في جَدَثٍ	سَكَنْ	الرمل	الصنوبريُّ	٢	١١٤/٢
قالت تسافر يا فتى	الحَسَنْ	مجزوء الكامل	-----	٣	٢٩٢/١
وجهُهُ للحُسنِ مَعدَنْ	وتَبَيَّنْ	مجزوء الرمل	-----	٢	٩٦/٢
بدا يسحرُ الألبابَ بالحسنِ والحُسْنى	الأسنى	الطويل	كمال الدين ابن العديم	٢	٤٨٦/١
حبّذا خطٌّ حديدٍ به	شهبانا	المديد	محمد بن مسعود الكواكبي	٣	٣٠٦/١-٣٠٧
حيا نداك كمالَ الدّين أحيانا	حيَّانا	البسيط	أمين الدين ياقوت	١٢	٤٥٨/١-٤٥٩
يا مَنْ أبحتُ حمى قلبي مودَّتَهُ	أوطانا	البسيط	كمال الدّين ابن العديم	١٤	٤٥٩/١-٤٦٠
نزلنا سُرَّ من را فازدَهتنا	نزلنا	الوافر	كمال الدين ابن العديم	٢	٤٨٩/١
انظرْ إلى حُسنِ السماءِ وقد بَدَت	المحزونا	الكامل	بدر الدّين بن حبيب الحلبي	٢	٣٢/٢
قد جاء طوفان البلاء ولا أرى	سفينَةً	الكامل	أبو سليمان الخطابي	٢	٢٨٨/٢
يا أخا العين في المحاسن عينا	علينا	الخفيف	حسين بن أحمد الجزري	١	١٧٤/٢
قد سُئلنا عن حالنا فأجبْنا	واحتجبنا	الخفيف	محمد بن أبي علي المؤدّب	٢	٣٥٨/٢

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
وكنت أظنُّ التركَ تختصُّ أعينٌ	وأجفانُ	الطويل	كمال الدين ابن العديم	٣	١/ ٤٩٠
لك الفضل أولى الناس بالحمد منعمٌ	عِرْفانُ	الطويل	أيدمر المحيوي	١١	١/ ٤٩٠ـ ٤٩١
مجمرةٌ طافَ بها الغِلمانُ	الزمانُ	الكامل	الصنوبريّ	٧ أشطر	٢/ ٩٧
خللُ السحايبِ لو يُعمَّرُ حُسنَها	أثمانُها	الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/ ١٠٥
إنَّ الجزيرة لا عدا	الهتونُ	مجزوء الكامل	حسين بن أحمد الجزري	٥	٢/ ١٦٨ـ ١٦٩
يا نديمي أما تحنُّ إلى القصـ	الحنينُ	الخفيف	الصنوبريّ	٩	٢/ ٦٨
مات يحيى ولم نجد بعد يحيى	يُستعانُ	الخفيف	-----	٢	٢/ ٣٥٧
دَراكِ فمن يدنف لعمرك يدفن	فني	الطويل	محمد بن مسعود الكواكبي	١٧	١/ ٣١٣ـ ٣١٤
وأحسُدُ عُجْمَ الطيرِ فيه لأنّها	باللحنِ	الطويل	شهاب الدين محمود	٢	١/ ٤٨١
أساكنةَ القبر: السّلوُّ محرَّمٌ	المساكنِ	الطويل	الصنوبريُّ	٢	٢/ ١١٤
عَجِبْتُ لسيفٍ كيف يُغْمَد في الثّرى	الكفنِ	الطويل	-----	١	٢/ ١٧٢
هَذي مصابيحُ حُفَّتْ بالرياحينِ	السينِ	البسيط	محمد بن مسعود الكواكبي	٩	١/ ٣٠٩ـ ٣١٠
لا تبكينَّ على الأطلالِ والدِّمَنِ	السَّكَنِ	البسيط	الصنوبري	١٠	٢/ ٨٥
قالوا خذ العين من كل فقلت لهم	العينِ	البسيط	حسين بن أحمد الجزري	٢	٢/ ١٧١
كأنَّ عناق نهرَي دَير زكّى	مُتيَّمَينِ	الوافر	الصنوبري	٢	١/ ٢١١

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
إذا افتخرَ الورى قال ابنُ شرقٍ	واللسانِ	الوافر	محمد بن مسعود الكواكبي	١٦	١/ ٣٠٥
شربنا في بعادينِ	الميادينِ	الوافر	الصنوبري	١	٢/ ٥١
أراقَ سِجالَهُ بالرَّقتينِ	الجانبَينِ	الوافر	الصنوبريّ	١٨	٢/ ٦٦
جُرْدٌ بهنَّ بكلِّ عين جنّة	بالنِّيرانِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/ ١٦
ولربَّ فتّانِ اللِّحاظِ سألتُه	الصبيانِ	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/ ٢٨
بسطتْ أناملُ لؤلؤٍ أطرافَها	المرجانِ	الكامل	الصنوبري	٢	٢/ ٨٨
قلبي رمى عمداً بسهمِ لحظه	ببينِه	الكامل	بدر الدِّين بن حبيب الحلبي	٢	٢/ ٣١
مَن حاكمٌ بينَ الزمانِ وبيني	بالبَينِ	الكامل	الصنوبري	٦	٢/ ٧١
وكأنّما المزمار في أشداقها	أتانِ	الكامل	الصنوبريّ	٢	٢/ ١١١
يا ابنَ المكارم والعُلا	منّي	مجزوء الكامل	الشيخ حسين الحلبي	٣	٢/ ١٨٢
زعمَ الوردُ أنّه هو أبهى	والريحانِ	الخفيف	الصنوبريّ	٦	٢/ ٥٦
حبذا الكرخ حبذا العمرُ لا بلْ	السَّروَتانِ	الخفيف	الصنوبريّ	٦	٢/ ٦٧
تركَ الظاعنونَ قلبي بلا قلبٍ	الهملانِ	الخفيف	الصنوبريّ	٤	٢/ ٩٨
من تحلَّى بغيرِ ما هو فيه	الامتحانِ	الخفيف	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٤
بدير مارت مروثا الـ	البَيعتَينِ	المجتث	-----	٤	٢/ ٧٠

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
مسجدٌ عَمَّرهُ لله	بالله	المديد	محمد بن مسعود الكواكبي	٢	١/ ٣٠٧
عللّيني بموعدي	بهْ	مجزوء الخفيف	الصنوبري	٣	٢/ ٨٩
لئن جاد شعر ابن الحسين فإنّما	اللّها	الطويل	ابن وهبون الأندلسي	٢	٢/ ٤٣
تلك الثنايا من عقدها نُظِمَتْ	ثناياها	الكامل	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٩
يا خيرَ مستصرخٍ لنائبةٍ	قُطراها	المنسرح	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٠
إنّ السَّريَّ إذا سَرَى فبنفسِهِ	أسراهُما	الكامل	-----	١	١/ ٤٤٨
احبسا العِيسَ احبساها	سلاها	مجزوء الرمل	الصنوبري	١٠٤	٢/ ٧١ـ ٨٠
للغصنِ أعطافُها وقامتُها	وعيناها	المنسرح	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠١
ولم أنسَ ما عاينتُه من جمالِه	مصلّاهْ	الطويل	الصنوبري	٣	٢/ ٨٧
قد أولع الناس بالتّلاقي	هواهُ	مخلع البسيط	أبو سليمان الخطابي	٢	٢/ ٢٨٨
أقلّي لن يَحلَّ اللّهوُ دارًا	عَصاهُ	الوافر	الصنوبريّ	٢	٢/ ١٠٤
يا والديَّ رعاكما الله	وزُورَاهُ	الكامل	الصنوبريُّ	٢	٢/ ١١٤
يا نافخَ الجمرةِ مُستعجِلا	فأذكَاهُ	السريع	الصنوبري	٣	٢/ ٩٣
كانَ يُعْدي بحسنِهِ فهو يُعْدي	رآهُ	الخفيف	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٥
قسماً بأدعج مُقْلتيه وجَفْنِه	بعينِهِ	الكامل	محمد بن مسعود الكواكبي	٥	١/ ٣٠٤ـ ٣٠٥
لا قول عند آيهِ المتشابِهِ	بهِ	الكامل	ابن هبيرة	١	٢/ ٣٣٧
لله درُّ غزالٍ لا أُسمّيه	أعنيهِ	البسيط	محمد كامل الهبراوي	١٥	١/ ٢٩٦

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
فإن يُلتمَس يومًا حِجاكم فإنكم	الجدوى	الطويل	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠٠
أكفُّ لسانَ الدّمعِ أن أشكوَ الهوى	الشّكوَى	الطويل	الصنوبريّ	١	٢/ ١٠١
إذا اختلجَتْ مناكِبُهُ لرقصٍ	نَزوا	الوافر	السريّ الرفاء	٢	٢/ ٩٣
أطعمتنا التَّمرَ الذي	حوى	مجزوء الكامل	أبو الحسين الجزار	٢	١/ ٤٧٣
لا زلتَ تنشر أعياداً وتطويها	وتُمضيها	البسيط	أشجع السلمي	٦	١/ ٢١٠- ٢١١
لا يعرفُ الشَّوقَ إلا مَنْ يُكابِدُه	يُعانيها	البسيط	-----	١	٢/ ٤٢
دخولُ النّارِ للمهجورِ خيرٌ	يتّقِيهِ	الوافر	الصنوبري	٢	٢/ ٨٨
يا متهمي في السقم كُنْ مُنْجدي	عليْ	السريع	ابن الوكيل	٢	١/ ٤٦٤
لله يوماً مدّ في صدرِهِ	جناحَيْه	السريع	الصنوبري	٢	٢/ ٨٤
منعُوه أحبَّ شيء إليه	والدَّيْهِ	الخفيف	الصنوبريُّ	٣	٢/ ١١٤
نلتَ في ذا الصّيامِ ما ترتجيهِ	تتّقيهِ	الخفيف	الصنوبريّ	٢	٢/ ١٠٠ـ ١٠١
أمرُّ بدير مُرّان فأحيا	لِهيا	الوافر	الصنوبريّ	٨	٢/ ٦٤ـ ٦٥
صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنّها	لياليا	الكامل	-----	١	١/ ٢٩٧
كأنّ آذريونَها	كاليَهْ	مجزوء الكامل	ابن المعتزّ	٢	٢/ ١٠٢
إن كان يا أحبابنا قصدكم	الحاشية	السريع	بدر الدين ابن حبيب الحلبي	٢	٢/ ٣٦
بنى ابن سيفا يوسف مسجداً	راقيا	السريع	-----	٢	٢/ ١٨٤

فهرس الأماكن

❋ ❋ ❋

فهرس المحتويات التفصيلي

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى	الجزء والصفحة

المحتوى	الجزء والصفحة

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

الجزء والصفحة

المحتوى — الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى | **الجزء والصفحة**

المحتوى | **الجزء والصفحة**

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى | الجزء والصفحة

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

المحتوى **الجزء والصفحة**

❊ ❊ ❊

هذا مجموع نادر يضمُّ الكثيرَ من مقالات العلّامة المؤرِّخ المحدِّث الشيخ محمد راغب الطبّاخ الحلبي، وتحقيقاته، وآثاره المطبوعة في عدد من المجلات، تبلغ أكثر من ستين مقالاً وبحثاً؛ اجتهد محققها الفاضل في جمع متفرِّقها، وترتيبها وتصحيحها والتعليق عليها، مقسَّمةً إلى سبعة فصول: بحوث ومقالات إسلامية، ومقالات وتحقيقات تاريخية، وتراجم، وتعريف ونقد المخطوطات والمطبوعات، وفي الأدبيات واللغويات. كما ضمّ إليها بعض مقدِّمات الكتب النادرة التي حقّقها ونشـرَها الشيخُ الطباخ في مطبعته العلمية، والرسائل المحققة التي نشرها في بعض المجلات. مصدِّراً ذلك كله بمقدِّمة واسعة تعرّف بهذه المقالات وبترتيبها التاريخي والموضوعي وجوانب خدمته المتنوّعة لها.

أروقة للدّراساتِ والنّشرِ
هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن

وعلى كل ورقة أو ورقتين من هذه النسخة من خطّ الحافظ الإمام الشيخ أحمد ابن العراقي، ولد الشارح يكتب بخطه: (ثم بلغ سماع بحث ومقابلة، كتبه أحمد ابن العراقي) أو نحو ذلك، وفي آخر النسخة بعد الصحيفة المتقدّمة صحيفة جمعها بخطّ الحافظ المذكور (كما تراه في الرسم) ونصّها:

(١) الحمد لله، سمع عليّ الشيخ العالم الفاضل البارع المفنَّن نور الدّين عليّ بن أبي بكر (٢) الشافعي، الشهير بابن الطباخ ـ نفع الله به ـ جميع كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح (٣) رحمه الله، سَماع بحثٍ لأكثره وسَرْداً لأواخره، وذلك بقراءة الشيخ نور الدين علي (٤) الجراحي، من أول الكتاب إلى آخر النوع الحادي والثلاثين، وبقراءة الشيخ عز الدين (٥) عبد السلام بن أحمد البغدادي، من أول الثاني والثلاثين إلى آخر النوع الأربعين (٦) وكانت القراءتان المذكورتان قراءة بحث. وبقراءة الشيخ نور الدين صاحب هذه النّسخة (٧) لبقيّة الكتاب قراءة سَرْد، وأجزت له روايته عني وجميع مروياتي ومصنفاتي، (٨) وذلك في مجالس، آخرها: يوم الجمعة، رابع عشر شوال، سنة أربع عشرة وثمان مئة، (٩) كتبه أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي الشافعي، لطف الله به آمين. (١٠) وأجزته بروايتي للكتاب المذكور، عن الشيخ الإمام الحافظ بهاء الدين أبي بكر (١١) عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل المكي رحمه الله، سماعاً عليه بقراءة والدي (١٢) رحمه الله، بسماعه من أبي عبد الله محمد بن يوسُف بن المهتار، بسماعه (١٣) من المؤلِّف، وهو في آخر الخامسة، كتبه أحمد ابن العراقي، (١٤) وسمع الشيخ محبّ الدّين محمد بن محمد بن أحمد بن الأوجاقي من أول «النوع الأربعين» (١٥) إلى آخر الكتاب، وأجزت له رواية باقيه، كتبه أحمد ابن العراقي.



ويلي ذلك ورقتان جاء فيهما:

«الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، سمع جميع هذا الكتاب ـ وهو «علوم الحديث» لابن الصلاح رحمه الله ـ على الشيخ الفاضل المسنِد المعمَّر الأصيل شمس الدِّين أبي عبد الله محمد ابن الإمام العلامة نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر، عُرف بابن أبي الحسن الشاذلي الشافعي، نفع الله به؛ بسماعه لجميعه على الشيخ الإمام الرَّحّالة علاء الدين علي بن أبي المجد الدمشقي رحمه الله؛ بإجازته من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن المهتار، بسماعه ـ وهو في آخر الخامسة ـ من مؤلِّفه الإمام الحافظ أبي عَمْرو بن عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح الشهرزوري رحمه الله: الجماعة الأجلاء: الشيخ الإمام خير الدِّين أبو الخير محمد بن داود ابن الرومي الحنفي، الشهير بابن الفرَّاء، والشيخ محيي الدِّين عبد القادر بن مصطفى بن محمد القرشي التاجر، والشيخ محبّ الدين بن أحمد بن محمد بن الجناق الحنبلي، والشيخ أفضل الدين أبو الفضل محمد بن يعقوب بن خلف المصري الشافعي، والشيخ محيي الدِّين عبد القادر بن محمد بن همام الحنفي، والشيخ سراج الدِّين عمر بن علي بن شعبان التِّنائي المالكي، والشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن محمد المصفي، وعبد القادر بن عمر بن حسين الزفتاوي، وجمال الدِّين عبد الله بن أحمد البانوتي، وولداه: محمد وعلي، وصاحب هذه النسخة الشاب المشتغل الذّكيّ النبيه أمين الدِّين أبو الجود محمد بن أحمد بن عيسى الدمياطي النجاروالده، والشريف إبراهيم بن محمد بن أحمد القبيباتي، وفتاه موافق، وعمر، وولد القاري، ويوسف بن حسن بن مروان التِّنائي الخفير أبوه، والفقير لعفو ربه أبو الوفا محمد ابن خليل بن إبراهيم الصالحي الحنفي، وذا خطّه، وهو ضابط الأسماء، هؤلاء المكملون.

وسمعه خلا من قوله: «النوع الحادي والعشرون»، إلى قوله: «الثامن والعشرين» حسين بن يعقوب بن عيسى البحيري المالكي.

ومَن سمعه خلا من قوله: «النوع الثاني: معرفة الحسن»، إلى قوله: «النوع الثامن والعشـرون»: معرفة أدب طالب الحديث: فالسيد الشريف ضياء الدين أبو صالح عبد القادر ابن الشيخ القدوة علاء الدين علي بن محمد بن عبد القادر بن علي سليل سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني، أعاد الله علينا من بركاته، والشيخ الجليل الأصيل نجم الدين أحمد بن زين الدين علي بن الحسين ابن الرفاعي، والشيخ الفاضل مَجْد الدِّين إسماعيل بن إبراهيم بن حسن القلعي، وولد محبّ الدين أبو البركات محمد سبط الشريف عبد الكريم الحَيَّاني ـ بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتانية ـ والمبارك شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن العماد وولده محمد، والشيخ ناصر الدين محمد بن الحاج علي بن أحمد الحنفي، وصديق بن سعيد بن علي، وأحمد بن محمد بن عبد الله الزبيدي اليمانيان، وأحمد بن مهنا بن حجي النوبي، وابنه أبو الفتح محمد، ويحيى ابن الشيخ بن زين الدين أبي الخير محمد بن محمد المليحي الماوردي أبوه، ونور الدين علي بن حسن ابن محمد الزرخوني، وتغري بردي بن عبد الله القادري، وابن أخيه محمد بن سنقر، وناصر الدِّين محمد بن طقزق الحنفي شيخ، وشمس الدين محمد بن غانم التِّنائي، وأحمد بن عبد الحق السنباطي، والشريف سعيد، ويدعى عبد الرحمن بن منصور بن محمد الوانوغي المغربي شيخ، وخليل بن طقتمش الحسني شَادَ الجامع الأزهر شيخ.

ومن سمع من أوله إلى قوله: «النوع الثاني: معرفة الحسن»، ومن قوله: «النوع الرابع والثلاثون»: ناسخ الحديث ومنسوخه إلى آخر الكتاب: أبو الخير محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن سليمان الزواوي.

وسمع من أوله إلى قوله: «النوع الثاني: معرفة الحسن»، ومن قوله في أثناء النوع التاسع والثلاثين: «الثانية للصحابة بأسرهم خصيصة» أحمد بن أحمد بن محمد سبط الأمير الجاي اليوسفي.

وسمع من قوله: «النوع الثالث والخمسون» إلى آخر الكتاب: الجمال يوسف بن يحيى بن العلامة شمس الدين محمد الكرماني رحمه الله.

وسمع من قوله: «النوع التاسع والخمسون» إلى آخر الكتاب: شمس الدين محمد بن عمر بن محمد النشيلي الأزهري.

صحَّ ذلك وثبت في مجلسين ثانيهما يوم الثلاثاء تاسع عشرين صفر، سنة أربع وستين وثمان مئة، بقراءة الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ فخر الدين أبي عمرو عثمان ابن محمد بن عثمان الديمي الشافعي ـ أبقاه الله تعالى، ونفع به ـ بالمدرسة البندقدارية تجاه حمام الفارقاني بالقرب من خانقاه شيخو، ظاهر القاهرة المعزية، حماها الله تعالى من كل سوء وبَلِيَّة.

وأجاز المسمِع للسامعين جميع ما يجوز له وعنه روايته لفظاً بسؤال القاري، ولله الحمد أولاً وآخراً.

قاله وكتبه ضابط الأسماء: الفقير لعفو ربه ومغفرته أبو الوفا محمد بن خليل ابن إبراهيم الصالحي الحنفي، عفا الله عنهم أجمعين، وختم له بخير وجميع المسلمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم».

وعلى ظاهر النسخة في أول الكتاب ما نصُّه:

«فرغه سماعاً مالكه محمد بن أحمد بن عيسى الدمياطي النجار والده بقراءة الشيخ الحافظ عثمان الديمي».

وإلى جانب ذلك:

«فرغه سماعاً أبو الفضل محمد بن يعقوب المصري الشافعي غفر الله له». اهـ.

وإني ـ بفضل الله تعالى ـ أروي هذا الشرح وهو «التقييد والإيضاح» للحافظ

الزين العراقي وجميع ما له من المؤلّفات عن الشيخ كامل الموقت الحلبي، وهو عن والده الشيخ أحمد الموقت الحلبي، وهو عن والده شيخ القرّاء والمحدّثين الشيخ عبد الرحمن الموقت الحلبي الحنبلي، وهو عن والده الشيخ عبد الله موفق الدّين الحلبي، وهو عن والده الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الشامي مولداً ومنشأً، الحلبيّ أصلاً ووطناً، صاحب الثَّبَت المسمّى «منار الإسعاد في طرق الإسناد»، وقد قال في ثبته هذا: «التبصرة والتذكرة» للحافظ زين الدّين العراقي، وهي الألفية في مصطلح الحديث، وسائر كتبه عن شيخنا الشيخ محمد المواهبي الحنبلي، عن جدّه أبي المواهب، عن والده الشيخ عبد الباقي، قال: أخبرنا بها الميداني، عن الطيبي، عن الكمال الحسيني، عن أبي إسحاق الباعوني، عن زين الدين العراقي.

وأرويه أيضاً بهذا السند إلى الشيخ عبد الرحمن الحنبلي صاحب الثَّبَت المتقدِّم، وهو عن الشيخ يوسف الشامي الأصل، المفتي والنقيب بمدينة حلب صاحب الثّبَت المسمَّى: «كفاية الراوي والسامع وهداية الرائي والسامع»، وقد قال في ثبته هذا: «التبصرة» وهي ألفية العراقي، وسائر كتبه عن شيخنا أبي المواهب الحنبلي، عن أبيه (الشيخ عبد الباقي)، عن الشمس الميداني، عن الطيبي، عن الكمال الحسيني، عن أبي إسحاق الباعوني، عن زين الدّين العراقي.

وأروي «مقدمة ابن الصلاح» من الطريقين المتقدّمين إلى الحافظ زين الدّين العراقي، وهو يرويه ـ كما قال في أول شرحه ـ عن الشيخين الإمامين أبي سعيد كيكلدي العلائي، وبهاء الدّين أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل الأموي، قالا: أنا بجميعه محمد بن يوسف بن المهتار الدّمشقي، قال: أخبرنا به مؤلّفه الشيخ الإمام الحافظ تقي الدّين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الشهرزوري رحمه الله تعالى.

وأروي المقدّمة أيضاً عن شيخي الشيخ كامل الهبراوي، المتوفّى سنة ١٣٤٦،

وهو عن الشيخ سعيد الفرّا الدّمشقي، وهو عن جدّه لأُمّه الفاضل العلامة الشيخ علاء الدين عابدين، وهو عن والده العلامة الشيخ محمد عابدين الحسيني صاحب الحاشية على «الدرّ المختار».

وقد قال العلامة ابن عابدين في ثبته «عقود اللآلي في الأسانيد العوالي» (ص١٣٧): «علوم الحديث» للحافظ أبي عمرو ابن الصلاح بالسند إلى القاضي زكريا قال: أخبرنا به أستاذ عصره في شامه ومِصْره، الشهاب أحمد ابن حَجَر العسقلاني سماعاً في البحث لبعضه، وإجازةً لباقيه، حدّثنا به الشيخان أبو المعالي الحلاوي (هو عبد الله بن عمر بن علي بن مبارك، عُرِف بالحلاوي ـ بمهملة ولام خفيفة ـ توفّي سنة ٨٠٧، كما في ذيول «تذكرة الحفاظ» ص٢٤١)، وأبو الحسن بن أبي المجد قال: أولهما: حدثنا البدر الفارقي، ثنا به محمد بن الحسن رزين، وقال: ثانيهما ـ وهو أعلى ـ: ثنا به محمد بن يوسف المهتار، كلاهما عن الحافظ أبي عمرو ابن الصلاح سماعاً عليه. اهـ.

وقد أثبت الحافظ أحمد ابن حجر سماعه لمقدّمة ابن الصلاح في آخر النسخة المحرّرة بخطّه من «التقييد والإيضاح» ونصها (كما تراه في الرسم):



سمعت (كتاب) ابن الصَّلاح جميعه على أبي الحسن علي بن محمد بن أبي المجد.

نا... محمد بن يوسف... بن المهتار، وهو آخر مَن بقي ممَّن يروي عنه بسماعه من مؤلِّفه، وكان سماعي عليه بقراءة شيخنا أبي الفيض محبّ الدّين بن محمد بن العلامة الأوحد جمال الدّين عبد الله بن يوسف بن هشام رحمهما الله تعالى... كتبه أحمد بن علي ابن حجر.

وسمعته أيضاً على عبد (الله بن عمر بن) علي الصوفي، بسماعه على بدر الدين محمد بن أحمد بن خالد الفارقي، بسماعه على قاضي القضاة تقي الدين (محمد بن رزين)، بسماعه على مؤلّفه.

وهذا متصل با... والإسناد الأول عال جداً

تساويت مع شيوخنا

بل كأني رويته عن البرزالي والذهبي وتلك الطبقة.

هذا، وإني أروي هذين الكتابين من طرق كثيرة تُستخرج بالتأمُّل من كتابي «الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية»؛ الذي اختصرتُ به ثَبَتَ العلامة الشيخ يوسف الحسيني الشامي الأصل، الحلبي وطناً ووفاةً، المسمَّى: «كفاية الراوي والسامع، وهداية الرائي والسامع»، وثبت العلامة الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي؛ المسمَّى: «إنالة الطالبين لعوالي المحدّثين»، وثَبَت العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحنبلي، المسمَّى: «منار الإسعاد في طرق الإسناد»، والثلاثة من أعيان الشهباء في القرن الثاني عشر وترجمتهم في «سِلْك الدرر» للعلامة المرادي، وفي المجلد السادس والسابع من تاريخي «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء».

ومن إجازاتي من مشايخي التي ذيّلت بها المختصر هذه الأثبات الثلاثة؛ فإنَّها اشتملت على أثبات كثيرة، ومعاجم عديدة، اتَّصل بها سندنا، ولله الحمد والمنَّة.

ومما يقتضي التّنبيه له أن الحافظ العراقي رحمه الله قد أهمل في شرحه «التقييد والإيضاح» الكتابة على تسعة عشرة نوعاً، وهي: ٥-٦ ـ ٧-١٠-١٧-٢٢-٢٨-٣٢-٣٥-٣٧-٣٨-٤٨-٥٢-٥٦-٥٨-٥٩-٦١-٦٣-٦٥.

ولما رأيت أثناء قراءتي للمقدّمة أنَّ هذه الأنواع في حاجة إلى الإيضاح؛ علّقت عليها تعليقات مفيدة، التقطتها من «التدريب شرح التقريب» للحافظ الجلال السيوطي، ومن كتاب «معرفة علوم الحديث» للحافظ الحاكم النيسابوري؛ الذي منه نسخة نفيسة في مكتبة التكية الإخلاصيَّة بحلب، ومن غير ذلك، وعلّقت على غير هذه الأنواع أيضاً تعليقات لطيفة بقدر يتَّضح به الكلام، ويُدْنِيه إلى الأفهام.

ولما كانت نسخ المقدّمة المطبوعة قد نَفَدت حتى من المكاتب المصرية؛ عولّت ـ بعد الاتّكال على الله تعالى ـ على إعادة طبعها على النسخة المطبوعة، وعلى النسخ الثلاثة المتقدّمة الذِّكر، لكن جُلَّ الاعتماد في التصحيح سيكون ـ إن شاء الله تعالى ـ على النُّسخ الثلاثة التي عليها خطّ الحافظ الشيخ أحمد العراقي، لأنها مقروءة غير مرّة على عدَّة من الحفاظ كما علمت. مذيَّلاً لها بشرحها المتقدّم المذكور، وفي ذيل ذلك تعليقاتي التي أشرت إليها، وقد سمَّيتها: (المصباح على مقدمة ابن الصلاح)، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلتُ، وإليه أنيب.

ناشره ومصححه

محمد راغب الطباخ

❋ ❋ ❋

[ترجمة الإمام أبي عمرو ابن الصلاح]

قال ابن خلِّكان في «وفيات الأعيان»: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ابن موسى بن أبي النَّصر الكردي الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح الشرخاني، الملقّب تقي الدّين الفقيه الشافعي.

كان أحد فضلاء عصره في التفسير، والحديث، والفقه، وأسماء الرّجال، وما يتعلّق بعلم الحديث، ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسدّدة، وهو أحد أشياخي الذين انتفعتُ بهم.

قرأ الفقه أولاً على والده الصلاح، وكان من جملة مشايخ الأكراد المشار إليهم، ثم نقله والده إلى الموصل، واشتغل بها مدّة، وبلغني أنّه كرر جميع كتاب «المهذّب» ولم يطرّ شاربه.

ثم إنّه تولّى الإعادة عند الشيخ العلامة عماد الدين أبي حامد بن يونس بالموصل أيضاً، وأقام قليلاً ثم سافر إلى خراسان فأقام بها زماناً، وحصل علم الحديث هناك، ثم رجع إلى الشام، وتولى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس؛ المنسوبة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى، وأقام بها مدّة، واشتغل الناس عليه، وانتفعوا به.

ثم انتقل إلى دمشق، وتولى التدريس بالمدرسة الرواحية؛ التي أنشأها الزكي أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة الحموي، وهو الذي أنشأ المدرسة الرواحية بحلب أيضاً.

ولما بنى الملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ دار الحديث بدمشق فوَّض تدريسها إليه، واشتغل النّاس عليه بالحديث.

ثمّ تولّى تدريس مدرسة ستّ الشام زمرد خاتون بنت أيوب ـ وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه بن أيوب ـ التي هي داخل البلد، قبليّ البيمارستان النُّوري، وهي التي بَنَت المدرسة الأخرى ظاهر دمشق، وبها قبرها وقبر أخيها المذكور وزوجها ناصر الدّين بن أسد الدّين شيركوه، صاحب حمص، فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير إخلال بشيء منها؛ إلا بعذر ضروري لا بدّ منه.

وكان من العلم والدّين على قَدَمٍ عظيم، وقدِمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، وأقمت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدّة سنة ونصف.

وصنَّف في علوم الحديث كتاباً نافعاً (هو هذا)، وكذلك في «مناسك الحج» جمع فيه أشياء حسنة يحتاج الناس إليها وهو مبسوط، وجمع بعض أصحابه فتاويه في مجلد (طبع في مصر سنة ١٣٤٨ وهو في ٣٩ صحيفة).

ولم يزل أمرُه جارياً على السّداد والصلاح والاجتهاد في الاشتغال والنّفع؛ إلى أن تُوفّي يوم الأربعاء وقت الصبح، وصُلِّيَ عليه بعد الظهر، وهو الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وست مئة بدمشق، ودُفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر رحمه الله تعالى.

ومولده سنة سبع وسبعين وخمس مئة بشَرَخان ـ وشَرَخان: بفتح الشين المثلثة والراء والخاء المعجمة وبعد الألف نون ـ قرية من أعمال إربل قريبة من شهرزور.

وروي عنه أنه قال: أخبرني الشيخ الصالح علي بن الروَّاس قدّس الله روحه، قال: أُلهمتُ في النّوم هذه الكلمات: ادفع المسألة ما وجدتَ التّحمّل يُمكنك؛ فإنَّ لكلِّ يوم رزقاً جديداً، والإلحاح في المطالب يُذهب البهاء، وما أحسن الصنيع إلى الملهوف، وربما كانت الغير نوعاً من أدب الله تعالى، والحظوظ مراتب؛ فلا تعجل على ثمرة قبل

أن تُدرَك؛ فإنك ستنالها في أوانها، ولا تعجل في حوائجك فتضيق بها ذرعاً ويغشاك القنوط، والله أعلم». اهـ.

وترجمه العلامة السبكي في «طبقات الشافعية» (ج٥ ص١٣٧) فقال: «عثمان ابن عبد الرحمن (لم يذكر جدّه عثمان، ولعله سقط من النُّسَّاخ) بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري، الشيخ العالم تقي الدّين؛ أحد أئمة المسلمين علماً وديناً، أبو عمرو بن الصلاح، ولد سنة سبع وسبعين وخمس مئة.

سمع الحديث بالموصل من: أبي جعفر، عُبيد الله بن أحمد البغدادي المعروف بابن السَّمين، وهو أقدم شيخ له.

وسمع ببغداد من: ابن سكينة، وابن طبرزد.

وبنيسابور من: منصور الفراوي، والمؤيد الطوسي وغيرهما.

وبمرو من: أبي المظفر السمعاني، ومحمد بن عمر المسعودي وغيرهما.

وبدمشق من: القاضي عبد الصمد بن الحرستاني، والشيخ الموفّق ابن قدامة وغيرهما.

روى عنه: الفخر عمر بن يحيى الكرجي، والشيخ تاج الدّين الفركاح، وأحمد ابن هبة الله بن عساكر، وخَلْقٌ، وتفقَّه عليه خلائق.

وكان إماماً كبيراً، فقيهاً محدّثاً، زاهداً ورعاً، مفيداً معلماً، استوطن دمشق، يُعيد زمان السالفين ورعاً، ويزيد بهجتها بروضة علمه، جَنَى كل طالب جناها ورعاً، جال في بلاد خراسان، واستفاد من مشايخها، وعلّق التعاليق المفيدة، وَوَرَدَ دمشق، ودرس بالمدرسة الصلاحيَّة بالقدس، ثم عاد إلى البلاد، ثم ورد دمشق مقيماً مستوطناً، وولي تدريس الرواحية والشامية الجوَّانية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية.

قال ابن خلّكان: كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وله مشاركة في فنون عدّة.

وذكر غيره أن ابن الصلاح قال: ما فعلتُ صغيرة في عمري قطّ، وهذا فضل من الله عليه عظيم.

توفي سحر يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الأول[1] سنة ثلاث وأربعين وست مئة، وازدَحَم عليه الخلق، فصُلِّيَ عليه بالجامع، وشيّعوه إلى باب الفرج، فصُلِّيَ عليه بداخله ثانياً، ورجع النّاس لأجل حصار البلد بالخوارزمية، وخرج به دون العشرة مشمّرين مخاطرين بأنفسهم؛ فدفنوه بطرف مقابر الصوفية، وقبرُه على الطريق في طرفها الغربي ظاهرٌ يُزار، ويُتبرَّكُ به، قيل: والدعاء عنده مستجاب.

ثمّ نَقل العلامة السبكيُّ عنه مسائل أفتى بها، وفوائد، فارجع إليها إن شئت.

وترجمهُ الإمامُ الذهبي في «طبقات الحفَّاظ» (ج٤ ص٢١٤)، وممَّا قاله في ترجمته:

أنه سمع من: عبيد الله بن السَّمين، ونصر الله بن سلامة، ومحمود بن علي الموصلي، وعبد المحسن بن الطوسي.

وارتحل إلى بغداد فسمع من: أبي أحمد ابن سكينة، وعمر بن طبرزد.

وبهمذان من: أبي الفضل بن المغرم.

وبنيسابور من: منصور، والمؤيد، وزينب وطبقاتهم.

وبمرو من: أبي المظفّر ابن السَّمعاني وجماعة.

(١) في ابن خلّكان، و«التذكرة» للذهبي، و«مفتاح السعادة» لطاش كبري (١: ٣٩٧): أن وفاته في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، فما هنا سهوٌ من النُّسَّاخ، أو من الطبع في اليوم والشهر (منه).

وبدمشق من: القاضي جمال الدّين عبد الصمد بن الحرستاني، والشيخ موفق الدين المقدسي، والشيخ فخر الدين ابن عساكر.

وبحلب من: أبي محمد ابن علوان.

وبحرَّان من: الحافظ عبد القادر.

ودرَّس بالمدرسة الصلاحيّة ببيت المقدس، فلما هدم المعظَّم سور البلد، قدم دمشق ودرَّس بالرواحية، ثم ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، ثم تدريس الشامية الصغرى، وصنَّف وأفتى، وتخرَّج به الأصحاب، وكان من أعلام الدين.

(ثم قال): قال أبو حفص ابن الحاجب في «معجمه»: إمامٌ ورع، وافرُ العقل، حسن السَّمْت، متبحّرٌ في الأصول والفروع، بارعٌ في الطبّ، حتى صار يُضْرَبُ به المثل، واجتهد في الطاعة والعبادة.

(قلت): وكان سلفياً حَسَنَ الاعتقاد، كافّاً عن تأويل المتكلّمين، مؤمناً بما ثبت من النصوص، غير خائض ولا معمِّق، وكان وافرَ الجلالة، حَسَنَ البزَّة، كثيرَ الهيبة، موقَّراً عند السلطان والأمراء، تفقَّه به الأئمة: عبد الرحمن بن نوح، وكمال الدين بن سيَّار، وكمال الدين إسحاق، وتقي الدين بن رزين، والقاضي (ابن خلّكان)، وغيرهم.

حدَّث عنه: فخر الدّين ابن عمر الكرجي، ومَجْد الدّين ابن المهيار، والشيخ تاج الدّين عبد الرحمن، والشيخ زين الدّين الفارقي، والقاضي شهاب الدّين الخويي، والخطيب شرف الدّين العزاوي، والشهاب محمد بن شرف، والقاضي محمد بن حسن الأرموي، والعماد بن البالسي، والشرف ابن الخطيب الأباري، وناصر الدين محمد بن المهيار، والقاضي أبو العباس أحمد بن علي الختلي، والشهاب أحمد بن العفيف وآخرون.

ثم قال: كانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وست مئة رحمة الله عليه. اهـ.

[ترجمة الحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٠٦][1]

له في «لحظ الألحاظ ذيل طبقات الحفاظ» للحافظ تقيّ الدّين محمد بن محمد فهد الهاشمي المكيّ، ترجمة حافلة طويلة، نُلخِّص منها ما يأتي:

قال: هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن [إبراهيم بن] أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازيَّاني، ثم المصري الشافعي، الإمام الأوحد، العلامة الحجَّة، مَن فاق بالحفظ والإتقان في زمانه، شهد له بالتفرّد في فنِّه أئمة عصره وأوانه، زين الدين أبو الفضل.

قدِم أبوه من بلده رازيَّان من عمل إربل إلى القاهرة صغيراً فنشأ بها، وخدم عدّة من الفقراء؛ منهم الشيخ تقي الدّين القنّائي، وكان مختصّاً بخدمته، فشاهد منه كرامات جمَّة، ومكاشفات عدَّة.

منها: أنه لما تأهَّل وحملت زوجتُه ربما تشتهي الشيء فتستحي من ذكره له، فكان الشيخ تقي الدين يأمره به، فيأتي إليه فيتناول القليل، ثم يرسل به إليها، فلما جاءها المخاض واشتدَّ بها الطَّلْق؛ جاءه يسأله الدّعاء وإقامة خاطره معها، فقال: لا بأس عليها تَلِد عبد الرحيم، أو ولدت عبد الرحيم، فكرَّ إليها راجعاً فوجدها قد تخلّصت ووضعته، وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبع مئة.

وتوفي والده وهو في الثالثة من عمره[2]، وحفظ القرآن، وله من العمر ثماني سنين، وأقدمُ ما وُجِدَ له من السماع في سنة سبع وثلاثين.

(١) للأستاذ المحقق الدكتور أحمد معبد عبد الكريم دراسة واسعة بعنوان: «الحافظ العراقي وأثره في السنة»، طبع في خمس مجلدات، وللأخ محمد يحيى منيار رسالة علمية بعنوان: «منهج الحافظ زين الدين العراقي في طرح التثريب في شرح التقريب».

(٢) حقّق الأستاذ أحمد معبد عبد الكريم في كتابه «الحافظ العراقي وأثره في السنة» (١: ١٧٧-١٨٣):=

وحفظ «التنبيه» واشتغل في العلوم، وكان أول اشتغاله في القراءات والعربية، وانهمك بالقراءات حتى نهاه عن ذلك قاضي القضاة عزّ الدّين بن جماعة، فقال له: إنّه علمٌ كثير التعب، قليل الجدوى، وأنت مُتوقِّـدُ الذّهن، فينبغي صَرْف الهمّة إلى غيره، وأشار عليه بالاشتغال في علم الحديث، فأقبل حينئذ عليه، وطلب بنفسه، وذلك في سنة اثنتين وأربعين.

وكان أول من قرأ عليه الشهاب أحمد بن البابا[1]، ثم أخذ علم الحديث من الشيخ علاء الدين ابن التركماني الحنفي، وبه تخرّج وانتفع، فسمع عليه وعلى ابن شاهد الجيش «صحيح البخاري»، وعلى ابن عبد الهادي «صحيح مسلم»، وعلى أبي الفتح الـمَيْدومي جملة، وهو أعلى مَن أخذ عنه.

ثم ذكر هنا مَن أخذ عنهم في مصر، وذكر رحلتَه إلى البلاد، وأَخْذَه عمَّن بها من الحفّاظ والعلماء، إلى أن قال: ومن وقت أن ارتحل إلى الشام[2] في سنة أربع وخمسين، مكث مدّة لا تخلو له سنة في الغالب من الرحلة في الحج أو طلب الحديث.

= أن والد الحافظ العراقي توفي سنة ٧٦٣هـ، أي: بعد أن كبر عبد الرحيم وأصبح رجلاً في نحو الثامنة والثلاثين من عمره، وما ذهب إليه ابن فهد في «لحظ الألحاظ» ص٢٢١، وتبعه عليه جماعة إلى عصرنا الحاضر، أن والد الحافظ العراقي توفي وهو في الثالثة من عمره، وأن العراقي نشأ يتيماً، خطأ صريح، وقدَّم لذلك ثلاثة أدلّة؛ أقواها: أنَّ ولي الدين ابن الحافظ العراقي ترجم جده في وفيات سنة (٧٦٣هـ)، وحدَّد وفاته بعاشر صفر سنة (٧٦٣هـ)، وتنظر بقية الأدلة وتحقيق المسألة في كتاب «الحافظ العراقي وأثره في السنة» (١: ١٧٧-١٨٣).

(١) شهاب الدين أحمد بن الفرج بن البابا (ت٧٤٩هـ). وهو من تلامذة ابن دقيق العيد.

(٢) ومن أشهر مَن لقيَهم في دمشق: الحافظ التقيّ السبكي (ت٧٥٦هـ)، وكان وقتها قاضي القضاة بدمشق، وشيخ الحديث بدار الحديث الأشرفية، وقد سبق للعراقي أن درس عليه بمصر الفقه والحديث.

ففي سنة خمس وخمسين؛ جاور بمكة في الرجبيّة، وحجَّ واجتمع بالعلائي أيضاً ولازمه.

وفي سنة ستّ وخمسين؛ ارتحل إلى الإسكندرية، وفي سنة ثمان وخمسين؛ ارتحل إلى دمشق، ثم رحل إليها ثالثاً في سنة تسع وخمسين.

وفي هذه النّوبة جال في طلب الحديث غالب البلاد التي بها الرّواية؛ حتى وصل إلى حلب، وهمّ بالارتحال منها إلى بغداد، فعاقه عن ذلك خوف الطريق مع قِلّة الرّواة هناك.

وفي سنة خمس وستين؛ رحل بأولاده إلى الشام، فأسمعهم بها.

وفي مدّة إقامته في وطنه لم يكن له هَمٌّ سوى السّماع والتصنيف والإفادة، فتوغَّل في ذلك، حتى إن غالب أوقاته أو جميعها لا يَصرِفُها في غير الاشتغال بالعلوم.

وكان ـ رحمه الله ـ إماماً مُفنَّناً حافظاً ناقداً متقناً، قرأ بالروايات السبع، وبرع بالحديث متناً وإسناداً، وشارك في الفضائل، وصار المشار إليه في الدّيار المصرية بالحفظ والإتقان والمعرفة.

تفقَّه بعدَّة منهم: الشيخ عماد الدّين محمد بن إسحاق البلبيسي، والإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين الإسنوي، وعنه أخذ علم الأصول، وعن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد اللبان، وكان الإسنوي يستحسن كلامه في ذلك، ويُصْغي إلى مباحثه فيه، ويقول: إنّ ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ، وكان يُثني على فهمه ويمدحه في ذلك.

(ثم قال): وحُبِّب إليه هذا الفن (أي فن الحديث) فانهمك فيه، وانتهت إليه رئاسته في البلاد الإسلامية مع المعرفة والإتقان والحفظ بلا ريب ولا مِرية، بحيث أنه لم يكن له فيه نظير في عصره، شَهِدَ له بالتّـفَرُّد فيه عدَّة من حفّاظ عصره منهم:

السبكي، والعلائي، والعزّ ابن جماعة، وابن كثير، والإسنائي فكانوا يبالغون في الثّناء عليه بالمعرفة.

وكان له ذكاء مُفرِط، وسرعة حافظة، حفظ من «الإلمام» أربع مئة سطر في يوم واحد.

قال القاضي عزّ الدّين ابن جماعة: كلُّ مَن يدَّعي الحديث في الدّيار المصرية سواه فهو مدَّع، وكان يُراجعه فيما يهمُّه ويُشكل عليه.

وقال الحافظ تقيّ الدين ابن رافع ـ وهو بمكة في سنة ثلاث وستين وقد مرَّ الشيخ عبد الرحيم ـ: ما في القاهرة مُحدِّث إلا هذا، والقاضي عز الدين بن جماعة، فلمّا بلغه وفاة القاضي عزّ الدين وهو بدمشق قال: ما بقي الآن في القاهرة محدِّث إلا الشيخ زين الدين العراقي.

(ثم قال): وكان ـ رحمه الله ـ صالحاً خيِّـرًا، ديِّناً ورعاً، عفيفاً صيِّناً متواضعاً، حسن النادرة والفكاهة، منجمعًا ذا أخلاق حسنة، مُنَـوَّر الشَّيبة، جميل الصورة، كثير الوقار، قليل الكلام إلا في محل الضرورة، فإنه يكثر الانتصار، تاركاً لما لا يَعنيه، طارحاً للتكليف، شديد الاحتراز في الطهارة، بحيث إنه يناله بسببها مشقّة شديدة، لا يصدُّه عن ذلك مرض ولا غيره، وكان لا يلبس إلا ما تيقَّن طهارته، ولم يكن يُخرجه الاحتياط في ذلك إلى الوسوسة.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ شديدَ التواضع، لا يرى لأحدٍ له عليه فضلاً، كثيرَ الحياء ليس بينه وبين أحد شحناء، حليماً، واسعَ الصدر، طويلَ الروح، لا يغضب إلا لأمرٍ عظيم، ويزول في الحال، ليس عنده حقد ولا غشّ ولا حسد، ولا يُواجه أحداً بما يكره ولو آذاه وعاداه، مع صَدْعه بالحق، وقوّة نفسه فيه، لا تأخذه في الله لومة لائم، إذا قام

في أمره لا يردُّه عنه أحد، ولا يقوم شيء دونه، لا يَهابُ سلطاناً ولا أميراً في الحق، وإن كان مُرّاً، يتشدَّد في موضع الشِّدَّة، ويَلين في موضع اللِّين.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ كثيرَ التلاوة إذا ركب، وافرَ الهيبة والمهابة، نقيَّ العرض، ماشياً على طريقة السّلف الصالح من المواظبة على قيام الليل، وصيام الأيام البيض من كلِّ شهر، والستِّ من شوال، والجلوس في محلّه بعد صلاة الصبح مع الصمت إلى أن ترتفع الشمس؛ فيصلّي الضحى، وعلى الإسماع والإقراء والتدريس والتصنيف.

[مؤلفاته]

وله المؤلّفات المفيدة المشهورة في علم الحديث، والتَّخاريج الحسنة، من ذلك: «إخبار الأحياء بأخبار الإحياء» في أربع مجلدات، فرغ من تسويده سنة إحدى وخمسين وسبع مئة.

ثم اختصره في مجلد ضخم سمّاه: «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» فاشتهر وكُتِبَ منه نسخ عديدة، وسارت به الركبان إلى الأندلس وغيرها من البلدان، فسبب ذلك تباطؤ الشيخ عن إكمال تبييض الأصل، وشرع قبل ذلك في تصنيف متوسّط بين المطوّل والمختصر؛ فذكر فيه أشهر أحاديث الباب؛ سمّاه: «الكشف المبين عن تخريج إحياء علوم الدّين»، كتب منه شيئاً يسيراً وحدَّث ببعضه.

و«تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد»[1] في الأحكام، ثم اختصره في نحو نصف حجمه، وشرح قطعة صالحة من الأصل في قريب من مجلد، ثم أكمله ولده شيخنا الحافظ أبو زرعة بعده.

(١) طبعه الشيخ محمود حسن ربيع ـ رحمه الله تعالى ـ سنة (١٣٥٣هـ).

والألفية المسمَّاة بـ«التبصرة والتذكرة» في علوم الحديث، وشرح مطوّل عليها، كتب منه نحواً من ستة كراريس، ثم تركه، وعمل عليها شرحاً متوسطاً؛ شاع في أيدي الناس وذاع[1].

و«التقييد والإيضاح لِـمَا أُطلق وأُغلق من كتاب ابن الصلاح» (وهو هذا الذي وفَّقَنا الله لطبعه ولله الحمد).

و«النجم الوهّاج في نظم المنهاج» يعني فيه الأصول للبيضاوي؛ ألف بيت وثلاث مئة وسبع وستون بيتاً، وله نُكت عليه.

و«منظومة في غريب القرآن العزيز» ألف بيت.

و«الدرر السنيَّة في نظم السير الزكيَّة» ألف بيت.

ونظم «الاقتراح» لابن دقيق العيد في **٤٢٧** بيتاً.

و«ذيل على الميزان» ثم لم يُبيّضه[2]، و«ذيْل على ذَيْل العبر» للذهبي من سنة **٤١** إلى سنة **٦٣**، وذيَّل عليه ابنه شيخنا الحافظ ولي الدين.

و«الأحاديث المخرَّجة في الصحيحين التي تُكلِّم فيها بضعف وانقطاع» لم يبيّضه لكونه ذهب من المسوّدة كرّاسان.

(١) طبع قديمًا بفاس سنة (١٣٥٤هـ)، مع حاشيته شرح الشيخ زكريا الأنصاري، ثم أعيد بالقاهرة سنة (١٣٥٥) بعنوان: «فتح المغيث». وكان شيخنا عبد الفتاح أبو غدة اعتنى به وأعدَّه للطباعة، واخترمته المنية رحمه الله تعالى قبل إتمام خدمته، ولعل الله ييسر لابنه النجيب وأخينا الحبيب الأستاذ الشيخ سلمان وفقه الله خدمة هذا الشرح.

(٢) طبع بتحقيق أخينا الدكتور الشيخ عبد القيوم رب النبي، وصدر عن مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى سنة (١٤٠٦هـ).

و«إحياء القلب الميت بدخول البيت»، و«المورد الهني في المولد السَّني»[1]، و«محجَّة القُرب إلى محبة العرب»[2].

وكتاب في المرسل سمّاه: «الإنصاف»، وهو آخر مؤلفاته حدَّث به مراراً.

و«الاستعاذة بالواحد من إقامة جُمعتين في مكان واحد»، و«ترجمة الأسنائي»، و«تفضيل زمزم على كل ماء قليل وزمزم»، ومسألة الشرب قائماً، والجواب عن سؤال يتضَّمن تاريخ تحريم الربا، و«فضل حراء»، وطرق حديث: (مَن كُنت مولاه فعَلِيٌّ مولاه)، والكلام على حديث التوسعة يوم عاشوراء، والكلام على صوم ستّ من شوال، ومسألة قصّ الشارب[3]، وأجوبة ابن العربي، والكلام على حديث: «الموت كفارة لكل مسلم»[4]، والكلام على الأحاديث التي تُكلِّم فيها بالوضع وهي في مسند الإمام أحمد، والكلام على مسألة السجود لترك القنوت، ومشيخة القاضي ناصر الدين بن التونسي، وذيل مشيخة القاضي أبي الحرم القلانسي تخريج ابن رافع،

(١) حققه عمر بن العربي أعميري، وصدر عن دار السلام بالقاهرة، سنة ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

(٢) طبعه الشيخ محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٤٤، وطبع في القاهرة بتحقيق إبراهيم القادري، ثم طبع كاملاً بتحقيق عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، في دار العاصمة بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، في ٥٨٤ صفحة. وله طبعة ببغداد بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني.

(٣) حققه الأستاذ عبد الرحيم الدريوش، وطبع ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام سنة (١٤٢٤هـ).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ١٢١). قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٢٠٩): «صححه أبو بكر ابن العربي، وقال العراقي في «أماليه»: إنه ورد من طرق يبلغ بها رتبة الحسن، ولم يصب ابن الجوزي في ذكره في «الموضوعات»، وتبعه الصغاني، وكذا قال شيخنا: إنه لا يتهيأ الحكم عليه بالوضع مع وجود هذه الطرق، قال: ومع ذلك فليس هو على ظاهره، بل هو محمول على موت مخصوص إن ثبت الحديث».

و«أربعون تُساعية» للميدومي، و«أربعون عشارية»[1] لنفسه أملاه بالمدينة بين القبر والمنبر، وهي أول أماليه، و«مشيخة ابن القاري عبد الرحمن»، و«تخريج أحاديث منهاج البيضاوي»[2]، و«أربعون بلدانية»، انتخبها من «صحيح ابن حبان»، ومعجمٌ مشتمل على تراجم جماعة من القرن الثامن؛ غالبهم شيوخ شيوخه وفيهم من شيوخه، و«أربعون تساعية»، و«عشرون ثمانية» كلاهما من رواية البياني، والكلام على الحديث الوارد في أقل الحيض وأكثره، و«ترتيب مَن ذُكر بجرح أو تعديل في بيان الوهم والإيهام» لابن القطّان على حروف المعجم.

وما لم يكمل: «تكملة شرح جامع الترمذي» لابن سيِّد الناس، و«أطراف صحيح ابن حبان»، و«رجال سنن الدارقطني»، و«أربعون بلدانية»، وبقي عليه منها أربعة بلدان.

وشرع في الإملاء من سنة خمس وتسعين إلى أن مات، فأملى أولاً أشياء مفرّقة، ثم على «الأربعين» للنووي، ثم على «أمالي» الرافعي، ثم شرع يُملي من تخريج «المستدرك»، إلى أن قال:

وقد انتهت إليه رياسة الحديث، ودَرَّس بعدّة أماكن، وأفتى، وحَدَّث كثيراً بالحرمين ومصر والشام، وأفاد وتكلَّم على العلل والإسناد، ومعاني المتون وفقهها، فأجادَ، وقُصِد من مشارق الأرض ومغاربها، فرَحَلَ إليه للأخذ عنه والسماع الجمُّ الغفير؛ الكبير منهم والصغير، فلازموه وانتفعوا به، وكَتَبَ عنه جميعُ الأئمّة من العلماء

(١) طبع بتحقيق بدر البدر، وصدر عن دار ابن حزم سنة (١٤١٣هـ).

(٢) طبع الكتاب بتحقيق مجيزنا الشيخ صبحي السامرائي، ونشر ضمن مجلة كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في العدد الثاني (١٣٩٩)، ثم طبع مرة أخرى بتحقيق أخينا الكريم الشيخ محمد بن ناصر العجمي سنة (١٤٠٩)، عن دار البشائر الإسلامية.

الأعلام، والحفّاظ ذوي الفضل والانتقاد؛ مع الدّين والورع، والصّيانة والعفاف، والتواضع والعبادة، والمروءة ومحاسنه جمّة.

تُوفّي ـ تغمده الله برحمته ـ في ليلة أو يوم الأربعاء، ثامن شعبان المكرَّم، سنة ست وثمان مئة[1] بالقاهرة المعزية. اهـ.

* * *

(١) وقد جاء في غلاف كتاب «القرب في فضل العرب» للحافظ العراقي، الذي طبعه الطباخ أن وفاته سنة ٨٠٥ فَيُصَحَّح.


تذكرة الطالب المعلم
بمن يقال انه مخضرم

ويليه

التبيين لأسماء المدلسين

ويليه

الاغتباط بمن رمي بالاختلاط

الثلاثة تأليف الامام الحافظ برهان الدين ابي اسحق ابراهيم بن محمد
ابن خليل سبط ابن العجمي المحدث بالمدرسة الشرفية بحلب
المتوفى سنة ٨٤١ رحمه الله تعالى

الطبعة الاولى

طبعها وصححها محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب
سنة ١٣٥٠ هـ و ١٩٣١ م

حقوق الطبع محفوظة له

ثلاث رسائل حديثية[١]:

١ ـ «تذكرة الطالب المعلَّم بمن يقال: إنه مخضرم».

٢ ـ «التبيين لأسماء المدلسين».

٣ ـ «الاغتباط بِمَنْ رُمي بالاختلاط».

للإمام الحافظ برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي المحدِّث بالمدرسة الشرفيّة بحلب المتوفى سنة ٨٤١ رحمه الله تعالى.

مقدّمة الشيخ راغب الطباخ

مَن تَتَبَّع علم أصول الحديث النّبوي؛ المعروف بعلم المصطلح، ورأى ما أُلّف من الكتب في أنواعه ـ التي بلغت ثلاثة وتسعين نوعاً، على ما ذكره الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله في كتابه «التدريب شرح التقريب» للإمام النووي، المؤلّف في هذا الفن ـ عَلِم سَعَة هذا العلم الجليل، وعناية السَّلف الصّالح به، ورأى أنّ ما أُلّف فيه من الكتب تكاد لا تحصى لكثرتها.

ومن هذه الأنواع: معرفة الـمُخَضْرمين، والمدلِّسين، ومَن اختلط في آخر عمره.

(١) طبعت هذه الرسائل في المطبعة العلمية بحلب، سنة (١٣٥٠هـ = ١٩٣١م) في ٨٠ صفحة.

وقد كنتُ عثرتُ في الكتب الموقوفة في التكيّة الإخلاصيّة في حلب ـ التي نوَّهت بنفائسها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق [م٨ ص٣٦٩] ـ على مجموع هامّ، مُعظَمُه بخطّ العلامة عمر بن محمد النَّصيبي الحلبي، (من علماء القرن التاسع)، وفيه ثلاث وثلاثون كتاباً ورسالة؛ جُلّها يتعلّق بعلم الحديث.

وأول هذا المجموع: كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد»[١] للحافظ ولي الدِّين العراقي، وهو في [٧٣] ورقة صغيرة الحجم، وفيه ثلاثة كتب في الأنواع الثلاثة المتقدِّمة:

الأول: «تذكرة الطالب المعلَّم بمن يقال: إنه مخضرم»، وهو في [٧] أوراق.

والثاني: «التبيين لأسماء المدلِّسين»، وهو في [١٢] ورقة.

والثالث: «الاغتباط بمَن رُمي بالاختلاط» وهو في [١٥] ورقة.

الثلاثة تأليف الإمام حافظ الشهباء برهان الدِّين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، المتوفّى سنة [٨٤١].

وعلى الأوّل في آخر صحيفة منه خطّ المؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ وإجازته للعلامة عمر بن محمد الساعي الحلبي، كاتب هذا الكتاب، وللعلامة شمس الدّين محمد بن شفليش الغزازي في سنة [٨٣٥].

وهذا رسمها، وسيأتي نصّها في آخر الرسالة[٢] إن شاء الله تعالى.

(١) من هذا الكتاب نسخة أخرى من الأحمدية بحلب، رقمها [٣٤٦]، وهو أوسع من كتاب «الإشارات إلى بيان المبهمات» للإمام النووي، المطبوع في لاهور من بلاد الهند (منه رحمه الله).

(٢) أي المحقَّقة، فتُنظر هناك، إذ أننا اقتصرنا هنا على نقل مقدِّمة التحقيق فقط.



خط الحافظ الكبير البرهان الحلبي

فاستنسختُ هذه الكتب، ثم قابلتُها على أصولها، وعلَّقت عليها أثناء ذلك بعضَ تعليقات مفيدة.

وكنتُ كتبتُ إلى بعض فضلاء دمشق ـ ممَّن لهم العناية بعلم الحديث ـ في شأن هذه الكتب الثَّلاثة؛ فوجدتُه قد سبقني إلى استنساخها عن مجموعة في المكتبة الظاهرية، رقمها [١٢]، هي بخط العلامة المحدِّث ناصر الدِّين أبي البقاء محمد بن أبي بكر بن أبي عمر الصَّالحي، الشهير بابن زُرَيق، تلميذ المصنِّف، كما ذكره الحافظ ابن طولون في رسالتِه «الفلك المشحون في أحوال محمد ابن طولون».

وفي آخر الثانية منها صورة إجازة المؤلِّف للحافظ الإمام أبي القاسم محمد، المدعو عمر بن فهد المكّي في سنة [٨٣٨]، وذكر أنَّه نقلها عن خطِّ المؤلِّف.

وتفضَّل ذلك الفاضل بإرسال هذه النُّسخ، فقابلتُها، فجزاه الله أحسن الجزاء.

وقد تبيَّن لي بعد مقابلتها أنَّ النُّسختَين تختلفان قليلاً بالزيادة والنقص.

فَعَزَمتُ ـ بعد الاتِّكال على الله تعالى ـ على طبع هذه الكتب الثلاثة؛ تعميماً للاستفادة منها إن شاء الله تعالى.

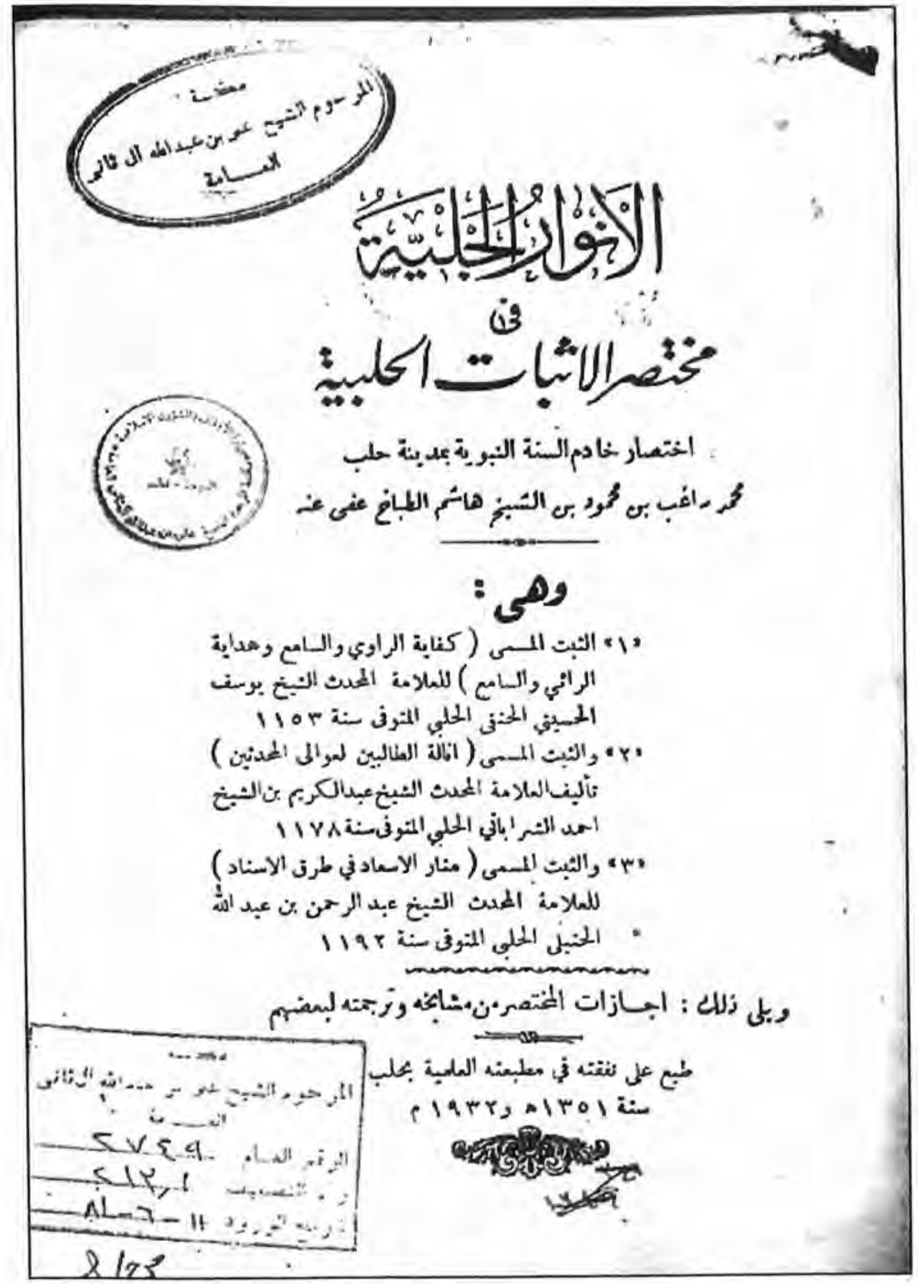
وللمؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ ترجمة في «لحظ الألحاظ»(١) للحافظ محمد بن فهد المكي، وهو من ذيول «تذكرة الحفَّاظ» للحافظ الذهبي، وفي غيره من كتب التراجم، وأوسعها ما في «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» للحافظ السخاوي؛ الذي منه نسخة كاملة في الظاهرية بدمشق، وعنه نقلتُ ترجمة المؤلف، وأودعتها تاريخي الكبير لمدينة حلب، الذي سمَّيتُه: «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، وطبعته في مطبعتي العلمية في [٧] مجلدات، وبالله المستعان.

محمد راغب الطباخ

---

(١) قال في «لحظ الألحاظ» ص٣١٢: «وشيوخه بالسَّماع والإجازة يجمعهم معجمه الذي خرَّجه له ابني نجم الدِّين أبو القاسم محمد المدعو بعمر ـ نفعه الله تعالى ونفع به ـ سمَّاه: «مورد الطَّالب الظَّمِي من مرويات الحافظ سبط ابن العجمي» بمكة المشرَّفة المبجلة؛ لما قدم من رحلته أرسل به إليه صحبة الحاج الحلبي في موسم سنة تسع وثلاثين وثمان مئة.

وهنا في «الذيل» قال الشمس ابن طولون في «أربعين الأربعين»: وقد اعتنى بترجمته المحدِّث الرحَّال النجم محمد المدعو عمر بن فهد المكي، وجمع له مشيخة سماها: «مورد الطالب الظمي لمرويات البرهان سبط ابن العجمي»، فمن أراد معرفة مشايخه وتراجمهم ومسموعاته فليراجعها لينظر العجب العجاب، وقد أهدى مخرِّجها ابن فهد المذكور نسخة منها لشيخنا ناصر الدِّين ابن زريق، وقد صار إليَّ بعد موته بأربعة دنانير أشرفية». اهـ (الطباخ).


الأنوار الحلبية
في
مختصر الاثبات الحلبية
اختصار خادم السنة النبوية بمدينة حلب
محمد راغب بن محمود بن الشيخ هاشم الطباخ عفي عنه
وهي :
«١» الثبت المسمى (كفاية الراوي والسامع وهداية الرائي والسامع) للعلامة المحدث الشيخ يوسف الحسيني الحنفي الحلبي المتوفى سنة ١١٥٣
«٢» والثبت المسمى (اثالة الطالبين لعوالي المحدثين) تأليف العلامة المحدث الشيخ عبد الكريم بن الشيخ احمد الشراباتي الحلبي المتوفى سنة ١١٧٨
«٣» والثبت المسمى (منار الاسعاد في طرق الاسناد) للعلامة المحدث الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ١١٩٢
ويلي ذلك : اجازات المختصر من مشايخه وترجمته لبعضهم
طبع على نفقته في مطبعته العلمية بحلب
سنة ١٣٥١ هـ و١٩٣٢ م

مقدّمة الأنوار الجليّة في مختصر الأثبات الحلبيّة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن رَفَع منارَ أهل الحديثِ في كُلِّ عصر، وعزَّز مكانتهم على مَمَرِّ الدُّهور في كلِّ قُطر ومِصر، وخصَّهم بمزيد فضْله وعنايته، ووكَّل إليهم نصر دينه ومِلَّته، وجعلهم مصابيحَ بهم يُهتدى إلى الملك الديَّان، وبهم يُسْتَرْشَدُ في المُلمَّات وحوادث الزّمان.

وصلاةً وسلاماً على سيِّدنا محمد سيِّد المرسلين، وإمام المُتَّقين، المبعوث رحمةً للعالمين، والذي به هُدِينا إلى الصِّراط المستقيم، والدِّين الحقِّ الـمُبين، والذي أخبرنا بأنَّا لن نضلَّ مادُمنا بحبل الله معتصمِين، وبكتابه وسُنَّة رسول الله ﷺ مُتمسِّكين، وعلى آله وأصحابه الذين صَدَّقوا دعوتَه، واتَّبعوا مِلَّته، وسَلكوا طريقتَه، وعلى التّابعين لهم بإحسانٍ مِن حَمَلة شريعتِه وحكمتِه، وناشري سُنَّته وسيرتِه، وعلى تابعيهم ومَنْ حَذا حَذْوَهم، واقْتَفى أثرَهم إلى يوم الدِّين.

وبعد، فإنَّ مِمَّا منَّ اللهُ به عَلَيَّ أن وفَّقني لطلب العلم الشريف منذ نشأتي، وذلك بدعوة صالحةٍ سبقت لي من والدتي عند الكعبة المعظَّمة عام حجِّها سنة (١٣١٠هـ)، فأخذتُ من ذلك الحين في التَّحصيل على علماء الشهباء والواردين إليها من الفضلاء، في علوم متعدِّدة، وفنون متنوِّعة، ثم حُبِّب إليَّ الاشتغال بعلم الحديث مِن بين ذلك

(١) طبع في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م.

العلوم، وذلك لما تبيَّن لي من جزالة ثمرته، وعظيم فائدته، وأنه العلم الذي يَهدي إلى الصِّراط السَّويّ، والسّعادةِ الحقَّة العظمى، وأن به تستنير البصائر، وتصلح السّرائر، وفيه حياة القلوب، والوصول إلى المحبوب، وفيه أدب الدّنيا والدّين، والنّور الجليّ المبين، والوقوف على الحقّ واليقين، فتراه يُزيل عن القلب الرَّين والغشاوة، ويسرج فيه مصابيح الأُنس بالله والمعرفة به، فيغدو صاحبه منشرحَ الصَّدر، طيِّبَ النّفس، راضياً بقضاء الله، مستكيناً لقَدَرِه ومشيئته، ليس للشكوك والأوهام سبيل إلى قلبه، قد ضُرِبَ بينه وبينها بسورٍ مِن حديد، فلا سلطة لها عليه، ولا منفذ منها إليه، رضي عن الله فأنابَ إليه صدقاً، ورضي الله عنه فأصبح عبدَ الله حقاً، فغدا مُتَطَلِّعاً إلى ما عند الله، مُتَشَوِّفاً إلى الرّفيق الأعلى؛ ليفوز الفوز الأبديَّ، ويتمتَّع بالنعيم السَّرمديّ.

بهذا العلم تعلم فَضْلَ رسولِ الله ﷺ، وما قام به من جليل الأعمال، وما لاقاه من الشّدائد والأهوال؛ في سبيل سعادة البشر، وهداية النّاس إلى عبادة الرحمن، وتوحيد الملك الديَّان، بعد أن كانوا على شَفا حفرة من النار، يعبدون ما لا يضـرُّهم ولا ينفعُهم من الأصنام والأوثان.

بهذا العلم تعلم حال العرب قبل الإسلام، وما كانوا عليه من الشِّـرك بالله، وسيّء العادات والمعتقدات، فأنقذهم من الضّلالة إلى الهداية، ونقلَهم من الغيِّ إلى الرُّشد، ومن الهمجيَّة والحميَّة الجاهليَّة إلى المدنيَّة الفاضلة، والأخلاق السّامية.

بهذا العلم تعلَم كيف جمع ﷺ بين تلك القلوب المتفرقة، والأهواء المختلفة، والآراء المتشعِّبة، وكيف أزال ما كان بينها مِن تباغُضٍ وتَنَاكُر، وتحاسُد وتنافُر، فجمع قلوبها بعد النُّفور، ووحَّد كلمتَها بعد الشَّتات، ولمَّ شُعْثَها بعد الفرقة، فصارت كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، وأصبحت بنعمة الله إخواناً.

بهذا العلم تعلم فضل أصحابه ومَنْ آمن به واتَّبعه، وما قام به هؤلاء من الفتوحات العظيمة، ونشـر هذا الدّين في أطراف هذه المعمورة، وكيف بَسَطوا سلطانَهم على مَن يَليهم من الممالك، ثم توسَّعوا في ذلك إلى الأقطار النائية عنهم، فرفعوا فوق رُبوعِها لواءهم، ونشـروا في أهلها دينَهم ولغتهم، فصاروا أسياد البلاد، وأصحاب الحَوْل والطَّوْل.

بهذا العلم تعلَم كيف ساس أمراؤهم هؤلاء النّاس أحسنَ سياسة، وكيف نَشـروا فيهم العدلَ حتى خضعت لهم ـ على قِلَّتهم ـ تلك الملايين في مشارق الأرض ومغاربها، مع ما كان لها من قوة، وما كانت عليه من عَظَمة، وكيف أنهم اغتبطوا بإمرتهم عليهم، ورضوا بهم حُكّاماً في بلادهم، ثم صاروا يَدخلون في دين الله أفواجاً، ثم امتزجوا بهم امتزاجَ الماء بالعُود، والرّوح بالجسم.

كتاب الله جل جلاله وسُنَّة رسول الله ﷺ يُعَلِّمانك كيف تُساسُ الأُمم التي تدخل في هذا الدِّين على اختلاف عناصرها، وتَبايُنِ لغاتِها وعاداتها، وكيف تجعلها متحليةً بالأخلاق القويمة، والمزايا الحميدة الكريمة اللَّذَين هما المقصود الأعظم من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهما يُفصِحَان لك كيف تُساسُ الأُمم التي لم تعتنق هذا الدّين الحقّ، ولم تَهْتَدِ بِهَدْيه، لكنَّها دخلت في العهد والذِّمَّة، وقامت بما عليها من العهود والواجبات، وهذا لمن تدبَّر الكتاب المبين، وكلامَ سيد المرسلين، وألقى إليهما السّمع وهو شهيد.

ولَعَمْري إنَّهما يُغنيان مَنْ عَكَفَ عليهما، وتدبَّر معانيهما، واطَّلع على ما دوَّنه علماء الإسلام مِن المؤلّفات العظيمة عن هذه الكُتب التي وجَّه الكثير ـ من أهل هذا العصـر ـ الفِكْرَ إلى ترجمتها من اللغات الغربية إلى اللغة العربية ودراستها،

ويُسمُّونها كتب السّياسة وعلم الاجتماع البشري، وهم لعدم اطّلاعهم يظنُّون أنْ ليس في الكتب الإسلاميَّة لها من نظير، ولبئس ما يظنُّون، وساء ما إليه يذهبون، ولو أنَّهم دقَّقوا وفتَّشوا لوجدوا أن لعلماء الأُمّة الإسلامية كتباً لا تدخل تحت الحصر في هذه الأمور، وأنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها؛ غير أنَّها قد تخالفها في الأساليب وطرق التعبير.

بكلام الله العظيم، وسُنَّةِ رسوله الكريم؛ تعلَم إلى أين مصير هذا الكون، ومصير مَنْ عليه، وما وراءه من الأمور العظيمة، من حشْر ونشْر، وحساب وعقاب، وجنَّة ونار، وما أعدَّ الله فيها للمتّقين والجاحدين، من النَّعيم المقيم والعذاب الأليم، ولولاهما لما علمت من ذلك شيئاً، ولَـجَهِلْتَ قَدْرَ هذا الإنسان، وظننتَ أنه كبقية ما تراه على وجه الأرض من النبات والحيوان.

بكلام الله تعالى وسُنَّة رسوله المعظَّم ﷺ يتجلَّى لك كيف تأسَّست هذه الشّريعة الإسلامية، وكيف استنبطَت منها الأحكام التي لا تدخل تحت الإحصاء، ويتبيَّن لك أنَّ ما من حادثة تقع في هذا الكون إلَّا ولهم فيها النّصوص على اختلاف مذاهبهم فيها، وأنْ ليس في شرائع الأُمم شريعة أوسع ولا أعدل ولا أكفل بسعادة البشر منها، فكان للعالَم منها ذخيرةٌ لا تنفد، ومَعِينٌ لا يَنضب، مهما كرَّت العصور، وتعاقبت الدّهور، وهي تُنادي ببُعدِ نظرِ هؤلاء المستنبطين لها، وسَعَةِ مداركِهم، وعظيمِ اجتهادهم، وعُلوِّ هِمَّتهم؛ يَستبينُ لك هذا إذا اطَّلعتَ على الفقه الإسلامي، وما دُوِّن فيه من الأسفار؛ التي ليس في الوسع إحصاؤها، ولا في الإمكان استقصاؤها.

إذاً في كتاب الله جلَّ جلاله وسُنَّة رسوله ﷺ التوحيدُ والسّياسةُ، والدّرايةُ والكِياسة، والإصلاحُ والانتظام، والحكمةُ البالغة، والمواعظ الحسَنة، والأوامرُ

والزواجر، والأحكامُ الحقَّة العادلة، وأخبار الماضين، والإخبار بالحوادث المستقبلة، وبيان المصير إما إلى شقاء دائم أو سعادة خالدة باقية، إلى غير ذلك من الأمور العِظام.

لمّا تبيَّنت لي هذه الفوائد الجليلة، وتلك الثمرات الجزيلة، وكان الوقت والعمر لا يَسَعَان كلَّ علم، وجَّهت الوجهة إلى الحديث وعلومه حضوراً ومطالعةً على قدر الطّاقة، وبعد ذلك مَنَّ الله عليَّ ـ مع قِلَّة بضاعتي ـ بتدريس السِّيرة النّبويّة، والأخلاق المحمّديَّة في المدرسة الخسرويَّة في مدينة حلب لَمَّا افتتحت بعد أنْ كانت مغلقة الأبواب، وذلك في سنة **١٣٣٩** هجرية، وفي سنة **١٣٤٢** أُضيف لي إلى ذلك درس التّفسير والحديث في بعض الصّفوف، ثم خصصت سنة **١٣٤٣** بتدريس الحديث النبويّ في الصّفوف التي يُدرَّس فيها الحديث وعلومه، وذلك من الصّفّ الثاني إلى الصّف السادس، وهو منتهى الصّفوف الموجودة فيها، وبتدريس السِّيرة النّبويّة، والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

وفي أثناء التّحصيل وبعده كنتُ أستجيزُ مع عدم أهليَّتي ولياقتي العلماء والفضلاء من الشَّهباء والبلدان، وقد تفضَّلوا بإجازات مُتعدِّدة ودعوات مباركة، وكان ذلك فضلاً عظيماً منَّ الله تعالى به عليَّ، فأَحبَبْتُ أنْ أُثْبتَ إجازات مشايخي لي مع بعض إجازات مشايخهم لهم في مجموعٍ واحدٍ، حفظاً لها إن شاء الله تعالى، وذلك لِـمَا حَوَتْهُ من الأسانيد العالية، والإسناد ـ كما قال بعض العلماء ـ من الدِّين، وهو مزيَّة كبرى، اختصَّ الله بها هذه الأُمّة المحمّديَّة، وحفِظَ بها هذه الشّريعة الغرَّاء السَّمْحَة من أنْ تمتدَّ إليها أيدي المعطِّلين، وتصل إليها سموم الجاحدين والملحدين، فبقيت وستبقى ـ إن شاء الله تعالى ـ ما كرَّ الجديدان بيضاءَ نقيَّة مَصُونةً من دَنَس العابثين، محفوظة من معاول المفسدين والمجرمين؛ بحَوْل الله جلَّ جلاله وقوَّته.

ولأُتْحِفَ[1] بهذه النفائس مَن أتوسَّم فيه الخير والأهليَّة، بقدر الإمكان من إخواني وأهل عصري، خصوصاً الطلاب الّذين قرؤوا عليَّ في هذه المدرسة المباركة.

هذا وإنَّ أوّل مَن أجازني من العلماء: المحدِّث الفاضل والعالم العامل الكامل الشّيخ شرف الحقّ الهنديّ الدّهلوي، وكان ذلك في مدينة حماة سنة ١٣٢٢، وكتبَ لي بخطّه نقلاً عن مجموعته بعض الثّبت المُسمَّى بـ«الأوائل» للعلّامة المحدّث الشّيخ محمد سعيد سنبل رحمه الله، وكتبتُ بعضَه بخطِّي، فكَمُلَ بذلك[2]، ثمَّ قرأه لي وأنا أسمع، ثم قرأتُه عليه وهو يسمع؛ كما هو مصرَّح بذلك في إجازته لي، وأجازني بسائر مَروياته ومَسْمُوعاتِه ومقروآته إجازةً عامّة، وبهذه الأوائل إجازة خاصَّة.

وممَّن أجازني: العالم الفاضل، والورع الزاهد المحدِّث في أموي حلب، الشيخ الكامل الموقِّت، وهو يروي عن أبيه عن جدّه بسنده إلى جدّه الأعلى الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الحلبي، دفين مقابر الصَّالحين في حلب، وصاحب الثَّبت المُسمَّى «منار الإسعاد في طرق الإسناد»، وهو موجود بخطِّ مؤلِّفه أو بخطِّ ولدِهِ الشيخ عبد الله موفق الدين، ومحفوظ عند الشيخ ياسين سِرِيُّو ابن أخت شيخنا الشيخ كامل الموقت رحمه الله تعالى.

والشيخ عبد الرحمن الحنبلي هو ممَّن أخذ عن المُحدِّث الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي، صاحب الثبت المسمَّى: «إنالة الطالبين لعوالي المحدِّثين»، وهذا الثبت عندي منه نسخة حديثة عهد بالكتابة، وكانت ناقصة فأكملتها بخطِّي عن نسخة في المكتبة الصِّدِّيقيَّة في حلب، وهو ممَّن أخذ أيضاً عن الشيخ يوسف الحسيني الحنفي الدمشقيّ ثم الحلبيّ الإقامة والوفاة، صاحب الثّبت المُسمَّى: «كفاية الرّاوي والسامع،

(١) معطوف على قوله: حفظاً. (منه).

(٢) طبع هذا الثبت في مصر في مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٦، وطبع أيضاً سنة ١٣٤٧ في مطبعة محمد علي صبيح في مصر. (منه).

وهداية الرّائي والسامع»، وهذا الثّبت في خزانة شيخنا الشيخ كامل الهبراوي رحمه الله تعالى، وهو بخطِّ مؤلِّفه.

وإني ـ وله الحمد والمنَّة ـ أَروي هذه الأثبات الثلاثة، وما اشتملت عليه من أسانيد الكتب الحديثيَّة وغيرها من عدَّة طرق.

فأرويها عن شيخنا الشّيخ كامل الموقِّت بسنده المسلسل بالحلبيِّين، إلى جدِّه الأعلى الشيخ عبد الرحمن الحنبلي، وسيأتيك بيان ذلك في إجازة شيخنا لنا، وفي ثبت جدّه المذكور.

وأرويها عن شيخنا الشيخ كامل الهبراوي الحلبي بسنده الآتي إلى مؤلِّفيها.

وأرويها أيضاً عن شيخنا المحدِّث الكبير حافظ العصر علَّامة المغرب الشيخ عبد الحيّ الكتاني الفاسي ـ حفظه الله تعالى ـ بسنده المتَّصل إلى مؤلِّفيها.

وإذا أمعنتَ النّظر في إجازاتنا الآتية، تستنبط طرقاً كثيرة غير هذه، لكن في هذه كفاية، فخطر لي أن أختصر هذه الأثبات الثلاثة، فأقتصر فيها على المسلسلات، وأسانيد الكتب الحديثيَّة، وغيرها من الكتب العلميَّة، وأحذِفُ منها ما فيها من الفوائد والأحزاب، وغير ذلك ممَّا له كُتبٌ خاصَّة، ولا علاقة له بالرّواية على ما أرى.

ثمَّ عزمتُ على ذلك بعد الاتّكال على المولى المعين، فاختصرتُها في نحو ٣٠٠ صحيفة، وهي تبلغ ٩٠٠ صحيفة، وسمَّيتُها: «الأنوار الجَليَّة في مختصر الأثبات الحَلبيَّة»، ثم ذيَّلت ذلك بإجازاتِ مشايخي، وبعض إجازات مشايخ مشايخي، لِتُعْرف سلسلتهم.

ومنها ومن تلك الأثبات تَعلَمُ عناية علماء الشهباء فيما مضى من العصور بعلم الحديث، واشتغالهم فيه؛ لجلالة قدرِه وعظيمِ فوائده، ولعلَّ ذلك يكون باعثاً للهمم

القاصرة من رَقْدَتِها، فتأخذ في العكوف عليه لتَجْنيَ ثمراته العظيمة في الدّنيا والآخرة.

وأسأل الله تعالى مُفيضَ الجود والإحسان؛ أنْ يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، ويُجْزِلَ به النَّفع، ويَمُنّ عليَّ بالعفو والعافية في ديني ودنياي وآخرتي، إنه جواد كريم غفور رحيم.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، وصلَّى الله على رسوله خاتم النَّبيِّين، وسيِّد الأبرار والمتَّقين، وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين.

* * *

من

معالم السنن

للامام ابى سليمان احمد بن محمد الخطابى البستى

المتوفى سنة ٣٨٨

وهو شرح سنن الامام ابى داود

المتوفى سنة ٢٧٥

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٢ هجرية وسنة ١٩٣٣ ميلادية

طبعه وصححه

محمد راغب الطباخ

في مطبعته العلمية بحلب — حقوق الطبع محفوظة له

مقدمة كتاب معالم السنن(١)

للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨

وهو شرح سنن الإمام أبي داود المتوفى سنة ٢٧٥

سنن الإمام الحافظ أبي داود هو الكتاب الثالث من الكتب الحديثيَّة التي عليها مدار الإسلام، كما نصَّ على ذلك الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» المعروف بمقدمة ابن الصلاح، في النوع الثامن والعشرين؛ حيث قال: «ولتقدم العناية بالصحيحين، ثم بسنن أبي داود، وسنن النسائي، وكتاب الترمذي، ضبطاً لمشكلها أو فهماً لخفيِّ معانيها، ولا يخدعنَّ عن كتاب السنن الكبير للبيهقي، فإنا لا نعلم مثله في بابه.............» إلخ ما قاله.

وقال في «كشف الظنون»: «سنن أبي داود»، سليمان بن أشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥ قال: كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، انتخبتُ ما ضمّنته وجمعتُ في كتابي هذا أربعة آلاف حديث وثمان مئة حديث من الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: «إنما الأعمال بالنيات»، والثاني: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه»، والرابع: «الحلالُ بيِّن والحرامُ بيِّن، وبين ذلك مشتبهات»، كذا في «مفاتيح الدجا شرح المصابيح».

(١) الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٢م، طبعه وصحَّحه محمد راغب الطبـاخ في مطبعته العلمية بحلب.

قال ابن السبكي في «طبقاته»: وهي من دواوين الإسلام، والفقهاء لا يتحاشون من إطلاق لفظ الصحيح عليها، وعلى «سنن الترمذي»، لا سيما «سنن أبي داود».

وقال العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير في «ثبَتِه» (ص ١): قال ابن داسَهْ: سمعتُ أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمّنته كتابي «السنن»، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مئة حديث، ذكرتُ الصحيح وما يشبهه ويقاربه، فإن كان فيه وَهْنٌ شديد بيَّنتُه.

وقال ابن الأعرابي: لو أنَّ رجلاً لم يكن عنده شيء من العلم إلا المصحف الذي فيه كلام الله تعالى، ثم كتاب أبي داود؛ لم يَحتج معهما إلى شيء من العلم البتة.

وقال أبو عمر ابن عبد البر: سمعت محمد بن إبراهيم بن سعيد الحافظ يقول: خير كتاب أُلِّفَ في السنن كتاب أبي داود، وهو أول مَن صنف في السنن.

قال الخطابي: لم يصنَّف في علم الحديث مثلُه، وهو أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من «الصحيحين»، كان أبو إسماعيل الهروي يقول: هو عندي أنفع منهما؛ لأنه لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحّر والعالم، وهو يصل إلى الفائدة منه كل أحد من الناس. اهـ ما في «ثَبَت» الأمير الكبير.

وجاء في خطبة «معالم السنن» ما نصّه: «اعلموا أنَّ كتاب «السنن» لأبي داود كتاب شريف، لم يُصنّف في علم الدّين كتاب مثله، وقد رُزِقَ القَبول من النَّاس كافّة، فصار حَكَماً بين العلماء وطبقات الفقهاء؛ على اختلاف مذاهبهم، ولكلٍّ منه وِرْد، وشِرب، وعليه مُعوّل أهل العراق، وأهل مصر، وبلاد المغرب، وكثير من مدن أقطار الأرض.

فأما أهل خراسان؛ فقد أُولع أكثرهم بكتاب البخاري ومسلم، ومَن نحا نحوهما

في جمع الصحيح على شرطهما في البسط والانتقاد، إلا أن كتاب أبي داود أحسن وضعاً، وأكثر فقهاً، وكتاب أبي عيسى أيضاً كتاب حسن». اهـ.

ثم اعلموا أنَّ الحديث عند أهله على ثلاثة أقسام: حديثٌ صحيح، وحديث حسن، وحديث سقيم.

فالصحيح عندهم: ما اتَّصل سنده وعُدّلت نَقَلَـتُه.

والحسن منه: ما عُرِف مَخْرَجُه، واشتهر رجاله، وعليه مدار أكثر الحديث.

وهو الذي يقبله أكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء، وكتاب أبي داود جامع لهذين النوعين.

فأما السقيم منه: فعلى طبقات، شرّها الموضوع، ثم المقلوب، ثم المجهول، وكتاب أبي داود خليٌّ منها بريءٌ من جملة وجودها، فإن وقع فيه شيء من بعض أقسامها ـ لِضَرْبٍ من الحاجة تدعوه إلى ذِكْره ـ فإنه لا يألو أن يُبيِّن أمرَه، ويذكرَ علّتَه، ويخرج من عُهدَتِه.

ويُحكى لنا عن أبي داود أنه قال: ما ذكرتُ في كتابي حديثاً مُجْمعاً على تركه.

وكان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود الجوامع والمسانيد ونحوها، فتجمَع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام؛ أخباراً وقَصَصاً، ومواعظَ وآداباً.

فأما السنن المحضة فلم يَقصد واحدٌ منهم جمعَها واستيفاءها، ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة، ومن أدلة سياقها؛ على حسب ما اتفق لأبي داود، ولذلك حلَّ هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محلَّ العجب، فضُرِبت فيه أكباد الإبل، ودامت إليه الرحل.

أخبرني أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد قال: قال لي إبراهيم الحربي: لما صنَّف أبو داود هذا الكتاب أُلين له الحديث كما أُلين لداود الحديد، إلى أن قال: وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأُمَّهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدِّماً سبقه إليه، ولا متأخراً لحقه فيه.

وقال العلامة السيد علي بن سليمان الدِّمِنْتي في خطبة حاشيته «درجات مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود»: قال النووي في قطعة كَتَـبَها من شرحه على «سنن أبي داود»: ينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتناء بسنن أبي داود وبمعرفته التامة، فإن معظم أحاديثه يُحتج بها فيه، مع سهولة تناوله، وتلخيص أحاديثه، وبراعة مصنِّفه، واعتنائه بتهذيبه.

وقال أبو الوازاري (وفي إبراز الوهم المكنون: أبو الوادادي): رأيته ﷺ مناماً فسألتُه، فقال: من أراد أن يستمسك بالسنة فليقرأ سنن أبي داود. اهـ.

وقال الفاضل أحمد بن محمد الصِّدِّيق في أوائل كتابه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون»: «قال الحافظ شمس الدين ابن القيم في شرحه لاختصار المنذري لـ«سنن أبي داود»: ولما كان كتاب «السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث رحمه الله؛ من الإسلام بالموضع الذي خصَّه به؛ بحيث صار حَكَماً بين أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النِّزاع والخِصام، فإليه يتحاكم المنصِفون، وبحُكمه يرضى المحقِّقون، فإنه جَمَعَ شمل أحاديث الأحكام، ورتَّبها أحسنَ ترتيب، ونظمها أحسنَ نظام، مع انتقائها أحسن الانتقاء، واطِّراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء». انتهى.

وقال الجلال السيوطي في «التدريب شرح التقريب» (ص٣٥): «فائدة: لا يختص المستخرَج بالصحيحين، فقد استخرج محمد بن عبد الملك بن أيمن على «سنن

أبي داود»، وأبو علي الطرطوسي على الترمذي، وأبو نُعيم على «التوحيد» لابن خزيمة، وأملى الحافظ أبو الفضل العراقي على «المستدرك» مستخرَجاً لم يكمل».

الكلام على شرحها «معالم السنن»:

قال في «كشف الظنون» عند ذكره مَن اختصرها وشرحها: «وشرحها أبو سليمان حَمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨ ثلاث مئة وثمانية وثمانين، أوله: الحمد لله الذي هدانا لدينه، وأكرمنا بسُنَّة نبيِّه...» إلخ.

وقال بعد أسطر: وشرحها الخطابي، وسمَّاه: «معالم السنن»، ذكره في شرحه للبخاري، هو «أعلام السنن».

وقال في الكلام على علم الحديث، وبيان أغراض الأئمة والعلماء، واختياراتهم في تأليف كتب الحديث: ومنهم مَن أضاف إلى هذا الاختيار ذكر الأحكام وآراء الفقهاء؛ مثل أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي في «معالم السنن».

وقال العلَّامة الإمام شرف الدِّين الطِّيبي في «الخلاصة في علوم الحديث» في بحث غريب اللَّفظ وفقهه: «وأما فقه الحديث فهو ما تضمَّنه من الأحكام والآداب المستنبطة منه، وهذا دأب الفقهاء الأعلام؛ كالأئمة الأربعة رضي الله عنهم، وفي هذا الفن مصنفات كثيرة؛ كـ«معالم السنن للخطابي»، و«التمهيد» لابن عبد البر.

وقال العلَّامة الدهلوي في خطبة كتابه «حُجَّة الله البالغة»: «ثم لم يزل التابعون، ثم من بعدهم العلماء المجتهدون يعلِّلون الأحكام بالمصالح، ويفهمون معانيها، ويخرجون للحكم المنصوص مناطاً مناسباً لدفع ضُرٍّ أو جَلْب نفع؛ كما هو مبسوطٌ في كتبهم ومذاهبهم، ثم أتى الغزالي والخطابي وابن عبد السلام وأمثالهم ـ شَكَرَ اللهُ مساعيهم ـ بنكت لطيفة، وتحقيقات شريفة». اهـ.

ومما يقتضي التَّنبُّه له أنّ الخطابيَّ ـ رحمه الله تعالى ـ لم يشرح جميعَ الأحاديث، بل يأتي إلى الباب الذي تعدَّدت فيه الروايات؛ فإذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً؛ وكأنه بذلك شرح جميع الباب، وإلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءى له، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ومن باب كذا.

ما عثرت عليه من هذا الشرح:

قال في «فهرس المكتبة السلطانية» في مصر: «معالم السنن»، تأليف الإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي المتوفى بمدينة بُست، في شهر ربيع الأول سنة ٣٨٨، وهي شرح على «سنن أبي داود»، الموجود منه المجلد الثاني، أوله: ومن باب صوم تطوُّع الدهر، وينتهي إلى أول باب العتاقة، مكتوب بقلم عادي، أوراقه ٣١٣، نس ج (١) ن خ ٧٩٥ ن ع ١٧٧٢٤، فأرسلت فاستنسخ لي إلى حين الشروع بالطبع ثلاث كراريس منه، فوجدت بعد الصحيفة الأولى منها نقصاً قَدْر ستّ صحائف، وقد كتب على ظاهرها: «معالم السنن»، تأليف الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، رواية الإمام أبي نصر أحمد بن محمد البلخي عنه، رواية شيخنا الإمام أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الطبري الروياني عن البلخي رحمهما الله، رواية الشيخ أبي بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري البغدادي، عن الشيخ أبي المحاسن، سماعَ الشيخ الشهرزوري. اهـ.

وفي مكتبة التكية الإخلاصية قطعة من الجزء الأول بخط العلامة الشيخ حسن البخْشي الحلبي، وَصَل فيها إلى قوله: (ومن باب الصلاة بعد الجمعة أو بُعيد ذلك)، إلا أنه من قوله: (ومن باب إذا صلَّى خمساً) ترك ذكر سند أبي داود واكتفى بالحديث والشرح.

واستُنسِخَت لي هذه القطعة إلى هنا، ويغلب على الظن أنَّ هذه القطعة نقلها البخْشي عن نسخة الإمام الطرطوشي الآتي ذكرها، فإنه أيضاً من قوله: (ومن باب إذا صلَّى خمساً) ترك ذكر السّند.

وفي مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب نسختان من هذا الشرح: **الأولى**: في مجلدين، رقمها **٢٥٤**، **المجلد الأول** حَسَن الخط، مضبوط بالشَّكل، وهو في **٢٥١** ورقة، آخر باب فيه: (ومن باب في نبش القبور العادية يكون فيها المال.... إلخ)، وآخر جملة في الباب هي قوله: (وأن ليست حرمتهم في ذلك كحرمة المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وأزواجه أمهات المؤمنين.

تَمَّ المجلد الأول من كتاب «معالم السنن» للخطابي؛ في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة من شهر الله المبارك الأصم رجب المرجَّب، عمَّت ميامنه، من شهور سنة **٧٢١**هجرية، يتلوه في المجلد الثاني: (كتاب....... باب التجارة يخالطها الحلف والكذب)؛ بتوفيق الله وحسن تيسيره).

والمجلد الثاني أوله: كتاب الحدود، وخطّه غير خطّ ذاك، وأقلّ منه حُسناً، وبدون ضبط، وعلى أول ورقة منه خطّ الملك مسعود بن مودود بن زنكي، قال في آخره: كتبه عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الوراق، ولم يذكر تاريخ كتابته له.

والملك مسعود بن مودود له ترجمة حافلة في تاريخ ابن خلِّكان، وكانت وفاته سنة **٥٨٩**، فعلى هذا تكون كتابة هذا الجزء في أوائل القرن السادس.

وعن هذين المجلدين استنسخنا بقية الشرح، من قوله: (ومن باب إذا صلّى خمساً) إلى آخر الكتاب.

والنسخة الثانية: رقمها **١٧٣** في مجلد واحد، وهي أقدم من ذينك المجلدين،

وهو بخط الإمام الطرطوشي الأندلسي[1] صاحب «سراج الملوك»، وهو سقيم الخط دقيقه، ولا إعجام فيه، كتب على ظاهره بخط كاتبه: كتاب فيه «معالم الحديث في شرح معاني كتاب «جامع السنن» لأبي داود، وتفسير غريبه، وإيضاح مُشكِلِه»، تصنيف أبي سليمان حَمْد بن محمد الخطابي لمحمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي.

وقد جاء في آخره ما نصُّه: كتبه جميعه أبو بكر محمد بن الوليد في المدرسة النظامية، في شهر مضر (رجب)، من سنة ثمان وسبعين وأربع مئة، والله وليُّه وحافظه.

وقبل الورقة الأولى ورقة أخرى بخطِّ الحافظ الكبير إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي، المتوفَّى سنة (٨٤١)، المعروف بالبرهان الحلبي، ذكر فيها ـ مختصراً ـ ترجمة كاتب النسخة الإمام الطرطوشي، وقال في آخر ما كتبه: إنه توفي بالإسكندرية، ودفن بكوم دعلة[2]، سنة عشرين وخمس مئة، وزار قبره في سنة اثنتين وثمانين وسبع مئة، (أي في رحلته إلى مصر)، وهنا لم يكتب الحافظ المُومَأ إليه اسمه، بل كتبه على ظاهر أول ورقة، حيث قال: (مَلَكه إبراهيم المحدِّث).

وتحت ذلك ما نصّه: (مِن كُتُب أحمد بن أبي ذر بن إبراهيم المحدِّث).

وعليه أيضاً خطّ محمد بن جامع بن باقي بن عبد الله بن عليّ التميمي، ويذكر أنه آل إليه من كاتب النسخة.

ومجلد فيه جزآن، تفضَّل بإرساله إلينا إعارة العلَّامة المِفضال حافظ العصر، وشيخنا بالإجازة الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الفاسي ـ جزاه الله عن حُسنِ صنيعه

---

(١) هو الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الأندلسي الطرطوشي، المتوفى سنة (٥٢٠هـ) عن ٧٠ عاماً.

(٢) هكذا في الأصل. والصواب: وَعْلة ـ بفتح الواو، وسكون العين المهملة، وبعدها لام، ثم هاء، كما ضبطها ابن خلكان في ترجمة السّلفي ١ : ١٠٨. وتكرر ذكر هذه المقبرة بهذا الاسم «وعلة» في ثغر الإسكندرية في «معجم السفر» للسّلفي ص ٩٦ و١٦٢ و٢٣٣ و٢٤٧.

أحسن الجزاء ـ، وهو صغير الحجم، دقيق الخطّ جدّاً، ينقص من أوّله خطبة الكتاب إلا قليلاً من أواخرها، من قوله: (فلا سبيل إليها؛ لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء... إلخ الخطبة).

وآخر الجزء الأول عند قوله: (ومن باب كيف يصنع بالمحرِم إذا مات)، ثم قال: يتلوه في الثاني كتاب الزكاة، وكُتِبَ بمدينة السلام في المدرسة النظاميَّة في الجانب الشرقي، وتمَّ في شهر صفر من سنة سبع وثمانين وأربع مئة. اهـ.

ولم يذكر الكاتب اسمه، لكن تبيَّن لنا أن الكاتب مَغربي؛ لأنَّ نقطة الفاء موضوعة تحتها؛ على ما هو المتَّبع عند المغاربة إلى يومنا هذا.

وعلى هذا تكون كتابة هذه النسخة بعد تلك بنحو عشر سنين.

وكتب على أول الجزء الثاني ما نصّه: الثاني من كتاب «معالم السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله، تصنيف الشيخ الإمام أبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي البستي رحمه الله.

رواية الشيخ الصَّائن أبي نصر محمد بن أحمد البلخي المقري عنه.

وفي آخر ورقة منه قبل خمسة أسطر من آخر الصحيفة: (ومن باب الدخول في أرض الخراج...) وهذا المجلد عبارة عن النصف الأول من الشرح.

ومن العجائب أنَّ هذه النّسخة والتي قبلها كُتِبَتا في مدرسة واحدة في بلاد المشرق بخطٍّ مغربيٍّ، وقد تقارب سني نسخهما كما رأيت.

فتلخَّص مما تقدَّم: أنَّ ما عثرنا عليه من هذا الشرح ثلاث نُسَخ:

نسختان كاملتان في الأحمدية بحلب، الأولى منهما في مجلدين، والثالثة: النصف

الأول منها أُرسِل إلينا من فاس، والنصف الثاني: نستنسخه من المكتبة السلطانية بمصر.

وسنشير في التصحيح إن شاء الله تعالى عند اختلاف النسخ إلى الأولى بالأحمدية، وإلى الثانية بالطرطوشية، وإلى النصف الأول من الثالثة بالكتَّانية، وإلى النصف الثاني بالمصرية.

ولا أعلم نسخةً رابعة لهذا الشرح في مكتبة من المكاتب؛ على تَتَبُّعي وبحثي الكثير، فهو إذاً من المخطوطات النَّادرة الوجود.

❊ ❊ ❊

ترجمة الإمام أبي داود صاحب السنن المتوفَّى سنة ٢٧٥:

قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (جلد ٩ ص٥٥): «سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران، أبو داود الأزدي السجستاني، أحد مَن رحل وطوّف، وجمع وصنَّف، وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين.

وسمع: مسلم بن إبراهيم، وسليمان بن حَرب، وأبا عمر الحوضي، وأبا الوليد الطيالسي، وموسى بن إسماعيل التبوذكي، وأبا معمر المقعد، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ومسدَّداً، وشاذ بن فياض، ويحيى بن مَعين، وأحمد بن حنبل، وقتيبة بن سعيد، وأحمد بن يونس، وعثمان بن أبي شيبة، وإبراهيم بن موسى الفرَّاء، وعمرو بن عون، وأبا الجماهر التنوخي، وهشام بن عمار الدمشقي، ومحمد بن الصبّاح الدولابي، والربيع بن نافع الحلبي، ويزيد بن موهب الرملي، وأبا الطاهر بن السرح، وأحمد بن صالح المصريين، وأبا جعفر النفيلي، وخلقاً كثيراً غيرهم.

روى عنه: ابنه عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن محمد بن هارون الخلّال، وعليّ بن الحسين بن العبد، ومحمد بن مَخْلد الدُّوري، وإسماعيل بن محمد الصفّار، وأحمد بن سلمان النجاد، في آخرين.

وكان أبو داود قد سكن البصرة، وقدم بغداد غير مرة، وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله عنه أهلها.

ويقال: إنه صنَّفه قديماً وعرضه على أحمد بن حنبل؛ فاستجاده واستحسنه[1].

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدّل، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفّار، حدثنا أبو مسلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أنَّ النبي ﷺ آخى بين الزبير وبين عبد الله بن مسعود.

أخبرنا العتيقي، أخبرنا محمد بن عبد الله الشيباني، حدثنا أبو عيسى الأزرق قال: سمعت أبا داود يقول: دخلتُ الكوفة سنة إحدى وعشرين فلم أكتب عن مخول بن إبراهيم النَّهدي، ومضيت مع عمر بن حفص بن غياث إلى منزله فلم يقض السماع منه.

أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي، أخبرنا علي بن الحسين بن محمد الشافعي بالأهواز، أخبرنا أبو عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري قال: سمعت سليمان بن الأشعث أبا داود يقول: ولدت سنة اثنتين ومئتين، وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين، وسمعت من أبي عمر الضرير مجلساً واحداً، ودخلت البصرة،

(١) ضعَّف هذا الخبر شيخنا عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة «رسالة أبي داود» ص١٢، بأن الخطيب مرَّض الخبر بكلمة «يقال»، وبأنّ أبا داود صنّف «سننه» أثناء مرابطته بطَرَسوس عشرين سنة، وعمره يوم وفاة الإمام أحمد تسع وثلاثون سنة، فمتى ألَّف الكتاب، وتسنَّى له إرسالُه من طَرَسوس إلى بغداد؟ وينظر أيضاً: مقدمة «سنن أبي داود» بتحقيق شيخنا العلامة المحدث المحقق الأستاذ محمد عوامة حفظه الله تعالى ١: ٧.

وهم يقولون: أمس مات المؤذّن، وتبعت عمر بن حفص بن غياث إلى منزله ولم أسمع منه شيئاً، ورأيت خالد بن خِداش ولم أسمع منه شيئاً، وسمعت من سعدويه مجلساً واحداً، وسمعت من عاصم بن علي مجلساً واحداً، قلتُ: سمعتَ من يوسف الصفار؟ قال: لا. قلتُ: سمعتَ من ابن الأصبهاني؟ قال: لا، قلتُ: سمعتَ من عَمْرو بن حمّاد بن طلحة؟ قال: لا، ولا سمعتُ من مخول بن إبراهيم، ثم قال: هؤلاء كانوا بعد العشرين، والحديث رزقٌ ولم أسمع منهم.

كان لا يحدث عن ابن الحماني، ولا عن سويد، ولا عن أبي كاسب، ولا عن ابن حميد، ولا عن سفيان بن وكيع.

ولم يسمع من خلف بن موسى بن خلف، ولا من أبي همام الدلال، ولا من الرَّقاشي.

حدَّثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم القاري الدينوري بلفظه قال: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفرضي، سمعت أبا بكر بن داسَهْ يقول: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمَّنته هذا الكتاب ـ يعني كتاب «السنن» ـ جمعتُ فيه أربعة آلاف وثمان مئة حديث، ذكرتُ الصحيحَ وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها: قوله عليه السلام: «الأعمال بالنيات»، والثاني: قوله: «من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه»، والرابع: قوله: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبَيْن ذلك أمور مشتبهات» الحديث.

حُدِّثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي، قال: أخبرنا أبو بكر الخلال، قال: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الإمام القدوة المقدّم في زمانه، رجلٌ لم يسبقه ـ إلى

معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواضعها ـ أحد في زمانه، رجل ورع مقدَّم، وسمع أحمدُ بن حنبل منه حديثاً واحداً، كان أبو داود يذكره.

وكان إبراهيم الأصبهاني وأبو بكر صدقة يرفعون من قدره، ويذكرونه بما لا يذكرون أحداً في زمانه مثله.

وقد أخبرنا بالحديث الذي سمعه أحمدُ من أبي داود أبو الفرج الطناجيري، حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمرو الرازي، حدثنا عبد الرحمن بن قيس، عن حماد بن سلمة، عن أبي العشر الدارمي، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن العتيرة فحسّنها.

قال ابن أبي داود: قال أبي: فذكرتُه لأحمد بن حنبل فاستحسنه، وقال: هذا حديث غريب.

وقال لي: اقعد، فدخل فأخرج محبرة وقلماً وورقة، وقال: أمْلِهِ عليّ، فكتبَهُ عني.

ثم شهدته يوماً آخرَ، وجاء أبو جعفر ابن أبي سمينة فقال له أحمد بن حنبل: يا أبا جعفر عند أبي داود حديث غريب اكتبه عنه، فسألني، فأمليتُه عليه[1].

قرأت في كتاب محمد بن العباس بن الفرات، أخبرنا محمد بن العباس بن أحمد ابن محمد بن عاصم الضبي، أخبرنا أحمد بن محمد بن ياسين الهروي قال: سليمان بن الأشعث أبو داود السجزي كان أحد حفَّاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده، في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع، من فرسان الحديث.

---

(١) أقول: وذكر ذلك الحافظ ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه» (ص٤٠) قال: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، روى عنه أحمد حديثاً واحداً، أخبرنا به أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال: أنا أبو الفرج الطناجيري... إلى آخر ما هنا (منه).

حدثني الأزهري، حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا أحمد بن سنان أو غيره، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كان عبد الله يُشبّه بالنبي ﷺ في هَديِه ودَلِّه، وكان علقمة يُشبَّه بعبد الله.

وقال جرير بن عبد الحميد: كان إبراهيم يُشبَّه بعلقمة، وكان منصور يُشبَّه بإبراهيم.

وقال غير جرير: كان سفيان يُشبّه بمنصور.

قال عمر بن أحمد: وقال أبو علي القوهستاني: كان وكيع يُشبَّه بسفيان، وكان أحمد بن حنبل يُشبّه بوكيع، وكان أبو داود يُشبّه بأحمد بن حنبل.

أخبرنا الحسن بن أبي طالب، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري، أخبرني محمد بن بكر بن عبد الرازق في كتابه قال: كان لأبي داود السجستاني كُمّ واسع وكُمّ ضيّق، فقيل له: يرحمك الله! ما هذا؟ قال: الواسع للكتب والآخر لا يُحتاج إليه.

أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: سمعتُ عُبيدَ الله بن عبد الرحمن الزهري يقول: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: سمعتُ أبي يقول: الشهوةُ الخفيّة حبّ الرياسة.

أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قال: سمعت عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان يقول: سمعت أحمد بن محمود بن صبيح قال: ومات أبو داود السِّجستاني بالبصرة سنة خمس وسبعين.

أخبرني الأزهري، أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي.

وأخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن العباس الخزاز قالا: أخبرنا أبو الحسين ابن المنادي قال: ودخلها ـ يعني بغداد ـ أبو داود السِّجستاني مراراً، ثم خرج منها آخر مراته في أول سنة إحدى وسبعين إلى البصرة، فنزلها ومات بها في سنة خمس وسبعين ومئتين.

حدثنا محمد بن الحسن الأهوازي، أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الشافعي، أخبرنا أبو عبيد محمد بن علي قال: ومات ـ يعني أبا داود ـ لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومئتين، وصلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمي». انتهى ما في «تاريخ الخطيب» البغدادي.

وترجمه ابن خلّكان بنحو ما تقدّم مختصراً، ومما جاء فيها: «وجاءه سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ فقيل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً، قال: فرحَّب به وأجلسه، فقال له: يا أبا داود لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: حتى تقول: قَضَيْتُها مع الإمكان. قال: قد قَضَيْتُها مع الإمكان. قال: أَخْرِج لسانك الذي حدَّثتَ به عن رسول الله ﷺ حتى أقبِّلَه، قال: فأخرَج لسانه فقبَّله»(١).

ثم قال: وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومئتين رحمه الله تعالى.

---

(١) روى هذه القصة الحافظ أبو طاهر السِّلَفي في آخر «معالم السنن» ٤: ٣٧٠، وبيّن سبب فعل سهل ذلك فقال: «لم يسهل على سهل هذا الفعل ـ مع انقباضه عن الناس وانزوائه عنهم ـ إلا لإحياء أبي داود الحديث الشريف بالبصرة؛ عقيب ما جرى عليها من الزنوج القائمين مع القَرْمطي وخرابها، وقتل علمائها وأعيانها..، وإتيانِ الموفَّق إليه وسؤاله إيَّاه مع التوجُّه في الانتقال إليها ليُرحل إليه، ويؤخذ عنه كتابُه في السنن وغير ذلك من علومه..؛ إذ تحقَّق أنَّ مقامه بها وكونَه بين أهلها يقوم مقام كُماة أنجاد، وحُماة أمجاد، وقليل ما فعله سهل في حقِّه، حين رأى الحقَّ المستحقَّ. والله تعالى يثيب الجميع».

وذكر العلامة الشنواني في أواخر شرحه على مختصر ابن أبي جمرة، قال: قال النووي: «يستحب لمن حضر العاطس الذي لم يحمد الله تعالى أن يذكِّره الحمدَ ليحمد الله تعالى؛ فيشمّته، فقد ورد عن أبي داود ـ صاحب «السنن» ـ أنه كان في سفينة؛ فسمع عاطساً على الشّطّ حمد الله تعالى؛ فاكترى زورقاً بدرهم، حتى جاء إلى العاطس؛ فشمَّته، فسُئِل عن ذلك؟ فقال: لعله يكون مجابَ الدعوة، فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول: يا أهل السفينة إن أبا داود اشترى الجنّة بدرهم».اهـ.

ترجمة الإمام الخطابي شارح سنن أبي داود:

قال ياقوت في «معجم الأدباء»: «حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب الخطّابي، من ولد زيد بن الخطاب، أبو سليمان البستي، نسبه إلى مدينة بُست من بلاد كابل.

كان محدِّثاً فقيهاً، أديباً شاعراً لغوياً، أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الزاهد، وأبي عليّ إسماعيل الصفَّار، وأبي جعفر الرزاز، وغيرهم من علماء العراق، وتفقَّه بالقفَّال الشاشي، وروى عنه الحافظ أبو عبد الله ابن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري، والحافظ المؤرخ عبد الغفار بن محمد الفارسي صاحب «السياق بتاريخ نيسابور»، وأبو القاسم عبد الوهاب الخطّابي وخلق.

قال الحافظ أبو المظفَّر السمعاني: كان حُجَّة صدوقاً، رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر.

وقال الثعالبي: كان يُشبّه في عصرنا بأبي عُبيد القاسم بن سلّام في عصره؛ علماً وأدباً، وزهداً وورعاً، وتدريساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً، وكان أبو عبيد مفحماً.

ولأبي سليمان كتب من تآليفه، أشهرها وأيسرها كتاب «غريب الحديث»، وهو

في غاية الحسن والبلاغة، وله «أعلام السنن» في شرح صحيح البخاري، و«معالم السنن» في شرح سنن أبي داود، و«كتاب إصلاح غلط المحدِّثين»، وكتاب «العزلة»، وكتاب «شأن الدعاء»، وكتاب «الشِّجاج»، وغير ذلك.

ولد في رجب سنة **٣١٩**، وتوفي ببلده بُست سنة **٣٨٨**، وقيل: سنة ٨٦، والأوّل أصحّ».

وترجمه ابن خلّكان بنحو ما تقدّم، وقال: «إن وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة».

ثم قال: «والخَطَّابيُّ: بفتح الخاء المعجمة، وتشديد الطاء المهملة، وبعد الألف باء موحدة، هذه النسبة إلى جدِّه الخطّاب المذكور، وقيل: إنه من ذريَّة زيد بن الخطّاب رضي الله عنه فنُسب إليه. والله أعلم.

والبُسْتِيّ: بضم الباء الموحدة، وسكون السين، وبعدها تاء مثناة من فوقها، هذه النسبة إلى بُست، وهي مدينة من بلاد كابل، بين هراة وغزنة، كثيرة الأشجار والأنهار.

وقد سُمع في اسم أبي سليمان ـ حَمْد المذكور ـ أحمد ـ أيضاً ـ بإثبات الهمزة، والصحيح الأول.

قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البيِّع: سألتُ أبا القاسم المظفر بن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطّابي أحمد أو حمد، فإنَّ بعض الناس يقول: أحمد؟ فقال: سمعتُه يقول: اسمي الذي سُمِّيت به حمد، ولكن الناس كتبوا أحمد فتركتُه عليه». اهـ أهم ما في ابن خلكان.

وقال ياقوت في «معجمه»: «بُسْت ـ بالضم ـ مدينة بين سجستان وغزنة وهراة، وأظنها من أعمال كابل، فإن قياس ما تجدُه من أخبارها في الأخبار والفتوح كذا

يقتضي، وهي من البلاد الحارة المزاج، وهي كبيرة، ويقال لناحيتها اليوم: كُرُم سير، معناه: النواحي الحارة المزاج، وهي كثيرة الأنهار والبساتين، إلا أن الخراب فيها ظاهر.

وسُئل عنها بعض الفضلاء؛ فقال: هي كتشيتها يعني بستان، وقد خرج منها من أعيان الفضلاء، منهم الخطّابي أبو سليمان حمد بن محمد البستي؛ صاحب «معالم السنن» و«غريب الحديث»، وغير ذلك، كان من الأئمة الأعيان، ذكرتُ أخبارَه وأشعارَه في كتاب «الأدباء» من جمعي فأغنى».

وترجمه الإمام السبكي في «طبقات الشافعية» (ج**٢** ص**٢١٨**) فقال: «حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب، الإمام أبو سليمان الخطّابي البُستِيّ، ويقال: إنه من سلالة زيد بن الخطّاب بن نُفيل العدويّ ولم يثبت ذلك، كان إماماً في الفقه والحديث واللغة.

أخذ الفقه عن أبي بكر القفَّال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة.

وسمع الحديث من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، وأبي بكر بن داسَهْ بالبصرة، وإسماعيل الصفّار ببغداد، وأبي العباس الأصم بنيسابور، وطبقتهم.

روى عنه: الشيخ أبو حامد الإسفراييني، وأبو عبد الله الحاكم الحافظ، وأبو نصر محمد بن أحمد بن سليمان البلخي الغزنوي، وأبو مسعود الحسين بن محمد الكرابيسي، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الرزجاهي البسطامي، وأبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو عُبيد الهروي صاحب «الغريبين»، وعبد الغافر بن محمد الفارسي، وغيرهم.

وذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب «اليتيمة»، وسمَّاه: أحمد؛ وهو غلط، والصواب: حمد.

وذكره الإمام أبو المظفر ابن السمعاني في كتاب «القواطع» في أصول الفقه؛ عند الكلام على العلة والسبب والشرط، وقال: قد كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام

من أئمة السّنّة، صالحٌ للاقتداء به، والإصدار عنه. انتهى.

ومن تصانيفه: «معالم السنن» وهو شرح سنن أبي داود، وله: «غريب الحديث»، و«شرح الأسماء الحسنى»، وكتاب «العزلة»، وكتاب «الغنية عن الكلام وأهله»، وغير ذلك.

توفي بِبُست في ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة.

ومن الفوائد والغرائب والأشعار عنه:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إذناً خاصاً، أخبرنا أبو الحسين [اليونيني] وشهدةُ العامريةُ، أخبرنا جعفر الهمداني.

(ح) وكتب إلى أحمد بن أبي طالب، [عن جعفر] وغيره، عن محمد بن عبد الهادي، عن أبي طاهر السِّلَفي، قال جعفر سماعاً قال: سمعت أبا المحاسن الروياني بالرّيّ يقول: سمعت أبا نصر البلخي بغزنة يقول: سمعت أبا سليمان الخطابي يقول: سمعت أبا سعيد ابن الأعرابي ـ ونحن نسمع عليه هذا الكتاب ـ يعني كتاب «السنن» لأبي داود ـ وأشار إلى النسخة التي بين يديه ـ يقول: لو أنَّ رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب؛ لم يُحتج معهما إلى شيء من العلم البتة.

أخبرنا الحافظ أبو العباس بن المظفر بقراءتي عليه، أخبرنا عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري إجازة، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أبي جعفر بن علي القرطبي سماعاً، أخبرنا القاسم بن الحافظ ابن عساكر، حدثنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري إجازة، وحدثنا عنه أبي سماعاً.

(ح) قال ابن المظفر: وأخبرنا يوسف بن محمد المصري إجازة، أخبرنا ابن بركات الخشوعي سماعاً، أخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر إجازة، أخبرنا عبد الجبار الخواري، أنشدنا الشيخ الإمام أبو سعيد القشيري، أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدان الكرماني، أنشدنا أبو الحسن بن أبي عمر، أنشدني أبو سليمان الخطابي لنفسه:

ارْضَ للنَّاسِ جميعاً ... مثلَ ما ترضى لنفسِكْ
إنّما النّاس جميعاً ... كلُّهم أبناءُ جنسِكْ
فلهم نفسٌ كنفسِكْ ... ولهم حسٌّ كحسِّكْ

وبه إلى أبي الحسن بن أبي عمر ـ وهو النوقاني ـ قال: سمعت أبا سليمان الخطابي: الغنى ما أغناك لا ما عَنَّاك.

قال: وسمعتُه يقول: عِشْ وحدَك حتى تزور لحدك، احفظ أسرارك وشُدَّ عليك أزرارك.

ثم ساق شيئاً من شعره وفوائد فقهية.

ثم نقل عنه في آخر ترجمته لطيفةً ذكرها صاحب كتاب «منع الموانع» على لسان أصحاب هذه العلوم، حيث قال: قال الخطابي في كتابه «تفسير اللغة التي في مختصر المزني» في باب الشفعة: بلغني عن إبراهيم بن السَّرِي الزجَّاج النحوي أنَّه كان يذهب إلى أنَّ الصاد تُبدَل سيناً مع الحروف كلِّها لقُرب مخرجهما، فحضر يوماً عند عليِّ بن عيسى؛ فتذاكرا هذه المسألة واختلفا فيها، وثبت الزجَّاج على مقالته، فلم يأتِ على ذلك إلا قليل من المدَّة، فاحتاج الزجّاج إلى كتابٍ إلى بعض العمال في العناية، فجاء إلى عليِّ بن عيسى الوزير ينتجز الكتاب، فلما كتب عليُّ بن عيسى صدرَ الكتاب وانتهى إلى

ذِكْرِه كتب: وإبراهيم بن السَّري من أخصِّ إخواني، فقال الرجل: أيها الوزير الله الله في أمري، فقال له عليُّ بن عيسى: إنما أردت أخصّ، وهذه لغتك فأنت أبصر، فإن رجعتَ وإلا أنفذْتُ الكتاب بما فيه.

فقال: قد رجعت أيها الوزير، فأَصْلِحِ الحرفَ واطْوِ الكتاب»[1]. اهـ ما في «طبقات الشافعية».

وكتابه «أعلام السنن» منه نسخة في جامع السلطان أويس في الموصل، ذكره الطبيب داود الجلبي في كتابه مخطوطات الموصل (ص٩٤)، وسمّاه: «أعلام الحديث»، وهو سهو منه.

ويوجد منه النصف الثاني في مجلّد واحد في مكتبة المرحوم الشيخ محمد سلطان في حلب، محرّر سنة ٤٨٧.

وكتابه: «شأن الأدعية المأثورة»، منه نسخة في الظاهرية بدمشق، رقمها (٣٠٨)، ومعه كتاب «الاعتصام والعزلة» له.

وكتابه: «شرح غريب الحديث» منه نسخة نفيسة في مكتبة الأحمدية بحلب، رقمها (٢٣٦)، وهو في نحو (٢٠٠) صحيفة محرر سنة ١٠٩٣.

انظر تعليقاتنا على كتاب «علوم الحديث» للإمام ابن الصلاح الذي طبعناه في مطبعتنا العلمية في (ص٢٣٥).

شعره:

تقدَّم من شعره قوله: (ارْضَ للناس جميعاً... إلخ).

وقال الثعالبي في «يتيمة الدهر» (ج ٤ ص ٢٣٢): أنشدني غير واحد له:

(١) في المطبوع من «طبقات الشافعية» ٣: ٢٩٠: «فأصلحَ الحرفَ وطوى الكتاب».

وما غمَّةُ[1] الإنسان في شُقّةِ النَّوى ... ولكنّها ـ والله ـ في عدَمِ الشَّكْل
وإني غريبٌ بين بُسْتَ وأهلِها ... وإن كان فيها أُسرتي وبها أهلي

وأنشدني أبو الفتح قال: أنشدني أبو سليمان لنفسه:

شَرُّ السِّباع العوادي دونَهُ وزَرٌ ... والناس شرُّهُمُ ما دونَهُ وَزَرُ
كم معشرٍ سَلِمُوا لم يؤذِهِم سَبُعٌ ... وما نرى بَشراً لم يُؤْذِهِ بَشَرُ

وأنشدني له أيضاً:

ما دمتَ حيّاً فَدَارِ الناسَ كلّهمُ ... فإنّما أنتَ في دارِ المُدَاراةِ
مَن يَدْرِ دارَى ومَن لم يَدرِ سوف يُرى ... عمّا قليلٍ نديماً للنَّداماتِ

وله:

لَعَمْرُكَ ما الحياة وإنْ حَرَصْنا ... عليها غيرُ ريحٍ مُستعارَهْ
وما للرِّيحِ دائمةً هبوبٌ ... ولكن تارةً تجري وتارَهْ

وله:

وقائلٍ ورأى من حِجْبَتي عَجَباً ... كم ذا التواري وأنت الدَّهْرَ محجوبُ
فقلت: حلّت نجومُ العُمرِ منذ بدا ... نجمُ المشيب ودينُ الله مطلوبُ
فَلُذت من وَجلٍ بالاِستِتار عن الـ ... أبصارِ إنَّ غريمِ الموتِ مرعوبُ

وله:

تغنَّمْ سُكونَ الحادثاتِ فإنَّها ... وإنْ سكَنَتْ عمّا قليلٍ تحرَّكُ
وبادِرْ بأيّام السلامةِ إنّها ... رُهونٌ وهل للرَّهْنِ عندك مترَكُ

(١) في «طبقات الشافعية»: ما غربة.

وله:

قـلْ للـذي ظـلَّ يلحـاني ويعذلُني   لنائـلٍ فاتَـهُ والخـيرُ مأمـولُ
لا تطلُبِ السَّمْنَ إلا عندَ ذي سِمَنٍ   نـالَ الولايـة فالمعـزولُ مهـزولَ

وله:

قد جاءَ طوفانُ البلاء ولا أرى   في الأرض - وَيْحي - للنجاةِ سفينَهْ
فاصعَدْ إلى وَزَرِ السّماءِ فإن يكُنْ   يُعيِيكَ فابْكِ لنفسِكَ المِسكينَهْ

وله:

تَسامَحْ(١) ولا تَسْتَوفِ حقَّك كلَّهُ   وأبْقِ فلم يَسْتَقْصِ قطُّ كريمُ
ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتَصِدْ   كِلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمورِ ذَميمُ

وله:

قد أُولِعَ الناس بالتَّلاقي   والمرءُ صَبٌّ إلى هَواهُ
وإنَّما منهُمُ صديقي   مَن لا يراني ولا أراهُ

وله:

سَلَكْتُ عُقاباً في طريقي كأنّها   صَياصي ديوكٍ أو أكفُّ عُقابِ
وما ذاكَ إلا أنَّ ذَنْباً أحاط بي   فكان عِقابي في سلوك عِقابِ

وله:

إذا خَلَوتُ صفا ذهني وعارضَني   خَواطرٌ كطِرازِ البرق في الظُّلَمِ
وإنْ توالى صياحُ الناعِقينَ على   أُذْني عَرَتْني منه لُكْنةُ العجَمِ

(١) في «طبقات الشافعية»: فسامح.

. اهـ ما أورده له صاحب «اليتيمة».

وأورد له جعفر بن شمس الخلافة في كتاب «الأدب» قوله:

وإني لأعرفُ كيف الحقُوقْ   وكيف يَبَرُّ الصّديقُ الصّديقْ
ورَحْبُ فؤادِ الفتى محنةٌ   عليهِ إذا كان في الحال ضِيقْ

رواة سنن أبي داود عنه:

قال في «كشف الظنون» - بعد أن عدَّد شروح سنن أبي داود -: قال ابن كثير في «مختصر علوم الحديث»: «إنَّ الروايات لسنن أبي داود كثيرة يوجد في بعضها ما ليس في الأخرى».

وقال الجلال السيوطي في «التدريب شرح التقريب» للنووي (ص ٥٦): «عدَّة أحاديث كتاب أبي داود أربعة آلاف وثمان مئة حديث(١)، وهو رواياتٌ؛ أتمُّها رواية أبي بكر بن داسَهْ، والمتصلة الآن بالسماع رواية أبي علي اللؤلؤي». اهـ.

وقال العلامة السيد علي بن سليمان الدِّمنتي البُجمَعَوي في أول حاشيته «درجات مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود»، قال الحافظ أبو جعفر بن الزبير في «برنامجه»: «روى هذا الكتاب عن أبي داود ممن اتصلت به أسانيدنا به أربعة رجال:

(١) أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمّار البصري المعروف بابن داسَهْ(٢)، بسين وميم(٣)، كساعَهْ، نصَّ عليه القاضي أبو محمد، وقد وجدته مُشدَّداً،

(١) عدد أحاديثه حسب ترقيم شيخنا العلامة المحقق المحدِّث محمد عوامة في تحقيقه لسنن أبي داود (٥٢٣٢).

(٢) المتوفى سنة ٣٤٦هـ. كما في «السير» ١٥: ٥٣٨.

(٣) هكذا، والصواب بسين وهاء. (الطباخ)، و«داسَهْ» بتخفيف السين وسكون الهاء، وقفاً ودرجاً.

وهذا بما قيَّدته شكلاً بلا تنصيص عن شيخنا أبي الحسن الغافقي.

(٢) وأبو سعيد أحمد بن محمد بن [سعيد بن] زياد بن بشر المعروف بابن الأعرابي(١).

(٣) وأبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي البصري(٢).

(٤) وأبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي، ورَّاق أبي داود»(٣).

ولم تتشعَّب طرقه كما اتَّفق بالصحيحين(٤)، إلا أن رواية ابن الأعرابي يسقط منها كتاب الفتن والملاحم والحروف والخاتم، ونحو النصف من كتاب اللباس.

وفاته أيضاً من كتاب الوضوء والصلاة والنكاح أوراق كثيرة(٥).

وراوية ابن داسَهْ أكمل، ورواية الرملي تقاربها، ورواية اللؤلؤي أصح الروايات؛ لأنها آخر ما أملى أبو داود، وعليها مات.

وفي مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب نسخة من سنن أبي داود، رواية في مجلدين،

(١) المولود سنة ٢٤٦هـ، والمتوفى سنة ٣٤١هـ رحمه الله تعالى.

(٢) المتوفى سنة ٣٣٣هـ، وروايته آخر الروايات عن أبي داود. «السير» ١٥: ٣٠٧، وخاتمة «عون المعبود» ١٤: ٢٠١.

(٣) سكن بغداد، وتوفي بها سنة ٣٢٠هـ، كما في «تاريخ بغداد» ٦: ٣٩٥.

(٤) ومن الرواة عنه أيضاً: أبو الحسن علي بن الحسن بن العبد الأنصاري، المتوفى سنة ٣٢٨هـ، كما في «تاريخ بغداد» ١١: ٣٨٢، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك بن يزيد الروَّاس، وأبو عمرو أحمد بن علي بن حسن البصري، وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم الأشناني البغدادي، نزيل الرحبة، وأبو بكر أحمد بن سلمان النجَّاد البغدادي (٢٥٣-٣٤٨)، وهذا آخر تلامذة أبي داود. وينظر: رواة سنن أبي داود عن مؤلِّفها في مقدمة تحقيق شيخنا العلامة المحقق المحدِّث محمد عوامة لكتاب «السنن» لأبي داود ١: ٧-١٩.

(٥) «فهرست ابن خير» ص١٠٥-١٠٦.

رقمها (١٧١)، قال على ظاهر الجزء الأول: «سنن أبي داود رواية أبي علي محمد بن عمرو اللؤلؤي عنه، رواية أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي عنه، رواية أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي عنه».

وعليه وعلى الجزء الثاني خطّ العلَّامة المحدِّث الشيخ إبراهيم بن أحمد بن الملا الحلبي، من أعيان القرن الحادي عشر(١).

روايتي لسنن الإمام أبي داود رضي الله عنه:

وإني ـ بحمد الله تعالى ـ أروي سننَ الإمام أبي داود من طرق متعدِّدة، تُعلَم وتُستنبط من كتابي «الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية»، الذي اختصرتُ فيه ثَبَت العلَّامة المحدِّث الشيخ يوسف الحسيني الدمشقي ثم الحلبي، المسمَّى: «كفاية الراوي والسامع وهداية الرائي والسامع»، وثَبَت العلامة المحدِّث الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي المسمَّى: «إنالة الطالبين لعوالي المحدِّثين»، وثبت العلامة المحدِّث الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الحلبي المسمَّى: «منار الإسعاد في طرق الإسناد»، وذيَّلت هذه الأثبات الثلاثة بإجازاتي، وسمَّيتها الاسم المتقدِّم، وطبعتها في مطبعتي العلمية، فجاءت في ٤٣٦ صحيفة.

وإني أقتصر من ذلك على عشرة طرق:

(الطريق الأول): أرويها إجازة وسائر مصنفات أبي داود عن الشيخ كامل الموقِّت الحلبي، عن والده الشيخ أحمد الموقت الحلبي، عن والده الشيخ عبد الرحمن

(١) طبع السُّنن طبعة محقَّقة متقنة شيخنا العلاَّمة المحدِّث محمد عوامة، وقابله بأصل الحافظ ابن حجر وسبعة أصول أخرى، والتامّ منها أربعة، وأربعة أخرى غير تامَّة، وكتب دراسة وافية عن تلك الأصول التي اعتمدها في مقدمة تحقيقه للكتاب ١: ١٩-٩٣.

الموقت الحلبي، عن والده الشيخ عبد الله موفق الدين، عن والده الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الحلبي صاحب الثَّبَت المشار إليه.

قال الشيخ عبد الرحمن في ثَبَته: «سنن أبي داود» وسائر مصنفاته، عن شيخنا الشيخ محمد المواهبي الحنبلي، عن جده أبي المواهب، عن والده الشيخ عبد الباقي، عن عمر القاري، عن البدر الغزي، عن تقي الدين بن قاضي عجلون، [عن علاء الدين بن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن بردس البعلي الحنبلي، عن أبي حفص عمر بن حسن بن أميلة المزي الدمشقي][1] عن الشيخ فخر الدين، عن أبي حفص عمر بن طَبَرْزَد[2] الدراوردي[3]، عن أبي الفتح الميدومي، عن الحافظ أبي بكر البغدادي، عن أبي [عمر] القاسم بن جعفر الهاشمي، عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، عن أبي داود السجستاني.

(الطريق الثاني): وبالسند المتقدِّم إلى الشيخ عبد الرحمن الحنبلي صاحب الثَّبت، عن العلامة المحدِّث الشيخ يوسف أفندي الحسيني، عن أبي المواهب الحنبلي، عن والده الشيخ عبد الباقي إلى آخر السند المتقدِّم.

(الطريق الثالث): وأرويها وسائر مصنَّفاته بهذا السند إلى الشيخ عبد الرحمن الحنبلي صاحب الثَّبَت، وهو عن الشيخ عبد الكريم بن أحمد الشراباتي الحلبي، عن

(١) ما بين الحاصرتين زيادة لا يستقيم الإسناد بدونها؛ لتباعد ابن قاضي عجلون والفخر ابن البخاري.

(٢) طَبَرْزَد: أبو حفص عمر بن محمد بن معمَّر بن يحيى بن أحمد بن حسان بن طبرزد، المؤدب، البغدادي، الدارَقزي، ولد سنة ٥١٦هـ، وتوفي سنة ٦٠٧هـ عن ٩١ سنة. وطبرزد ـ بالدال المهملة أو المعجمة ـ اشتُهر أن معناها السكَّر. وينظر: «المصباح». والمؤدب: اسم لمن يعلّم الصبيان والناس الأدب واللغة، وتتحرَّف في كثير من الكتب إلى المؤذن.

(٣) هكذا في الأصل، والصواب: «الدارَقزي».

الشيخ محمد بن عقيلة، عن الشيخ حسن العجيمي المكّي، عن الشيخ أحمد العجل اليمني، عن الإمام يحيى[1]، عن جدِّه المحب، عن الشريف أبي الطاهر محمد بن الكويك، عن المسندة زينب بنت الكمال المقدسيَّة، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن مكّي الحاسب، عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد السِّلفي، إذ قال: كُتب إليَّ أبو جعفر العباداني من البصرة، قال: أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر والخطيب بن عبد الواحد الهاشمي، قال الخطيب سماعاً[2] قال: أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، قال: أخبرنا مؤلفه الحافظ الحجة أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله تعالى.

(الطريق الرابع): وأرويها بالإجازة الخاصّة والعامّة عن العلّامة المحدّث الشيخ محمد حبيب الله الجكني الشنقيطي ـ نزيل القاهرة الآن ـ، عن مفتي المالكية بمكة المشرفة الشيخ محمد عابد بن حسين المكي، عن والده حسين بن إبراهيم الأزهري ثم المكي، عن الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي، عن الشيخ محمد الأمير الكبير المالكي وهو ـ كما في ثَبَتِه المطبوع ـ يرويها عن البدر الحفني إجازة، عن العلامة البديري، عن الملا إبراهيم الكردي، عن صفي الدين القشاشي بإجازته العامة، عن الشَّمس الرملي، عن القاضي زكريا، عن العزّ بن الفرات.

وبقية السند في الطريق السادس.

(الطريق الخامس): وأرويها عن شيخنا الشيخ كامل الهبراوي الحلبي، عن الشيخ إبراهيم السقَّا، عن العلامة الأمير الصغير، عن الشيخ محمد الأمير الكبير بسنده.

(١) يحيى بن مكرم الطبري.

(٢) هكذا وقع في ثبت العلامة الشراباتي وهـو سهو، فالقاسم بن جعفر: هو ابن عبد الواحد الهاشمي وليسا اثنين، وفي الكلام تقديم وتأخير من النسَّاخ، والخطيب: هو أبو بكر البغدادي، فإنه ممن روى عن القاسم بن جعفر، كما سيتبيَّن لك من الطرق الآتية. (الطباخ).

(الطريق السادس): وأرويها عن شيخنا المشار إليه، عن الشيخ سعيد الفرا الدمشقي، عن جدِّه لأمه الفاضل الشيخ علاء الدين بن عابدين، عن والده الشيخ محمد عابدين.

قال العلامة ابن عابدين في ثَبَتِه «عقود اللآلي في الأسانيد العوالي»: «السنن للحافظ الكبير أبي داود، أرويها عن شيخي الشيخ محمد شاكر بن علي العمري، عن شيخه العلامة المسنِد الشيخ محمد الكزبري قال: أرويها سماعاً لطرف من أولها، وإجازة لباقيها عن جمع من أشياخي، منهم العلامة الفقيه الكبير المحدِّث الشيخ محمد ابن سليمان الكردي المدني، عن شيخه فقيه مكة ومفتيها الشيخ محمد سعيد سنبل، عن الشهاب أحمد النَّخلي، عن محدِّث الوقت الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، وهو عن الشيخ سليمان بن عبد الدائم البابلي، عن الجمال يوسف، عن والده القاضي زكريا، قال: أخبرنا العز عبد الرحيم بن الفرات سماعاً عليه لبعضه، وإجازةً لسائره، عن أبي العباس أحمد بن محمد الجوخي إذناً، عن الفخر علي بن أحمد البخاري سماعاً، عن أبي حفص عمر بن محمد بن معمّر بن طَبَرْزَد البغدادي سماعاً قال: أخبرنا به الشيخان أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكَرَجي، وأبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمد الدومي سماعاً عليهما مُلفّقاً قالا: أخبرنا به الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي قال: أخبرنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني سماعاً لجميعه في المحرّم سنة خمس وسبعين ومئتين.

(الطريق السابع): وأرويها إجازة مكاتبة عن شيخنا حافظ العصر وعلّامة البلاد المغربية الشيخ محمد عبد الحي الكتّاني الفاسي، عن المُسْنِد أبي الخير بن أحمد ابن عابدين، عن أبيه السيد أحمد، وابن عمّه علاء الدين، والشيخ يوسف بن بدر الدين المغربي، ومحمد بن حسن البيطار؛ أربعتهم عن عمّه العلامة الشيخ محمد أمين صاحب الحاشية، وباقي السند تقدَّم في الطريق السادس.

(الطريق الثامن): وأرويها كذلك عن شيخنا المذكور، عن البدر عبد الله السكري، عن الوجيه عبد الرحمن الكزبري، عن عبد الله بن محمد العقاد الحلبي، عن الشيخ عبد الرحمن الحنبلي الحلبي.

(ح) وعن الشيخ عبد الله السكري، عن الشيخ سعيد الحلبي، عن شمس الدين محمد بن عثمان العقيلي الحلبي العمري، عن محمد خليل المرادي صاحب «سلك الدرر» تدبيجاً، عن الشيخ عبد الرحمن الحنبلي المتقدِّم، وباقي السند تقدَّم في الطريق الأول والثاني والثالث.

وأرويها عن شيخنا المذكور، عن الشيخ عبد الله السكري، عن الشيخ سعيد الحلبي، عن الشيخ شاكر العقاد، عن المنلا علي التركماني الدمشقي والشيخ مصطفى الرحمتي، كلاهما عن الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي، وباقي السند تقدَّم في الطريق الثالث.

قال شيخنا الشيخ محمد عبد الحي في كتابه «فهرس الفهارس» (ج ٢ ص ٤٣): «وأعلى منه: عن الشيخ نصر الله الخطيب، عن عمر الغزي، عن الرحمتي ومحمد سعيد السويدي، كلاهما عن الشيخ عبد الكريم الشراباتي.

(ح) وعن السكري، عن الشيخ سعيد الحلبي، عن إسماعيل بن محمد المواهبي الحلبي، ومحمد بن عثمان العقيلي الحلبي، كلاهما عن الشراباتي عالياً». اهـ.

(الطريق التاسع والعاشر): وأرويها كذلك مع جميع مرويات ومؤلفات الإمام سعيد الدين الكازروني عن شيخنا المذكور.

قال في كتاب أرسله إلينا مؤرَّخ في أول ربيع الأول سنة **١٣٥١**: «وأما الاتصال بالكازروني مما له من المرويات والمؤلفات فمن طريقين:

الأول: طريق ولده نسيم اليمني، وهو مسلسل باليمنيين، أخبرنا المسنِد الناسك المعمَّر أبو الخير علي بن محمد البطاح الأهدل الزبيدي اليمني تدبيجاً معه بمكة المكرمة، عن السيد عبد القادر ابن مفتي زبيد السيد محمد بن عبد الرحمن الأهدل، عن والده الوجيه عبد الرحمن، عن أبيه سليمان، عن جدِّه يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل، عن السيد أبي بكر بن علي البطَّاح الأهدل، عن السيد يوسُف بن محمد بن البطاح الأهدل، عن الإمام الطاهر بن خير الأهدل، عن الحافظ عبد الرحمن بن علي الديبع الزَّبيدي، عن الحافظ زين الدين الشَّرجي، عن الحافظ تقي الدين الفاسي المكّي قال: أخبرنا العابد نسيم المدني، عن والده الحافظ سعيد الدين الكازروني.

الثانية: طريقة الحافظ ابن الجزري الدمشقي بهذا السند إلى الحافظ ابن الدَّيبع الزبيدي، عن الزين الشرجي، عن الحافظ ابن الجزري، عن الإمام جمال الدين محمد ابن محمد بن محمد الجمالي، عن الإمام الكازروني». اهـ ما كتب به إلينا شيخنا الحافظ الشيخ محمد عبد الحي الكتاني.

قال الحافظ الإمام سعيد الدين عفيف محمد بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني في كتابه «شعب الأسانيد في رواية الكتب والمسانيد» ـ (وهو من مخطوطات مكتبة الأحمدية ضمن مجموع كبير رقمه (**٣٠٨**) في آخره خط المؤلف مجيزاً به تلميذه كاتب النسخة العلامة الإمام عبد الخالق السميرمي) ـ: «**سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني**: أخبرنا إجازة الشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن عثمان بن سالم المقدسي، وعز الدين محمود بن إسماعيل بن عمر الحَمُّوئي، وعماد الدين محمد بن موسى بن سليمان بن محمد الأنصاري.

قالوا: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، أنا أبو حفص عمر بن محمد بن مُعمَّر بن طَبَرْزَد، أنا أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر بن علي الشافعي الكَرَجي، أنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة أبو بكر عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمود، أنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الأسدي، أنا أبو الفتوح داود بن معمر بن عبد الواحد بن الفاخر القرشي، أنا أبو عبد الله الحسن بن العباس بن علي الرستمي، أنا أبو علي بن أحمد بن علي البُسْري.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة أبو الفضائل إسماعيل بن المظفَّر بن محمد، أنا أبو المفاخر شمس الدين عمر بن المظفر بن روزبهان، أنا النَّجيب أبو بكر عبد الله بن محمد ابن شابور القلانسي، أنا أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الأدمي، أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد بن شُكرويه.

(ح) وأخبرتنا أيضاً إجازةً عاليةً الشيخة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسيّة، قالت: أخبرنا سيف الدين أبو المظفَّر محمد بن أبي البدر مُقْبِل بن فتيان بن مَطَر المنيِّ، أنا أبو الفرج الضحاك بن غانم بن أحمد الأصفهاني، أنا أبو طالب جعفر بن محمد بن الفضل العباداني البصري، قالوا ـ أعنيه وابن شكرويه والبسري والبغدادي ـ: أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد ابن أحمد بن عمرو اللؤلؤي.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة أبو طاهر عبد الودود بن داود بن محمد بن الفريد، أنا عماد الدين أبو علي الحسين بن محمود بن محمد بن الحسين بن يحيى الصَّالحاني، أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن الصيدلاني.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني، أنا زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، أنا أبو الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي قالا ـ أعنيه والصيدلاني ـ: أنا أبو علي الحسن ابن أحمد بن الحسن الحداد، أنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصفهاني، أنا أبو بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق بن داسَةَ قالا ـ أعنيه واللؤلؤي ـ: أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة أربع، وقيل: سنة سبع وسبعين ومئتين، وساق حديثاً بسنده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه.

روايتي لمعالم السنن وسائر مصنفات الإمام الخطابي:

أرويه إجازة مكاتبة وسائر مصنفات الإمام الخطابي رحمه الله تعالى عن شيخنا الشيخ محمد عبد الحي الكتاني ـ حفظه الله تعالى ـ بالسند السابق إلى الإمام سعيد الدين عفيف محمد بن سعيد الكازروني.

قال الإمام الكازروني في ثَبَتِه «شعب الأسانيد في رواية الكتب والمسانيد»: «**كُتُبُ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي رحمه الله**، أخبرنا إجازة الشيخ صدر الدين محمد بن أحمد بن أبي الربيع الدلاصي، ومحبّ الدِّين أحمد بن شرف الدّين عبد المؤمن ابن خلف بن أبي الحسن الدمياطي، قالا: أنا شهاب الدين عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى المعروف بابن خطيب مزة، أنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمَّر بن طَبَرْزَد.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة الشيخ تقيّ الدّين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الخطيب، وتاج الدّين أبو الفضل عبد الرحيم بن سليمان بن محمد، قالا: أنا مجد الدّين عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر البغدادي، أنا جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة الشيخ نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن أبي حنيفة، وابنه فخر الدين عبد الرحيم قالا: أنا كمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البزاز، أنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن سُكينة، قالوا ـ أعنيه وابن الجوزي وابن طَبَرْزَد ـ: أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة الشيخ عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي، أنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن شحنة، أنا أبو الفتوح داود بن معمّر بن عبد الواحد القرشي، أنا أبو نُعيم عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، قالا ـ أعنيه والكروخي ـ: أنا أبو نصر عبد الله بن أبي طاهر محمد بن أبي نصر الحداد، أنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطابي.

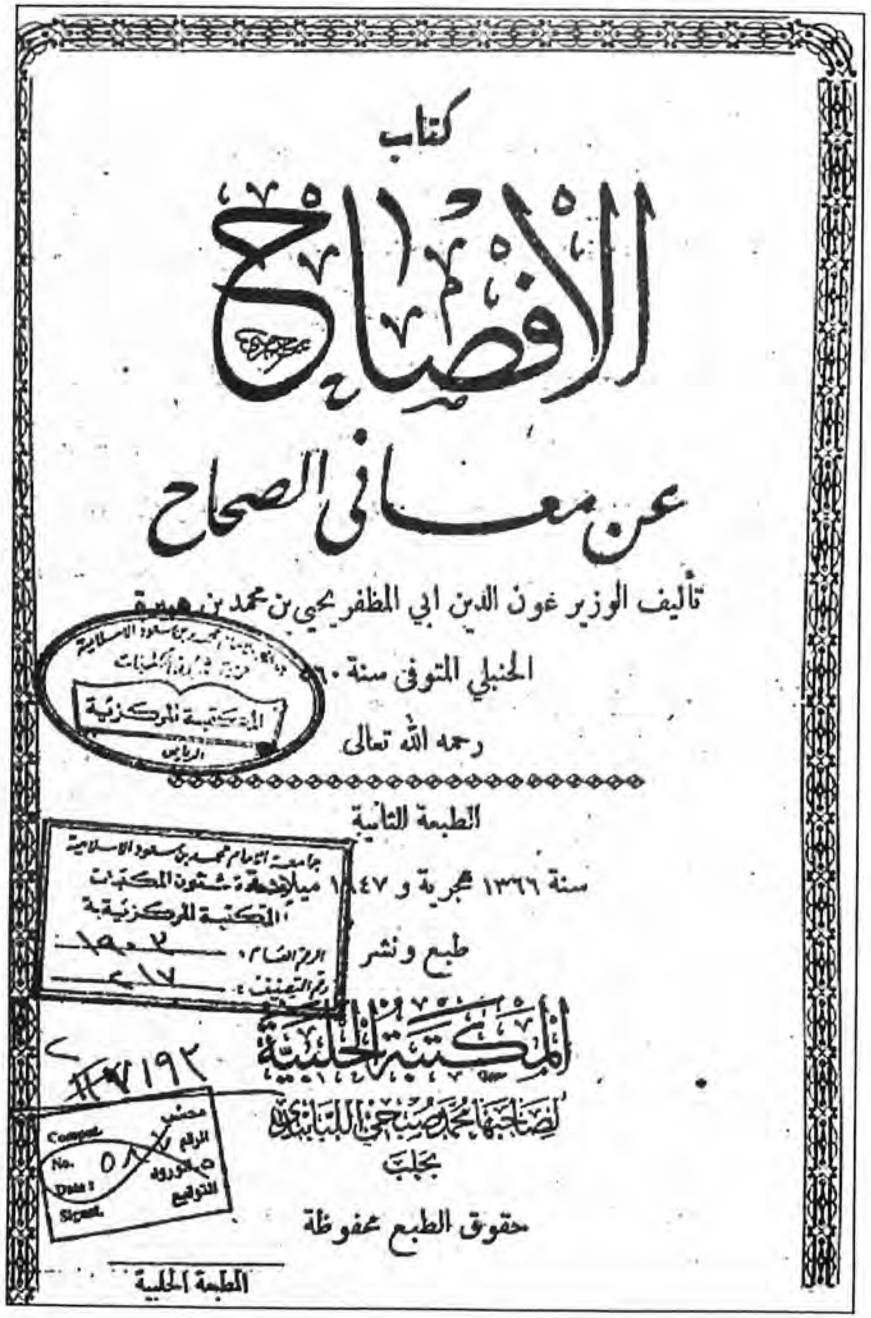
(ح) وأخبرنا أيضاً إجازة محبّ الدّين أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي، وجلال الدّين أبو هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي، قالا: أنا أمين الدّين أبو محمد الحسن بن يوسف بن الحسين بن أبي زنبقة، أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن بختيار المندائي، أنا أبو الفضل عبد الصمد بن إسماعيل بن أحمد الروياني، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن البلخي.

(ح) وأخبرنا أيضاً إجازةً عاليةً الشيخ علم الدّين القاسم بن محمد بن يوسف البَرزالي، ونور الدّين أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الأرموي، قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، أنا أبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد الصفّار، أنا محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، قالوا ـ أعنيه والبلخي وعبد الوهاب الخطابي ـ: أنا أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، نا محمد بن

إبراهيم بن مالك، نا بشر بن موسى، نا الحميدي، نا سفيان، نا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة غير واحد؛ مَن حفظها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر». اهـ.

وفي هذا القدر كفاية، وأسأله تعالى حُسْن الختام.

❊ ❊ ❊



كتاب

الإفصاح

عن معاني الصحاح

تأليف الوزير عون الدين ابي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة

الحنبلي المتوفى سنة ٥٦٠

رحمه الله تعالى

الطبعة الثانية

سنة ١٣٦٦ هجرية و ١٩٤٧ ميلادية

طبع ونشر

المكتبة الحلبية

لصاحبها محمد صبحي اللبابيدي

بحلب

حقوق الطبع محفوظة

الإفصاح عن معاني الصحاح(١)

للوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد هبيرة الحنبلي

المولود سنة ٤٩٩ هـ، المتوفى سنة ٥٦٠ رحمه الله تعالى

كلمة الناشر للطبعة الأولى:

في أثناء بحثي في البقية الباقية من نفائس المخطوطات في مدينة حلب، عثرت ـ عند صديقي الأديب الفاضل الشيخ بهاء الدِّين التِّرمانيني، مدير دائرة النفوس ـ على كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» للعالم الوزير عون الدِّين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، المتوفَّى سنة (٥٦٠هـ)، وبعد أن أجَلْتُ النظر في عدة أبواب منه؛ وجدتُه كتاباً حافلاً، أجادَ مؤلِّفُه تأليفَه، وأحسنَ ترتيبَه، جمع فيه أهمَّ ما اتُّفِق عليه، وما اختُلِف فيه من الفروع بين المذاهب الأربعة؛ التي عوَّل جمهور المسلمين على العمل بها؛ من صدر الإسلام إلى يومنا هذا، بحيث يُغنيك في مدَّة وجيزة عن مطالعة الأسفار الضخمة في كل مذهب للوقوف على ذلك.

وفي أواخر القرن الماضي وضَعَت الدَّولةُ العثمانية كتابَ «مجلة الأحكام العدليَّة» في المعاملات، وأخذَ واضعوها بأقوال لم يذهب إليها الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه، بل هي مما ذهب إليه أصحابه، وكانت تُعَدُّ ضعيفة في المذهب، غير

(١) المكتبة الحلبية، لصاحبها محمد صبحي اللبابيدي، الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م، أما الطبعة الأولى فقد صدرت سنة ١٣٤٨ ولم أقف عليها.

أن اللجنة رأت أنَّ المصلحة اليوم بالأخذ بتلك الأقوال؛ فأخذت بها، وصدر الأمر السلطاني للبلاد العثمانية كافة بالعمل بها، وهكذا كان.

غير أن المجلة جاءت ضيِّقة؛ لا تَفِي بحاجات الناس والحوادث الواقعة، فلم يَستَغْنِ بها القضاةُ والحكام عن التطلُّع إلى ما وراء ذلك، والرجوع إلى الكتب الفقهيَّة التي بُسطت فيها الحوادث والنُّصوص، وما أعجزَ الكثيرَ من هؤلاء عن الكشف عن النصوص من أماكنها وتفهُّمِهَا؛ لعدم معاناتهم لها، واكتفائهم من علم الفقه، وهو ذلك العلم الواسع، والبحر المتلاطم الأمواج، بما يقرؤونه في مكاتب الحقوق، وهم لا يقرؤون إلا ثمَّة النَّزْر اليسير، ويكتفون بما حوته المجلة، وقلَّ منهم من يعكف بعد ذلك على الكتب الفقهية لتوسيع علمه، والوقوف على دقائق هذا الفنّ؛ الذي لا يُدرِك ساحلَه ثاقبُ الذِّهن إلا بعد العناء، وصرف الوقت الطويل.

فلم تزل الحاجة ماسَّة إلى وضع كتاب واسع في الفقه، شامل لجميع أبوابه، وانتشرت من أوائل هذا القرن فكرة التوسُّع في الأخذ من المذاهب الأربعة، وعدم الاقتصار على مذهب واحد، وأن يُبنى ذلك الكتاب على الأقوى من الأدلة، وعلى ما فيه المصلحة العامة للنَّاس.

وأنا على هذا الرأي، على أن يُؤلَّف لهذه الغاية لَجنةٌ من الاختصاصيين في العلوم الفقهية؛ من أهل هذه المذاهب، يقومون بهذا العمل، وحِلية هؤلاء الإخلاص، وشعارهم التقوى، وهم بعيدون عن هوى يُتَّبع، وشهوات نفسية يُسعى وراء الوصول إليها، ومقاصد يبتغى الحصول عليها.

فإذا حصل هذا كذلك؛ تظلُّ الأُمَّة الإسلامية متمسِّكة بشريعتها، ويعود ذلك بالفوائد الجُلَّى عليها، ويكون لها من أعظم الوسائل لجمع كلمتها المتفرِّقة، ولَـمّ شعثها، واستعادة مجدها، وما كان لها من حول وقوة.

ومما لا ريب فيه عند كل عاقل مُنْصِفٍ أنَّ الأخذ من المذاهب الأربعة - بل ومن غيرها من الأقوال التي ذكرها الفقهاء والمحدِّثون في كتبهم لغير أهل هذه المذاهب المشهورة؛ كمذهب الأوزاعي، والسُّفيانَين، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرِهم - هو أَوْلى من الأخذ بهذه القوانين الوضعيَّة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي حذَّرنا الله تعالى في كتابه المبين من الحُكم بها، ونَعَتَ فاعلي ذلك بأشد النُّعوت، على أن يكون ذلك على مقتضى الخطَّة التي رسمناها، والطريقة التي بيَّنَّاها.

وكتاب «الإفصاح» هذا تجد فيه تلك الجمعية مَورِداً صافياً، ومَعيناً غزيراً، تستقي منه عذباً زُلالاً، ويكون لها على مقاصدها خير مُعين، فرأيت أنَّ نشرَ هذا السِّفر الجليل؛ من الأمور المتحتِّمة، إلا أنَّ تلك النسخة سقيمة الخطّ، جمعت إلى ذلك أغلاطاً جمَّة، وتحريفاً كثيراً، فلم يكن في الإمكان حينئذ تحقيق تلك الأمنية، وإبرازها لعالم الوجود، والأمور مرهونة بأوقاتها.

(بقية النسخ التي استحصلت عليها ووصفها)

ولعلَّ حُسنَ النيَّة، وصحَّةَ العزيمة؛ يهيِّئان أسباب الوصول إلى الرغائب، وَيُسهِّلان الحصول على المقاصد، ففي سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م) أرسل لي الأديب الفاضل يوسف إليان سركيس الكتبي في مصر - (مؤلف كتاب معجم المطبوعات العربية والمُعرَّبة) - فهرسَ ما في مكتبتِه من الكتب لهذه السنة، فوجدت في آخره ذِكر ما نقله من المخطوطات العربية النادرة بالمصوَّر الشمسي، وفي جملة ذلك هذا الكتاب.

فتفضَّل بإرسال نسخة منه، وهو في **٢٥٥** ورقة صغيرة الحجم، في الورقة صحيفتان، الصحيفة في **١٧** سطراً، ويغلب على الظن أنها مأخوذة عن نسخة في خزانة الوجيه المِفضال أحمد تيمور باشا لما سيأتيك.

وعلى الورقة الأولى ما نصُّه: كُتِبَ برسم الخزانة العالية المَوْلَوِيَّة الملوكية الخدومية السيفية، ثم المؤيدي أمير سلاح دار (؟)...

وعلى الورقة الأخيرة تاريخ كتابة النسخة، واسم كاتبها، وقد أَثْبَتُّ ذلك في آخر صفحة من الطبع، وهي حسنة الخط، مضبوطة بالشكل، وأقلّ تحريفاً ونقصاً من السابقة، والسابقة محرَّرة بخط عبد الله بن بكر الكاري الحنفي القادري ثم القندهاري، ولم يذكر تاريخ كتابته لها؛ غير أن ظاهر حالتها يدل على أنها كُتِبَت في القرن الثاني عشر، والنسختان ليس فيهما بعد البسملة سوى الحمدلة والتَّصلية في سطر واحد، ثم الشروع في المقصود.

فشرعتُ عندئذ بالطبع على هاتين النُّسختين، وبعد أن طُبِعَ منه بعض الملازم، عثرتُ على نسخة ثالثة في مكتبة التكية المولوية في حلب، وهي قديمة الخطّ؛ يرجع عهد كتابتها إلى القرن السابع أو الثامن، إلا أربع أوراق في آخره؛ فإنها حديثة الكتابة، وهي بخط حمزة بن صالح بن عمر الخزرجيّ الشافعيّ مولداً، المقدسيّ منشأ، ولم يَذكر تاريخ كتابته لهذه الأوراق التي تَمَّ بها الكتاب، ولعلَّ هذا الكاتب من أهل القرن العاشر على ما ظهر لنا، ولكن هذه النّسخة ناقصة من أولها نحو ثلث الكتاب، ماعدا ورقتين؛ فإنها أول الكتاب، وفي الصفحة الأولى منها كلام للمصنِّف على حديث: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين»[1]، فكانت استفادتي من هذه النُّسخة في الطبع من الصحيفة العاشرة بعد المئة من المطبوع إلى آخر الكتاب.

ولما وصلتُ في الطبع إلى الملزمة التاسعة؛ أرسلَ لي الفاضلُ المحدِّثُ الشيخ محمد نور الدِّين الإستانبولي، نزيل دمشق، نسخةً من هذا الكتاب، وكان قد بلَغَه شروعي في طبعه؛ فجزاه الله أحسن الجزاء، وهي حسنة الخطّ أيضاً، تُماثل النسخة المصريَّة في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الكسوف (١٠٣٧)، عن معاوية.

الضَّبط، وقِلَّةِ التَّحريف، والنقص، كُتب في أولها ما نصُّهُ: (تَمَّ نسخُه في تاسع وعشرين جمادى الأولى من شهور سنة عشرين بعد الألف)، وعليه خط العلَّامة إبراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن البتروني الحلبي؛ المتوفَّى سنة **١٠٥٣**هـ، وهو أحد رجال تاريخنا «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، (ج٦: ص**٢٧٤**)، وذكر أنه تملَّكها سنة سبع وعشرين وألف، أي: بعد استنساخها بسبع سنوات، فتكون هذه النسخة ممَّا ابتيع من خزائن حلب، وعليها أيضاً خط محمد بن محمد بن جانبك المالكي القاضي بدمشق، وهي في **٢١٦**ورقة، إلا أنها من الورقة **١٤٥** مكتوبة بخط كاتب آخر، يظهر أنَّها تُمِّمَت في القرن الثاني، أو أوائل القرن الثالث عشر.

ولما وصلْتُ إلى الملزمة الحادية عشرة؛ عثرتُ ـ في المكتبة الصِّدِّيقية في حلب؛ التي وقفها الشيخ أحمد الصِّدِّيق، المتوفَّى سنة **١٣٤٣**، على الجامع الأحمدي في محلَّة الدَّلَّالين خارج بانقوسا، وهو أيضاً أحد رجال تاريخنا (ج٧: ص**٦٨٥**) ـ على نسخة خامسة بقطع كامل محرَّرَةٍ سنة اثنين وسبعين وتسع مئة؛ بخط علي بن عبد الله الرومي، من مدينة قسطنطينية، قال في آخرها: حصل الفراغ من نَسْخِها ببندر حرقيفو؛ التي هي من بنادر ديار الحبشة، وذلك في دولة مولانا الباشا عثمان بن الباشا أزدمر رحمه الله، وهي في **١٥٢**ورقة، وفيها تحريف كثيرٌ أيضاً، ونقص لبعض الجمل.

وبالجملة فإنَّ النُّسَخَ الخمس فيها تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، فترى في هذه ما لا تراه في تلك، فلا تَسَلْ عمَّا عانيتُه في التصحيح، ومقابلة تلك النُّسَخ حتى استخلصتُ منها هذا المطبوع، ويظهرُ أن المؤلِّف بعد أن انتشر الكتاب زادَ في بعض الأماكن ونقص، فاختلَفَت لأجلِ ذلك نسخ هذا الكتاب هذا الاختلاف[1].

(١) وقد ابتاع الناشر الأول بعد الطبعة الأولى نسخة مخطوطة من دمشق، سنة ١١١٨، كُتِبَ في آخرها: (بلغ مقابلته حسب الطاقة)، تفضَّل بإعارتها لنا لنرجعَ إليها إذا اقتضى الحال، ونحن نشكرُ الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ على ذلك جزيل الشكر (محمد الدباس).

(ما علمتُه ووقفتُ عليه مِن نَسْخِ هذا الكتاب أيضاً)

قال سعادة أحمد تيمور باشا في مقالة «نوادر المخطوطات»: «(الإفصاح) في اختلاف المذاهب الأربعة للوزير ابن هُبيرة، كتابٌ جليل، منه نسختان في خزانتنا».

ورأيت في رحلتي إلى دمشق في العام الماضي (سنة **١٣٤٧**) نسختين منه في المكتبة الظاهرية:

الواحدة: في **١٩** كرّاساً، بقطع كبير، وخطٍّ حسن، ومعها كتاب فتاوى الإمام النووي، وهي محرَّرةٌ سنة **٧٧٤**.

والثانية: بقطع وسط، محرَّرة سنة ١٠٠٦، وهذه في أوَّلها صحيفة تكلَّم فيها على حديث: (مَن يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين)، وهو عين ما أثبت في النسخة المولويّة، فنقلتُه لمقابلته.

ورأيتُ في رحلتي ـ في ذي الحجة من هذه السنة إلى اللاذقية ـ نسخةً في مكتبة مفتيها العالم الفاضل الشيخ مصطفى المحمودي، وهي حديثة عهد بالكتابة، محرّرة سنة (١١٤٧)، وفي مكتبة خليل أفندي المرتيني، والد نبيه بيك، والي حلب الآن، الجزء الثاني منه، أوله باب الإجارة، محرّر سنة ٨٧٨.

ما قاله صاحب كشف الظنون عن هذا الكتاب:

قال: (الإفصاح عن شرح معاني الصحاح)، أي: الأحاديث الصحاح لأبي المظفَّر يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير، المتوفَّى سنة **٥٦٠**، شرح فيه أحاديث الصحيحين، ثم لخَّصَه أبو علي الحسن بن الخطير النعماني الفارسي، المتوفَّى سنة **٥٩٨**هـ.

وقال في الكلام عن كتاب «الجامع بين الصحيحين» للإمام الحافظ أبي عبد الله

محمد بن أبي النَّصر الحميدي الأندلسي، المتوفَّى سنة ٤٨٨: وله شروح منها: شرح عون الدِّين أبي المظفَّر يحيى بن محمد...، كشف عما فيه من الحِكَم النبويَّة، قال ابن شهبة في «تاريخه»: وسمَّاه «الإيضاح عن معاني الصحاح» في عدَّة مجلدات، ولما بلغ فيه إلى حديث: (مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً...) شَرَح الحديث، وتكلَّم على معنى الفقه، فآل به الكلام إلى ذكر مسائل الفقه المتَّفق عليها والمختلف فيها، فأفردَه النَّاسُ من الكتاب، وجعلوه مجلَّداً، وسمَّوه بكتاب «الإفصاح»، وهو قطعة منه. انتهى. وسيأتيك ذلك في ترجمة المؤلِّف.

(مَنْ ترجم المؤلف)

للمؤلِّف ترجمة مُوجزَة في «الدّرّ المنضَّد في رجال الإمام أحمد»[١]، وهو مختصر في طبقات الحنابلة، للعلَّامة عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي الحنبلي، المتوفَّى سنة (٩٢٧هـ)، اختصـره من طبقاته الكبرى المُسَمَّاة بـ: «المنهج الأحمد في رجال الإمام أحمد»[١]، وله ترجمة واسعة في طبقاته هذه.

وهذه الترجمة على سَعَتها مختصرة من كتاب «الذَّيل على طبقات الحنابلة» لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، وهو ـ كما قال صاحب «الكشف» ـ: ذيْلٌ على «طبقات الحنابلة» للقاضي أبي يعلى ابن الفرّاء، المتوفَّى سنة ٥١٦هـ.

وطبقات أبي الفرج ابن رجب موجودٌ في المكتبة الظاهرية، وقد تفضَّل الأديب الفاضل حسام الدين القدسي، ناشر «ذيول تذكرة الحفاظ» للذَّهبيّ، وكتاب «تبيين كَذب المفتري على أبي الحسن الأشعري»، وغير ذلك من الكتب المفيدة باستنساخ ترجمة المؤلِّف منها.

وأرسل لي أيضاً الأديبُ الفاضل يوسف إليان سركيس الكتبي في مصر؛ ترجمةَ المؤلف، آخذاً لها بالمصوّر الشمسي من كتاب «المنهج الأحمد» المتقدِّم الذكر، وقد قدَّمنا أنها بعينها مأخوذة من «طبقات الحنابلة» لأبي الفرج، مع اختصار بعض الأماكن، فقابلتُ تلك على هذه، وصَحَّحتُ ما فيها من التحريف والنقص، وإني لهذَين الأديبَيْن من الشَّاكرين على حُسن صنيعهما وجميل معروفهما.

وإني أذكر لك ترجمته هذه، وأتبعها بما عثرتُ عليه من أحواله وشعره، وإن شئتَ ـ بعد ذلك ـ أن تزداد بأحوال هذا الوزير الخطير؛ فارجع إلى «تاريخ ابن خلِّكان»، فإنَّ له فيه ترجمة حافلة، وفيها زيادات كثيرة هامّة، وأختم ذلك بكلامٍ عن حديث: (مَن

---

(١) هو من مخطوطات المكتبة الأحمدية في حلب، ولم يذكر في هذه النسخة اسم المؤلِّف، وقد جاء في خطبته أنه رتّبه بعد فراغه من عمل «الطبقات الكبرى» الموسومة بـ«المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد».
«والمنهج الأحمد» تكلَّم عليه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق، في مجلة «المقتبس» في الجزء السادس، في صحيفة (٨٥)، وقال: إنه لعبد الرحمن بن محمد العمري، وإن الكتاب في خزانة الأستاذ الفاضل السيد محمد المبارك. فتبيَّن لنا حينئذ أن «الدّرّ المنضّد» هو لعبد الرحمن المذكور.
وآخر ترجمة في المختصر ترجمة بدر الدين أبي المعالي بن ناصر الدين أبي عبد الله، قاضي الديار المصرية، وهو شيخ المؤلف، وقال: إنه توفي سنة ٩٠٢هـ، ودفن بتربة خارج باب النصر.
وذكر الأديب عيسى إسكندر المعلوف (في الجزء ١٢ من المجلد الثاني المجمع العلمي ص٣٥٣): أنه وقف على قطعة صالحة من «طبقات الحنابلة» في مكتبة الشيخ سعيد الكرمي؛ أحد أعضاء المجمع العلمي، وهو بخطّ قديم، خرمت من أولها وآخرها، تقع في ٢٦٨ صحيفة بقطع كامل من النصف العادي، وقال: ومما بقي من التراجم فيها سيرة ١٦٧ عالماً، وأنَّ المؤلِّف توسَّع في تراجم العظماء منهم، وأفاض في أوصافهم وأعمالهم بكل استقراء وتَقَصٍّ، وممَّن =

= أطال في سيرته يحيى بن محمد بن هبيرة العالم العادل، صدر الوزراء، الذي وصفه بالعلم الواسع، والرئاسة التامة، فجاءت ترجمتُه في نحو ٤٠ صفحة (الطباخ).

(١) ٣: ١٧٧-٢١٣. ومختصره: «الدر المنضد» ١: ٢٦٨.

يُرِدِ اللهُ به خيراً يفقهه في الدِّين) المثبت في النسختين المولويَّة والظاهريَّة، حتى إذا أُعيد طبع هذا الكتاب ثَبَتُّ تلك الصحيفة في أوله، وبالله التوفيق.

الناشر
محمد راغب الطباخ

❊ ❊ ❊

(ترجمة المؤلف)

٤٩٩-٥٦٠

يحيى بن محمد بن هُبَيْرة بن سعد بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن الجَهْم بن عَمْرو بن هُبَيرة بن عُلوان بن الحَوفَزان، وهو الحارث بن شَريك بن عَمْرو بن قَيْس بن شَرَحْبيل بن مرّة بن همَّام بن مرَّة بن ذُهْل بن شيبانَ بن ثعلبة بن عكانة[(١)]، الشَّيْبانيّ الدُّوريّ[(٢)]، ثم البغداديّ، الوزيرُ، العالمُ، العادلُ، صَدْر الوزراء، عَوْن الدِّين أبو المظفر.

وُلِدَ في ربيع الآخر، سَنَةَ تسع وتسعين وأربع مئة بـ«الدور»[(٣)]؛ قرية من أعمال «الدُّجَيل»، ودخل بغدادَ شاباً، وقرأ القرآن بالروايات على جماعةٍ، وسمع

(١) هكذا في الأصل، والصواب: عُكَّابة، كما في «الذيل على طبقات الحنابلة» ٢: ١١١.
(٢) أقول: ساق ابن خلِّكان بقية نسبه إلى معدّ بن عدنان (الطباخ).
(٣) الذي في ابن خلّكان: أنه من قرية بني أَوْقَر من أعمال دُجَيْل، وهي «دور عرمانيا»، وتُعرف الآن بـ«دور الوزير» نسبة إليه، وكان والده من أجنادها، وفي «معجم البلدان» في الكلام عن دور (ج٤ ص٩٨): وفي «عمل الدجيل» قرية تُعرف بـ«دور بني أوقر» وهي المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة، وفيها جامع ومنبر، وبنو أَوْقَر كانوا مشايخها وأرباب الثروة فيها، وبنى الوزير بها جامعاً ومنارة، وآثار الوزير حسنة، وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ. اهـ. (الطباخ).

الحديثَ الكثيرَ من جماعة، منهم القاضي أبو الحسين بن الفرَّاء، وأبو الحسين[(١)] بنُ الزَّاغوني، وعبد الوهاب الأنماطي، وأبو غالب بن البنَّا، وأبو عثمان بن مَلّة، وابن الحُصَين، وغيرهم.

وقرأ الفقه على أبي بكر الدِّينَوَري ـ فيما ذكره ابن القَطيعي ـ وقيل: إنه قرأ على أبي الحسين ابن الفَرَّاء، وقرأ الأدب على أبي منصور بن الجواليقي.

وَصَحِبَ أبا عبد الله محمد بن يحيى الزَّبيديَّ[(٢)]، الواعظَ، الزَّاهدَ، مِن حَداثته، وكمَّل عليه فنوناً من العلوم الأدبية وغيرها، وأخذ عنه التَّألُّه والعبادة، وانتفعَ بصُحبته، حتى إنَّ الزَّبيديَّ كان يركَبُ جملاً، ويَعتمُّ بفُوطَةٍ، ويلويها[(٣)] تحت حَنَكِهِ، وعليه جُبَّة صوف، وهو مَخْضُوبٌ بالحِنَّاء، فيطوفُ بأسواق بغداد، ويعظُ الناس، وزمام جمله بيد أبي المظَفَّر ابن هُبَيرَة، وهو أيضاً مُعتمٌّ بفُوطَةٍ من القطن، قد لواها تحت حنكِهِ، وعليه قميصُ قطن خامّ، قصير الكمِّ والذَّيْل، وكلَّما وصل الزَّبيدي موضعاً أشار أبو المظفَّر بمسبحته، ونادى برفيع صوته: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلِّ شيء قدير).

ذكر ذلك أبو بكر التَّيْمِيّ ابن المَرَستانية[(٤)]؛ في الكتاب الذي جمعه في مناقب الوزير وفضائله.

(١) في المطبوع من «الذيل» بتحقيق العثيمين: أبو الحسن.
(٢) ذكره ابن خلِّكان في آخر ترجمة المترجم (الطباخ)، (ت ٥٥٥هـ)، وأخباره في «معجم البلدان» ٩: ١٠٦، و«سير أعلام النبلاء» ٢٠: ٣١٦.
(٣) في الذيل: ويليها.
(٤) عبيد الله بن علي بن نصر بن حُمُرَّة المعروف بـ«ابن المارستانية» (ت ٥٩٩هـ)، ترجم له ابن رجب في «الذيل».

وقال ابن الجوزي: كانت له معرفةٌ حَسَنةٌ بالنّحو واللغة والعَروض، وصنَّف في تلك العلوم، وكان متشدِّداً في اتِّباع السنَّة، وسيرة السلف.

قلتُ: صنَّف الوزير أبو المظفّر كتاب «الإفصاح عن مَعَاني الصحاح» في عدَّة مجلدات، وهو شرح صحيحي البخاريّ ومسلم[1]، ولمَّا بلغ فيه إلى حديث: «مَن يردِ اللهُ به خيراً يفقهه في الدين»، شَرَح الحديث وتكلَّم على معنى الفقه، وآلَ به الكلام إلى أنْ ذَكَر مسائل الفقه المتَّفق عليها، والمختَلَف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين، وقد أفرَدَهُ الناس من الكِتَاب، وجعلوه مجلَّدةً مفردة، ووَسَمُوه بكتاب «الإفصاح»، وهو قطعة منه.

وهذا الكتاب صنَّفه في ولايته الوزارةَ، واعتنى به، وجمع عليه أئمَّةَ المذاهب، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله؛ بحيث أنه أنْفَقَ على ذلك مئةَ ألف دينار، وثلاثة عشر ألف دينار، وحدَّث به، واجتمع الخلقُ العظيم لسماعِهِ عليه، وكتب به نسخةً لخزانة المستنجد[2]، وبعَثَ ملوكُ الأطراف وَوُزَراؤها وعلماؤها، فاستنسخوا لهم به نسخاً، ونقلوها إليهم، حتى السلطان نور الدِّين الشهيد[3]، واشتغَلَ به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم، يُدرِّسون منه في المدارس والمساجد، ويعيدُه المعيدون، ويحفظ منه الفقهاء.

(١) الصحيح أنه شرح كتاب «الجمع بين الصحيحين» لمحمد بن أبي نصر فتُّح بن عبد الله الحُميدي (ت ٤٨٨هـ) كما صرَّح المؤلف بذلك في مقدمته، وكان الحُميدي قد رتّب كتابه هذا على أسماء الرجال، فبدأ بالخلفاء الراشدين، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) هو يوسف بن محمد بن أحمد بُويع بالخلافة سنة ٥٥٥هـ، وتوفي سنة ٥٦٦هـ. تنظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٢٠: ٤١٢.

(٣) هو محمود بن زنكي الملقب بالملك العادل، نور الدين الشهيد، ولد في حلب، وصار أميرها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١هـ، توفي سنة ٥٦٩هـ.

وصنَّف في النحو كتاباً أسماه «المُقْتَصِد»[1]، وعَرَضه على أئمة الأدب في عصره، وأشار إلى ابن الخشَّاب بالكلام عليه، فشرحه في أربع مجلدات[2]، وبالغ في الثناء عليه.

واختصر كتاب «إصلاح المنطق» لابن السِّكِّيت، وكان ابن الخشَّاب يستحسنه ويعظِّمه.

وصنَّف كتاب «العبادات الخمس» على مذهب الإمام أحمد، وحدَّث به بحضرة العلماء من أئمة المذاهب، وله «أرجوزة في المقصور والممدود»، و«أرجوزة في علم الخطّ».

وقد صنَّف ابن الجوزي كتاب «المقتبس من الفوائد العونيَّة»، وذكر فيه الفوائد التي سمعها من الوزير عَوْن الدِّين، وأشار فيه إلى مقاماته في العلوم، وانتقى من زُبَد كلامه في «الإفصاح» على الحديث كتاباً سماه «مَحْضَ المَحْض».

وكان ابنُ هُبَيرَة ـ رحمه الله ـ في أول أمره فقيراً[3]، فاحتاج إلى أن يدخل في الخدمة السلطانية، فَوُلِّي أعمالاً، ثم جعله المقتفي لأمر الله مُشرِفاً في المخزن، ثم نُقل إلى كتابة ديوان الزِّمام[4]، ثم ظهر للمقتفي[5] كفايتُه وشهامتُه، وأمانتُه ونصحُهُ، وقيامُه

(١) بكسر الصاد المهملة ويعرف بـ«مقدمة ابن هبيرة» كما في «وفيات الأعيان».

(٢) يعرف هذا الشرح بـ«العوني» نسبةً إلى لقب الوزير «عون الدين».

(٣) ينظر: «وفيات الأعيان» ٦: ٢٣٩، و«إنباء الأمراء بأنباء الوزراء» ص٥٦ لابن طولون.

(٤) ديوان الزِّمام: هو الديوان المسؤول عن النواحي المالية المدنية والعسكرية، والمشرف على الأجهزة الإدارية في الدولة، وفيه تحفظ السجلات والوثائق العامة لهذه الأجهزة، وقد شهد هذا الديوان ابن هُبيرة قائماً عليه، ثم شهده وزيراً يلقي فيه محاضرات علمية زاهية. من كتاب: «الوزير ابن هبيرة الدوري وخواطره في القرآن» للأخ عبد الحكيم الأنيس، ص ١٣.

(٥) تولى الخلافة من (٥٣٠هـ-٥٥٥هـ).

في مهامِّ الـمُلْك، فاستدعاه المقتفي سنة أربع وأربعين وخمس مئة إلى داره، وقلَّده الوزارة[1]، وخلع عليه، وخرج في أُبَّهَةٍ عظيمة، ومَشَى أربابُ الدولة وأصحابُ المناصب كلُّهم بين يديه، وهو راكبٌ إلى الإيوانِ في الدِّيوان، وحَضَرَ الشعراء والقُرّاء، وكان يوماً مشهوداً، وقرئ عهده[2]، وكان تقليداً عظيمًا، بويع فيه بالوزير العالم العادل، عون الدين، جلال الإسلام، صفي الإمام، شرف الأنام، معز الدولة، مجير الملة، عماد الأمة، مصطفى الخلافة، تاج الملوك والسلاطين، صدر الشرق والغرب، ظهير أمير المؤمنين.

وكان الوزير قبل وزارته يلقَّب جلال الدين، وقال يومًا: لا تقولوا في ألقابي: سيد الوزراء، فإنَّ الله تعالى سمَّى هارون وزيرًا، وجاء عن النبي ﷺ: أن وزيريه من أهل السماء: جبريل وميكائيل، ومن أهل الأرض: أبو بكر وعمر[3].

وجاء عنه أنه قال: «إنَّ الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعلهم وزراء وأنصاراً»[4]، ولا يصلح أن يقال عني: أني سيِّد هؤلاء السَّادة.

قال صاحب سيرته: ركب الوزير إلى داره مجاورة الديوان، وبين يديه جميع من حضر من أرباب الدولة وأصحاب المناصب والأمراء والحُجّاب والصدور والأعيان، وقد أخذ قوس الخلافة باريها، واستقرَّت الوزارة في كفوها وكافيها، فقام فيها قيام من عدله الزمان بثقافه، وزيَّنه الكمال بأوصافه، ودبرها بجوده ونُهاه،

(١) سبب تولِّيه الوزارة في «وفيات الأعيان» بروايات مختلفة، تراجع هناك.
(٢) أي: مرسوم التعيين.
(٣) رواه الترمذي في المناقب (٣٦٨٠) وقال: حسن غريب، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٦)، والحاكم في «معرفة الصحابة» (٣: ٦٣٢) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٣٩١): وفيه من لا أعرفه، عن عويم بن ساعدة.

وأورد الآمل فيها مُناه، ومدَّ الدين رواقه، وأمن بدره به محاقه، فأقام سوق الخلافة على ساقها، وابتدع في انتظام مسالكها واتِّساقها، وأوضح رسمها، وأثبت في حين أوانه وسمها، وتتبَّع ما أفسدته العين منها بالإصلاح، واستدرك بها ما أمرضته يد الاجتياح، وداوى كل حال بدوائه، وردَّ غائر الماء إلى لحائه، وأقام الصلاة جماعة، وفرض العدل سمعاً لله وطاعة، ودعا لأهل الفضل والمعارف، وآواهم من برِّه إلى ظلٍّ وارف، حتى صارت دولته مَشْـرعاً للكرم، ومُسترجىً لآمال الأمم، يرتضع فيه للمكارم أخلاف، وتدار بها الأماني سلاف، ونفقت فيها أقدار الأعلام، وتدفقت فيها بحار الكلام، ولاحت بها من العلماء شموس، وارتاحت فيها للطلبة بالعلوم نفوس، ولن تخل أيامه ومجالسه من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرات ومحاضرة، إلا أوقات عطلها من ذلك النظام، وأوقعها إما على صلاة أو صيام أو على تصنيف وجمعٍ وتأليف، بحيث صنَّف عدة كتب منها كتاب «الإفصاح عن شرح معاني الصحاح» وهذا الكتاب يشتمل على تسعة عشر كتاباً.

ولـمَّا وَلِيَ الوزير أبو المظفَّر ـ رحمه الله ـ الوزارةَ، بالَغَ في تقريب خيار الناس؛ من الفقهاء والمحدِّثين والصَّالحين، واجتهدَ في إكرامهم، وإيصال النَّفع إليهم، وارتفعَ به أهلُ السنَّة غاية الارتفاع.

ولقد قال مرَّة في وزارته: والله لقد كنتُ أسألُ اللهَ تعالى الدُّنيا لأخدِمَ بما يَرْزُقُنيه الله منها العلمَ وأهلَه.

وكان سبب هذا: أنَّه ذكر مرَّة في مجلسه مفردةً للإمام أحمد، تفرَّد بها عن الثلاثة، فادَّعى أبو محمد الأشيري المالكي[1]: أنّها روايةٌ عن مالك، ولم يوافقه على ذلك أحدٌ،

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي الصنهاجي الأشيري، منسوب إلى أشير بليدة في آخر إقليم إفريقية. تنظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٢٠: ٤٦٦.

وأحضر الوزيرُ كُتُبَ مفردات أحمد، وهي منها ـ والمالكي مقيمٌ على دعواه ـ، فقال له الوزير: بهيمةٌ أنت؟ أما تسمع هؤلاء الأئمة يَشهدون بانفراد أحمد بها، والكتبُ المصنَّفةُ، وأنت تنازع؟ وتفرَّق المجلس، فلما كان المجلس الثاني؛ واجتمع الخلق للسماع؛ أخذ ابنُ شافع في القراءة؛ فمنعه، وقال: قد كان الفقيه أبو محمَّد جرى في مسألة أمسِ على ما لا يليق به من العدول عن الأدب والانحراف عن نهج النَّظر، حتى قلتُ تلك الكلمة، وها أنا فلْيَـقُل لي كما قلتُ له؛ فلستُ بخيرٍ منكم، ولا أنا إلا كأحدكم، فضجَّ المجلسُ بالبكاء، وارتفعتِ الأصواتُ بالدُّعاء والثناء، وأخذ الأشيريُّ يعتذرُ، ويقول: أنا المذنبُ، والأولى بالاعتذار من مَوْلانا الوزير، وهو يقول: القصاصَ القصاصَ.

فقال يوسف الدمشقي[1] مدرّس النظاميَّة: يا مولانا، إذا أبى القصاص فالفدَاء، فقال الوزير: لهُ حكمه، فقال الأشيريُّ: نِعَمُك عليّ كثيرة، فأيُّ حكم بقي لي؟ فقال: قد جَعَل الله لك الحكم علينا بما ألجأتنا به إلى الافْتيات عليك، فقال: عليّ بقية دَيْن منذ كنتُ بالشام، فقال الوزير: يُعطى مئةَ دينار لإبراء ذمَّتِهِ وذمَّتي، فأُحضـر له مئة دينار، فقال له الوزير: عَفا الله عنك وعني، وغفرَ لك ولي.

وذكر ابن الجوزي أنه قال: يُعطى مئة دينار لإبراء ذمّته، ومئة دينار لإبراء ذمّتي، وكان هذا الأشيري من علماء المالكية، طلبه الوزير من نور الدِّين محمود بن زِنْكي، فأرسل به إليه، فأكرمه غايةَ الإكرام.

وقال ابن الجوزي: وكان الوزير إذا استفاد شيئاً قال: أَفَادَنيه فلان، حتى أنه عرض له يوماً حديث، وهو: «مَن فاته حزبٌ من الليل؛ فصلَّاهُ قبل الزوال كان كأنَّه

(١) هو يوسف بن عبد الله بن بندار، أبو المحاسن الدمشقي (ت ٥٦٣هـ). تنظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٢٠: ٥١٣.

صلَّى بالليل»[1]، فقال: ما أدري معنى هذا؟ فقلتُ له: هذا ظاهرٌ في اللغة والفقه: أما اللغة: فإنَّ العرب تقول: كيف كنتَ الليلة؟ إلى وقت الزوال، وأما الفقه: فإنَّ أبا حنيفة يُصحِّح الصوم بنيّةٍ قبل الزوال، فقد جعل ذلك الوقت في حكم الليل، فأعجبَه هذا القول.

وكان يقول بين الجمع الكثير: ما كنت أدري معنى هذا الحديث حتى عَرَّفَنيه ابنُ الجوزي، فكنتُ أستحيي من الجماعة، قال: وجعل لي مجلساً في داره، كلَّ جمعة يُطلقه ويطلقُ للعوامّ الحضور.

وكان بعض الفقراء يقرأُ القرآن في داره كثيراً، فأعجبه، فقال لزوجته: أريد أن أُزوِّجَه ابنتي، فغضبت الأمُّ من ذلك.

وكان يقرأ الحديث عنده كلَّ يوم بعد العصر، وكان يكثِرُ مجالسةَ العلماءِ والفقراء، وكانت أموالُه مبذولةً لهم ولتدبير الدولة، فكانت السَّنَةُ تدور عليه وعليه ديون، وقال: ما وجبت عليّ زكاةٌ قطّ، قلت: وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

يقولــون: يحيـى لا زكاةَ لمـالِــهِ وكيف يُزكِّـي المالَ مَن هو باذلُهُ؟!
إذا دار حَـوْلٌ لا يُـرى في بيوتِـهِ منَ المــال إلا ذِكــرُهُ وفَضـــائلُهْ

وقال ابن الجوزي: وكان يتحدَّث بنِعَمِ الله تعالى عليه، ويذكُرُ في مَنْصِبه شدَّة فقرِهِ القديم، فيقول: نزلتُ يوماً إلى دجْلَةَ وليس معيَ رغيف أعبرُ به، ثم ذكر طَرَفاً من حِلْمِهِ وصَفْحِهِ وعَفْوِه، فقال: لما جلس في الديوان أوّلَ وزارته؛ أحضرَ رجلاً من

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي معناه ما رواه مسلم (٧٤٧) بلفظ: «من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل» عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

غلمان الديوان، فقال: دخلتُ يوماً إلى هذا الديوان، فقعدتُ في مكان، فجاء هذا فقال: قُمْ فليس هذا موضعُك، فأقامَني، فأكرَمَه وأعطاه.

ودخل عليه يوماً تركيٌّ، فقال لحاجبه: أما قلتُ لك أعطِه هذا عِشْرين ديناراً ووقراً من طعام، وقل له: لا تحضُر هاهنا؟ فقال: قد أعطَيْناه. فقال: عُدْ وأعطه، وقُل له: لا تحضر، ثم التفت إلى الجماعة، فقال: لا شكَّ أنكم تريبون بسبب هذا؟ فقالوا: نعم، فقال: هذا كان شحنةً[1] في القرى، فقُتِل قتيلٌ قريباً من قريتنا، فأخذ مشايخ القرى وأخذني مع الجماعة، وأمشاني مع الفرس، وبالغ في أذاي وأوثقني، ثم أخذ من كلِّ واحد شيئاً ثم أطلقه، ثم قال لي: أيُّ شيء معك؟ قلتُ: ما معيَ شيء، فانتهرني، وقال: اذْهَب. فإني لا أريد اليوم أذاه، وأُبْغِضُ رؤيته.

وقد ساق مُصنِّف سيرة الوزير هذه الحكايةَ بأتمَّ من هذا السياق، وذكر أنَّ الوزير قال: ما نقمتُ عليه، إلا أني قلت له في الطريق: أمهلني حَسْبَ ما أُصلِّي الفرضَ، فما أجابني، وضربني على رأسي وهو مكشوفٌ عدَّةَ مقارع، فكنتُ أنقمُ عليه حين رأيته لأجل الصلاة، لا لأجل أنه قبض عليّ، فإنه كان مأموراً.

وذكر أنه استخدمه في أصلح معايش الأمراء، واسْتَحلَّه من صياحه عليه: «أخرجوه عني».

قال ابن الجوزي: وكان بعضُ الأعاجم قد شاركه في زراعة، فآلَ الأمر إلى أن ضرب الأعجميُّ الوزيرَ، وبالغ، فلمَّا ولي الوزارة أُتي به فأكرمَه، وَوَهَبَ له وولَّاه اينبيت[2].

---

(١) الشحنة: كبير رجال الأمن.

(٢) هكذا ولم أجده في المعاجم، ولعلها محرّفة اهـ (الطباخ). والصواب: أنبئت، وكان ينبغي أن يأتي بها في أول السطر التالي هكذا: وأنبئت عن أحمد.....

وعن أحمد بن عبد الدائم المقدسي قال: حكى لنا ابنُ الجوزي قال: كنَّا نجلسُ إلى الوزير ابن هُبيرة، فيُملي علينا كتابَه «الإفصاح»، فبينا نحنُ كذلك؛ إذ قَدِمَ رجلٌ ومعه رجلٌ ادَّعى عليه أنه قتل أخاه، فقال له عون الدِّين: أقتلتَهُ؟ قال: نعم، جرى بيني وبينه كلام فقتلتُهُ، فقال الخَصْمُ: سلِّمه إليَّ حتى أقتله، فقد أقرَّ بالقتل، فقال عَوْن الدِّين: أطلقوه ولا تقتلوه، قالوا: كيف ذلك، وقد قتل أخانا؟ قال: فتَبيعونيه، فاشتراه منهم بست مئة دينار، وسلّم الذهب إليهم وذهبوا، فقال للقاتل: اقعد عندنا لا تَبْرَح، قال: فَجَلَس عندهم، وأعطاه الوزير خمسين ديناراً، قال: فقلنا للوزير: لقد أحسنتَ إلى هذا، وعملتَ معه أمراً عظيماً، وبالغتَ في الإحسان إليه، فقال الوزير: أمنكنَّ أحدٌ يعلم أنَّ عينيَ اليمنى لا أُبْصِرُ بها شيئاً؟ فقلنا: مَعَاذَ الله، فقال: بلى والله، أتدرون ما سَبَبُ ذلك؟ قلنا: لا، قال: هذا الذي خلَّصتُهُ من القتل، جاء إليَّ وأنا في «الدُّور»، ومعي كتابٌ من الفقه أقرأ فيه، ومعه سلَّة فاكهة، فقال: احْمِل هذه السلَّة، قلت له: ما هذا شُغْلي، فاطلب غيري، فشاكلني ولكَمني فَقَلع عيني ومضـى، ولم أره بعد ذلك إلى يومي هذا، فذكرتُ ما صنع بي؛ فأردتُّ أن أقابلَ إساءتَه إليَّ بالإحسان مع القدرة.

قال ابن الجوزي: كان الوزير يجتهدُ في اتِّباع الحق، ويُحذِّر من الظلم، ولا يلبسُ الحرير، وكان يُبالغ في تحصيل التَّعظيم للدولة العباسية، قامعاً للمخالفين، بأنواع الحيل، حَسَمَ أمور السلاطين السَّلجوقية.

وذكر صاحبُ سيرته: أنه سمعه يذكر: أنه لـمَّا استطال السلطان مسعود[1] وأصحابُه، وأفسدوا، عَزَم هو والخليفةُ على قتاله، قال: ثم إني فكَّرتُ بعدُ في ذلك، ورأيتُ أنه ليس بصواب مُجاهرتَهُ لقوَّة شوكتِه، فدخلتُ على المقتفي، فقلت: إني رأيت

---

(١) هو مسعود بن محمد بن مَلِكْشاه السلجوقي، ولي السلطنة سنة (٥٢٨هـ)، وتوفي سنة (٥٤٧هـ). ينظر: «وفيات الأعيان» ٥: ٢٠٠.

أن لا وجه في هذا الأمر إلا اللَّجاء إلى الله تعالى، وصدق الاعتماد عليه، فبادر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلا هذا، ثم كتبتُ إليه: أن رسول الله ﷺ قد دَعَا على رِعْل وذكْوان شهراً[1]، وينبغي أن ندعو نحن شهراً، فأجابني بالأمر بذلك.

قال الوزير: ثم لازمتُ الدعاء في كلِّ ليلة وقتَ السَّحَر؛ أجلس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعودٌ لتمام الشهر، لم يَزِد ولم يَنْقُص يوماً، وأجاب اللهُ الدعاء، وأزالَ يد مسعود، وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضَهُم وديارهم، وهذه القصَّة تُذكر في كرامات الخليفة والوزير، رحمهما الله تعالى.

وكاتَبَ الوزيرُ ابنُ هُبيرة السلطانَ نور الدِّين محمود بن زنكي يَسْتَحثُّه على انتزاع مصر من يد العُبَيديين، فسَيَّر إليه أسدَ الدّين شِيْركُوْه[2] مرَّتين، وفي المرة الثالثة خُطِبَ بها للمستنجد، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة تسع وخمسين وخمس مئة، وعمل أبو الفضائل بن تُرْكان[3] حاجبَ الوزير ابن هُبيرة قصيدةً يهنِّئُ بها الوزير بفتح مصر، ويذكر أن ذلك كان بسبب سعيه وبركة رأيه، وتكامل انتزاع مصر من بني عُبيد، وإقامةَ الخطبة لبني العباس بها تسع[4] سنين في خلافة المستضيء، فَعَظُمَتْ حُرْمة الدولة العباسية في وقته، وانتشرت إقامة الدعوة لها في البلاد.

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «أن رعلاً، وذكوان، وعصية، وبني لحيان... فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب، على رعل، وذكوان» رواه البخاري في المغازي (٤٠٩٠)، ومسلم في المساجد (٦٧٧).

(٢) هو شيركوه شاذي بن مروان، وهو عم صلاح الدين الأيوبي، من كبار أمراء نور الدين الشهيد، توفي بالقاهرة، ودفن فيها سنة (٥٦٤هـ)، ثم نقل إلى مدينة الرسول ﷺ بوصية منه. ينظر: «وفيات الأعيان» ٢: ٤٧٩، و«سير أعلام النبلاء» ٢٠: ٥٨٧.

(٣) هو محمد بن الحسين بن تُركان (ت ٥٦١هـ) حاجب الوزير ابن هبيرة. ينظر: «فريدة العصر» ٤: ٢: ٥٠٦، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن الدبيثي ٢: ٢٧٤.

(٤) في «ذيل طبقات الحنابلة»: سبع.

قال ابن الجوزي: وكان المقتفي مُعجَباً به، يقول: ما وَزَرَ لبني العباس مثلَهُ.

قال ابن الجوزي: حدَّثني الوزير قال: لما رجعتُ من «الحِلَّة»[1] ـ وكان قد خرج لدفع بعض البغاة ـ دخلت على المقتفي، فقال لي: ادخل هذا البيت فغيِّر ثيابك، فدخلتُ فإذا خادم وفرَّاش وخِلعة حرير، فقلت: أنا والله ما ألبس هذه، فخرج الخادم فأخبرَ المقتفي، فسمعتُ صوت المُقْتفي وهو يقول: قد ـ والله ـ قلتُ: إنه ما يلبس.

وذكر صاحب سيرته هذه الحكاية مبسوطةً قال: فعاد الخادم وعلى يده دَسْت[2] من ثياب الخليفة، فأفاضه عليَّ، وقال: قد أخبرتُ أمير المؤمنين بامتناعك، فقال: والله لقد حَسِبْتُ هذا، وإنه لا يفعل، قال: فقلتُ حينئذٍ لنفسي: يا يحيى كيف رأيتَ طاعةَ الله تعالى لو كنتَ قد لبستَها؟ كيف كنتَ تكونُ في نفس أمير المؤمنين؟ وكيف كانت تكون منزلتُك عنده؟

قال صاحب سيرته: وكان لا يلبس ثوباً زيد فيه الإِبريسَمُ[3] على القطن، فإنْ شكَّ في ذلك سَلَّ طاقاته، ونظر: هل القطن أكثر أم الإبريسم؟ فإن استويا لم يلبسه.

قال: ولقد ذكر يوماً في بعض مجالسه، فقال له بعض الفقهاء الحنابلة: يا مولانا إذا استويا جاز لُبْسُه في أحد الوجهين عن أصحابنا، فقال: إني لا آخُذُ إلا بالأحوط.

قال: وَذُكر يوماً بين يديه أنه كان للصَّاحب بن عبَّاد[4] دَسْتٌ من ديباج، فقال الوزير: قبيح والله بالصاحب أن يكون له دَسْت من ديباج، فإنه وإن كان مزيِّنه فهو معصيةٌ وهُجْنةٌ.

---

(١) المعروفة بالحلة المزيديّة كما في «معجم البلدان» ٢: ٣٣٨.

(٢) فارسي معرّب دَشْت، وهو الصحراء، وله عدة معان في العربية، منها: اللباس.

(٣) الحرير، فارسي معرب، إبريشُم ـ بضم المعجمة ـ.

(٤) إسماعيل بن عباد الطالقاني، أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ)، لقب بالصَّاحب لصحبته مؤيد الدولة ابن بويه، ثم استوزره بعد ذلك. ينظر: «معجم الأدباء» ٢: ٢٧٣.

قال ابن الجوزي ـ ونقله عنه ابن القطيعي ـ : سمعت ابنَ هُبَيْرَة الوزيرَ يقول: جاءني مكتوبٌ مختوم من المستَنْجد في حياة أبيه المقتفي، فقلتُ للرسول: ارْجِع إليه؛ قل له: إنْ كان فيه ما تكرَهُ أن يَعْلَم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك في فتحه، فإنِّي أُعرِّفه ما فيه، وإن لم تكن تكره اطِّلاعه عليه فافتحه، ثم أَعْطِهِ الرسول، فمضى ولم يَعُدْ، وحصل في نفسه من ذلك شيء، فلما توفي المقتفي؛ وَوَلِي المستنجد أمرَ بحضوره للمبايعة.

قال ابن الجوزي: فقال لي الوزير حين جاءه الرسول: إنْ وَصَلْتُ إلى أمير المؤمنين نلتُ ما أريد، وإن قُتِلْتُ قبل وصولي إليه فما (لي) حيلةٌ، فما كان إلا ساعةَ دخوله حتى عاد فَرِحاً، فقلتُ له: ما الخبر؟ قال: وَصَلْتُ إليه وبايعتُه، ثم قلتُ: يكفي العبدَ في صدقه ونُصحه أنه ما حابى مولانا في أبيه نُصْحاً لأمير المؤمنين، وأشرتُ إلى ردِّ مكتوبه، فقال: صدقتَ أنت الوزير، فقلت: إلى متى؟ قال: إلى الموت. قلت: أحتاجُ والله إلى اليد الشريفة، فأحلفتُه على ما ضمن لي.

قال صاحب سيرته: وأخبرني الخادم مَرْجان بن عبد الله(١) ـ أحدُ خواصِّ خدم الخلافة ـ قال: سمعتُ المستنجدَ بالله أميرَ المؤمنين يُنشد وزيرَه عونَ الدِّين أبا المظفَّر بن هُبَيْرَة؛ وقد مَثُلَ الوزيرُ بين يدي سُدَّته، في أثناء مفاوضةٍ جَرَت بينهما، في كلام يرجعُ إلى تقرير قواعد الدِّين، والنظر في مصالح الإسلام والمسلمين، فأُعجبَ الخليفةُ به، فأنشدَ الخليفةُ يمدحُه بأربعةِ أبياتٍ، الآخرَين منهما لنفسه، والأوَّلَين لابن حَيُّوس(٢)، وهي:

(١) خادم الخليفة، توفي سنة ٥٦٠هـ. تنظر أخباره في «تاريخ الإسلام»، و«البداية والنهاية» ١٢: ٢٥٠.

(٢) محمد بن سلطان بن محمد الغنوي، أبو الفتيان (ت ٤٧٣هـ)، وله ديوان شعر طبع في مجلدين، بعناية خليل مردم بك سنة (١٣٧١م).

صَفَتْ نِعمَتَانِ خصَّتاكَ وعمَّتا ... فَذِكْرُهما حتى القيامةِ يُذكَرُ(١)
وَجُودُك والدنيا إليكَ فقيرةٌ ... وَجُودُكَ والمعروفُ في الناس يُنْكَر(٢)
فلو رامَ يا يحيى مكانَكَ جعفرٌ ... ويحيى لكفَّا عنه يحيى وجَعْفَرُ
ولم أرَ مَنْ ينوي لَكَ السُّوءَ يا أبا الـ ... ـمُظفَّرِ إلا كنت أنت المظفَّرُ

وقال ابن الدُّبَيْثي في «تاريخه»: كان عالماً فاضلاً عاملاً، ذا رأي صائب، وسريرة صالحة، وظهرت منه كفايةٌ تامَّة، وقام بأعباء الملك حتى شكره الخاصُّ والعامُّ، وكان مُكْرِماً لأهل العلم، ويُقْرأ عنده الحديث عليه، وعلى الشيوخ بحضوره، ويجْري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره، وكان مقرِّباً لأهل العلم والدين، كريماً طيِّب الخلق.

قال ابنُ القَطيعي: كان ابن هُبَيْرة عفيفاً في ولايته، محموداً في وزارته، كثيرَ البرّ والمعروف، وقراءةِ القرآن، والصلاة، والصيام، يحبُّ أهل العلم، ويُكْثِرُ مُجالستهم ومُذاكَرتهم، جميل المذهب، شديد التَّظاهر بالسُّنّة.

قال: وِمن كثرة ميله إلى العلم بالسُّنّة، اجتاز في سوق بغداد ـ وهو الوزير ـ فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وقال صاحب سيرته: ولقد بلغت به شدّة الورع بحيث أُحضر له كتابٌ من وقف المدرسة النظاميَّة ليُقرأ عنده، فقال: قد بلغني أن الواقف شَرَطَ في كتاب الوقف: أن لا يُخْرَج شيءٌ من كتب الوقف عن المدرسة، وأمر بردِّه، فقيل له: إنَّ هذا شيء ما تحقَّقناه، فقال: أليس قد قيل؟ ولم يُمَكِّنهم من قراءته، وحثَّهم على إعادته.

(١) الشطر الثاني في منتخبات البارودي من شعر ابن حيوس الشاعر الحلبي، هكذا: حديثهما حتى القيامة يؤثر (الطباخ).

(٢) في المنتخبات: في الخلق منكر. اهـ. (الطباخ).

قال: وحدَّثني الفقيه أبو حامد أحمد بن محمد بن عيسى الحنبليّ، قال: حدَّثني الوزير عَوْن الدِّين، قال: كان بيني وبين بعض مشايخ القرى معاملةٌ مضيْتُ من أجلها من «الدُّور» إلى قريته فلم أجدْه، فقعدت لانتظاره حتى هجم الليل؛ فصعدتُ إلى سطحه للنَّوم، فسمعتُ قوماً يُسفِّهون بالهُجر من الكلام[١]، فسألتُ عنهم، فأُخبرتُ أنهم يعصرون في النهار الخمر، ويسفهون في الليل، فقلتُ: والله لا بِتّ بها، فقيل: لمَ؟ فقلتُ: أخاف أن ينزل بهم عذابٌ وسَخَط فأكونُ معهم، فإنْ لم يكن خسفاً حقيقياً كان خسفاً معنوياً بما يدخل على القلب من القساوة والفتور عن ذكر الله تعالى بسماع هذا الكلام، ومضيتُ ذلك الوقت إلى الدور.

قال الوزير: فلما عُدْت أنا والمقتفي لأمر الله تعالى من حصار قلعة تكريت؛ مرَرْنَا بتلك القرية، فسألني المقتفي عنها، فقلتُ: هذه الناحية للوكلاء ـ أجلَّهم الله تعالى ـ فقال: لأن تكون لك إذ هي في جوارك أصلح من أن تكون لنا، فتقدَّم إلى عمالك بالتصُّرف فيها، فذكرت حينئذ حالتي تلك بها، وقلت له: في بركة ذلك الفعل رُزقت القربَ منك يا أمير المؤمنين، وتملُّك الناحية من غير طلب مني لها، فاستظرف ذلك مني، وكثُر تعجُّبه منه.

قال: وكان الوزيرُ شديدَ التواضع، رافعاً للكِبْر، شديدَ الإيثار لمجالسة أرباب الدِّين والفقراء؛ بحيث سمعتُه في بعض الأيام يقول لبعض الفقراء وهو يخاطبه: أنت أخي والمسلمون كلُّهم إخوة.

قال: ولقد كُنَّا في المجلس في العادة لسماع الحديث، إذ دخل حاجبه أبو الفضائل ابن تركان فسارَّ الوزير بشيء لم يسمعه أحد، فقال له الوزير: أدخِل الرجل، فأبطأ عليه، فقال الوزير: أين الرجل؟ فأبطأ، فقال: أين الرجل؟ فقال الحاجب: إنَّ معه

(١) أي: الكلام الفاحش.

شملة صوف مكوَّرة، وقد قلت له: اتركها مع أحد الغِلمان خارجاً عن السِّتر، وادْخُل. فقال: لا أدخُل إلا وهي معي، فقال له الوزير: دَعْهُ يدخل وهي معه، فخرج وعاد، وإذا معه شيخٌ طِوال من أهل السَّواد، وعليه فوطة قطن وثوب خام، وفي رجليه جُمْجُمان، فسلَّم، وقال للوزير: يا سيدي، إنَّ أُمَّ فلان ـ يعني: أمَّ ولده ـ لـمَّا علِمت أني مُتوجِّه إليك قالت لي: بالله سلِّم على الشيخ يحيى عني، وادفع إليه بهذه الشَّملة، فقد خبزتها على اسمه، فتبسَّم الوزير إليه وأقبل عليه، وقال: الهدية لمن حضر، وأمر بِحَلِّها فحُلَّت الشَّملة بين يديه، فإذا بها خبز شعير مشطور بكالخ[١] اكشوب (هكذا)، فأخذ الوزير منه رغيفين، وقال: هذا نصيبي، وفرَّق الباقي على مَنْ حَضـَر من صدور الدولة والسادة الجلّة، وسأل عن حوائجه جميعاً، وتقدّم بقضائها في المكان، ثم التفت إلى الجماعة وقال: هذا شيخ قد تقدَّمت صحبتي له قديماً واختبرتُه في زرع كان بيننا فوجدتُه أميناً، ولم يظهر منه تأفُّف بمقال الشيخ، ولا تكبُّر عليه، ولا أَعرَضَ عنه، بل أحسنَ لقاءَهُ، وقضاء حوائجه، وأجزل عطاءه.

ثم حكى: أنه كان بينه وبين هذا الشيخ زرعٌ، وأنهم خشَوا عليه من جيش عظيم نزل عندهم، فقرؤوا على جوانبه القرآن؛ فسلم ولم يرع منه سنبلة واحدة.

قال: ودخل عليه يوماً نقيب الطالبيين الطاهر بن أحمد بن علي الحسيني؛ فسلَّم عليه وخدَمه، وسأله رفع رقعة له، إلى الخليفة المستنجد، وأن يتكلَّم له عند عرضها ولا يهملها، فتبسَّم وقال: والله ما أهملتُ لأحدٍ رقعة قط، ولا حاجةً حضرني ذكرها.

وذكر حكاية عن الوزير ابن العميد[٢] أنه وعد رجلًا النظر في ظلامته،

(١) الصواب: بكامخ، وهو نوع من الأدَم. معرَّب.

(٢) هو الكاتب الأديب الوزير المشهور محمد بن الحسين العميد (ت ٣٦٠هـ). تنظر أخباره في «وفيات الأعيان» ٥: ١٠٣.

ومطلَه، وسوَّفه، وقال: سننظر فيها، فقال له أصحابه: هذا كلام مَن لا يَعرف دبيبَ الساعات في انخرام الدول[1]؛ فانتبه لها ابن العميد، وآلى أن[2] يتولَّى رفعَ ظلامات المتظلِّمين.

قال: ودخل عليه يوماً أبو الفرج عبد الخالق بن يوسف المحدِّث وقال في كلامه: الخادم شيخ مِن حَمَلة القرآن، وأهل العِلم، ورواة الحديث؛ وله عليه حقوقٌ في بيت المال، فانظر له، وعليه مقاطعة شيء من الجانب الغربي، وليس بيده شيء؛ فتقدَّم له الوزير بخمسين ديناراً قبضها في مجلسه، ثم قال له: هذا بعضُ مالك على بيت المال، فأدِّ بعض ما عليك لبيت المال.

قال: وكنا يوماً عنده، والمجلس غاصٌّ بولاة الدِّين والدنيا، والأعيان والأماثل، وابنُ شافع[3] يقرأ عليه الحديث؛ إذْ فَجَأنا من باب السِّتر وراء ظهر الوزير صُراخ بَشِعٌ وصياح مرتفع، فاضطرب المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكنٌ ساكتٌ، حتى أنهى ابنُ شافع قراءةَ الإسناد ومتنه، ثم أشار الوزير إلى الجماعة أن على رِسْلكم، ثم قام ودخل السِّتر ولم يلبث أن خرج، فجلس وتقدَّم بالقراءة، ودعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعَجَنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يُعرِّفَنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس، وعاد ابنُ شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوبُ الجماعة متعلِّقة بمعرفة الحال، فَعَاودوه، فقال: كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصِّياح عليه، ولولا تعيُّن الأمر عليَّ بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله ﷺ، فعجب الحاضرون من صبره.

(١) في «الذيل»: السدول. والصواب ما جاء هنا.
(٢) في «الذيل»: الآن. والصواب ما جاء هنا.
(٣) أحمد بن شافع الحنبلي (ت ٥٦٥هـ) له ترجمة في «ذيل طبقات الحنابلة».

قال: وحضر يوماً في دار الخلافة بالمرخَّم من «التاج»[1]، فجلس به، وحضر أربابُ الدولة بأسرهم للصلاة على جنازة الأمير إسماعيل بن المستظهِر، فسقط من السقف أفعى عظيمةُ المقدار على كتف الوزير، فما بقي أحد من أرباب الدولة وحواشي الخِدْمة إلا خرج أو قام عن موضعه إلا الوزير، فإنَّه التفت إلى الأفعى وهي تسرح على كُمِّه حتى وقعت على الأرض، وبادرها المماليك فقتلوها، ولم يتحوَّل الوزير عن بقعته، ولا تغيَّر في هيئته ولا عبارته.

(استنباطاته الدقيقة من كلام الله ورسوله)

وللوزير ـ رحمه الله تعالى ـ من الكلام الحسن، والفوائد المستحسنة، والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جداً، وله من الحِكَم والمواعظ والكلام في أصول السُّنّة وذَمِّ مَن خالفها شيء كثير أيضاً، ونذكر هنا بعض ذلك إن شاء الله تعالى.

قال ابن الجوزي في كتاب «المقتبس»[2]: سمعتُ الوزيرَ يقول: الآيات اللواتي في الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فما بعدها، مُحكمات، وقد اتَّفقت عليها الشرائع، وإنما قال في الآية الأولى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وفي الثانية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وفي الثالثة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] لأنَّ كلَّ آيةٍ يليق بها ذلك.

فإنه قال في الأولى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ والعقلُ يشهد بأنَّ الخالق لا شريك له،

(١) التاج بناه الخليفة المعتضد، وأتمَّ بناءه ابنه المكتفي.
(٢) من الفوائد العونية، نقل فيه من كتاب ابن هبيرة الذي ضمَّ خواطره. وكتاب «المقتبس» مفقود وقد نقل قطوفاً منه الحافظ ابن رجب الحنبلي، في «ذيل طبقات الحنابلة»، ونقل مجير الدين العليمي المتوفى سنة ٩٢٨هـ ترجمة ابن هبيرة من ابن رجب.

ويدعو العقل إلى برِّ الوالدين، وينهى عن قتل الولد، وإتيان الفواحش؛ لأن الإنسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته، فكذلك هو ينبغي أن يجتنبها، وكذلك قتل النَّفس، فلما لاقت هذه الأمور بالعقل قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ولما قال في الآية الثانية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ والمعنى: اذكر لو هلكتَ، فصار ولدُك يتيمًا، واذكر عند وزنك لو كنتَ الموزون له(١)، واذكر كيف تحبُّ العدل لك في القول فاعدل في حقِّ غيرك، وكما لا تُؤْثِر أن يُخانَ عهدُك فلا تخُن، فلاقَ بهذه الأشياء التذكّر، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقال في الثالثة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ فلاقَ بذلك اتّقاء الزَّلل، فلذلك قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قال: وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٣٧] قال: ليس هذا بإجابة سؤاله، وإنما سأل الإنظار، فقيل له: كذا قُدِّر، لا أنَّه جوابُ سؤاله، لكنه ما فهم(٢).

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] قال: إنما لم يَقُل: «ما كُتب علينا» لأنه أمرٌ يتعلَّق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمنَ شيءٌ إلا وهو له: إن كان خيراً فهو له في العاجل، وإن كان شراً فهو ثواب له في الآجل.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] قال أهل التفسير: يقولون: ساتراً، والصوابُ: حملُه على الظاهر، وأنْ يكون الحجاب مستوراً عن العيون فلا يرى، وذلك أبلغ.

(١) في «الذيل»: واذكر عند ورثتك لو كنت المورِّث له.
(٢) في «الذيل»: ممَّا فُهِم.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩] قال: ما قال: ما شاء الله كان، ولا: يكون، بل أطلقَ اللفظ؛ ليَعُمَّ الماضي والمستقبل والراهن.

قال: وتدبَّرت قوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فرأيتُ لها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ قائلها يتبرّأ مِن حَوْلِه وقوَّته، ويُسلِّم الأمرَ إلى مالكه.

والثاني: أنه يعلم أنه لا قوَّة للمخالفين(١) إلا بالله، فلا يخاف منهم، إذ قُواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث: أنه ردٌّ على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدَّعون القوى في أشياء بطبعها، فإنَّ هذه الكلمة بيَّنت أن القُوى لا تكون إلا بالله.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] قال: التاء من حروف الشدّة، يقال في الشيء القريب الأمر: ما اسْطَعتُه، وفي الشديد: ما اسْتَطعته، فالمعنى: ما أطاقوا ظهوره لضعفهم، وما قدروا على نقْبِه لقوَّتِه وشدَّتِه.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥] قال: المعنى: أني قد أظهرتُها حين أَعلمتُ بكونها، لكن قاربتُ أن أُخفيَها بتكذيبِ المُشرِكِ بها، وغفلةِ المؤمن عنها، فالمشركُ لا يُصدِّق كوْنَها، والمؤمنُ يُهملُ الاستعدادَ لها.

(١) في «الذيل»: المخلوقين.

قال: وقرأت عليه مما جمعه من خواطره، قال: قرأ عندي قارئ: ﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ [طه: ٨٤] فأفكرت في معنى إسقاط «ها»(١) فنظرت فإذا وضعها للتنبيه، والله لا يجوز أن يُخاطَب بهذا، ولم أر أحداً خاطب الله بحرف التنبيه إلا الكفّار، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ [النحل: ٨٦]. وما رأيتُ أحداً من الأنبياء خاطب ربَّه بحرف التَّنبيه. والله أعلم.

فأما قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] فإنَّه قد تقدَّم الخطاب بقوله: ﴿يَٰرَبِّ﴾ فبقيتْ «ها» للتَّمكين، ولما خاطب الله عز وجل المنافقين، قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ١٠٩]، وكرَّم المؤمنين بإسقاط «ها» فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] وكان التنبيه للمؤمنين أخفّ.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ١١٠] المعنى: أنه إذا اشتدّت الأصوات وتغالبت، فإنها حالةٌ لا يسمع فيها الإنسان، والله عزَّ وجل يسمع كلام كلِّ شخص بعينه، ولا يَشغلُهُ سمعٌ عن سمع.

قال: وقوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] قال: المراد منه: كن أنتَ أيها القائل على الحقّ، ليمكنك أن تقول: احكم بالحق، لأن المبطل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحقّ.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [النور: ٩٣] قال: وقع لي فيها ثلاثة أوجه:

(١) في «الذيل»: في معنى اشتقاقها. والصواب ما جاء عند الطباخ.

أحدها: أن المعنى: لا تقسموا واخرجوا من غير قسم، ليكون المحرّك لكم إلى الخروج الأمر لا القسم؛ فإن مَن خرج لأجل قَسَمه ليس كمن خرج لأمر ربه.

والثاني: أن المعنى: نحن نعلم ما في قلوبكم، وهل أنتم على عزم الموافقة للرسول في الخروج؟ فالقسم هاهنا إعلامٌ منكم لنا بما في قلوبكم. وهذا يدلّ منكم على أنكم ما علمتم أنَّ الله مطَّلِع على ما في القلوب.

والثالث: أنكم ما أقسمتم إلا وأنتم تظنّون أن نتَّهمكم، ولولا أنكم في محلِّ تهمة ما ظننتم ذلك فيكم، وهذا المعنى وقع للمتنبي، فقال:

وفي يمينِكَ فيما أنت واعِدُهُ(١) ... ما دلَّ أنَّكَ في الميعاد مُتَّهمُ

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان: ٨] قال: العجب لجهلهم حين أرادوا أن يُلقى إليه كنز أو تكونُ له جنّة، ولو فهموا علموا أن كلَّ الكنوز له، وجميع الدنيا ملكه، أوليس قد قهر أصحاب الكنوز، وحكم في جميع الملوك؟ وأن من تمام معجزاته: أنّ الأموال لم تفتح عليه في زمنه؛ لئلا يقول قائل: قد جرت العادة بأنَّ إقامة الدول، وقهر الأعداء بكثرة الأموال، فتمَّت المعجزة بالغَلَبة والقهر من غير مال، ولا كثرة أعوان، ثم فتحت الدنيا على أصحابه، ففرَّقوا ما جمعه الملوك بالشَّره، فأخرجوه فيما خُلِق له، ولم يمسكوا إمساك الكافرين، ليعلم الناس بإخراج ذلك المال أنَّ لنا داراً سوى هذه، ومقرّاً غير هذا.

وكان من تمام المعجزات للنبي ﷺ أنه لما جاء بالهدى فلم يقبل، سلَّ السيف على الجاحد؛ ليعلمه أن الذي بعثني قاهر بالسيف بعد القهر بالحُجج، وممَّا يقوِّي صدقه: أن قيصر وكبار الملوك لم يُوفَّقوا للإيمان به؛ لئلا يقول قائل: إنما ظهر لأن فلان الملك

(١) في «الذيل»:
وفي اليمين على ما أنت واعدهُ ... ما دلَّ أنك في الميعاد متَّهمُ.

تعصَّبَ له فتقوَّى به، فبان أن أمره من السماء لا بنصر أهل الأرض.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩] قال: المعنى: فقد كذَّبتم أصنامكم بقولكم، لأنكم ادَّعيتم أنها آلهةٌ، وقد أقررتم أنها لا تنفع فإقراركم يُكذِّب دعواكم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] قال: فهذا يدلُّ على فضل هداية الخلق بالعلم، ويُبيِّن شرفَ العالم على الزاهد المنقطع، فإن النبيَّ ﷺ كالطبيب، والطبيبُ يكون عند المرضى، فلو انقطع عنهم هلكوا.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٥] قال: هذا من تمام برِّ الوالدين، كأنَّ هذا الولد خاف أن يكون والداه قَصَّرا في شكر الربِّ عز وجل، فسأل الله أن يُلهِمه الشكر على ما أنعم به عليه وعليهما، ليقومَ بما وَجَب عليهما من الشكر؛ إن كانا قَصَّرا.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ [القصص: ٨٠] قال: إيثارُ ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء، فمَن كان هكذا فهو عالمٌ، ومن آثر العاجل فليس بعالم.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١] وفي الآية التي تليها: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢] قال: إنما ذكر السماع عند ذكر الليل، والإبصار عند ذكر النهار، لأنَّ الإنسان يُدرك بسمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل.

قال المبرَّد: سلطان السمع في الليل، وسلطان البصر في النهار.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، قال: فظللتُ أتفكَّر في المناسبة بين ذكر النِّعمة وبين قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؟ فرأيتُ أنَّ كلَّ نعمة ينالها العبد فالله خالقها، قد أنعم بخلقه بتلك النِّعمة، وبسَوْقها إلى المنعَم عليه.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]، قال المعنى: أن يكون قيامُكم خالصاً لله عزَّ وجل، لا لغلبة خصومكم، فحينئذٍ تفوزون بالهدى.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]: نظرتُ فرأيتُ الفائدة في تقديم ذِكر الرَّجل وتأخيره: أنَّ ذكر الأوصاف قبل ذكر الموصوف أبلغ في المدح من تقديم ذِكره على وصفه، فإنَّ النَّاس يقولون: الرئيسُ الأجلّ فلان، فنظرتُ فإذا الذي زِيدَ في مدحه ـ وهو صاحب «يس» ـ أَمَرَ بالمعروف، وأعان الرُّسل، وصبرَ على القتل، والآخر إنَّما حَذَّر موسى من القتل، فَسَلِم موسى بقَبول مشورته، فالأول هو الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والثاني: هو ناصح الآمر بالمعروف، فاستحقَّ الأول الزيادة.

ثمَّ تأمّلت ذِكْرَ «أقصى المدينة» فإذا الرجلان جاءا مِن بُعْد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعدا لبُعْد الطريق.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧] قال: المعنى: يا ليتهم يعلمون بأيِّ شيءٍ وقَعَ غفرانه، فالمعنى: أنه غَفَرَ لي بشيء يسير فعلتُه، لا بأمرٍ عظيم.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [الدخان: ٣٤-٣٧] قال: ربّما توهَّم جاهلٌ أنّهم لم يُجابوا عمّا سألوا، وليس كذلك، فإنَّ الذي سألوا لا يصلح أن يكونَ دليلاً على البعث؛ لأنهم لو أُجيبوا إلى ما سألوا لم يكن ذلك حُجَّة على مَن تقدَّم، ولا على من تأخَّر، ولم يَزِد على أن يكون لِمَن تقدَّم وعداً، ولمن تأخَّر (خبراً).

اللّهم إلا أن يَجيء لكلِّ واحد أبوه، فتصيرُ هذه الدارُ دار البعث. ثم لو جاز مثل وقوع هذه؛ كان إحياءُ ملكٍ يُضرَب به الأمثال أَوْلى كتُبَّع، لا أنتم يا أهل مكَّة فإنكم لا تعرفون في بقاع الأرض.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] قال: علمت الملائكة أنَّ الله يحبُّ عباده المؤمنين، فتقرَّبوا إليه بالشَّفاعة فيهم، وأحسن القُرب: أن يسأل المحبُّ إكرامَ حبيبه، فإنَّك لو سألتَ شخصاً أن يزيد في إكرام ولده لارتفعت عنده، حيث تحثّه على إكرام محبوبه.

وسمعتُه يقول في قول الله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] قال: تأمّلت دخول «اللام» وخروجها، فرأيت المعنى: أنَّ اللام تقع للاستقبال، تقول: لأضربنَّك، أي: فيما بعد، لا في الحال، والمعنى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أي: في مستقبل الزمان إذا تمَّ فاستَحصد، وذلك أشدُّ العذاب؛ لأنَّها حالة انتهاء تعب الزُّرّاع، واجتماع الدَّين عليهم، لرجاء القضاء بعد الحصاد، مع فراغ البيوت من الأقوات.

وأما في الماء، فقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي الآن، لأنّا لو أخّرنا ذلك لَشرِب العطشان، وادَّخر منه الإنسان.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: ٥] قال: المعنى: لا تبتلينا بأمر يُوجبُ افتتان الكفّار بنا، فإنَّه إن خُذِل المتَّقي، ونُصِرَ العاصي، فُتِنَ الكافر، وقال: لو كان مذهب هذا صحيحاً ما غُلب.

قال: وسمعتُه يقول في قوله عليه السلام: «إذا دخل رمضان سُلسِلت الشياطين»[1]، قال: إنَّ الشياطين للعاصي في غير رمضان كالعكّاز، يقول: سوَّل لي وغرَّني، فإذا سُلْسِلَ الشيطان قلَّ عُذْر العاصي.

وسمعتُه يقول في حديث عائشة: «كان أكثرَ صوم رسول الله ﷺ في شعبان»[2] قال: ما أرى هذا إلا على وجه الرّياضة، لأن الإنسان إذا هجم بنفسه على أمرٍ لم يتعوَّده صَعُبَ عليه، فدرَّج نفسه في شعبان لأجل رمضان.

وسمعتُه يقول في قوله عليه الصلاة والسلام: «أعوذُ بك من شرِّ ما لم أعمل»[3] قال: له معنيان:

أحدهما: أنَّ الإنسان يَبلُغه أنَّ الرجل قد عمل الشَّرَّ فيرضى به، أو يتمنَّى أن يعمل مثله فهذا «شرُّ ما لم يعمل».

والثاني: أنَّ الرَّجل قد لا يشرب الخمر، فيُعجَب بنفسه: كيف لا يشرب، فيكون العُجْب بترك الذَّنب «شرُّ ما لم يعمل».

وذكر صاحب سيرة الوزير قال: سمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٦)، وأحمد (٢٤٦٨٤)، بلفظ «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، وشر ما لم أعمل» من حديث عائشة رضي الله عنها.

بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ [طه: ١٧-١٨]: في حَمْل العصَا عظة؛ لأنها من شيء كان نامياً فقطع، فكلما رآها حاملها يذكر الموت؛ قال: ومن هذا قيل لابن سيرين ـ رحمه الله ـ: رجل رأى في المنام أنه يضرب بطبل، فقال: هذه موعظة؛ لأنَّ الطبل من خشب قد كان نامياً فقطع، ومن أغشية كانت جلودَ حيوان فذُبح، وهذا أثر الموعظة.

وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠] قال: المريض يَجِد الطُّعوم على خلاف ما هي عليه، فيرى الحامض حلواً والحلوَ مرّاً، وكذا هؤلاء يرون الحقَّ باطلاً والباطل حقاً.

قال: وسمعت الوزير يقول ـ وقد قُرِئ عنده: «أنَّ رجلاً قال عند رسول الله ﷺ: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فقال رسول الله ﷺ: أيُّكم قال ذلك؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله، ولم أُرِدْ إلا الخير، فقال ﷺ: رأيتُ بضعة وثلاثين مَلَكاً يَبْتدرونها»(١): فطفقت والجماعة عندي أفكِّر في معنى تخصيص هذا العدد من الملائكة، فنظرت فإذا حروف هذه الكلمات بضع وثلاثون حرفاً إذا فُكَّ المشدّد؛ ورأيت أنَّ من عِظَم ما قد ازدحمت الملائكة عليها؛ بلغوا إلى فكّ المشدّد، فلم يحصل لكلِّ مَلَك سوى حرف واحد، فصعدَ به يتقرَّب بحمله.

وسمعتُه يقول في قوله عليه الصلاة والسلام: «وجدت على باب الجنَّة مكتوباً: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر»(٢): فتدبَّرت هذا الحصْر؛ فإذا الفائدة: أنَّ الحسنة بعشر أمثالها، فدِرْهَم الصدقة، لا يعود فيكتب به عشرة مع ذهابه، فيكون الحاصل به على الحقيقة تسعة، والقرض يضاعف على الصدقة فيصير ثمانيةَ عشرَ؛ لأن

(١) رواه البخاري في الأذان (٧٩٩)، وأحمد (١٨٩٩٦)، عن رفاعة بن رافع الزُّرقي رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨: ٢٩٧) وقال الهيثمي ٤: ٢٦٠: فيه عتبة بن حميد، وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف. ونحوه عن أنس عند ابن ماجه (٢٤٣١) في الصدقات عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وفيه خالد بن يزيد بن أبي مالك، وهو ضعيف.

تسعة وتسعة بثمانية عشر، والسبب في مضاعفته: أنَّ الصدقة قد تقع في يد غير محتاج، والقرض لا يقع إلا في يد محتاج.

وسمعتُه يقول في قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا شربتم فأسْئِروا به»(١) قال: هذا في الشرب خاصَّة، فأما الأكل فمن السُّنَّة: لَعْقُ القصعة والأصابع، وإنَّما خصَّ الشرب بذلك؛ لأن التراب والأقذار ترشح في أسفل الإناء، فاشتفاف ذلك يوجب شرب ما يؤذي؛ وكذلك السرّ في الأمر بالتنفس في الإناء ثلاثاً، لأن النَّفَس يُخْرِجُ كربَ القلب وكدر البدن، فكرِه الشارعُ أن يعود في الماء فيؤذي الشارب.

وسمعتُه يقول في قوله عليه الصلاة والسلام: «أَوَّلُ زُمرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّـةَ مِنْ أُمَّتِي وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ»(٢)، قال: إنَّما لم يَقُل كالشَّمس؛ لأنَّ نور الشَّمس يُؤثِّر في عيون النَّاظرين إليها، فلا يتمكَّن من النَّظر، والجنَّـةُ دارُ لذَّة وطِيبُ عَيْش. فلو أشبهت وجوهَهُم نورُ الشمس لم يتمكَّن أحد منهم أن ينظر الآخر.

(ومن كلامه في السنَّة)

يقول أبو الفرج ابن الجوزي: سمعتُ الوزير يقول: تأويلُ الصفات أقرب إلى الخطر من إثباتها على وجه التشبيه، فإنَّ ذلك كُفْر، وهذا غايتُه البدعة.

قال: وسمعتُه يُنشِدُ لنفسه.

لا قـولَ عندَ آيـهِ المُتْشابِهِ   لـلـراسـخـينَ غـيرُ آمـنَّـا بِـهِ

(١) لم أقف عليه مسندًا، وقال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢: ٢٩٣)، ويروى عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال لبنيه، فذكره.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٥٤)، ومسلم في الإيمان (٢١٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: سمعتُه يقول: ما أنزل الله آيةً إلا والعلماء قد فسّروها، لكنه يكون للآية وجوهٌ محتملات، فلا يُعلَم ما المراد من تلك الوجوه المحتملات إلا الله عزّ وجلّ.

قال: وسمعتُه يقول في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] قال: العرب لا تعرف «ذا» ولا «هذا»، إلا في الإشارة إلى الحاضر. وإنما أشار هذا القائل إلى المسموع، فمَن قال: إنَّ المسموع عبارة عن القديم، فقد قال: هذا قول البشر.

قال مصنِّف سيرته: كثيراً ما سمعتُه يقول: ليس لمذهب أحمد إلا الاتِّباع فقط، فما قال السَّلف قاله، وما سكتوا عنه سكت عنه، فإنه كان ينكر أن يقال: لفظي - بالقرآن - مخلوق، أو غير مخلوق؛ لأنَّه لم يُقَل.

وكان يقول في آيات الصفات: تمرّ كما جاءت.

وقال: وسمعتُه يقول: تفكَّرتُ في أخبار الصفات، فرأيتُ الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها، مع قوة علمهم، فنظرتُ السببَ في سكوتهم؛ فإذا هي قوة الهيبة للموصوف؛ ولأنَّ تفسيرها لا يتأتّى إلا بضرب الأمثال لله، وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

قال وكان يقول: لا تُفسَّر على الحقيقة ولا على المَجَاز؛ لأن حملها على الحقيقة تشبيه، وعلى المجاز بدعة.

قال: وسمعتُه يقول: والله لا نترك أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب مع الرافضة، نحن أحقُّ به؛ لأنَّه مِنَّا ونحن منه؛ ولا نترك الشافعي مع الأشعريَّة؛ فإنَّا أحقُّ به منهم.

قال: وسمعتُه يقول: من مكايد الشيطان: تنفيرُ عباد الله عن تدبُّر القرآن؛ لعلمه أنَّ الهدى واقع عند التَّدبُّر فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلَّم في القرآن تورُّعاً.

ومنها: أن يخرج جَوَالب الفتن مخرج التَّشدُّد في الدِّين.

ومنها: أن يقيم أوثاناً في المعنى تُعبَد من دون الله، مثل أن يَبين الحقّ فيقول: ليس هذا مذهبنا؛ تقليداً للمعظّم عنده، قد قدَّمه على الحق.

قال: وسمعتُه يقول لبعض الناس: لا يَحِلُّ - والله - أن تحسن الظنّ بمن يرفض، ولا بمن يخالف الشرع في حال.

(كلامه في الفنون)

ومن كلامه في الفنون: قال ابنُ الجوزي: وسمعتُه يقول: يحصل العلم بثلاثة أشياء:

أحدها: العمل به؛ فإنَّ مَن كلَّف نفسه التَّكلُّم بالعربية، دَعَاه ذلك إلى حفظ النحو، ومَن سأل عن المشكلات ليعملَ فيها بمقتضى الشَّرع، تعلَّم.

والثاني: التعليم؛ فإنَّه إذا علَّم الناسَ كان أدعى إلى تعلُّمه.

والثالث: التصنيف؛ فإنَّه يخرج إلى البحث، ولا يَتَمكَّن من التَّصنيف مَن لا يُدْرِك غَوْرَ ذلك العلم الذي صنَّف فيه.

قال: وسمعته يقول: الحكمة في اختصاص المرأة بالحيض: أنها تحمل بالولد، والولد مفتقر إلى الغذاء، فلو شاركها في غذائها لضعفت قواها، ولكن جعلت له فضلة من فضلاتها؛ إن حملت فهي قُوتُه، وإن لم تحمل اندفعت؛ فإذا ولدت توفَّرت تلك الفضلة على اللبن.

قال: وسمعتُه يقول لبعض مَن يأمر بالمعروف: اجتهد أن تَسْتُر العُصاة، فإنَّ ظهور معاصيهم عَيْبٌ في أهل الإسلام؛ وأولى الأمور سَتْرُ العيوب.

وسمعتُه يقول: الأيام قد ذهبت، والأعمار قد نُهبت، والنّفوس باتّباع الهوى قد انتهبت[1]، وما يُطلب منها شيء من الخير إلا أَبَت، وبيوت التقوى من القلوب قد خربت.

وسمعتُه يقول: نَظَرُ العاملِ إلى عمله بعين الثّقةِ به في باب النَّجاة؛ أضرُّ على العباد[2] من تفريطهم.

وقال: لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي ما بلغت[3] بلوى الصابر في الأمر بالمعروف؛ ولو كان المجرمون ضعفاء لقُهروا، فلم يحصل ذلك المعنى.

وكان يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]: إنه على التقديم والتأخير، أي: جعلنا مجرميها أكابر.

وقال: البحرُ محيطٌ بالأرض، وَخِلجَانُه تتَخَلَّلُ الأرضَ، والريح تهب على الماء، وتمرُّ على الأرض، فيعتدل النسيم بالرطوبة،، ولو كان ماء البحر عَذْباً لأنتن؛ لكونه واقفاً، فكانت الريح إذا هبَّت عليه أوقعت الوباء في الخلق، ولكنه جعل ملحاً أُجاجاً؛ ليحصل منه نفع الرطوبة، ولا يقع به فساد.

قال: وسمعتُه يقول: احذروا مصارع العقول، عند التهاب الشهوات.

قال: وسمعتُه يقول: العجب ممَّن يخاصم الأقدار، ولا يخاصم نفسه، فيقول: قضى عَلَيَّ وعاقبني؛ وَيْحك قل لنا: كيف تحبُّ أن يكون الأمر؟ تختار أن تُخلق أعمى

---

(١) في «الذيل»: التهبت. وهو الصواب.
(٢) في «الذيل»: العصاة.
(٣) في «الذيل»: ما بانت.

ولا تنظر إلى المستحسن؟ قال: لا، قلنا: أتحبُّ أن تُخلق معدوم الحس؟ قال: لا، قلنا: أتحبُّ أن تُردَّ عن المعاصي قهراً؟ قال: لا، قلنا: أتحبُّ أن تُطلَقَ فيها من غير حَجْر؟ فلا تغضب[1] إن أطلق غيرك في أخواتك وبناتك، فأما أن تغضب لذلك الفعل من غيرك في حَرَمك، وتختار أن تفعله في حرم غيرك؛ فهذا في غاية الجَوْر، فإذا جعل لك الطريق إلى مرادك بكلمةٍ هي عقد النِّكاح، أو عُوِّضت عمَّا مُنِعت عنه من جنسه، ووُعِدت الأجر على الصبر، فهذا غاية العدل، فإن زللت في معصية، فقد جعل لك طريق نجاة بالتوبة.

قال مصنِّف سيرة الوزير: سمعتُه يقول: قَفَلْتُ في صحبة أمير المؤمنين المقتفي من الكوفة بعد وداع الحاجّ، فشاهدنا في الطريق بَرَداً كباراً، قد وقع أمامنا ـ وكان الجماعة يأكلون منه ـ فلم أَسْتطِبْهُ على الريق، فلمّا نزلنا الخيام وأمسينا، وحضر العشاء، وأكلنا الطعام، ذكرتُ ذلك البَرَد، وَوَدِدت أن لو كان الآن منه شيء، وأظنُّ أني دعوتُ الله عزّ وجلّ أن يأتينا منه بشيء؛ فما كان إلا لحظةً والسَّحابُ يَهمي، وإذا البرد فيه كثير، وشَرَع الغلمان وجمعوا منه شيئاً كثيراً، وجاؤوا به، فأكلتُ منه حتى تركتُهُ، وحَمِدتُ الله عزَّ وجل على إجابة الدّعاء، وإعطائه لما خطر بالنفس.

قال: وسمعتُه يقول: كنتُ جالساً في سطح أُصلِّي على النبيِّ ﷺ وعَيناي مغمضتان، فرأيت كتاباً[2] يكتب في قرطاس أبيض بمداد أسود ما أذكره، وكلّما قلتُ: «اللهمَّ صَلِّ على محمد» كَتَبَ الكاتب: «اللهمَّ صَلِّ على محمد»، فقلتُ في نفسي: افتح عينيك وانظر بها، ففتحت عيني، فخطف عن يميني حتى رأيت بياض ثوبه، وهو شديد البياض، فيه صقالة.

---

(١) في «الذيل»: إذاً.
(٢) في «الذيل»: كاتباً.

قال: وسمعتُه يقول: مرضْتُ مرَّةً مرضاً شديداً، انتهى فيَّ الأمر فيه إلى مقام رُفعتُ فيه إلى أرضٍ ذات ظلٍّ ممدود، ورملة دمثة، وهواء[1] أطيب مُسْتَلذ، وبجانب تلك الرَّملة ماء على نحو دجلة لا أجراف له، وأنا أناجي في سرّي بما أراه من الله عز وجل، ومنه عتاب لي على نظري إلى الخلق وعملي لهم، ونحو هذا، فشرعت في الإنكار لذلك، فأعدم جميع مَن في الأرض بحيث لم يبقَ عندي أنه بقي في الأرض غيري[2]، فاسْتَوْحَشْتُ حينئذ من الحياة، وَوَدِدتُ الموت كلَّ الوِداد، حتى كنتُ أقول: لو كان الشَّرع يُبيح قتل النفس كان شيئاً طيباً، ثمَّ عُرضت عليَّ أعمال الخير كلّها فلم تَخفَ عليَّ كما كانت تَخفى عليَّ، فوقر حينئذ في نفسي أنَّك إنما تريد الحياة معهم، وأعمال الخير لتبلُغَهم ونحو هذا، فاعترفتُ حينئذٍ بما كنتُ قد ناكرت عليه؛ ثم نُوجيتُ أيضاً بما معناه: إنك قد تخاف من الأشياء، وإن دواء ذلك كلَّه أن تدخل في الخوف منه بالإيمان؛ بأنَّ كلَّ مخلوق لا يقدر إلا على ما يُقدِّره الله عز وجل عليه لوقته، أو نحو هذا.

قال: وسمعتُه يقول: اتبَّاع السُّنّة سببٌ لكلِّ خير، فإني صَلَّيْتُ الفريضة يوماً في مسجدنا، ثم قلت: يستحب أن تصلى السنة في غير موضع الفرض، ومضيتُ إلى البيت فصلَّيتُها، ثم اشتاق قلبي إلى رؤية الله عز وجل، فقلتُ: اللهمَّ أرني نفسك، فنِمتُ تلك الليلة فرأيته (عز وجل).

وأنشدَ هذه الأبيات، قال: وكان ابن سمعون[3] كثيراً ما ينشدها:

ركبتُ بحارَ الحبّ جهلاً بقَدْرِها ... وتلك بحارٌ لا يُقَفّى[4] غريقُها

---

(١) في «الذيل»: وهو. والصواب ما جاء عند الطباخ.

(٢) سقط من «الذيل» هذه الجملة: «فأعدم جميع من في الأرض.... غيري».

(٣) هو الشيخ الإمام الواعظ الكبير المحدث أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبَس البغدادي (ت ٣٨٧هـ). تنظر ترجمته في «تاريخ بغداد» ١: ٢٧٤، و«طبقات الحنابلة» ٣: ٢٧٧.

(٤) في «الذيل»: يفيق.

وسِرْنـا على ريح تدنّ[1] عليكُمُ ... فبانت قليـلاً ثم غـاب طريقُهـا

إليكم بكُم أرجو النجاةَ وما أرى ... لنفـسيَ منهـا سـائقاً فَيَسـوقُها

وذكر الوزير في كتابه «الإفصاح» قال: الصحيح عندي: أنَّ ليلة القدر تنتقل في أفراد العشر، فإنَّه حدثني مَن أثق به أنه رآها في ليلة سبع وعشرين.

وحدَّثني أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله: أنه رآها، وأما أنا فإني كنتُ في ليلة إحدى وعشرين، وكانتُ ليلة جمعة، فواصلتُ انتظارها بذكر الله عز وجل، ولم أَنَمْ تلك الليلة، فلما كان وقت السَّحر ـ وأنا قائم على قدميَّ ـ رأيتُ في السماء باباً مفتوحاً مربَّعاً عن يمين القبلة، قدَّرت أنه على حُجرة رسول الله ﷺ، فبقي على حاله ـ وأنا أنظر إليه ـ نحو قراءة مئة آية، ولم يزل، حتى التفتُّ عن يساري إلى المشرق لأنظر: هل طلع الفجر؟ فرأيت أول الفجر، فالتفتُّ إلى ذلك الباب فرأيتُه قد ذهب، فكان ذلك مما صدَّق عندي ما رأيت، فالظاهرُ من ذلك تنقُّلُها في ليالي الأفراد في العشر، فإذا اتَّفقت ليالي الجمع في الأفراد فأجدرُ وأَخْلَقُ بكونها فيها.

وكتاب «الإفصاح» فيه فوائد جليلة غريبة.

وقال فيـه: الخضر الذي لقي موسى عليه السلام قيل: كان مَلَكاً، وقيـل: كان بشراً، وهو الصحيح، ثم قيل إنه عبد صالح ليس بنبيّ، وقيل: بل نبيّ وهو الصحيح، والصحيح عندنا: أنَّه حيّ، وأنه يجوز أن يقف على باب أحدنا مستعطياً أو غير ذلك؛ لما حدثني محمد بن يحيى الزَّبيدي، وذكر عنه حكايات تتضمَّن رؤية الخضر والاجتماع به.

---

(١) في «الذيل»: تدل

وقال في حديث عمران بن حصين: وقال النبي ﷺ: «لقد علمت أن بعضكم خالجنيها»[1]: فيه دليل على أنه لا يقرأ المأموم خلف الإمام. قال: وهذا محمول عندي على غير الفاتحة.

وقال: الحبس غير مشروع، إلا في مواضع:

أحدها: إذا سرق فقُطِعت يمينه، ثم سرق فقُطعت رجله، ثم سرق، حُبِس ولم يُقطع في إحدى الروايتين.

الثاني: إذا أمسكَ رجلٌ رجلاً لآخرَ فقتلَه، حُبِس المُمْسك حتى يموت في إحدى الروايتين أيضاً.

الثالث: ما يراه الإمام كفّاً لفساد مُفسِدٍ، كقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٨]، وما يراه أبو حنيفة في قطاع الطريق، فإنَّه يحبسهم حتى يتوبوا.

فأما الحبسُ على الدَّين فمن الأمور الـمُحْدَثَة، وأول مَن حَبَس فيه شُرَيْح القاضي، ومضت السّنّة في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان: أنه لا يحبس على الدَّين، ولكن يتلازم الخصمان. فأما الحبس الذي هو الآن فإني لا أعرف أنه يجوز عند أحدٍ من المسلمين، وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم، غير متمكّنين من الوضوء والصلاة، ويتأذَّوْن بذلك بحَرِّه وبَرْدِه، فهذا كلُّه مُحْدَث، ولقد حَرِصْتُ مراراً على فكّه؛ فحالَ دونه ما قد اعتاده الناس منه، وأنا في إزالته حريص، والله الموفق.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٣٩٨)، وأحمد (١٩٨١٥)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

وقال في حديث الزبير[1] في شراج الحرّة[2]: فيه جواز أن يكون السَّقْي للأول، ثم للَّذي بعده، إلا أنَّ هذا في النخل خاصَّة، وما يجري مجراه، وأما الزرع وما لا يصبر على العطش أكثر من جمعة ونحو ذلك، فإن الماء يتناصف فيه بالسويَّة كما قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [القمر: ٢٨].

وقال في سورة الضحى: لقد تَوالى فيه[3] قَسَمان، وجوابان مُثبَتان، وجوابان نافيان:

والقَسَمان: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢].

والجوابان النافيان: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

والجوابان المثبَتان: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٤-٥].

ثم قرَّر بنِعَم ثلاث، وأَتْبَعَهُنَّ بوصايا ثلاث؛ كلُّ واحدة من الوصايا شكر النِّعمة التي قُوبلت بها:

فإحداهنَّ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، وجوابها: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

والثانية: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، فقابلها بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، وهذا لأن السائل ضالٌّ يبغي الهدى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٥٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٧)، عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه.

(٢) في «النهاية»: الشرجة: مَسيل الماء من الحرّة إلى السهل، والشراج: جمعها، ومنه حديث الزبير. اهـ. (الطباخ).

(٣) في «الذيل»: فيها.

والثالثة: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، فقابلها بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وإنما قال: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ ولم يقل: «وما قلاك»؛ لأن القِلى: بُغضٌ بعد حبّ، وذلك لا يجوز على الله تعالى، والمعنى: وما قلى أحداً قط.

ثم قال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾، ولم يقل: «خير» على الإطلاق، وإنما المعنى: خيرٌ لك ولمن آمن بك.

وقوله: ﴿فَآوَىٰ﴾، ولم يَقُل: «فآواك»؛ أراد: آوى بك إلى يوم القيامة.

وقال: أما كون صوم يوم عرفة بسنتين(1)، ففيه وجهان:

أحدهما: لما كان يوم عرفة في شهر حرام بين شهرين حرامَين، كفَّر سنةً قبله وسنةً بعده.

والثاني: إنما كان لهذه الأمّة، وقد وُعِدت في العمل بأجرين، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، أما عاشوراء فقد كانت الأمم من قبل هذه الأُمّة تصومُه، ففضل ما خصَّت به هذه الأمّة، وإنَّما كفَّر عاشوراء السنة الماضية(2) لأنه تبعها، وجاء بعدها، والتكفير بالصوم إنما يكون لما مضى لا لما يأتي، فأمَّا يوم عرفة؛ فإنَّه يكفِّر السنة التي قد مضى أكثرها، ويزيد لموضع فضله بتكفير ما يأتي.

وقال في حديث تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذّ(3): لما كانت صلاة الفذّ

(١) رواه مسلم في الصيام (١١٦٢)، وأحمد (٢٢٥١٧)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاهما في الصيام، عن أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) ينظر التخريج المتقدم للحديث.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٤٥)، ومسلم في المساجد (٦٥٠)، عن ابن عمر رضي الله عنه، بلفظ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة». ورواه البخاري في الأذان (٦٤٦)، ومسلم في المساجد (٦٤٩): «صلاةُ الجماعةِ تَفضُلُ صلاة الفَذِّ بخمسٍ وعشرينَ درجةً».

منفردة أشبهت العدد المفرد، فلما جمعت مع غيرها أشبهت ضرب العدد، وكانت خمساً فضربت في خمس فصارت خمساً وعشرين، وهي غاية ما يرتفع إليه ضرب الشيء في نفسه، فأما رواية: «سبع وعشرين» فإن صلاة المنفرد وصلاة الإمام أدخلتا مع المضاعفة في الحساب.

وقد ذكر الوزير في كلامه على شرح حديث: **«من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدِّين»** وهو الكتاب الذي أَفرد منه كتاب «الإفصاح» فوائد غريبة، فذكر في أول كلامه: أنَّ اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة مُحْدَثة، فلا يقال: هذه مساجد أصحاب أحمد فيمنع منها أصحاب الشافعي، ولا عكس، قال: هذا من البدع، وقد قال تعالى في المسجد الحرام: ﴿سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، وهو أفضل المساجد.

وأما المدارس فلم يَقُل فيها ذلك، بل قال: لا ينبغي أن يُضيَّق في الاشتراط على المسلمين، فإنَّ المسلمين إخوة، وهي مساكن تُبنى لله، [فينبغي أن يكون في اشتراطها ما يقع لعباد الله](1)، فإني امتنعت من دخول مدرسة شُرط فيها شروط، ولم أجدها عندي، ولعلِّي امتنعت بذلك أن أسأل عن مسألة احتاج إليها، أو أفيد أو أستفيد.

وحكى في مسائل الخلاف رواية عن أحمد: أنه لا يُشترط للمسح على العِمامة ولا لحوائل الرأس خاصَّة لبسها على طهارة، وهذه غريبةٌ جداً لا أعلم أحداً من الأصحاب حكاها غيره.

واختار فيه: استحباب الجمع بين الاستفتاح؛ بـ«وجَّهتُ وجهي» و«سبحانك اللهُمَّ وبحمدك».

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، واستدركته من «الذيل».

واختار: أنه يستحب أن يزاد في التشهد الأول: «اللهمَّ صَلِّ على محمد».

واختار: استحباب التكبير ثلاثاً في أول تكبير العيدين، وأيام التشريق.

وذكر أن الفِصادَ يفطر الصائم كالحجامة، وأنه مذهب أحمد.

وكان الوزير ـ رحمه الله تعالى ـ أديباً بارعاً فصيحاً مُفوَّهاً، وقد أوردَ له مصنِّف سيرته من رسائله إلى الخلفاء والملوك، والكتبُ التي أنشأها بأفصح العبارات، وأجْزل الألفاظ، ما لا يتَّسع هذا المكان لذِكْره.

وله شعرٌ كثيرٌ حَسَن في الزّهد وغيره، فممّا أنشده ابن الجوزي عنه:

يا أيُّها الناس إني ناصحٌ لكُمُ ... فَعُوا كلامي فإني ذو تَجاريبِ
لا تُلهِيَنَّكُمُ الدنيا بزَهْرَتِها ... فما تدومُ على حُسْنٍ ولا طيبِ

(قال: وأنشدنا لنفسه)

يلذُّ بهذا العيشِ مَن ليس يَعقِلُ ... ويزهَدُ فيه الألمعيُّ المحصِّلُ
وما عُجْبُ نفسٍ أن ترى الرأيَ إنما الـ ... ـعجيبةُ نفْسٌ مُقتضى الرأيِ تَفعلُ
إلى الله أشكو همّةً دُنيويّةً ... ترى النّصَّ إلا أنّها تتأوّلُ
يُنَهْنِهُهَا موتُ النَّبيهِ فترعَوي ... وتَخْدعُها روحُ الحياةِ فتَغْفُلُ
وفي كلِّ جزءٍ ينقضي مِن زمانِها ... مِن الجسمِ جزءٌ مثلُه يَتَحلَّلُ
فنفسُ الفتى في سهوِها وهْيَ تنقضي ... وجسمُ الفتى في شُغلِهِ وهْوَ يعمَلُ

(قال: وأنشدنا لنفسه)

والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظِهِ ... وأراه أسهلَ ما عليكَ يضيعُ

(قال: وأنشدنا لنفسه)

الحمد لله هذا العينُ لا الأثَرُ ... فما الذي باتِّباع الحقّ يُنتَظرُ
وقتٌ يفوتُ وأشغالٌ مُعوِّقةٌ ... وضَعفُ عَزمٍ ودارٌ شأنها الغِيَرُ
والناس ركضى إلى مَهوى مصارِعِهِم ... وليس عندَهُمُ من ركضِهِم خَبَرُ
تَسعى بها خادعاتٌ من سلامَتِهِم ... فيبلُغونَ إلى المهوى وما شعروا
والجهل أصلُ فسادِ النّاس كلِّهِمُ ... والجهلُ أصلٌ عليه يُخلَقُ البشَرُ
وإنما العلمُ عن ذي الرُّشْد يطرَحُهُ ... كما عن الطفل يوماً تُطرَحُ السَّرَرُ
وأصعبُ الدَّاء داءٌ لا يُحَسُّ بهِ ... كالدّق[1] يضعُفُ حسّاً وهْوَ يَستَعِرُ
وإنما لم يُحِسّ المرءُ مرتَعَها ... لأنّ أجزاءَها قد عمَّها الضّرَرُ

وقال صاحب سيرته: سمعتُه يقول: لولا عمومُ فقراءِ النّاس ما استغنَوا، فإنَّ الإنسان لمَّا افتقرَ احتال؛ فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والحطب، وغير ذلك، فانتفع بذلك المقيمُ، فلو أنَّ النَّاس استغنوا عن الكسب لافتقروا، لكنهم لما افتقروا تمَّ الغناء.

قال: وأنشدنا لنفسه في المعنى، وقد أنشدها ابن الجوزي عنه أيضاً:

جُسومٌ لا يلائِمُها البقاءُ ... وأجزاءٌ يُحلِّلُها الثَّواءُ
وكَوْنُ الشيء لا ينفكُّ يُفني ... فذلكَ أنَّ غايتَهُ الفناءُ
نُكِبُّ على التكاثُرِ وهْوَ فَقْرٌ ... وتُعجبنا السّلامةُ وهْيَ داءُ
ونجزَعُ للشدائدِ وهْيَ نُصْحٌ ... وتُغرِينا وقد عزَّ الرَّجاءُ

(١) في «الذيل»: كالدق.

تنافى الناسُ فاتّفقوا[1] اضطِراراً ... وقـد يُرجى مـن الـدّاءِ الـدَّواءُ
وعَـمَّ الفقـرُ فاسـتَغْنَوا ولـولا ... عمـومُ الفَقْـرِ مـا عـمَّ الغَنَـاءُ

(وأنشدنا لنفسه)

يَلَذُّ بـذي الدنيا الغبيُّ[2] ويَطرَبُ ... ويزهَـدُ فيهـا الألمعيُّ المجرِّبُ
ومـا عَـرَف الأيـامَ والنّـاسَ عاقلٌ ... ووُفِّـقَ إلّا كان في اليـوم يرغـبُ
إلى الله أشـكو هِمَّـةً لَعِبَـتْ بِهـا ... أبـاطيـلُ آمـالٍ تـغُرُّ وتَخْلُبُ
فَـوَا عجباً من عاقـلٍ يعـرفُ الدُّنا ... فيُصبـحُ فيها بعـد ذلـكَ يرغـبُ

(قال: وأنشد لنفسه ـ مما قال قديماً ـ):

كُـلُّ مَـن جاءنـا بديـنٍ غريـبٍ ... غيرَ دين الإسلام فَهْوَ كـذابُ[3]
وإذا عـالمٌ تكلَّـف في القـو ... لِ بـلا سُنَّةٍ فـذاكَ المـريـبُ

(قال: وأنشد لنفسه):

مـا لنـا قـطُّ غيرُ مـا شَرع اللـ ... ـه بـه يُعبدُ الإلـهُ الكـريـمُ
فتمسَّـكْ بالـشَّرعِ واعلَـمْ بـأنَّ الـ ... ـحقّ فيـه ومـا سـواهُ سُـمُـومُ

(ومما يُذكر من شعر الوزير رحمه الله):

تمسَّـك بتقـوى الله فالمرءُ لا يَبْقـى ... وكـلُّ امرئٍ ما قـدَّمَتْ يدُهُ يَلْقـى
ولا تظلِمَـنَّ النَّـاسَ مـا في يَدَيْهِـمُ ... ولا تَذْكُرَنْ إفْكاً ولا تَحسِدَنْ خَلْقـا
تَعَـوَّد فِعَـالَ الخير جَمْعـاً فكلُّ مـا ... تعـوَّدَهُ الإنسـانُ صـارَ لـه خُلْقـا

(١) في «الذيل»: فانْتَفُوا. والصواب ما في أصل الطباخ.
(٢) في «الذيل»: الغني.
(٣) في «الذيل»: كذوب.

وذكر ياقوت الحموي في كتاب «معجم الأدباء» بإسنادٍ له: أنَّ الوزير عُرِضت عليه جاريةٌ فائقة الحُسن، وظهر له في المجلس مِن أدبها، وحُسْن كتابتها، وذكائها، وظُرْفِها ما أعجبَه؛ فأمَر فاشْتُرِيَت له بمئةٍ وخمسين ديناراً، وأمر أن يُهيَّأ لها منزلٌ وجاريةٌ، وأن يُحمَل لها من الفُرُش والآنية والثياب وجميع ما تحتاج إليه، ثم بعد ثلاثة أيام جاءه الذي باعها وشَكَى له ألمَ فراقها، فضحك، وقال له: لعلَّك تريد إرجاعَ الجارية، قال: إي والله يا مولانا، وهذا الثمن بحاله لم أتصرَّف فيه، وأَبرَزَه.

فقال له الوزير: ولا نحن تصرَّفنا في الْمُثْمَن، فقال لخادمه يُمن: ادفع إليه الجاريةَ وما عليها، وجميع ما في حُجرتها، ودفع إليه الخِرقة التي فيها الثمن، وقال: اسْتَعينا به على شأنكما، فأكثر من الدعاء له، وأخذها وخرج.

وحُكِي عن الوزير: أنَّه كان إذا مدَّ السماط فأكثر ما يحضرهُ الفقراء والعُميان، فلمّا كان ذات يوم وأكل النّاس، وخرج الناس بقي رجل ضرير يبكي، يقول: سرقوا مَدَاسي ومالي غيرُه، والله ما أقدر على ثمن مداسي، وما بي إلا أن أمشيَ حافياً وأصلي، فقامَ الوزير من مجلسه، ولبس مداسَهُ، وجاء إلى الضرير، فوقف عنده، وخلع مداسَه والضرير لا يعرفه، وقال له: البس هذا، وأَبْصِرهُ على قدر رِجْلك، فلبسه وقال: نعم، لا إله إلا الله، كأنَّه مَداسي، ومضى الضَّرير، قال: ورجع الوزير إلى مجلسه، وهو يقول: سلمتُ منه أن يقول: أنت سرقتَه.

وأخبار الوزير ـ رحمه الله ـ ومناقبه كثيرةٌ جداً، وقد مدحه الشّعراء فأكثروا، وقيل: إنه رُزِق من الشعر ما لم يُرْزَق أحد، ومن أكابرهم الحيص بيص، وابن بختيار الأبله، وابن التعاويذي، والعماد الكاتب، وأبو علي بن أبي قيراط، ومنصور النميري، وخلق كثير، حتى قيل: إنه جمعت من مدائحه ما يزيد على مئتي ألف قصيدة في

مجلدات، فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الأعداء، فغسلها، ومن قول الحيص بيص في مدحه رحمه الله:

يَفِلُّ غرب الرزايا وَهْيَ باسلةٌ ... ويُوسِع الجارَ نصراً وَهْوَ مخذولُ
ويشهد القولَ[1] بسَّاماً وقد دمعت ... شوسُ العيون بدم العوم إحفيلُ[2]
ويُتَّقى مثلُ ما تُرجى فواضلُه ... وجودُه فهْو مرهوبٌ ومأمولُ
عارٍ من العار كاسٍ من مناقبه ... كأنه مرهفُ الخدَّين مسلولُ
سهل المكارم صعبٌ في حفيظته ... فبأسه والنّدى مُرٌّ ومعسولُ
قالي الدنايا وصَبْوان العُلى كَلِفٌ ... فالعار والمجد مقطوعٌ وموصولُ
الملك يحيى لدى قول ومعتركٍ ... إذا تشابَهَ مقطوعٌ ومفلولُ
مدَّ[3] الأسنَّةَ والأقوالُ ماضيةٌ ... فالخير[4] والقرب[5] مطرود ومفصولُ
جوادُ مَجْدٍ له في غرّةٍ[6] شَبَهٌ ... وفيه من واضحِ العلياء تحجيلُ
يَصيدُ وحشَ المعالي وهْي نافرةٌ ... كأنَّ مسعاهُ للعلياء أحبولُ

ومِمَّا أنشده أبو الفتح بن الأديب في أول يوم جلس فيه الوزير وقُرِئ عهده:

إذا قلتَ ليثٌ فهْو أمضى عزيمةً ... وإن قلتَ غيثٌ فهْو أندى وأجْوَدُ
منَ القوم ما أبقَوا سوى حُسْن ذكرهم ... وما عمَّروه بالجميل وشيَّدوا
وصيَّةُ مَوروثٍ إلى خير وارثٍ ... إذا سيِّدٌ منهم خلا قام سيِّدُ

(١) في «الذيل»: الهول وهو الصحيح.
(٢) في «الذيل»: (فذمَّ القومَ إحفيك) وينظر المعنى.
(٣) في «الذيل»: يمضي.
(٤) في «الذيل»: فالحبر.
(٥) في «الذيل»: والقرن.
(٦) في «الذيل»: فخره. والصواب: غرة.

يجيبهم[1] يحيى وما غاب غائبٌ ... إليه أحاديث المكارم تُسنَدُ
مناقبُ يُحصى دونها عددُ الحصى ... بها يُغْبَط الحرُّ الكريمُ ويُحسدُ
لِيَهْنَ أميرُ المؤمنين اعتضاده ... برأيك والآراء تَهدي وتُرشدُ
هو المقتفي أمرَ الإله وإنَّه ... لَيُصْدُر عن أمر الإله ويُورِدُ
تمنَّى وزيراً صالحاً يكتفي به ... وأفكاره في مثلها تتردّدُ
دعا زكرياءُ النبيُّ كما دعا ... إمام الهدى والأمر بالأمر يُعْضَدُ
فخُصَّ بيحيى مثل ما خُصَّ بعده ... بيحيى أميرُ المؤمنين محمدُ

ومن قصيدة لأبي عليّ بن الفلاس الشاعر أولها:

الحبُّ يهجر والطيوفُ تزورُ ... وكأنَّما أصل الصَّبابة زورُ
طِلْتَ الملوكَ وقَصَّرُوا عن غايةٍ ... ما نالها كسرى ولا سابورُ
وعدلْتَ حتى لم تدَعْ من ظالمٍ ... يدُهُ على المستضعفين تجورُ
فالأرضُ مُشرقةٌ بعدلك والنَّدى ... وصباح عدلك ما له ديجورُ
قد رُوِّضَت بالمكرمات كأنَّما ... كلُّ البلاد خورنقٌ وسديرُ[2]

ولمنصور النُّميري[3]:

علقت بيحيى رجائي بمن ... يحكم الإمساك في وفرهِ[4]

(١) في «الذيل»: سيحييهم.
(٢) خورنق وسدير: قصران مشهوران.
(٣) هو من رجال ابن خلكان، قال في ترجمته: وكان ببغداد كثير الانقطاع إلى الوزير عون الدين بن هبيرة (الطباخ). توفي سنة (٥٨٨هـ)، وجمع ديوانه الدكتور نوري حمودي القيسي، والأستاذ هلال ناجي، ونشراه في المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٠هـ.
(٤) الوزن مختل، وفي «الذيل»:
أعلقت من يحيى رجائي لمن ... تحتكم الآمال في وفره

وكان عونُ الدِّين أحرى الورى بنصرة الحرِّ على دهرِهِ
وزيرُ صدق عمَّ إحسانهُ فأجمَعَ الناسُ على شكرِهِ
أبَّهة الملْك على وجهه وخشيةُ الرحمن في سِرِّهِ
ترى على الغيب[1] نَدَى كفِّه ونائل المرء على قدرِهِ

قال ابن الجوزي: كان الوزير يتأسَّف على ما مضى من زمانه، ويندم على ما دخل فيه، ثم صار يسأل الله عزَّ وجلَّ الشهادة، ويتعرّض لأسبابها.

وكان الوزير ليس به قَلَبَة[2] في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ستِّين وخمس مئة، ونام ليلة الأحد في عافية، فلمَّا كان وقت السحر قاء[3]، فحضر طبيب كان يخدمه، فسقاه شيئاً، فقال: إنَّه سمَّه فمات، وسُقيَ الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سُمّاً فكان يقول: سُقيت كما سَقَيْتُ، فمات.

قال: وكنتُ في تلك الليلة رأيتُ في النوم مع انشقاق الفجر الوزير كأنه في داره، ودخلَ رجل بيده حربة فضربه بها، فخرج الدَّم كالفوَّارة، فضرب الحائط، ورأيت هناك خاتماً من ذهب مُلقىً، فلما استيقظتُ أخبرت مَن معي بالحديث، فما استَتْمَمْتُهُ حتى جاء الخبر بموت الوزير، ونفَذَ إليّ من داره، فحضرتُ وأمرني ولداه أن أغسِّله فغسَّلتُهُ، فرفعتُ يدَه ليدخلَ الماء في مغابنه فسقط الخاتم من يده، حيث رأيت ذلك الخاتم، فتعجَّبت من وجهه، ورأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده تدلُّ على أنه مسموم.

وحُملت جنازته يوم الأحد إلى جامع القصر، وصُلّي عليه، ثم حُمِلَ إلى مدرسته

(١) في «الذيل»: يربي على الغيث. وهو الصواب.
(٢) أي: ليس به علّة.
(٣) في «الذيل»: قام. والصواب ما عند الطباخ.

التي أنشأها بباب البصرة؛ فدُفنَ بها، وغُلِّقت يومئذ أسواق بغداد، وخرج جمعٌ لم نَرَهُ لمخلوق قطّ في الأسواق، وعلى السطوح وشواطئ دِجْلة، وكَثُر البكاء عليه لما كان يفعلُه من البرّ، ويظهره من العدل.

وذكر مصنّف سيرته أنه كان ثار به بلغمٌ وهو في قصره بـ«الخالص»، ثم خرج مع المستنجد للصَّيد، فسُقي مُسْهِلاً لأجل البلغم، فاستأذن الخليفةَ في الدخول إلى بغداد للتداوي، فأذِنَ له، فدخل يومَ الجمعة في موكب عظيم، وصلى الجمعة، وحضر الناس عنده يوم السبت، فلما كان وقت صلاة الصبح يومَ الأحد عاودَهُ البلغم، فوقع مَغشياً عليه، فصَرَخ الجواري، فأفاق، وسكَّتَهُنَّ، وقيل له: إن أستاذ الدار ابن رئيس الرؤساء[1] قد بعث جماعة ليستعلم ما هذا الصياح، فتبسَّم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال، وأنشد متمثلاً:

وكم شامت بي عند موتي جهالة يَظلّ يَسلُّ السيف بعد وفاتي[2]
ولو علمَ المسكينُ ماذا يناله من الضُّرِّ بعدي مات قبل مماتي

قلتُ[3]: وكذا وقع، فإنَّ ابن البلَدي[4] الذي تولَّى الوزارة بعده لم يُبْقِ من الأذى لِبَيت رئيس الرؤساء ممكناً، قال: ثم تناول مشروباً فاستفرغ به، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة، وصلى قاعداً، فسجد فأبطأ عن القعود من السجود، فحرَّكوه فإذا هو مَيِّت رحمه الله.

(١) عضد الدين محمد بن عبد الله. قتل سنة ٥٧٤هـ. تنظر ترجمته في «تاريخ الإسلام».
(٢) في «الذيل»:
وكم شامت بي عند موتي جاهل بظلم يسلُّ السيف بعد وفاتي
(٣) القائل: ابن رجب، كما ذكره صاحب المنهج الأحمد (الطباخ).
(٤) أحمد بن محمد بن سعيد (ت ٥٦٦هـ).

ورثاه جماعة من شعرائه، منهم النُّميري بقصائد، منها قوله:

أَلِمْ على جدَثٍ حوى   تاج الملوك وقُلْ سلامْ
واعقِر سويداء الضمير   فليس يقنعني السَّوامْ
وتوقَّ أن يثني حياءٌ   دمعاً بعينيك أو ملامْ
إنَّ التماسك والوقار   بمن أصيب به حرامْ
فإذا ارتوت تلك الجنادل   من دموعك والرَّغامْ[1]
فأقم صدور اليعملات   فبعدَ يحيى لا مَقَامْ
ذهب الذي كانت تقيّ   دني مواهبُهُ الجِسامْ
وإذا نظرت إليه لم   يخطر على قلبي السآمْ
غاض النَّدى الفيّاض عن   راجيه واشتدَّ الأوامْ
وتفرَّقت تلك الجموع   وقُوِّضت تلك الخيامْ
ولقد عَهدت أبا المظفَّر   ذا عُلاً لا يُستضامْ
يثِب القعودُ إذا بدا   ويقبِّل الأرض القيامْ
ما للنفوس من الحمام   إذا ألمَّ بها اعتصامْ
عَجَباً لمن يغترُّ بالدنيا   وليس لها دَوامْ
عُقْبى مَسرَّتها الأسى   وعَقيبَ صحَّتها السَّقامْ
انظر إلى أبواب عوْن   الدين يعلوها القَتامْ
وكأنَّ عون الدين لم   يك للزمان به ابتسامْ
لله ما عدمت به الدنيا   وما حوت الرجامْ
لا غرْو أن أدمى الجفون   لفقدك الدمعُ السِّجامْ

(١) الرغام: تراب لين، أو رمل مختلط.اهـ (الطباخ).

إنَّ المكارم بعد موتك ما لفرقتها التئامْ
ما مُتّ وحدك يوم متّ   وإنَّما مات الأنامْ
حيَّاك رقراق النَّسيم   وجاد مثواك الغمامْ
يأبى لك الإحسان أن   أنساك والشِّيمُ الكرامْ
وببعض حقِّك أنَّ حزني   فيك ليس له انْصرامْ

(وأنشد بعض الشعراء يوم موته)

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى   مَلِكاً ماجِداً به يُستعانُ
وإذا مات من زمان كريمٌ   مثل يحيى به يموت الزمانُ

قال مصنِّف السيرة: حدَّثني أبو حامد أحمد بن عيسى الفقيه الحنبلي الشيخ، حدثني الشيخ الصالح أبو عبد الله بن زفر، قال: رأيت في المنام ـ وأنا بأرض جزيرة ابن عمر ـ كأنَّ جماعةً من الملائكة يقولون لي: قد مات في هذه الليلة ببغداد وليٌّ من أولياء الله تعالى، فاستيقظتُ منزعجًا، فحدَّثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معي، وأرّخنا تلك الليلة، فلما قدمتُ بغداد سألت: من مات في تلك الليلة؟ فقيل لي: مات بها الوزير عون الدّين بن هُبيرة.

قال: وحدَّثني الشيخ الصالح محمود بن البقال[1] المقرئ الزاهد، قال: كنتُ دائماً إذا ذكرت الوزير عون الدين ابن هبيرة أقول: اللهم هَبْهُ، واستَوهب له.

قال: ومضى على ذلك زمان، فرأيت في المنام كأني قد دخلتُ مدرسته لزيارة قبره، وإذا هو قائم على القبر، فقال: يا محمود إنَّ الله وهبني واستوهب لي.

(١) في «الذيل»: النعَّال.

وحدَّثني الوزير أبو الشجاع محمد بن الوزير أبي منصور محمد، قال: كنتُ كثيرَ الوقوع في الوزير ابن هبيرة، فرأيتُه في المنام في بستان لم أرَ له في الدنيا شبيهاً، ومعه مَلَك يَجني له ثماره، ويترك له في فمه، فهممت بدخول البستان، فصاح الملك عليَّ، وقال: هذا بستان قد وهبه الله تعالى لهذا بعد أن غفر له، فلا سبيل لأحد أن يدخله إلا بإذنه، فاستيقظت مرعوباً، وتُبتُ إلى الله عز وجلّ من ذكره، إلا بالرحمة عليه، والاستغفار له.

قال: وحدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقرئ قال: رأيتُ الوزيرَ ابن هبيرة في النوم؛ فسألتُه عن حاله؟ فأجابني بهذين البيتين:

قد سُئلنا عن حالنا فأجبْنا ... بعد ما حالَ حالُنا واحتجبنا

فوَجَدْنا مضاعفاً ما كَسِبنا ... ووجدنا مُمحَّصاً ما اكتسبنا

وهذه الأبيات رواها ابن النجار عن ابن الدُّبيثي، عن أبي شجاع محمد بن أبي علي المؤدّب.

قال: وسمعت[1] القاسم السلامي قال: رأيت الوزير في المنام فذكرها.

قال صاحب سيرته: ولو استقْصَيتُ ما ذكر له من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتاباً ضخماً.

أخبرنا أبو المعالي محمد بن عبد الرزاق بن أحمد الشيباني الزاهد ـ بقراءتي عليه ببغداد، سنة تسع وأربعين وسبع مئة ـ، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الأنجب بن الكسار ـ سماعاً ـ ، أنبأنا العلامة أستاذ دار الخلافة أبو محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي، أنا أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو محمد عبد الله بن

(١) في «الذيل»: أبا القاسم.

المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بن الناصر، أنا أبو علي الحسن بن المبارك الزَّبيدي.

ح وأخبرناه ـ عالياً ـ أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصري بها، أنا سفيرُ الخلافة أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم، أنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ، قالا: أنبأنا الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة قال: قرأتُ على الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله بن المقتدي، قلت له: حدَّثكم أبو البركات أحمد بن عبد الله السِّيبي، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفيني[1]، ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلّص، ثنا إسماعيل بن العباس الورّاق، ثنا حفص بن عمرو الرَّبالي، أنا المبارك بن سُحَيم، ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزداد الأمر إلا شدّة، ولا يزداد الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»[2].

وفي هذا الإسناد سلسلة عجيبة بالخلفاء والملوك.اهـ. ما في طبقات أبي الفرج[3].

(١) في «الذيل»: الصيرفي.

(٢) رواه الطبراني (٨: ٢٢٧)، والحاكم في «الفتن والملاحم» (٤: ٤٤٠)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٦٠٩): رجاله رجال الصحيح، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) قال صاحب «الكشف» في كلام على عجائب المخلوقات: وصنَّف فيها أبو حامد محمد بن عبد الرحمن الأندلسي كتاباً، ذكر فيه أنه سأله بعضهم أن يذكر له نسبه وبلاده، وما شاهد من عجائب البلدان، فأجاب، قال: فرأيت أن أُسمي هذا المجموع «المغرب عن بعض عجائب المغرب»، وأجعله برسم خزانة مولانا الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة، وأن أذكر إحسانه قال: لما وصلت إلى بغداد سنة ٥١٦هـ (هكذا) ست عشرة وخمس مئة، أنزلني أحسن دوره، فأقمتُ ضيفه أربع سنين، ولما رجعت إليها سنة ٥٥٥هـ خمس وخمسين وخمس مئة، أنزلني أيضاً بأحسن مقامة وأكرمني على عادته.اهـ. (الطباخ) .

وقال في «معاهد التَّنصيص» في بحث التضمين؛ في تضمين بعض الشعراء: (اتَّسع الخَرق على الراقع)، ذكرت بهذا التضمين ما حُكي عن الوزير عون الدين ابن هبيرة أنّه قال له بعض أصحابه في هربته التي قتل فيها[1]: يا مولانا أين ذلك التدبير وتلك السياسة؟ فأنشد:

الثـوب إنْ أسرعَ فيـه البِـلى ... أعيـا عـلى ذي الحيلـة الصانـعِ
كنـا نداريهـا وقـد مُزِّقَـت ... (واتَّسـع الخـرق عـلى الرّاقـعِ)

* * *

(١) ابن هبيرة لم يهرب!! ومات ببغداد وهو في منصبه. ولعلّ الصواب: في كربته، حيث إنه سُمَّ أثناء مرضه من قِبَل طبيبه.

الفصلُ السابع

الرسائلُ المحققَّةُ المنشورةُ في المجلّات

١ ـ قصيدة في المقصور والممْدود، للإمام اللغوي أبي بكر بن دُرَيد.

٢ ـ قصيدة جامعة لما يُكتَب بالواو والياء، للشَّوَّاء الحلبي.

٣ ـ رسالة الكنز المظهر في استخراج المضمر، لابن الحنبلي الحنفي.

٤ ـ رسالة في علم النفس، للإمام الفخر الرازي.

رسالتان لغويتان[١]

في المدرسة المنصوريَّة بحلب بقية كُتُب مخطوطة من مكتبةٍ؛ وقَفَها على هذه المدرسة بانيها الشّيخ منصور السرميني؛ المتوفّى سنة **١٢٠٧**هـ، من جملتها: شرح العلَّامة المناوي الكبير على الجامع الصغير، للحافظ السيوطي.

تصفّحت هذا الكتاب؛ فوجدتُ في آخره ورقتين؛ كُتِب فيهما قصيدتان مهمّتان في اللّغة، يَجدُر بكلِّ عالم وأديب أن يطَّلع عليهما؛ لما فيهما من الفوائد اللغوية التي لا يتأتّى الوقوف عليها إلا بعد عناء كثير، وتتبّع طويل.

إحداهما: «قصيدة في المقصور والممدود» للإمام اللغوي أبي بكر بن دُرَيد صاحب المقصورة الدريدية المشهورة.

كانت هذه القصيدة طُبعت في مصر في ذيل الشَّرح المسمَّى: «أعجب العجب في شرح لامية العرب» للإمام الزمخشري سنة **١٣٢٤**هـ، إلا أنها لم تطبع بتمامها، ولا شَرْح هناك لكلماتها، ولا عنوان على فصولها، وفي النّسخة التي عثرتُ عليها زيادات، من قوله: «باب ما يُكسر أوّله فيُقصر إلخ» ولكلِّ فصل عنوان كما ستراه[٢].

ثانيتهما: قصيدة جامعة لما يُكتَب بالواو والياء؛ للعالم الأديب أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي المعروف بالشَّوَّاء الحلبي؛ المتوفّى سنة **٦٣٥**هـ، وقد شرح

---

(١) «مجلة المجمع العلمي العربي»، الجزء السابع، من المجلد الثامن: (**١٣٤٧**هـ = **١٩٢٨**م).

(٢) وللقصيدة شرح لابن هشام اللخمي؛ المتوفى سنة **٥٧٧**هـ، حقَّقه الدكتور مهدي عبيد جاسم.

هذه القصيدة محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي؛ المتوفّى سنة ٦٩٨هـ، وسمّاه: «هَدْي أمهات المؤمنين»[١]، توجد نسخة منه في مكتبة كوبريلي في الأستانة، ورقمها ١٤٩٩[٢]، إن كانت هذه المكتبة باقية إلى الآن.

والإمامان المذكوران[٣] مترجَمَان في الجزء الرّابع من تاريخي: «إعلام النّبلاء بتاريخ حلب الشّهباء».

وفي حواشي القصيدتَين شرحٌ لهما لا أدري لِـمَن؟ وخطُّهما سقيم جداً لا يُقرأ إلا بعد تأمّلٍ طويل، وهاتان هما:

الرّسالة الأولى

«باب ما يُفتَح أوّلُه فيُمدُّ ويُقصَر، والمعنى مختلف»:

لا تَـركَـنَـنَّ إلى الهَـوى ... واذكُـرْ مُـفـارَقَـة الهـواءِ[٤]
يـومـاً تـصـير إلى الـثَّـرى ... ويـفـوزُ غـيرُك بـالـثَّـراءِ[٥]
كـم مـن حـفـير في رَجَـا ... بـئرٍ لمنـقَـطِع الـرَّجـاءِ[٦]

(١) هكذا في المطبوع، والصواب: «هُدَى مهاةِ الكُلّتين وجَلَا ذات الحُلّتين» كما نصَّ عليه في مقدّمة الكتاب.
(٢) هذا الرقم الصحيح، وما زالت مكتبة كوبريلي تحتفظ بهذه النّسخة، وهي النسخة الثانية التي اعتمدها محقّق الكتاب الدكتور تركي العتيبي.
(٣) أي ابن الشّواء، وابن النّحاس الحلبيّان.
(٤) الهوى المقصور: هوى النَّفس. والممدود: ما بين السّماء والأرض (الطباخ).
(٥) الثّرى المقصور: هو التّراب. والممدود: المال (الطباخ).
(٦) الرَّجا المقصور: جانب البئر. والممدود: معروف (الطباخ)، وفي الأصل: صغير، والتصحيح من النّسخة المحقّقة.

غـطَّـى عـلـيـه بـالـصَّـفـا ... أهـلُ المـودَّة والـصَّـفـاءِ[١]
ذهـب الـفَـتـى عـن أهله ... أيـن الـفَـتِـيُّ من الـفَـتَـاءِ[٢]
زال السَّـنَـا عـن نـاظـرَيْـ ... ـه وزالَ عـن شَرفِ السَّناءِ[٣]
مـا زال يلتـمـس الـخَـلى ... حتـى تـوحَّـد في الخَـلاءِ[٤]
قـطـع الـنَّـسا منـه الزَّمـا ... نُ فلـم يُمتَّـعْ بـالنَّسـاءِ[٥]
وأرى العَشـا في العَـين أكـ ... ـثر مـا يكون من العَشَاءِ[٦]
وأرى الخَـوى يُـذْكـي عقو ... لَ ذوي التفكُّـر في الخَـواءِ[٧]
وَلَـرُبَّ ممـنـوع الـعَـرَا ... وَلَسَـوفَ يُنْبَـذُ بالعَـراءِ[٨]
مَـن خـاف مِـن أَلَـمِ الحَفَا ... فلْيَجْتَنِبْ مشـيَ الحَفَـاءِ[٩]
كـم مَـن تـوارى بـالنَّقـا ... بعـد النَّظافـة والنَّقـاءِ[١٠]
وأخـو الـغَـرا مـن لا يزا ... لُ بها يضـرّ أخـا غـراءِ[١١]

(١) الصَّفا المقصور: الحجارة. والممدود: معروف (الإمحاص في المودّة).
(٢) الفَتى المقصور: واحد الفِتيان. والممدود: واحد الفُتُوّة (الطباخ).
(٣) المقصور: النّور. والممدود: المجد والشرّف (الطباخ).
(٤) الخَلا المقصور: الحشيش. والممدود: من الخَلْوة (الطباخ).
(٥) النَّسا المقصور: عِرق. والممدود: التّأخير (الطباخ).
(٦) العَشا المقصور: داءٌ في العين. والممدود: الأكل عشِيّاً (الطباخ).
(٧) الخَوى المقصور: الجوع. والممدود: الهواء، أي: الفراغ (الطباخ).
(٨) العَرى المقصور: ما حول الدُّور. والممدود: المكان الخالي (الطباخ).
(٩) الحَفا المقصور: مصدر حفي. والممدود: مشي بغير نِعال.
(١٠) النَّقا المقصور: الحجارة الرِّقاق. والممدود: مصدر من النّقا. وفي الصحاح: والنَّقاء ممدود: النّظافة، والنَّقا مقصور: الكثيب من الرَّمل (الطباخ).
(١١) الغَرا المقصور: ولد البقر. والممدود: الولوع بالشيء (الطباخ).

إنَّ الحَـيَـاة مـع الحَـيَـا   وأرى البـهـاء مع الحَيَاءِ(١)
عقـلُ الكبـير مِـن الـوَرى   في الصَّالحـات مِـن الـوَراءِ(٢)
لـو تعلـم الشَّاةُ النَّجَـا   منهـا لجـدَّت في النَّجـاءِ(٣)
وأرى الـدَّوا طُـول السَّقـا   م فلا تُفرِّطْ في الدَّواءِ(٤)
وإذا سمعتَ وَحَى الزَّمـا   ن فلا تقصِّرْ في الوَحَاءِ(٥)
فـلربـما ودَّى السَّفَـا(٦)   إلى السَّفا أهلَ السَّفاءِ(٧)
يابنَ البَرَى إنَّ الأحبـَّ   ـة يُؤذِنُونك بالبَرَاءِ(٨)
فكُلِ الفَنَا إن لم تَجِدْ   حَلًّا فإنَّك في الفَنَاءِ(٩)
وأراك قد حال العَمى   ما بين عَينك والعَمَاءِ(١٠)
فانْظرْ لعينك في الجَلا   إنْ خِفْتَ من يوم الجَلاءِ(١١)
فلرُبَّما وَدّى الغَضَا   مُتَزوِّدِيه إلى الغَضَاءِ(١٢)

---

(١) الحَيا المقصور: الغيث. والممدود: الاستحيا (الطباخ).
(٢) الوَرَى المقصور: من الخلق. والممدود: من الخلف (الطباخ).
(٣) النَّجا المقصور: سلخها. والممدود: السرعة في الهرب (الطباخ).
(٤) الدَّوَا المقصور: طول المرض. والممدود: ما يُتداوى به (الطباخ).
(٥) الوَحَى بالقصر: الصّوت. وبالمدّ: السّرعة (الطباخ).
(٦) كذا في الأصل. وفي الديوان:
فلربَّما ودّى السَّفا   نَحْوَ السَّفا أهلَ السَّفا.
(٧) السَّفا المقصور: تراب القبر. والممدود: الطيش. ودّى: أي: ساق (الطباخ).
(٨) البَرَى المقصور: التراب. والممدود: مصدر بريء.
(٩) الفَنَا: عِنَب الثعلب. والممدود: نفاد الشيء (الطباخ).
(١٠) العَمَى المقصور: عمى العين. والممدود: السّحاب الرقيق (الطباخ).
(١١) الجَلا المقصور: الكحل. والممدود: الخروج من المنزل (الطباخ).
(١٢) الغَضَا المقصور: البُلْغة. والممدود: من السَّعة (الطباخ)، وفي النّسخة التي شرحها ابن هشام:
فلربّما أدّى الفَضى   متزوِّديه إلى الفضاء.
=

فاهدأْ هُدِيتَ إلى الذّكا   إنْ كنتَ من أهلِ الذَّكاءِ(١)
فالمرء نُبِّه بالعَفَا   فلم يُفكّر في العَفَاءِ(٢)
سَيَضيقُ مُتَّسِعُ الملا   بالمخرَجين من المَلَاءِ(٣)
فارْغَبْ لربِّك في الجَدا   ما أنتَ عنهُ ذو جَدَاءِ(٤)
تُوصي وعقلُك ذو بَدَا   فلذاكَ رابَك ذو بَدَاءِ(٥)
فكأنَّما ريحُ الصَّبا   تجْري بطُلّاب الصَّباءِ(٦)
باعوا التَّيقُّظ بالكَرا   فعقولُهم بذَوِي كَرَاءِ(٧)
فكأنّهم مَعَزُ الأبَا   وكالحُطَام من الأبَاءِ(٨)

= وقال في شرحه: الفَضى: الشيء المختلطِ؛ مثل التّمر مع الزبيب، ونحوهما، يُكتَب بالياء، والفضاء ممدود: السَّعة.
(١) الذّكا المقصور: اشتعال النَّار. والممدود: الفهم (الطباخ). وفي النّسخة المحقَّقة:
فاهرُبْ هُدِيتَ من الذَّكا   إنْ كنتَ من أهلِ الذَّكاء.
(٢) العَفَا المقصور: الإعياء. والممدود: الهلاك (الطباخ). وفي النّسخة السابقة:
فالمرء أشبَهُ بالعَفا   إن لم يُفكِّر بالعَفاء
وقال في شرحه: العَفَا مقصورٌ، في لغة طيِّئ: الحمار، يُكتَبُ بالألف، والعفا ممدود: محو الأثر.
(٣) الملا المقصور: الأرض الواسعة. والممدود: الفنى (الطباخ)، وفي شرح ابن هشام: والملا مصدر قولك: إنه لملي من الملاء.
(٤) الجدا المقصور: العطاء. والممدود: الغِنى (الطباخ). وفي الصّحاح: الجدى بالقصر: الجدوى، وهما العطية، وفلان قليل الجداء عنك؛ بالمدّ أي: قليل الغنا والنّفع (الطباخ).
(٥) البَدا المقصور: موضع. والممدود: نقيض الرأي (الطباخ).
(٦) الصَّبا المقصور: الرّيح الشرّقية. والممدود: مصدر صبا (الطباخ).
(٧) الكَرَا المقصور: النوم. والممدود: بيت بالطائف (الطباخ).
(٨) الأَبَا المقصور: داء يأخذ المعز. والممدود: أطراف القصب (الطباخ).

«باب ما يُكسَرُ أوَّلُه فيُقصَرُ ويُمَدُّ، والمعنى مختلف»:

كم من عظامٍ باللِّوَى ... قد فارقَت خَفْقَ اللِّواءِ[١]
وأرى الغِنى يدعو الغَنِيَّ ... إلى الملاهي والغِناءِ[٢]
يمضي الإِنَى بعد الإِنَى ... ومُنَاه في مَلءِ الإِناءِ[٣]
فلرُبَّما فَضَحَ الرِّجا ... لَ ذوي اللِّحى كشفُ اللِّحاءِ[٤]
ولَرُبَّما صاد العِدا ... ذا السَّبْق في صيدِ العِداءِ[٥]
ولَرُبَّ مهجور البِنا ... بعد التأنُّق في البِنَاءِ[٦]
ويستوي أهل الكِبَا ... وذوي التعطُّر في الكِباءِ[٧]
ولَرُبَّ ماءٍ ذي رِوىً ... يحتاجُ فيه إلى الرِّواءِ[٨]

«باب ما يُكسَر أوَّلُه فيُقصَر ويُفتَح فيُمَدّ، والمعنى واحد»:

وأرى البِلا يُبلي الجديـ ... ـد وكلُّ شيءٍ للبَلاءِ[٩]
كم مِن إناً يُفنِي الليا ... لي ثمَّ يَفنى بالأَناءِ[١٠]
وأرى القِرا ما لا يَدُو ... مُ على الزّمان لذي قَراءِ[١١]

(١) اللِّوا المقصور: الرمل. والممدود: لواء الأمير (الطباخ).
(٢) الغِنى المقصور: ضد الفقر. والممدود: من الصوت الذي يطرب به (الطباخ).
(٣) الإِنَى المقصور: واحد الآناء، وهي الساعات. والممدود: واحد الآنية (الطباخ).
(٤) اللِّحا المقصور: جمع لحية. والممدود: الشّتم (الطباخ).
(٥) العِدا المقصور: الأعداء. والممدود: الموالاة بين التَّيسَين (الطباخ).
(٦) البِنَا المقصور: جمع بنية. والممدود: من البناء (الطباخ).
(٧) الكِبَا المقصور: الكُناسة. والممدود: ضرب من العود (الطباخ).
(٨) الرِّوا المقصور: الماء الكثير. والممدود: حبل يشدّ فيه الخيل (الطباخ).
(٩) البِلا بالقصر. والمدّ: اسم لما يَبلى (الطباخ).
(١٠) الإنا والأناء (كذا في الأصل. والإنا ـ بكسر الهمزة والقصر ـ: النضح. والأَنَا: من الأناة والتُّؤَدة).
(١١) القِرى والقَراء: قرى الضيف (الطباخ).

وذوي السِّوَا يَرِث الفتى ... ولَيَنزِعَنَّ مِن السَّواءِ[١]
حُبُّ النِّساء إلى قِلا ... وأرى الصّلاح مع القَلاءِ[٢]
ماء الحَياة رِوى وَأْي ... للمُحبلات من الرِّواءِ[٣]
كم مِن إيَا شمس رأيـ ... ـتَ ولا ترى مثل الأَياءِ[٤]

«باب ما يُضَمّ أوَّلُه فيُقصَر ويُكسَر فيُمَدّ، والمعنى واحد»:

تهوى لُقا ما لا يَحِلّ ... وبَعدَه يوم اللِّقاءِ[٥]

«باب ما يُفتَحُ أوَّلُه فيُقصَر ويُكسَر فيُمَدّ، والمعنى واحد»:

وسكنتَ بيتاً ذا غَمىً ... ولتخرجنَّ من الغِماءِ[٦]
فانظرْ لسهمِكَ في غَرا ... لا تستقيم بلا غِراءِ[٧]
واحذرْ صَلَى نار الجحيـ ... ـم فإنَّه شرُّ الصِّلاءِ[٨]
فجَرَى الشَّباب يزولُ عنـ ... ـك وقلَّ ما أغنى الجِراءِ[٩]

(١) السِّوا والسَّواء: الغير (الطباخ).
(٢) القِلا والقَلاء: البُغض (الطباخ).
(٣) الرِّوى والرَّواء: الكثير. هكذا هذا البيت، ولم يظهر لي (الطباخ).
ورواية الديوان ص٣٦:
ماءُ الحياة رِوىً وأنْـ ... ـتَ للمجلّي بالرِّواءِ
(٤) الأيا والإيا: نور الشمس (الطباخ).
(٥) اللُّقا واللِّقاء: مصدر لقى (الطباخ).
(٦) الغَمى والغِماء: المتاع، وقيل: سقف البيت (الطباخ).
(٧) الغَرا والغِراء: ما يُغرَى به السَّهم (الطباخ).
(٨) الصَّلا والصِّلاء: حرّ النّار (الطباخ).
(٩) الجَرى والجِراء: مصدر جري الشّباب (الطباخ).

وأرى الغَـــذى لا يُـستطـا ـع فمَـنْ لـنفسِـكَ بالغِـذاءِ[١]
كـم قـد وردْتَ عـن الأضـا وصدرْتَ عن ذاك الإضاءِ[٢]

«باب ما يُفتح أوّلُه فيُقصَر ويُكسَر فيُمدّ، والمعنى مختلف»:

وأراك تـنظُـرُ في السَّـحـا لا ضَـيرَ في نَظَـرِ السِّحاءِ[٣]

«باب ما يُضمّ أوّلُه فيُقصَر ويُفتح فيُمدّ، والمعنى مختلف»:

شمسُ الضُّحى طلَعَت عليـ ـك ولا ترى شمسَ الضَّحاءِ[٤]

الرّسالة الثّانية[٥]

قُلْ إنْ نسبتَ: عَزَوتُهُ وعزَيْتُهُ وكنوتُ أحمدَ كُنيةً وكَنَيْتُهُ
وطَغَوْتُ في معنى طَغَيتُ، ومَن قَنا شَيئاً يقول: قَنَوتُهُ وقَنَيْتُهُ
ولَحَوتُ عُودِي قاشراً كلَحَيتُه وحَنَوْتُه: عَوَّجْتُه، كَحَنَيْتُهُ
وقَلَوتُه بالنّار مثل قَلَيْتُه وَرثَوتُ خِلّاً مات مثل رَثَيْتُهُ
وصَغَوتُ مثل صَغَيْت نحو مُحدِّثي وحلَوْتُه بالحَلْي مثل حَلَيْتُهُ[٦]
وَرَقَوْتُ مثل رَقَيْتُ قِلّةَ[٧] راهبٍ وَمَحَوْتُ خطّ الطِّرس مثل مَحَيْتُهُ

(١) الغَذى والغِذاء: ما يُغْتَذَى به (الطباخ).
(٢) الأضا والإضاء: الغدير (الطباخ).
(٣) السَّحا المقصور: القرطاس، والممدود: الخفاش (الطباخ).
(٤) الضُّحى بالضّم: صدر النّهار، وبالفتح: النهار ممدوداً (الطباخ).
(٥) تعقّب الأستاذ محمد بن أبي شنب العلامة الطباخ بمقالة عنوانها: «إيضاح واستيضاح» رجّح فيها أن القصيدة لابن مالك، وليست لابن الشّواء الحلبي، ولكن القصيدة مع شرحها لابن النحاس الحلبي؛ مرويّة بالسند المتّصل إلى قائلها، وقد حقّقها ونشرها الدكتور تركي العتيبي بمطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٩٩٣م.
(٦) الحلي: ما يتزين به من مصوغ المعدنيات، جمعه حُلّي.
(٧) القلة: أعلى كل شيء، ويراد بها أيضاً دير الراهب كما هنا.

احْثُوا الحثّي[١] التّرْبَ؛ قُلْ بهما معاً وسَحَوْت ذاك الطّين مثل سَحَيْتُهُ
وكذا طَلَوتُ طِلاءَهُ كَطَلَيْتُه ونَقَوْتُ مُخّ عظامِهِ كنَقَيْتُهُ[٢]
والسَّيفُ أجْلُوْه وأجْليْه معاً وغَطَوْتُه بالشّيءِ مثل غَطَيْتُهُ
وحَنَوْتُ مثل حَنَيْتُ عند تعطّفٍ ودأوْتُه ـ كخَتَلْتُه ـ ودأَيْتُهُ
ودَنَوتُ مثل دَنَيتُ قد حُكيا معاً وكذاك يُحكى في شَكَوْتُ شَكَيْتُهُ
وسأوتُ ثوبي قُلْ: سأَيْتُ مَدَدتُه وسَرَوْتُ عنّي الثّوبَ مثل سَرَيْتُهُ[٣]
والضَّحْوُ والضَّحْيُ: البُروزُ لشمسنا وعَشَوْتُه المأكولَ مثل عَشَيْتُهُ
ضَبْوٌ وضَبْيٌ غَيّرَتْهُ النّار أو شمسٌ، كذا بهما مَضَوْتُ مَضَيْتُهُ[٤]
واللهُ يَطحُو الأرضَ[٥] يَطحِيها معاً وطَحَوْتُه كدَفَعْتُه وطَحَيْتُهُ
عَجْواً وعَجْياً أرْضَعَتْ في مُهْلَةٍ[٦] وفَلَوْتُه مِن قَمْلَةٍ وفَلَيْتُهُ
ونَسَوْتُ ناقَتَنا كذاك نَسَيْتُها وإذا قصدتَ نَحَوْتُه ونَحَيْتُهُ
وثَنَوْتُ مثل ثَنَيْتُ نَشْرَ حَدِيثِهم وكذا الصّبيّ غَذَوْتُه وغَذَيْتُهُ
لَغْوٌ ولَغْيٌ للكلام وهكذا مَغْوٌ ومَغْيٌ فادْرِ ما أبديتُهُ[٧]

حلب

محمد راغب الطباخ

(١) حثو ـ كما في «مقاييس اللغة» ٢: ١١٠: الحاء والثاء والحرف المعتلّ يدل على ذرْو الشيء الخفيف. ويقال: حثا التراب يحثوه، ويقال: حثا يحثي حثياً. وهو أفصح. وفي «تكملة المعاجم العربية» ٣: ٥٨: حثو: حثا وحثّى له الدراهم: أعطاه كثيراً.
(٢) يقال نَقَوت العظم: إذا استخرجت نقوه؛ أي: مخه.
(٣) سرى متاعه: إذا ألقاه على ظهر دابته.
(٤) يقال: ضبته النار أو الشمس تضبوه وتضبيه، إذا ضبحته؛ أي: لفحته وغيرته.
(٥) أي: يبسطها، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦].
(٦) يقال: عجت الأم ولدها؛ إذا أخّرت رضاعه عن مواقيته.
(٧) المغي: أن تقول في الإنسان ما ليس فيه جاداً أو هازلاً.

رسالة الكنز المظهر في استخراج المضمر[١]

تأليف سيدنا العلامة الفهامة الجهبذ مولانا رضي الدين محمد بن إبراهيم الشهير بابن الحنبلي الحنفي المتوفى سنة ٩٧١. وهو صاحب «در الحَبَب في تاريخ حلب»[٢].

---

(١) مجلة «الاعتصام» الحلبية، السنة الثانية، العددان الرابع والخامس: (شوال وذو القعدة ١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م) وقد جاء في مقدِّمة المجلة لهذه الرسالة: للبحَّاثة العلامة الشيخ راغب الطباخ ـ مؤرِّخ الديار الحلبية ـ نفسيَّة غريبة في حب التطلع إلى مجْد الآباء، ونبْش دفائن آثارهم، والبحث عن مؤلفاتهم الخطيرة، ونفائسهم القيِّمة، فهو في السفر وفي الحضر لا يفتأ عن متابعة ما تصبو إليه نفسه من ذلك.
ولقد أهدى اليوم قراء «الاعتصام» هذه الرسالة الغريبة في بابها، ننشرها تباعاً في المجلة تفكهة مثمرة للقرّاء، وتدليلاً على ما كان عليه الأسلاف من اعتناء بسائر أنواع العلوم والفنون، وحسن الاضطلاع بمختلف أنواعها، رغم ما بينها من تباين أحياناً، وهذه الرسالة الرياضية لمؤلف اشتهر بالتاريخ والعلوم الاجتماعية؛ لم يمنعه هذا من التضلع بأعباء العلوم الرياضية، بل بالاعتناء بهذا الفن الغريب منها، فشكراً للأستاذ البحَّاثة على ما يُتحف به العلم والأدب في كلِّ آنٍ وآخَر (المحرر).

(٢) مؤلف الرسالة المذكورة الإمام العلامة رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن، المولود سنة ٩٠٨هـ، المعروف بابن الحنبلي نسبة إلى مذهب جده عبد الرحمن الذي شهر بالحنبلي؛ لتوليه قضاء المذهب الحنبلي، ترجم له شيخنا العلامة عبد الفتاح أبوغدة رحمه الله تعالى في مقدمة تحقيقه لكتاب «قفو الأثر في صفو علوم الأثر»، وله ترجمة موسعة في مقدمة تحقيق «در الحبب» للمحقِّقَين محمود الفاخوري ويحيى عبارة.
واقتصر في ترجمته على ما ذكره النجم الغزي في «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» وعنه استفاد كثير ممَّن بعده، وقد ذكر ابن الحنبلي كثيراً من أخبار نفسه في تاريخه المذكور «در الحبب».
وحاصل ما ذكره النجم أنه: محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن، الشيخ الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، أبو عبد الله رضي الدين المعروف بابن الحنبلي الحنفي، ولد =

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

الحمد لله الواحد بلا بداية، الفرد من غير نهاية ولا غاية، الذي أحاط علمه بمنتهى العدد، وعلم بما كان وما يكون من الأزل إلى الأبد، والصلاة والسلام على محمد ﷺ الذي حسم جذر الإشراك، وبسط بساط الإيمان، فضرب فسطاط الدِّين في قلوب أهل الإيقان، وعلى آله وصحبه ذوي المقام العَليّ، والمقام الصحيح الجَليّ.

أما بعد:

فيقول فقير لطف الله الخفيِّ والجليِّ، محمد التادفي الحنفي الشهير بابن الحنبلي،

= سنة ٩٠٨، أخذ عن الحناجري، والبرهان، وعن أبيه، وآخرين، وقد استوفى مشايخه في تاريخه، وحجَّ سنة أربع وخمسين وتسع مئة، ودخل دمشق.
وكان بارعاً مفنناً، انتفع عليه جماعة من الأفاضل كشيخنا شيخ الإسلام محمود البيلوني، وشيخ الإسلام بدمشق شمس الدين ابن المنقار، والعلامة البارع المحقق سيدي أحمد بن المنلا، واجتمع به شيخنا شيخ الإسلام القاضي محب الدين وأخذ عنه، وأخبرني عنه أنه كان إذا عرض له آية يستشهد بها في تصانيفه جاء إلى تلميذه الشيخ محمود البيلوني، وقد فضل في حياته، وكان يحفظ القرآن العظيم، فيجيء ابن الحنبلي إلى محل درسه بمدرسته بحلب، ويسأله عن الآية فيكتبها من حفظه.
وله مؤلفات في عدة فنون منها: «حاشية على شرح تصريف العزي» للتفتازاني، و«شرح على النزهة في الحساب»، و«الكنز المظهر في حل المضمر»، و«مخائل الملاحة في مسائل الفلاحة»، و «سرح المقلتين في مسح القبلتين»، و«كنز من حاجى وعمَّى في الأحاجي والمُعمَّى»، و«دَرّ الحبب في تاريخ حلب». ونظم الشعر، إلا أن شعره ليس بجيد لا يخفى ما فيه من التكلف على من له أدنى ذوق، ثم قال: توفي يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وتسع مئة، ودفن بمقابر الصالحين بالقرب من قبر الشيخ الزاهد محمد الخاتوني، بين قبريهما نحو عشرة أذرع، وورد الخبر بموته إلى دمشق في آخر جمادى المذكور. انتهى.

وقاه ربُّ الأرباب من سوء يوم الحساب: هذا كتاب شريف، ومجموع ظريف؛ جمعتُ فيه من كتب الحساب، وفوائد أماثل الحُسَّاب، في استخراج المضمر، ما هو بالقبول أجدر، مع نكات لمع أنوارها شمسية، وزيادات نزهة مقاماتها إنسية، برسم أخٍ لي في الله، وصديق لي بين عَبيدِ الله، تحتَّم عَلَيَّ إتحافه بمثله، وتعيَّن عندي إهداء الشيء إلى أهله، ورتبتُه على ثلاثة فصول، تشتمل على قواعد وأصول:

الأول: في استخراج العدد المضمر.

الثاني: في استخراج الخاتم المضمر.

الثالث: في استخراج الاسم المضمر.

وسمَّيته: «**الكنز المظهر في استخراج المضمر**».

وأرجو من كل حاسب، ممَّن هو للثناء كاسب؛ إصلاح ما فسد، وسدّ باب الحسد. وبالله التوفيق، في سلوك هذا الطريق.

الفصل الأول
في استخراج العدد المضمر

ذَكَر الحسَّاب في استخراجه طرقاً متعددة: منها ما هو عام في جميع الأعداد، ومنها ما هو خاص ببعضها كالفرد مثلاً، ومنها ما يجري في العدد الواحد المضمر، ومنها ما يجري في عددٍ بَيْن مُضْمَرين أو أكثر، وقد ذكرنا في هذه الرسالة ـ هذه الطرق المتفاوتة ـ سبع عشرة طريقة.

الطريقة الأولى:

أن تأخذ واحداً وتفعل به ما شئت من ضرب في أيِّ مقدار كان مرة واحدة أو مراراً، ثم ضرب الحاصل في مقدار آخر، ثم قسم الحاصل على مقدار آخر، ثم ضرب

الخارج بالقسمة في مقدار آخر، ثم قسم الحاصل على مقدار آخر، وهكذا إلى ما شئت من الضرب والقسمة، فإذا تمَّ عملك فاحفظ الحاصل بعد العمل، ثم مُر المضمِر بأن يفعل بالمضمَر جميع ما فعلتَه بالواحد من الضرب والقسمة على الترتيب، فمهما حصل معه فمُرْه بأن يُسقط منه محفوظك مرَّة بعد أخرى، وخذ أنت لكل مرة واحداً.

وإن بقي بعد الإسقاط شيء أقل من محفوظك فانسبه إلى محفوظك، وخذ بتلك النسبة من الواحد، فما اجتمع معك فهو المضمَر.

وإن كان الحاصل معه أقل من محفوظك ابتداء فانسبه إليه، وخذ بتلك النسبة من الواحد، فما خرج فهو المضمَر.

فلو كان المضمَر سبعة مثلاً فخذ أنت واحداً واضربه في اثنين ثلاث مرات؛ يحصل ستة، ثم اضرب الحاصل في ثلاثة يحصل ثمانية عشر، ثم اقسمه على ستة يخرج ثلاثة، ثم اضرب الخارج في عشرة يحصل ثلاثون، ثم اقسمه على خمسة يخرج ستة؛ فاحفظها.

ثم مُره بأن يضرب ما معه وهو سبعة في اثنين ثلاث مرات يحصل اثنان وأربعون، ثم مُره بأن يضرب الحاصل في ثلاثة يحصل مئة وستة وعشرون، ثم مُره بأن يقسم الحاصل على ستة يخرج واحد وعشرون، ثم مُره بأن يضرب الخارج في عشرة يحصل مئتان وعشرة، ثم مُره بأن يقسم الحاصل على خمسة يخرج اثنان وأربعون، ويكون هو الحاصل معه بعد تمام عمله، فمُره بأن يُسقط محفوظك منه وهو ستة مرة بعد أخرى، وخذ أنت لكل مرة واحداً يجتمع معك سبعة ويفنى الاثنان والأربعون بإسقاط الستة سبع مرات فيكون السبعة هي المضمر.

ولو كان المضمر اثنين ونصفاً لكان الحاصل معه بعد عمله خمسة عشر، فإذا أسقط منه الستة مرتين وأخذت لكل مرة واحداً ثم نسبت الثلاثة الباقية إلى محفوظك ـ وهي الستّة ـ وأخذت بتلك النسبة من الواحد؛ كان الحاصل ـ بعد الإسقاط والنِّسبة ـ اثنين ونصفاً وهو المضمَر.

ولو كان المضمر نصفاً لكان الحاصل بعد عمله ثلاثة، فانسبها إلى محفوظك ـ وهو ستة ـ وخذ بتلك النسبة من الواحد يكن الحاصل نصفاً وهو المضمَر.

وهذه الطريقة عامة في استخراج المضمَر، سواء كان صحيحاً أو كسراً أو كليهما، وسواء عرَّفك المضمِر بكمية ما حصل معه في آخر عمله أو لم يعرِّفك.

الطريقة الثانية:

مُرْه بأن يزيد على ما أضمره نصفه، وعلى ما اجتمع نصفه، وسله عن الكسر؛ فإن يكن فمُرْه بأن يسقط مما اجتمع تسعة بعد تسعة، إلى أن يفنى، واحفظ لكل تسعة أربعة، فمجموع المحفوظات هو المضمَر.

وإن كان كسر فَسَلْهُ عنه، فما كان فاحفظ له أربعة أمثاله، فتحفظ للنصف اثنين، وللربع واحداً مثلاً، ثم مُرْهُ بإسقاط الصحيح تسعة تسعة، واحفظ لكل تسعة أربعة كما مر، فمجموع المحفوظات هو المضمر.

وإن أخبرك بالجملة فاقسمها أبداً على اثنين وربع، أو اضربها أبداً في أربعة، واقسم الخارج على تسعة؛ فما خرج في الصورتين فهو المضمَر.

والأصل في ذلك أن الأعداد الأربعة المتناسبة التي تكون نسبة أولها إلى ثانيها كنسبة ثالثها إلى رابعها؛ إذا ضرب أحد طرفيها في الآخر وقسم الحاصل على أحد أوسطيها؛ خرج الأوسط الآخر.

وكذا إذا ضرب أحد أوسطيها في الآخر، وقسم الحاصل على أحد طرفيها؛ خرج الطرف الآخر كالإثنين والأربعة والثلاثة والستة.

ولا شك أن نسبة الواحد إلى الإثنين وربع كنسبة المضمَر إلى الجملة المخبَر بها؛ لحصول الإثنين وربع من زيادة نصف الواحد على الواحد، ثم زيادة نصف المجتمع

على المجتمع، فإذا ضربنا الجملة المخبَر بها ـ وهي أحد الطرفين ـ في الواحد ـ وهو الطرف الآخر ـ حصلت الجملة المخبَر بها بعينها، فإذا قسمناها على الإثنين والربع ـ وهو الأوسط الأول ـ حصل الأوسط الثاني، وكذلك نسبة الأربعة من التسعة كنسبة المضمَر من الجملة المخبَر بها، فتضرب الجملة المخبر بها في الأربعة، وتقسم الحاصل على التسعة؛ يخرج المضمَر.

الطريقة الثالثة:

إذا كان المضمَر أكثر من سبعة وأقل من مئة وخمسة؛ فمُره بطرحه بكلٍّ من الثلاثة والخمسة والسبعة واحداً بعد واحد حتى يفنى به، أو يبقى منه دون المطروح، فإن فني بشيء منها فلا تحفظ له شيئاً، وإن بقي شيء فاحفظ لكل واحد من الباقي بطرح الثلاثة سبعين، ولكل واحد من الباقي بطرح السبعة خمسة عشر[1] فإن فني بطرح اثنين منها فالمحفوظ لبقية الثالث هو المضمَر، وإن فني بطرح أحدها أو لم يفن بطرح واحد منها؛ فمجموع المحفوظين أو المحفوظات الثلاثة هو المضمَر إن كان أقل من مئة وخمسة، وإلا فاطرح منه المئة والخمسة مرة أو أكثر يبقى المضمَر ولا يُتصور أن تفنيَه الأعداد الثلاثة أصلاً، بخلاف المئة والخمسة المضمَرة فإن الأعداد الثلاثة تفنيها فلا يتصور استخراجها بالطريق المذكور.

وإن كان المضمَر أقل من سبعة؛ فمُره بضربه في ثمانية أو غيرها؛ بحيث يحصل أكثر من السبعة، فما كان فاسلك فيه ما سبق[2]، أو اقسم الحاصل على ما أمرت بالضرب فيه، فما خرج فهو المضمَر.

(١) في الهامش: لعله وبطرح الخمسة (ر).

(٢) أمر ما سبق من الضرب بالثلاث وأختيها للمئة والخمسة إن زاد على ذلك.اهـ. من هامش الأصل بالضرب (ر).

وإن كان المضمر أكثر من مئة وخمسة؛ فمُره بإسقاط مئة وخمسة مئة وخمسة، إلى أن يبقى دونها؛ فاسلك فيه ما سبق، فما كان فأضف إليه ما أسقطتَه، فما كان فهو المضمَر.

هكذا ذكر في بعض الكتب الحسابية، وفيه إخلال ببيان حكم السبعة إذا أُضمرت، وهو كحكم ما كان أكثر منها وأقل من مئة وخمسة، وإخلال ببيان حكم المئة والخمسة وضِعفها وأضعافها، وحكمه أنه يفنى بالطرح بكل واحد منها، فإذا فني بالطرح بكل واحد منها؛ فاعلم أن ما أضمَره إما المئة وخمسة أو ضعفها أو أضعافها، والمئة والخمسة أقل ما يُفنى بالطرح بكل واحد منها؛ لأنها حصلت بضرب هذه الأعداد الثلاثة بعضها في بعض.

فإذا علمت ذلك فمُره بإسقاطه مئة وخمسة مرة واحدة أو أكثر إلى أن يفنى، فإن أسقط مئة وخمسة مرة واحدة؛ فهو هي، وإن أسقط مرتين فهو مئتين وعشرة، وإن أسقط ثلاثة فهو ثلاث مئة وخمسة عشر، وهكذا.

الطريقة الرابعة:

مُره أن يزيد على ما معه نصفه، وسله عن الكسر الموجود هو أم لا، فإن ذكر كسراً فمُره بأن يَجبُره، وخذ أنت لهذا الكسر واحداً، وإن لم يذكر كسراً فلا تأخذ شيئاً، ثم مُره أن يزيد على ما اجتمع نصفه، وسله عن الكسر، فإن ذكر كسراً فمُره بأن يَجبُره، وخذ أنت لهذا الكسر اثنين، وإن لم يذكر كسراً فلا تأخذ شيئاً، ثم مُره بأن يطرح ما اجتمع تسعة تسعة، وخذ لكل مرة أربعة، وزده على ما معك، إن كان إلى أن لا يمكنه إسقاط التسعة فما اجتمع فهو المضمَر.

وإذا أردت أن تعرف ما بقي معه بعد الإسقاط فالباقي ثلاثة إن كان ذكر الكسر

في المرة الأولى فقط، وخمسة إن ذكر في الثانية فقط، وثمانية إن ذكر فيهما معاً، ولا باقي إن لم يذكر أصلاً.

الطريقة الخامسة:

مُره بأن يضمر عدداً فرداً، ثم مُره بأن يضربه في خمسة أبداً ويسقط ما حصل عشرة عشرة، فإذا فعل ذلك؛ فالباقي معه بعد إسقاط العشرات خمسة أبداً.

وهذه قاعدة مطَّردة، فتصرَّف بها كيفما تختار، فإن شئت أخبرتَه بكمية الباقي من غير أن تسأله عن كمية عدة العشرات، وإن شئت سألته عن كميتها وأمرته بإخفاء كمية الباقي عنك إيهاماً له أنك لا تعلم بها.

فإذا علمتَ كم عشرة أسقط، وعلمتَ أن الباقي خمسة أبداً تجمَع بين العشرات الساقطة والخمسة الباقية؛ فما كان تقسمه على خمسة أبداً؛ فما خرج فهو العدد الفرد المضمَر.

وإن شئت تأمره بأن يزيد على ما حصل له بالضرب عدداً إذا انضم إليه يكون المجموع عشرات فقط، كالخمسة والخمسة عشر، ثم تأمره بأن يسقط المجموع عشرات، فإذا فعل تعرِّفه بأنه لم يبق معه شيء، وعلى هذا فقس.

الطريقة السادسة:

مُره بأن يضرب ما معه في اثنين، ثم ما حصل في اثنين مرة ثانية، ثم ما حصل في اثنين مرة ثالثة، فما حصل فمُره بأن يسقط ثمانية بعد ثمانية إلى أن يفنى، وخذ أنت لكل ثمانية واحداً واحداً، فما اجتمع معك فهو المضمَر.

ولك أن تأمرَه بضرب ما معه في ثمانية مرة واحدة، ثم إسقاط ما حصل ثمانية

بعد ثمانية، إلا أن الأول أخفى على السائل العارف من الثاني.

ولك أن تأمرَه بالضرب في اثنين من رابعة أو في الستة عشر مرة واحدة على وزان ما مر؛ إلا أنك تأمره في الصورتين بإسقاط الحاصل ستة عشر بعد ستة عشر، وتأخذ لكل ستة عشر واحداً.

وإن زدت على المرة الرابعة خامسة فإنك تأمره بإسقاط ضعف الستة عشر، وتأخذ لكل ستة عشر واحداً.

وإن زدت سادسة فإنك تأمره بإسقاط ضعف الضعف وهلم جرا.

الطريقة السابعة:

مُره بأن يضرب ما معه في ثلاثة؛ فما حصل يضرب نصفه في ثلاثة أيضاً، فما حصل يسقط نصفه تسعة تسعة، وخذ أنت لكل تسعة أربعة، وما بقي معه دون التسعة فمُره بأن يضربه في أربعة، ومهما حصل يطرحه تسعة تسعة أيضاً، وخذ أنت لكل تسعة واحداً، فما اجتمع معك أولاً أو أولاً وثانياً فهو المضمَر.

الطريقة الثامنة:

مُره بأن يُضعّف ما أضمره، ثم يضرب ما حصل في ثلاثة، فما حصل يزيد عليه نصفه، فما اجتمع يطرحه تسعة بعد تسعة، وخذ أنت لكل مرة واحداً؛ فما اجتمع معك فهو المضمَر.

الطريقة التاسعة:

مُره بأن يضعف ما أضمره ويزيد عليه عدداً تختاره أنت، ثم مُره بأن يضرب ما اجتمع في العدد المأمور بزيادته، ثم يُسقط مما حصل بالضرب مربع العدد المأمور

بزيادته، فما بقي يسقط منه مضعف ذلك العدد المأمور بزيادته أبداً مرة بعد أخرى، وخذ أنت لكل مرة واحداً، فما اجتمع معك فهو المضمَر.

والإسقاط في هذه القاعدة مختلِف باختلاف العدد المأمور بزيادته، فإن زدت اثنين؛ أسقطت أربعة أربعة، وإن زدت ثلاثة؛ أسقطت ستة ستة، أو زدت أربعة؛ أسقطت ثمانية ثمانية، وهلم جرا تتصرف كيفما تختار.

الطريقة العاشرة:

مُره بأن يضرب ما معه في ثلاثة، وينصّف ما حصل، ويميت النصف الواحد، وسله عن النصف الآخر، فإن لم يكن فيه كَسر فلا تأخذ له شيئاً، وإن كان فيه كسر فمُره بأن يَجبُره، وخذ أنت لهذا الكسر واحداً، ثم مُره بأن يضرب هذا النصف في ثلاثة أيضاً، وينصّف ما حصل ويميت النصف الواحد أيضاً، وسله عن النصف الآخر، فإن لم يكن فيه كسر فلا تأخذ له شيئاً، وإن كان فيه كسر فمُره بأن يَجبُره، وخذ أنت لهذا الكسر اثنين، ثم مره بإسقاط هذا النصف تسعة تسعة في حالتي الجبر وعدمه، وخذ أنت لكل تسعة أربعة إلى أن لا يبقى معه ما يفي بتسعة، فما اجتمع معك بسبب الكسر أو بسبب الإسقاط أو بسببهما فهو المضمَر.

الطريقة الحادية عشر:

مُره بأن يضرب ما أضمَره في ثلاثة، ثم ينصّف ما حصل ويَجبُر الكسر إن حصل، وخذ لهذا الكسر واحداً، ثم مُره بأن يضرب النصف ـ في حالتي الجبر وعدمه ـ في خمسة، ثم ينصف ما حصل ويَجبُر الكسر إن حصل، وخذ لهذا الكسر اثنين، ثم مُره أن يلقي من ذلك خمسة عشر خمسة عشر إلى أن لا يبقى شيء[1] أو يبقى ما دونها، وخذ

(١) وصورة ما إذا لم يبق شيء أن يضمر أربعة وما إذا بقي شيء أن يضمر خمسة عشر .اهـ. (منه).

أنت لكل مرة أربعة، فما اجتمع معك بسبب الكسر والإسقاط أو بسبب أحدهما فهو المضمَر.

الطريقة الثانية عشر[1]:

مره أن يقترض من شخص مقدار ما معه ثم أعطه أنت ما شئت من العدد ثم مره بأن يقسم الجميع شطرين ويميت أحدهما ويعيد لذلك الشخص ما كان اقترضه منه فإذا فعل ذلك كان الباقي معه نصف ما أعطيته دائماً.

الطريقة الثالثة عشر:

إذا أضمر عددين وأردت استخراجهما فمُره بأن يُخبرك بمجموعهما؛ فتضربه في نفسه، وتحفظ الحاصل من الضرب، ثم تأمره بأن يضرب أحدهما في مجموعهما، ويضرب الآخر في عدد معين أقل من مجموعهما، ويخبرك بمجموع الحاصلين من الضربين؛ فتسقطه من محفوظك، وتقسم الباقي على الفضل بين مجموع العددين والعدد المعين المضروب فيه؛ فما خرج فهو أحد العددين المضمرين، فإذا عرفته فاطرحه من مجموعهما المخبَر به، فما بقي فهو العدد الآخر المضمَر.

الطريقة الرابعة عشر:

أن تأمره بقسمة مربَّع أحدهما على مسطحهما، وتسأله عن مجموع العددين: كم هو؟ وعن خارج القسمة: كم هو؟ فيكون نسبته إلى الواحد كنسبة القسم الذي ربّعه إلى القسم الآخر، فاقسم المجموع منهما على تلك النسبة؛ يحصل العددان المضمران، ويكونان هما الأخيرين من الأعداد الأربعة المتناسبة.

(١) «الاعتصام»، السنة الثانية العدد ٨ صفر ١٣٥٠هـ.

فلو كان المضمر أربعة وستة فاقسم ستة عشر على أربعة وعشرين يحصل ثلثان، فنقول نسبتهما من الواحد كنسبة المربّع إلى القسم الآخر، فإذا قسمنا العشرة التي علمنا أنها مجموعها على تلك النِّسبة، كان القسم الأول: أربعة، والثاني: ستَّة، لأن نسبة ما حصل بتلك القسمة من الواحد ثلثان ونسبة الأربعة من الستة ثلثان أيضاً وعلى هذا فقس.

والعدد المربّع هو ما حصل من ضرب عدد في مثله من حيث حصوله منه، والمسطَّح هو ما حصل من ضرب عدد في عدد من حيث حصوله منه؛ سواء غايره أو ماثله، إلا أنه يطلق في مقابلة المربّع ويراد به ما حصل من ضرب المغاير في المغاير، وإن كان في الأصل أعم مطلقاً من المربّع، فكل مربّع مسطح، وليس كل مسطح مربعاً؛ لأن ضلعي المسطّح وهما ما حصل المسطح من ضرب أحدهما في الآخر أعم من أن يكونا متماثلين أو متغايرين، بخلاف المربّع فإن ضلعيه لا بدَّ أن يكونا متماثلين، ويسميان جذريه، ويسمى هو مجذورهما.

الطريق الخامسة عشر:

أن تأمره بضرب أحدهما في ضعف الآخر بأن يزيد على الحاصل مربّعي المضمَرين، وعلى المجتمع أحد المضمرين، ويسأله عن المجتمع، فما كان فاطلب أقرب مجذور إليه من أسفل، فما زاد عليه فهو أحد المضمرين، فاطرحه من جذر ذلك المجذور يبقى المضمَر الآخر.

فلو أضمر أربعة وستة وضرب الأربعة في اثني عشر، ثم زاد على الحاصل وهو ثمانية وأربعون مربعي المضمرين وهما ستة عشر وستة وثلاثون، وعلى المجتمع وهو ما به أحد المضمرين وهو أربعة مثلاً؛ فاطلب أقرب مجذور إلى المئة والأربعة تجد المئة التي جذرها عشرة فاجعل ما زاد عليه وهو الأربعة أحد المضمرين ثم أسقطه من جذرها المذكور؛ يبقى المضمَر الآخر وهو الستة.

الطريقة السادسة عشر:

في استخراج ثلاثة أعداد مضمرة مجموعها عشرة أو أقل.

إذا أردت ذلك فمُره بأن يضمر في يمينه عدداً، وفي يساره عدداً، وفي حجره عدداً، وسله عن مجموعها؛ فإذا عرفتَه فمُره بأن يضرب ما في يمينه في اثنين، وما في يساره في تسعة، وما في حجره في عشرة، وسَله عن المجتمع؛ فإذا عرفتَه فاضرب المجتمع الأول الذي عرفتَه أولاً في عشرة، فما حصل فأسقط منه المجتمع الثاني الذي عرفته ثانياً، فما بقي فاقسمه على ثمانية، فما خرج فصحيحه هو ما في اليمين، وبسط كسره هو ما في اليسرى، فإذا أسقطت مجموع الصحيح وبسط الكسر من المجتمع الأول بقي العدد الثالث؛ فلو أخبرك بأن مجموع الأعداد الثلاثة المضمرة عشرة، وأمرته بالضروب الثلاثة، وأخبرك بأن مجموع الحواصل خمسة وثمانون؛ فاضرب المجتمع الأول في عشرة يحصل مئة، فأسقط منها الخمسة والثمانين؛ يبقى خمسة عشر، فاقسمها على ثمانية يحصل واحد وسبعة أثمان، فالواحد الصحيح ما في اليمين، وبسط الكسر وهو سبعة ما في اليسار؛ فإذا جمعت بينهما وأسقطت المجموع من المجتمع الأول بقي اثنان، وهو العدد الثالث.

الطريقة السابعة عشر:

أن تأمره بأن يضمر ثلاثة أعداد متفاضلة كل واحد منها دون العشرة؛ فإذا فعل تأمره بأن يحمل على ضعف أحدهما خمسة، ويضرب المجتمع في خمسة، ويحمل على الحاصل العدد الثاني، ويضرب المجتمع في عشرة، ويحمل على الحاصل العدد الثالث، ويخبرك بالجملة؛ فإذا أخبرك بها فاطرح منها مئتين وخمسين، فما بقي فالذي وقع منه في مرتبة الآحاد فهو أحد الأعداد، وعدة عشراته هو العدد الثاني، وعدة مئاته هو العدد الثالث، والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني
في استخراج الخاتم المضمر

إذا وضع إنسان خاتمه عند واحد من القوم وأردت استخراجه فالطريق فيه أن تأمرَه يعدُّ من نفسه إلى ذلك الواحد بحيث يكون المعدود منه والمعدود إليه داخلين تحت العدّ، ثم يستخرج ما حصل معه من العدد بأحد الطرق السابقة في استخراج العدد المضمر، ثم تعدّ أنت من صاحب الخاتم إلى حيث ينتهي العدد آخذاً في العدد من جانب اليمين إن كان عدّ صاحب الخاتم وقع من جهة يمينه، وإلا فمن جانب الشمال، فحيث انتهى العدد فالخاتم هنالك.

فإذا أضمر في إحدى يديه وأردت استخراجه ففيه وجوه:

الأول: أن تأمره أن يأخذ عدداً زوجاً للتي فيها الخاتم، وعدداً فرداً لليد الخالية، ثم تأمره أن يضرب عدد اليمين في عدد زوج تقرضه إياه، ثم عدد اليسرى في عدد فرد كذلك، وتجمع الحاصلين؛ فما اجتمع فسله، فإن كان فرداً فهو في اليمين، وإلا ففي اليسار.

ويقرب من هذا في استخراج العددين المضمرين ما لو أضمر أحدهما في يمينه والآخر في يساره وكان مجموعهما أقل من عشرة؛ فإنك تأمره أن يضعف ما في يمينه، ويزيد على الحاصل اثنين أبداً، ويضرب المجتمع في خمسة، ويجمع الحاصل إلى ما في يساره، ويطرح من المجتمع عشرة أبداً، ويسأله عن الباقي، فما كان فآحاده عدد اليسار، وعدّة عشراته عدد اليمين.

الثاني: أن تأمره أن يضرب عدداً زوجاً للتي فيها الخاتم وعدداً فرداً لليد الخالية،

ثم تأمره أن يضرب ما في يمينه في عدد زوج كما في الوجه الأول، ثم تأمره بأن يجمع الحاصل إلى ما في يساره وينصف المجتمع، ثم تسأله عن الكسر، فإن ذكر كسراً فالخاتم في يمينه، وإلا ففي يساره.

الثالث: فيما إذا أخذ أحدٌ خاتمك في إحدى يديه، وخاتم إنسان آخر في اليد الأخرى، فقل له: خذ لليد التي فيها خاتمي أربعة، ولليد التي فيها خاتم ذلك الإنسان ثلاثة، ثم زد على ما في اليسرى أربعة أمثاله، ثم نصف مجموع ما فيها، ثم سله عن الكسر؛ فإن ذكر كسراً فخاتمك في يمينه، وإلا ففي يساره، وخاتم ذلك الإنسان في اليد الأخرى.

الرابع: أن تقول له: خذ للتي فيها خاتمي أربعة، وللأخرى ثلاثة، ثم زد على ما في اليمين أربعة أمثاله، ثم نصف مجموع ما فيها، ثم تسأله عن الكسر؛ فإن ذكر كسراً فخاتمك في يساره، وإلا ففي اليمين.

الخامس: أن تقول له: خذ للتي فيها خاتمي ثلاثة، وللأخرى أربعة، ثم زد على ما في اليمين أربعة أمثاله، ثم نصف مجموع ما فيها، ثم تسأله عن الكسر؛ فإن ذكر كسراً فخاتمك في يساره، وإلا ففي يمينه.

وهذان الوجهان الأخيران متعاكسان كمتلوّيهما.

ولك أن تأمره فيها جميعاً بأخذ الثلاثة أو غيرها مما كان فرداً واحداً، والأربعة أو غيرها مما كان زوجاً؛ إذ ليس أخذه لهما بعينهما بأمر متحتم لازم. والله تعالى أعلم.

الفصل الثالث
في استخراج الاسم المضمَر

إذا أضمر إنسان اسماً ثلاثياً فأكثر وأردت استخراجه فمُره ليسقط الحرف الأول من الاسم ويجمع أعداد غيره بحساب الجُمَّل الكبير، ثم يسقط الحرف الثاني ويجمع أعداد غيره كذلك، ثم يسقط الحرف الثالث ويجمع أعداد ما سواه كذلك، وهكذا إلى آخر حروفه، ويخبرك في كلٍّ بجملة ما عدا المسقَط؛ فاجمع جميع الجمل واقسم مجموعها على عدة حروف الاسم إلا واحداً؛ فما خرج فهو جملة عدد حروف الاسم؛ فاطرح منه الجملة الأولى يبق عدد الحرف الأول، ثم الجملة الثانية يبق عدد الحرف الثاني، ثم الجملة الثالثة يَبْقَ عدد الحرف الثالث، وهكذا إلى أن تطرح الجملة الأخيرة فيبقى عدد الحرف الأخير، فخذ حروف تلك الأعداد الباقية على ترتيبها وركِّبها يكن الاسم المضمَر.

وإذا أردت أن تعرِف عدّة حروف الاسم المضمَر من غير سؤاله فهي علة الإسقاطات بعينها.

وإذا أردت استخراج كلام أو بيت من الشعر فهذا الطريق كاف في استخراجه، وإنما قلنا ثلاثياً فأكثر مع جريان القاعدة فيما إذا كان ثنائياً أيضاً؛ لأنه لو كان ثنائياً وفعل به ما ذكرنا لعلم المسؤول عنه بمجرد الإخبار بالجملتين، فلا يكون في الجواب كبير أمر.

ويمكن استخراج الأعداد المضمَرة بهذا الطريق، ويشترط حينئذ لصحة السؤال كون الخارج من القسمة أكثر من كل واحدة من تلك الجمل.

فلو أضمر ثلاثة أعداد هي غير الأول ثلاثون، وغير الثاني أربعون، وغير الثالث عشرون؛ فاقسم جملة الجمل وهي تسعون على ثلاثة منقوصاً منها واحد؛ يخرج خمسة

وأربعون، ثم أسقط الجملة الأولى يخرج خمسة عشر، وهي أول الأعداد المضمَرة، ثم أسقط الثانية يخرج خمسة، وهي ثانيها، ثم أسقط الثالثة يخرج خمسة وعشرون، وهي ثالثها.

ولو قيل: أربعة أعداد هي غير الأول ثلاثون، وغير الثاني أربعون، وغير الثالث خمسون، وغير الرابع عشرون؛ فالسؤال فاسد، لأنك إذا قسمت جملة الجمل وهي مئة وأربعون على أربعة إلا واحداً، خرج ستة وأربعون وثلثان، والجملة الثالثة أكثر منه لا يمكن إسقاطها منه.

وليكن هذا آخر ما قصدنا جمعه، ونرجو من كرم الله تعالى نفعه، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً.

قال في النسخة المنقول عنها:

وافق تتميم تعليقه من نسخة مؤلفه ابتداء نهار الخميس المبارك ثاني عشر شهر صفر الخير سنة **٩٦٠**.

عفا الله عن مؤلفه وكاتبه، ولطف بهما في الدارين بمحمد وآله الطيبين الطاهرين، إنه ولي الإجابة، والحمد لله رب العالمين.

وكتب على الهامش: بلغ مقابلة حسب الطاقة.

إن تجد عيباً فسُدَّ الخللا   جلَّ من لا عيْب فيه وعلا

كتبه محمد راغب الطباخ الحلبي في شهر ربيع الثاني سنة **١٣٤٦**هـ.

رسالة في علم النفس(١)

للإمام العالم العلَّامة، صاحب التَّفسير الكبير، الجامع بين المعقول والمنقول فخر الدِّين الرَّازي(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخيبُ في بابه آمِل، ولا يُحْرَمُ عن جنابه عامل، ولا يَحجبُ العارفين عن ورود مناهل مشاهدة أنوار جلاله مانعٌ أو حائل، ولم يمنع المشتاقين إلى لقائه عن الصعود من حضيض الفراق إلى أَوْجِ الوصال ناقصٌ أو كامل.

---

(١) مجلة الاعتصام (الحلبية) العدد العاشر من السنة الثانية (١٣٥٠)، وذكر محرِّر مجلة (الاعتصام) الشيخ محمد الحكيم الحلبي: للبحَّاثة العلَّامة الشَّيخ راغب الطَّباخ، مؤرِّخ الدّيار الحلبيّة، نفسيّةٌ غريبة في حبّ التطلُّع إلى مجد الآباء، ونبش آثارهم، والبحث عن مؤلَّفاتهم العظيمة، ونفائسهم القيِّمة، فهو في السّفر والحضر، وفي اللَّيل والنهار؛ لا يَفتأ عن متابعة ما تصبُو إليه نفسه، ولا تفتر همّته عن إبراز الذخائر المهمّة، من آثار آبائنا وأجدادنا لهذا النشء الحديث، ليثقِّفوا عقولَهم، وليوسِّعوا دائرتها، وليعلموا ما خبّأ لنا أسلافُنا العِظام في الأيام الماضية.
وممَّا عثر عليه، وأهدانا إيّاه؛ هذه الرّسالة النّفيسة في علم النفس، وهذا البحث ممَّا يهتمّ به علماء الغرب كثيراً، ولأنها الغريبة في بابها، الفذّة في مباحثها، ننشرها في مجلّتنا، فشكراً للأستاذ على إهدائها إيَّانا، وثناءً من رجال العلم والأدب على ما يُتحِفُهم به من الأشياء القيِّمة بين آونة وأخرى. (الاعتصام).

(٢) في هذه الرسالة قرَّر الفخر الرازي مذهب الفلاسفة، ولم يتعقبه الطباخ بكلمة!! وهذا المذهب الذي قرَّره الرازي غريب جداً، ومن عادة الرازي أن يقابل أقوال الفلاسفة بأقوال المتكلمين، سواء ردَّ عليها أو لا. ومسألة توالد العقول ردَّها الرازي في مواضع من تفسيره، وقرَّرها هنا!! =

= وهذا مما يقتضي التوقف في صحَّة نسبتها إليه. وفي مركز الملك فيصل بالرياض: كتاب في علم النفس، للفخر الرازي، برقم: (٤١٨٧-٦ف ب)، لعلَّ تصويرها ومقابلتها بعمل الطباخ يساعد في تصحيح الرسالة وتجلية حقيقة الأمر. وقد عرضت الرسالة على فضيلة الشيخ عبد الكريم تتان الحموي فكتب عليها ملاحظات كثيرة، أشرت إلى بعضها في التعليق، وختمتها بقولي: (تتان). كما اطَّلع على الرسالة الأخ المحقق الدكتور حمزة البكري، فنبه إلى كثير من الفوائد، أدرجت أكثرها في التعليق على الرسالة، وختمتها بقولي: (البكري).

ثم كتب لي الأخ الكريم الدكتور حمزة البكري رسالة حول الرسالة المنسوبة إلى الإمام فخر الدين الرازي في علم النفس خلاصتها في النقاط الثلاثة التالية:

أولاً: الرازيّ ألف رسالةً في النفس:

فقد عزاها إليه ياقوت في «معجم الأدباء» ٦: ٢٥٨٩، والزركليّ في «الأعلام» ٦: ٣١٣، ولم يرمز لها الأخير بـ(خ) أو (ط)، وكونها مطبوعة مما يُستَدرَك عليه.

وكلاهما نصَّ على أنها رسالة، لكن في «كشف الظنون» ٢: ١٤٦٧: «وصنَّف الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي كتاباً في النفس والروح، لخصه محمد العلائي (!) ورتبه على أقسام».

ورسالة الرازي أو كتابه في النفس معروف عند معاصِريه، ففي «الأعلام» ١: ١٢١ في ذِكرِ مؤلفات الخويّي (ت ٦٣٧هـ): «و (السفينة النوحية ـ خ) في النفس والروح، ذكر في مقدمته إنه كان يزمع شرح كتاب الفخر الرازيّ في النفس، وأحجم عنه إلى تأليف هذا الكتاب المختصر، وضم فيه ما يغني عن التطويل. والنسخة خزائنية نفيسة كتبت سنة ٨٦٨هـ، في ٣١ ورقة، في مجموع بدمشق». و«السفينة النوحية» طبعها الطباخ وهي أيضاً مما يستدرك على «الأعلام».

ثانياً: وجود رازيّ آخر له رسالة في النفس:

وهو قطب الدين الرازي، محمد (أو محمود) بن محمد التحتاني (ت ٧٦٦)، له رسالة في النفس الناطقة، أشار الزركلي في «الأعلام» ٧: ٣٨ إلى أنها مخطوطة.

وذكر لي الأخ حمزة وفقه الله أربعة نسخ، وحدَّد أماكن وجودها.

ثالثاً: محتوى الرسالة المنسوبة إلى الفخر الرازي:

وهي رسالة صغيرة تشتمل على ثلاثة فصول وخاتمة. =

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةَ من أخلص لمشاهدة جماله سرَّه، وأعرض في منازل التوحيد عن أعين الناظرين سيرُه، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، الذي عقد على أجناد أرواح الأبرار قلائد الأسرار، فصلوات الله عليه وعلى آله الأخيار.

وبعدُ: فهذه رسالة حرَّرتُها في علم النّفس، وجعلتُها ثلاثة فصول:

(الفصل الأول): في إثبات أن جوهر النَّفس مخالِفٌ لجوهر البدن.

(الفصل الثّاني): في بقاء النَّفس بعد فناء البدن.

(الفصل الثّالث): في مراتب النّفوس في السّعادة والشّقاوة بعد المفارقة عن البدن.

وألحقتُ بها خاتمة أذكرُ فيها العوالم الثلاثة؛ التي هي: عالم العقل، وعالم النَّفْس، وعالم الجسم، وتَرتُّب الوجود من لَدُن الحقّ الأول تعالى إلى أقصى مراتب الوجود؛ على التّرتيب النازل من عنده تعالى؛ ليكون النّاظر في هذه الرّسالة مطَّلِعاً على جُمَلٍ من أجناس المخلوقات، وشطرٍ من أنواعها، فأُهديت بهذه الرسالة التي هي مشتملة على

= أما الفصول الثلاثة فكلامه فيها يكاد يوافق ما في تفسيره، كما بيَّنتُ ذلك تفصيلاً بالتعليق على فِقراتها.

وأما الخاتمة فكلامه فيها بعيد جداً عما في تفسيره، كما بيَّنتُ ذلك بالتعليق عليها أيضاً.

ولا بُدَّ من الحصول على نسخة خطيَّة من الرسالة المنسوبة إلى الفخر الرازي ـ في مركز الملك فيصل بالرياض ـ وأخرى من الرسالة المنسوبة إلى التحتاني (الرازي)، والمقارنة بينهما، قبل الحكم بثبوت نسبة هذه الرسالة إلى الإمام فخر الدين الرازي أو عدم ثبوتها، للتأكد من أنه لم يحصل خَلْط بينهما.

أهم المطالب، وهو معرفة الإنسان نفسه، وما يَؤُول إليه حالُه بعد الارتفاع عن هذه العوالم، وأيضاً فإنَّ معرفة النَّفس مَرْقاة إلى معرفة الرَّبِّ، كما أشار إليه قائل الحق بقوله: «**مَن عرَف نفسَه فقد عَرَف ربَّه**»[1]، ولو كان المرادُ بالنَّفْس في هذا الحديث هو هذا الجسم؛ لكان كلُّ أحدٍ عارفاً بربِّه أعلى خصوصِ معرفته، وليس كذلك، فهذه الرِّسالة تَهديك إلى الأسرار المخزونة في علم النَّفْس الذي غفل عنه الدَّهماء من النّاس، بل أكثر العلماء عنه غافلون، ولذلك أوحى الله إلى رسوله ﷺ لما سُئِلَ عن حقيقة الرُّوح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾، ثم قال عَقِيبَه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥] تنبيهاً على أنَّ أكثر النَّاس من علم النّفْس وحقيقة الروح غافلون، فهذه هي الإشارة المختصرة إلى فوائد هذه الرِّسالة، فنشرع فيما ذُكِر من الفصول بتوفيق الله تعالى.

(الفصل الأول): في إثبات أن جوهر النَّفْس مغايرٌ لجوهر البدن:

فنقولُ: المرادُ بالنّفْس ما يُشير إليه كلُّ أحد بقوله: أنا.

وقد اختلف أهل العلم في أنَّ المشار إليه بهذا اللَّفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس، أو غيره؟

أما الأول: فقد ظنَّ أكثرُ النّاس وكثير من المتعلِّمين أنَّ الإنسان هو هذا البدن، وكلُّ أحد فإنَّما يُشير إليه بقوله: أنا، وهذا الظَّنّ فاسدٌ لما سنُبيِّنُه.

(١) حديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، قال السخاوي في المقاصد (١١٤٩): «قال أبو المظفر ابن السمعاني: في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع أنه لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت».

والقائلون بأنَّه غيرُ هذا البدن المحسوس، اختلفوا:

فمنهم مَن قال: غير جسم ولا جسماني، بل هو جوهر روحانيٌّ؛ قابضٌ على هذا القالب، أحياه واتَّخذَه آلةً في اكتساب المعارف والعلوم، حتّى يستكمل جوهرَه، ويصير عارفاً بربِّه، عالماً بحقائق مخلوقاته[1]، فيستعدّ بذلك للرّجوع إلى حضرته، ويصير مَلَكاً من ملائكته[2] في سعادةٍ لا نهاية لها، وهذا هو مذهبُ الحكماءِ الإلهيين، والعلماءِ الرّبّانيّين، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب الرِّياضة وأصحاب المكاشفة، فإنَّهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم، واتّصالهم بالأنوار الإلهيَّة[3].

ولنا في صحّة هذا المذهب من حيث البحث والنظر براهين:

[**البرهان الأول**]: تأمَّل أيّها العاقل في أنَّك اليوم في نفسك هو الّذي كان موجوداً جميعَ عمرك؛ حتى إنّك تذكر كثيراً بما جرى من أقوالك، فأنت إذاً ثابتٌ مستمرٌّ لا تشكّ بذلك، وبدنُك وأجزاؤه ليس ثابتاً، بل هو أبداً في التّحلُّلِ والانتقاص، ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء ليصير بدل ما يتحلَّل من بدنه،

(١) قوله: «عالماً بحقائق مخلوقاته» ما مصدر هذه الصفة التي تكسبها النفس في ترقِّيها، وأنّى لها هذا العلم بالحقائق؟

(٢) قوله: «ويصير مَلَكاً من ملائكته» ما المراد بالصيرورة؟ أيريد التشبيه، أي: يصير مشابهًا للملائكة، أم التحول من ماهية وجود إلى ماهية وجود آخر؟

(٣) ذكر الرازي نحواً من هذا في حقيقة النفس في مواضع من «تفسيره»، منها: ٤: ١٢٨، ١٦: ١٠٢، ١٧: ٢٠٢-٢٠٤، ١٩: ٨٧، ٢١: ٣٩٩-٤٠٠ و٤٠٤، ٢٦: ٤٥٦.
وقد كرَّر في أكثر هذه المواضع أنّ النفس جوهر روحاني مجرَّد أو غير متحيِّز، وصرَّح في ٢١: ٣٩٩ بأنّ معنى «كونه مجرَّداً أنه ليس بمتحيز ولا حالاً في المتحيِّز». (البكري).

فإنَّ البدنَ حارٌّ رَطْبٌ، والحارُّ إذا أَثَّرَ في الرَّطب تحلَّلَ جوهر الرَّطب حتى يفنى بكلِّيَّتِه، كماءٍ يَرقُد دائماً؛ فإنّه يتحلَّل إلى أن لا يبقى منه شيء، ولهذا لو حُبِس عن الإنسان الغذاء مرّة[1] قليلة هَزُلَ وانتقص قريبٌ من ربع بدنه، فتعلَم يقيناً أن في مدّة عشرين سنة لم يَبقَ شيءٌ من أجزاء بدنك، وأنت تعلَم بقاء ذاتِك في هذه المدّة، بل جميع عمرك، وذاتُك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة، فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب، فإنَّ جوهر النَّفْس غائبٌ عن الحواسّ والأوهام، ومَن تحقَّق عنده هذا البرهان، وتصوَّرَ في نفسه تصوراً حقيقياً؛ فقد أدرك ما غاب عن عينَيه[2].

[البرهان الثاني]: هو أنَّ الإنسان إذا كان مهتمّاً في أمر من الأمور؛ فإنَّه يستحضر ذات نفسه؛ حتى يقول: إنِّي فعلتُ كذا، وأفعل كذا.

وفي مثل هذه الحالة يكون غافلاً عن جميع أجزاء بدنه، والمعلوم بالفعل غير ما هو مغفولٌ عنه، فذاتُ الإنسان مغايرةٌ لبدنه[3].

[البرهان الثالث]: هو أنَّ الإنسان يقول: أدركتُ الشيء الفلاني ببصري فاشتهيتُه، أو غضبت منه، وكذا يقول: أخذتُ بيدي، ومشيتُ برجلي، وتكلّمتُ بلساني، وسمعتُ بأُذني، وتفكَّرتُ في كذا، وتوهّمتُه وتخيَّلتُه، فنحن نعلم بالضَّرورة أنّ في الإنسان شيئاً جامعاً لجميع هذه الإدراكات، ولجميع هذه الأفعال، ونعلمُ أيضاً بالضّرورة أنَّه ليس شيء مِن أجزاء هذا البدن مجمعاً لهذه الإدراكات والأفعال؛

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: مدة.
(٢) ذكر الرازيّ هذا البرهان في «تفسيره» ٩: ٤٢٧.
(٣) ذكر الرازي هذا البرهان في «تفسيره» ٩: ٤٢٧ أيضاً.

فإنَّه لا يُبصر بالأُذن، ولا يسمع بالبصر، ولا يأخذ بالرِّجل، ولا يمشي باليد، ففيه شيء مجمع لجميع الإدراكات والأفاعيل، ولا شيء من أجزاء هذا البدن جامع لذلك البتة، فالإنسان الذي يُشيرُ إلى نفسه بـ«أنا» مُغايرٌ لجميع أجزاء البدن، فهو شيء وراء البدن[1].

ثم نقول: إنَّ هذا الشيء الذي هو أنه هُويَّة الإنسان مغايرة لهذه الجثّة؛ لا يمكن أن يكون جسماً ولا جسمانياً قائماً بالجسم؛ لأنَّه لو كان كذلك لكان أيضاً مُتحلاً سيّالاً قابلاً للكون والفساد؛ بمنزلة هذا البدن، فلم يكن باقياً من أوَّل عمره إلى آخره، فهو إذاً جوهر فَرْدٌ[2] روحانيّ، بل هو نور إلهيٌّ فاض على هذا القالب المحسوس بسبب استعداده، وهو المزاج الإنسي، وإلى هذا المعنى أُشِير إليه في الكتاب الإلهي بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢]؛ فالتَّسوية هو جَعْلُ البدن بالمزاج الإنسي مستعدّاً لأن يتعلّق به النَّفس النّاطقة، وقوله: ﴿مِن رُّوحِى﴾ إضافة لها إلى نفسه[3]؛

(١) ذكر الرازي نحوَ هذا البرهان في «تفسيره» ٢١: ٤٠١.
(٢) كذا، وفيه نظر. فقد عزا الرازيّ هذا القول في «تفسيره» ١٥: ٤٠١ إلى بعض القدماء، وقابله بأن الإنسان هو النفس الناطقة، وأنه جوهر غير متحيّز، فقال بإثر جواب شبهةٍ ذكرها: «إلا أنَّ هذا الجواب لا يتمُّ إلا إذا قلنا: الإنسان جوهر فرد، وجزء لا يتجزأ في البدن، على ما هو مذهبُ بعض القدماء. وأما إذا قلنا: الإنسان هو النفس الناطقة، وإنه جوهرٌ غيرُ متحيِّز ولا حالٌّ في المتحيِّز فالسؤال زائل».
قلت: وكونُه جوهراً غير متحيِّز هو ما قرَّره الرازي في مواضع من «تفسيره» كما سبق.
ولعلّ لفظة «فرد» محرَّفة عن «مجرَّد»، فتستقيم العبارة. (البكري).
(٣) قوله: «إضافة لها إلى نفسه؛ لكونه جوهراً روحانياً غير جسم ولا جسماني» الإضافة إضافة تشريف، لا إضافة تجانس كما توهم العبارة. (تتان).

لكونه جوهراً روحانياً غير جسم ولا جسماني(١)، فهذا ما أردنا أنْ نَذكُره في هذا الفصل.

(الفصل الثاني): في بقاء النَّفس بعد خراب البدن:

اعلم أنَّ هذا الجوهر ـ الذي هو الإنسان في الحقيقة ـ لا يَفنى بعد الموت، ولا يَبلى بعد المفارقة عن هذا البدن، بل هو باقٍ ببقاءِ خالقِه(٢)، وذلك لأنَّ جوهرَهُ

---

(١) ذكر الرازي نحوَ هذا المعنى في مواضع من «تفسيره»؛ فقال في ٢١: ٤٠٤: «قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] ميَّز تعالى بين التَّسوية وبين نفخ الروح، فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء وتعديل المزاج والأشباح، فلما ميَّز نفخ الروح عن تسوية الأعضاء، ثم أضاف الروح إلى نفسه بقوله: ﴿مِن رُّوحِى﴾ دلَّ ذلك على أن جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد».
وقال في ٢٤: ٥١١: «التَّسوية إشارة إلى تعديل المزاج وتركيب الأمشاج، ونفخ الروح إشارة إلى اللطيفة الربانية النورانية التي هي من عالم الأمر».
وقال في ٢٦: ٤٠٩-٤١٠: «قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين: التسوية أولاً، ثم نفخ الروح ثانياً. وهذا حق، لأنَّ الإنسان مركب من جسد ونفس. أما الجسد فإنه إنما يتولد من المني... وأما النفس فإليها الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾، ولـمّا أضاف الروح إلى نفسه دلَّ على أنه جوهرٌ شريفٌ علويٌّ قدسي». (البكري).
(٢) تعبيره: «باقٍ ببقاءِ خالقِه» خطأ، إذ يرجع إلى أن العلاقة بين الخالق والمخلوق، علاقة بين العلة ومعلولها، فما دامت العلة باقية فمعلولها كذلك، والتعبير الصواب: باقٍ بإبقاء خالقه! أمّا التعبير الأول فخطير، إذ فيه معنى وجوب الوجود، وهو صالح لما اتصف به من صفات، فنقول: العلم ـ مثلاً ـ صفة باقية ببقاء الله، ولله دوام البقاء ذاتًا وصفات، أمّا أهل الجنة ـ مثلاً ـ فباقون بإبقاء الله (تتان).

أقوى من جوهر البدن(١)، لأنَّه متحرِّك(٢) هذا البدن ومدبِّره ومتصِّرفٌ فيه، والبدنُ منفَعِلٌ به، تابعٌ له، فإذاً لم تضرَّ مفارقةُ البدن وجودَه؛ لأنَّ وجوده ضعف النَّفْس من مَقولة الجوهر ومقارنته مع البدن من مقولة المضاف والإضافة الأعراض؛ لأنّها لا يتمّ وجودها بموضوعها، بل يحتاج إلى شيء آخر، وهو المضاف إليه، وكيف يَبطُل الجوهر القائم بنفسِه ببطلان أضعف الأعراض المحتاج إليه.

---

(١) ذكر الرازي هذا المعنى في مواضع من «تفسيره»، فقال في ٩: ٤٢٧: «وكل ذلك يدل على أن النفوس باقية بعد موت الجسد»، وقال في ١٧: ٢٠٠: «أن الإنسان عبارة عن النفس الناطقة، وهو جوهر باق»، وقال في ١٧: ٢٠٤: «النفس جوهر مجرد وأجسام لطيفة باقية مشاكلة للجسد، وهي التي سمتها المتكلمون بالأجزاء الأصلية».
وقد يبدو هذا متناقضاً مع عبارات أخرى ذكرها الرازيُّ نفسُه في مواضع أخرى من «تفسيره»، منها قوله في ٩: ٤٥٢: «زعمت الفلاسفة أنَّ الموت واجب الحصول عند هذه الحياة الجسمانية...، قالوا: وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ يدل على أن النفوس لا تموت بموت البدن، لأنه جعل النفس ذائقة الموت، والذائق لابد وأن يكون باقياً حال حصول الذوق، والمعنى: أنّ كلَّ نفس ذائقةٌ موتَ البدن، وهذا يدل على أن النفس غير البدن، وعلى أن النفس لا تموت بموت البدن، وأيضاً: لفظ النفس مختص بالأجسام، وفيه تنبيه على أن ضرورة الموت مختصة بالحياة الجسمانية، فأما الأرواح المجردة فلا».
ثم تعقَّبهم بقوله: «وقد جاء في الروايات ما هو خلاف ذلك، فإنه روي عن ابن عباس أنه قال: لـما نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] قالت الملائكة: مات أهل الأرض، ولـما نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ قالت الملائكة: متنا».
ومنها قوله في ٢٢: ١٤٣: «وذلك يبطل قول الفلاسفة في أنَّ الأرواح البشريَّة والعقول المفارقة والنفوس الفلكية لا تموت».
قلت: ولا اختِلافَ بينهما، فالذي قرَّره أولاً هو بقاء النفس بعد موت البدن، لا بقاؤُها مطلقاً، وإليه الإشارةُ بقول صاحب هذه الرسالة: «باق ببقاء خالقه»، يعني: أنه ليس بقاءً ذاتيًّا، بل بقاء عارض، ومثلُه بقاء أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.
أما الذي عزاه إلى الفلاسفة وردَّه فهو بقاءُ النفس مطلقاً، أو بقاؤُها بقاءً ذاتيّاً (البكري).
(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: محرك.

ومثاله: أنَّ مَن يكون مالكاً لشيء ومتصرِّفاً فيه، فإذا بطل ذلك الشَّيء لم يبطل المالك ببطلانه، ولهذا إن الإنسان إذا نام بَطَلَ عنه الحواسّ والإدراكات، وصار مُلقًى كالميت، فالبدن النائم في حالة النَّوم شَبيهٌ بالموتى، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: **«النوم أخو الموت»**[1]، ثم إنَّ الإنسان في نومه يرى أشياء ويسمعها، بل يدرك الغيب في المنامات الصَّادقة، بحيث لا يتيَسَّر له ذلك في اليقظة، فذلك برهانٌ قاطعٌ على أنَّ جوهر النَّفس غير محتاج إلى هذا البدن، بل هو يضعف بمقارنة البدن، ويقوى بتعطيله، فإذا مات البدن وخرب؛ تخلَّص جوهر النَّفس عن حبس البدن[2]، فإذا كان كاملًا بالعلم والحكمة والعمل؛ انجذبَ إلى الأنوار الإلهيّة، وأنوار الملائكة، والملأ الأعلى؛ انجذابَ إبرةٍ إلى جبل عظيم من المغناطيس، وفاضَتْ عليه السَّكينة، وحقَّت له الطمأنينة، فنُودِي من الملأ الأعلى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

(الفصل الثّالث): في مراتب النُّفوس في السّعادة والشّقاوة، وبعد المفارقة من البدن:

اعلم أنَّ النَّفسَ الإنسانيّة لا تخلو عن ثلاثة أقسام؛ لأنها: إما أن يكون ناقصة فيهما، وإما أن يكون كاملةً في أحدهما، ناقصة في الآخر.

وهذا القسم الثّالث على ضَربَين؛ لأنَّها: إما أن يكون كاملة في العلم والعمل،

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤١٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٧٤٠): رجال الصحيح، عن جابر بن عبد الله.

(٢) ذكر الرازي مثلَ هذا الاستدلال في «تفسيره» ٩: ٤٢٨ حيثُ قال: «وقت النوم يضعف البدن، وضعفه لا يقتضي ضعف النفس، بل النفس تقوى وقت النوم فتشاهد الأحوال وتطلع على المغيبات، فإذا كان ضعف البدن لا يوجب ضعف النفس، فهذا يقوي الظن في أن موت البدن لا يستعقب موتَ النفس». (البكري).

وإما أن يكون دون العمل، أو بالعكس، فيكون أصناف النُّفُوس بحسب القسمة الأولى على ثلاثة أقسام؛ كما وَرد في الكتاب الإلهي بقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ..... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧-١١].

فنقول: **أما المقرَّبون الكاملون في العلم والعمل:** فهم السَّابقون، ولهم الدَّرجة العليا في جنّات النَّعيم، فيلتحقون من العوالم الثلاثة بعالم العقول، ويتنزَّهون عن أن يقاربوا درَن الأجسام[1]، ونفوس الأفلاك، مع جلالة قدره، فهؤلاء هم السَّابقون الذين هم في الدَّرجة العليا.

وأما أصحاب اليمين ـ وهم في المرتبة الوسطى ـ : فهم يرتفعون عن عالم الاستحالة، ويتَّصلون بنفوس الأفلاك، ويتطهَّرون عن دنس عالم العناصر، ويُشاهدون النَّعيم الذي خلقَه الله تعالى في السَّماوات من الحور العِين، وألوان الأطعمة اللَّذيذة، وألحان الطيور التي تقصر أوصاف الواصفين عن ذكرها وشرحها، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام حكايةً عن الله تعالى: **«أعددتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمِعت، ولا خطرَ على قلب بشر»**[2]، فهذه مرتبة المتوسِّطين من الناس، ولا يَبعُد أن يتأدَّى لهم إلى أن يستعدُّوا للفوز بالوصول إلى الدَّرجة العُليا، فينغمسون في اللَّذات الحقيقية، واصلين إلى السَّابقين من النّاس بعد انقضاء دهورٍ تأتي عليهم، فهذه مرتبةُ أصحاب اليمين.

(١) تعبيره: «ويتنزَّهون عن أن يقاربوا درَن الأجسام» يكاد يصرِّح بأنَّ النعيم في الآخرة نعيم روحيّ، وليس على ما قررته النصوص من كونه حسيًّا وروحيًّا!!! وهذا من عقائد النصارى، وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة تؤكد حسيَّة النعيم، وعبر أجسام تأكل وتشرب، وتُنعَّم بنوعَيْ النعيم الحسِّي والمعنوي. هذا، وقد ذكر من النعيم الحسِّي لأصحاب اليمين، وهذا يؤكد أنَّ ما أراده للمقرَّبين من نعيم لا صلة له بالنعيم الحسِّي، وهو من البطلان بمكان. (تتان).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٤)، ومسلم في الجنة (٢٨٢٤)، عن أبي هريرة.

وأما أصحاب الشمال: فهم النَّازلون في المرتبة السُّفلى، فهم المنغمسون في ظلمات الطَّبيعة، المتنكسون في قعر الأجرام العنصرية، المتنحسون بالحلول في دار البوار ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩] وهم الذين ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ۝ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٣-١٤].

فهذه شرح مراتب أحوال النُّفوس البشرية بعد المفارقة عن الأجسام، والمهاجرة إلى دار الآخرة، وقد اتَّفق على صحَّته الوحي الإلهي، والرأي الحكمي[١]، كما شرحنا. والله أعلم.

خاتمة الرِّسالة في ذكر العوالم الثّلاث التي هي: عالم العقل، وعالم النفس، وعالم الجسم، وترتُّب الوجود من لَدُن الحقّ تعالى إلى أقصى مراتب الموجودات على التّرتيب الناجم من عند العالي[٢]، فنقول وبالله التوفيق:

إنَّ أوّلَ ما خلق الله تعالى جوهرٌ روحانيٌّ هو نورٌ محضٌ، قائمٌ لا في جسم ولا في مادة، وتراكب لذاته ولخالقه تعالى؛ وهو عقلٌ محضٌ، وقد اتفق على صحَّتِه جميعُ الحكماءِ الإلهيين[٣] والأنبياء عليهم السّلام، كما قال نبيُّنا عليه الصّلاة والسّلام: «أوّل ما خلق الله تعالى العقل، فقال له: أَقْبِلْ، فأَقْبَل، فقال له: أَدْبِرْ، فأدْبَر، فقال له: وَعِزَّتي وجَلالي ما خلقتُ خلقاً أعزَّ منكَ عليَّ، فَبِكَ أُعطي، وبك آخُذ، وبك أُثيبُ، وبك أُعاقِب»[١].

(١) أي: الفلسفي. والتفسير المذكور في هذا الفصل لم أقف عليه عند الرازي في «تفسيره»، ولا عند غيره! (البكري).

(٢) قوله: «العوالم الثّلاث التي هي: عالم العقل، وعالم النفس، وعالم الجسم، وترتُّب الوجود من لَدُن الحقّ تعالى إلى أقصى مراتب الموجودات» هذه نظرية الفيض الفلسفيَّة التي تتناقض مع عطاء الوحي المعصوم، وقد نقض نظرية الفيضِ العلماءُ، لأنها تنصُّ على أن الكون قد صدر عن الله دون إرادته ـ سبحانه ـ واقتضى ذلك أن الكون قديمٌ قدم منْ صدر عنه. (تتان).

(٣) قوله: «وقد اتفق على صحَّتِه جميعُ الحكماءِ الإلهيين والأنبياء عليهم السّلام» ليس صحيحًا.

فنقول: إنَّ هذا العقل له ثلاث تعقُّلات:

الأوّل: أنَّه تعقَّل خالقَه.

والثّاني: أنَّه تعقَّل ذاته واجبة بالأوَّل تعالى.

والثالث: أنَّه تعقَّل كونَه ممكناً لذاته.

فيحصل من تعقُّل خالقِه عقلٌ آخر[٢]، كحصول سراج من سراج، وحصل عن تعقُّل ذاته واجبة بالأول النّفسُ؛ هي أيضاً جوهر روحاني كالعقل، إلا أنَّه في الرّتبة دونه، وحصل من تعقُّل ذاته ممكنة لذاته جوهرٌ جسماني، وهو الفلك، وهو العرش العظيم، بلسان أهل الشرع، فتعلّقت تلك النَّفْس بذلك الجسم، فتلك هي النّفس الكليّة المحرِّكة للفلك الأقصى، كما يحرك روحنا جسمنا، وتلك الحركة حركة شوقية، بها تتحرك النّفس الكلية الفلكية شوقاً وعشقاً إلى العقل الأول؛ الذي هو المخلوق الأول، فصار العقل عقلاً للعقل الثّاني، والعقل الثاني عقلاً للفلك الأقصى، ومطاعاً له.

ثم حصل من العقل الثاني عقلٌ ونفسٌ وجسمٌ، فالجسمُ هو الفلك الثّاني، وهو فلك الثَّوابت المسمّى بالكرسي بلسان الشَّرع[٣]، وتعلَّقت النَّفس الثّانية بهذا الفلك،

(١) حديث العقل: رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٤٥)، وابن أبي الدنيا في «العقل» (١٤)، عن أبي هريرة. وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١: ٢٣٠): كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي والدارقطني وابن الجوزي وغيرهم.

(٢) قوله: «تعقُّل خالقِه عقلٌ آخر» هذا ما نصَّ عليه أصحاب النظرية الباطلة!

(٣) قوله: «وهو فلك الثَّوابت المسمّى بالكرسي بلسان الشَّرع» لا تبعد العبارة عما ذهب إليه من تبنى نظرية الفيض، التي ترى أن ثمَّة تسلسلًا في المخلوقات التي صدر كل واحد منها عن الآخر!! (تتان).

وهكذا حصل من العقل الثالث عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ وهو فلكُ زحل.

ثم حصل من العقل الرّابع عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ هو فلكُ المشتري، والنَّفس نفسُ المشتري.

ثم حصل من العقل الخامس عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ هو فلكُ المريخ، والنَّفْس نفسُ المريخ.

ثم حصل من العقل السّادس عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ وهو فلكُ الشَّمس، والنَّفْس نفس الشمس.

ثم حصل من السّابع عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ هو فلك الزَّهراء، والنفس نفس الزهراء.

ثم حصل من العقل الثامن عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ هو فلك عطارد، والنَّفس نفس عطارد.

ثم حصل من العقل التّاسع عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ؛ هو فلك القمر، والنّفس نفس القمر.

ثم حصل من العقل العاشر عقل، وعقل العالم العنصري فحسب، وهو من السّطح المقعَّر لفلك القمر إلى الأرض[1]، والعناصر الأربعة: النّار، والهواء، والماء،

(١) قال الرازي في «تفسيره» ٣٢: ٣٦٤-٣٦٥: «حصل الاختلاف بين أرباب المِلَل وبين الفلاسفة، فإن الفلاسفة قالوا: إنه يتولّد عن واجب الوجود عقل، وعن العقل عقل آخر ونفس وفلك، وهكذا على هذا الترتيب حتى ينتهي إلى العقل الذي هو مُدبِّر ما تحت كرة القمر. فعلى هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد العقل الأول الذي هو تحته، ويكون العقل الذي هو مُدبِّر لعالمنا هذا كالمولود من العقول التي فوقه، فالحق سبحانه وتعالى نفى الوالديَّة أولاً، كأنه قيل: إنه لم يلد العقول والنفوس، ثم قال: والشيء الذي هو مُدبِّر أجسادكم وأرواحكم وعالمكم هذا ليس مولوداً من شيء آخر، فلا والدَ ولا مولودَ ولا مُؤثِّـرَ إلا الواحدُ الذي هو الحق سبحانه». =

والأرض، وحصلت المواليد الثلاثة: وهي المعادن، والنبات، والحيوان، وأكملها الإنسان الذي هو أكمل الموجودات السُّفليّة، وهو بنفسه يُشبِهُ الملائكة، ويمكن أن يبقى ببقاء السَّرمد إذا شبه بالملائكة في العلم والعمل، ويصير هو أيضاً أخسّ مِن البهائم والسباع إذا اتّصف بأخلاقها، وأخْلَدَ إلى الأرض واتَّبَع هواه، وكان أمره فُرُطاً.

وأمّا إذا تنزَّه عن طَرَفَي الإفراط والتفريط في الأخلاق، وتوسَّط بينهما:

= وقال في موضع آخر ١٤: ٢٧٥: «إن القول بإثبات الطبائع وإثبات العقول والنفوس على ما يقوله الفلاسفة وأصحاب الطلسمات باطل، وإلا لحصل خالق غير الله».

وقال في موضع ثالث ١٨: ٤٥٨: «الإله لا يكون قهّاراً إلا إذا كان واجباً لذاته وكان واحداً، وإذا كان المعبود يجب أن يكون كذلك فهذا يقتضي أن يكون الإله شيئاً غير الفلك وغير الكواكب وغير النور والظلمة وغير العقل والنفس. فأما مَنْ تمسَّك بالكواكب فهي أرباب متفرقون وهي ليست موصوفة بأنها قهّارة، وكذا القول في الطبائع والأرواح والعقول والنفوس. فهذا الحرفُ الواحد (يعني: القهّار) كافٍ في إثبات هذا التوحيد المطلق، وأنه مقامٌ عال».

قلت: والمذكورُ في هذه الرسالة قريبٌ مما عزاه الرازي في «تفسيره» إلى الفلاسفة وردَّه، إلا أنّ بينهما اختلافاً، فمذهبُ الفلاسفة هو التولُّد، وهو ترتُّب المعلول على العِلّة من غير اختيار ولا إرادة، ولذا كانت العقول العشرة قديمة عندهم لأنها مُتولِّدةٌ من قديم مُترتِّبةٌ عليه ترتُّبَ العِلّة على المعلول، أما صاحب هذه الرسالة فقد صـرَّح بأنّ الله تعالى خلق العقل الأول، والتعبيرُ بالخلق يُشعِرُ بالاختيار والإرادة، فلا يكونُ العقلُ الأولُ قديماً بقِدَم الله، لأنه ليس معلولاً له ولا مُتولِّداً عنه.

وكذا عبَّر صاحب هذه الرسالة بالحصول بين كلِّ عقل وعقل، وهو عدولٌ منه عن مذهب الفلاسفة في التعبير بالتولُّد.

وكأنه أراد أن يجمعَ بين قول الفلاسفة وأقوال أصحاب المِلَل والأديان، مع الاحتراز عن اللوازم الفاسدة المترتبة على قول الفلاسفة من قِدَم العالم وبقاء الأفلاك والنفوس والعقول وغير ذلـك. والله أعلم.

ولا أظنُّ الرازيَّ يميلُ إلى مثل هذا الجمع، وأدلة بطلان القول بترتُّب العقول والنفوس والأفلاك كثيرة حاضـرة في ذهنه، ومنها ما ذكره الغزالي في «تهافت الفلاسفة» ص١٤٥-١٥٥. (البكري).

فلم يكن شقياً ولا خاملاً في القوّة الشّهوانيّة، بل يكون عفيفاً؛ فإنَّ العِفَّةَ توسُّطُ الشّهوة.

ولا يكون متهوراً ولا جباناً؛ بل يكون شجاعاً، وهو بحسب القوّة الغَضَبِيّة، فإنَّ الشَّجاعة توسُّطٌ بين التهوّر والجبانة.

وكذلك يكون له حُسن المعيشة وحُسن التّدبير فيما بينه وبين النّاس، إما بحسب منزله الخاصّ، وهو كلمة المعيشة بين الزَّوج وزوجتِه وأتباعِه وولده ومالكه ومملوكه، وإما بحسب أهل بلده في المعاملات أو في السياسات، أو كان له رتبة في السياسة.

وهذه الحكمة توسُّط في تدبير نفسه، وغيره دون البلاهة والحماقة والرُّعونة، وهذه الحكمة غير الحكمة التي هي العلم بالحقائق، فإنَّ تلك الحكمة كلَّما كانت أشدّ إفراطاً كان أحسن، وهذه الحكمة لا ينبغي أن يكون بالإفراط، وإلا لكانت جربذة[1]، ولا بالتفريط وإلا لكانت بلاهة.

وهذه الخصال الثّلاثة؛ أعني: العِفّة، والسّخاوة، والشجاعة، والحكمة هي التي تسمى عدالة، فالعَدالة هي مجموعة هذه الخصال الثلاث، فمَن اتَّصف بها وكان أيضاً حكيماً بالحكمة النَّظرية التي هي العلم بحقائق الأشياء؛ فقد صار كاملاً في العلم والعمل، وكان مِن جملة مَن قيل في حقِّهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢].

فإنْ قلتَ: فهل يُمكن أن يُوجد الحكمة النّظرية بحدٍّ لا يُمكن أن يكون أقلّ منها حتى تستعدّ به النّفس لتلك السّعادة، فيكون من السّابقين المذكورين؟

قلتُ: يمكن ذلك التّحديد بالتقريب:

(١) مأخوذ من الجربذة: وهو ثقل الدابة في السير. «تاج العروس»: (جربذ).

فنقول: ينبغي أن يكون عالماً بوجود واجب الوجود تعالى وصفات جلاله، ونعوت كماله، وتنزيهه عن التَّشبيه، وهو أنّه لا يُشبه شيئاً، ولا يُشبِهُهُ شيء، ويتصوّر عنايته بالمخلوقات، وإحاطة علمه بالكائنات، وشمول قدرته على جميع المقدورات.

ثم يعلم أنَّ الوجود يبتدئ من عنده إلى الجواهر العقليّة، ثم إلى النُّفوس الرّوحانية الفلكيّة، ثم إلى الأجسام العالية السّماويّة، ثمّ إلى الأجسام العنصرية بسائطها ومركباتها من المعادن، والنّبات، والحيوان.

ثم يتصوّر جوهر النّفس الإنسانيّة وأوصافها، وأنها ليست بجسم ولا جسماني، وأنها باقية بعد خراب البدن، إما منعَمّة أو معَذَّبة.

فهذا القدر من العلم مجْمَلُهُ أو مُفَصَّلُهُ هو القدر الذي إذا حصل للإنسان؛ استعدَّ للسَّعادة التي شرحنا حالها، أعني سعادة السَّابقين المقرَّبين الكاملين، وبقدر ما ينتقص من علمه وعمله ينتقص من درجاته وقُرْبِه من الله تعالى.

وأمَّا الذين انحطَّت رُتبتُهم من درجة هؤلاء الكاملين علماً وعملاً؛ وهم المتوسِّطون: فيكونون إما كاملون في العلم دون العمل، وإما أن يكونوا كاملين في العمل دون العلم، فإنهم يكونون محجوبون عن العالم العلوي مدَّة حتَّى تنفسح عنهم تلك الهيئات الظلمانية؛ بترك الأعمال الرَّديّة التي كانوا يعملونها في حياتهم الدُّنيا، وتطرقهم الهيئة النورانيّة قليلاً قليلاً، فيلتحقون إلى عالم القدس والطهارة، ويلحقون بهؤلاء السّابقين.

وأما الكاملون في العمل دون العلم مِن قسمة المتوسِّطين؛ وهم المتزهِّدون من أهل الشرائع، الذين يعملون الصَّالحات، ويؤمنون بالله واليوم الآخر، ويتبعون للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فيما أمروا به ونهوا عنه، ولكن لا يكون لهم زيادة

حظٍّ من حقائق العلوم، ولا يعرفون أسراره ولا أسرار التنزُّلات الإلهية، وتأويلاتها، وهم إذا تخلَّصوا عن أبدانهم انجذَبَت نفوسُهم للأملاك، وعرجوا فيها إلى السّماوات، فشاهدوا جميع ما قيل لهم في الدُّنيا من أوصاف الجنَّة في غاية الشَّرف والرُّتبة، ويلبسون فيها من سندس وإستبرق، وحُلُّوا أساور من فضّة متكئين فيها على الأرائك، لا يَرَونَ فيها شمساً ولا زمهريراً، ولا يبعد أن يفضي بهم الأمر إلى أن يرتقوا إلى العالم العلوي، والصَّفو الإلهيِّ، فينغمسون في اللذات الحقيقيَّة التي لا يمكن أن يشرحها بيان، ولا يكشف عنها مَقام.

وإذ قد وصلنا إلى هذا المقام، وكشفنا هذا الأسرار التي عَمِيَت عنها أبصار أكثر النَّاس، وغَفِلُوا عن أنفسهم وإخوانهم على الحقيقة؛ فلْنَكْتَفِ بهذا القدر من الاستبصار للطالبين المسترشدين، جعلنا الله وإيَّاكم من المهتدين، إنَّه هو البَرُّ الرَّحيم.

تمَّت الرِّسالة في معرفة النَّفْسِ التي هي مفتاح معرفة الرّبّ، والحمد لله رَبّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين، الطَّيِّبين، وبالله التوفيق.

* * *

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس القوافي الشعرية
- فهرس عناوين الكتب
- فهرس الأماكن
- فهرس المحتويات التفصيلي

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾	٢٤٧	١/١٢٤
﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾	٢٤٧	١/١٢٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾	٢٤٧	١/١٢٦
﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾	٢٤٧	١/١٢٧
﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٤٧	١/١٢٧
﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٤٨	١/١٢٧، ١٢٨
﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٢٤٨	١/١٣٠
﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	٢٤٨	١/١٣١
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٤٨	١/١٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾	٢٤٩	١/١٣٢
﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾	٢٤٩	١/١٣٣، ١٣٤
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٢٤٩	١/١٣٤
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٢٥٠	١/١٣٤

سورة البقرة	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾	٢٥١	١/١٣٤
﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾	٢٥١	١/١٣٨
﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾	٢٧٣	٢/١٥٥
سورة آل عمران		
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٦	١/١٢٧، ٣٩٨
﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾	١١٩	٢/٣٣٠
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	١٣٩	١/١٤٨
﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾	١٥٣	١/١٤٨
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	١٨٠	١/١٥٧
سورة النساء		
﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾	٣٧	١/١٥٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ... وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	١/١٥٥
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	١٠٩	٢/٣٣٠
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾	١٤٢	١/١٥٠

سورة الأنبياء	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾	١١٠	٢/٣٣٠
﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾	١١٢	٢/٣٣٠
سورة الحج		
﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾	٢٥	٢/٣٤٧
سورة النور		
﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	١	٢/٣٢٨
﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٢٧	٢/٣٢٨
﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾	٣٦	١/١٨٢
﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٦١	٢/٣٢٨
﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾	٩٣	٢/٣٣٠
سورة الفرقان		
﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾	٨	٢/٣٣١
﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾	١٩	٢/٣٣٢
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾	٢٠	٢/٣٣٢
﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ... كَثِيرًا﴾	١٣-١٤	٢/٤٠٠

سورة الشعراء	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	١/٣٩٨
سورة القصص		
﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾	٢٠	٢/٣٣٣
﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾	٧١	٢/٣٣٢
﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٧٢	٢/٣٣٢
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾	٨٠	٢/٣٣٢
سورة لقمان		
﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾	٣٤	١/١٥٤
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	٣٦	١/١٢٦
﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ... إِلَّا قَلِيلًا﴾	٦٠	١/٤٣٤
سورة سبأ		
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾	٣٩	١/١٥٨
﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾	٤٦	٢/٣٣٣

سورة الجمعة	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ ...ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	٢	١/٣٥٦
سورة المدثر		
﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾	٢٥	٢/٣٣٨
سورة الانفطار		
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾	١-٢	١/٣٩٩
سورة الفجر		
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ... فِي عِبَٰدِي﴾	٢٧	٢/١٦٠
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾	٢٧_٢٩	٢/٣٩٨
سورة الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	١-٢	٢/٣٤٥
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	٣	٢/٣٤٥
﴿وَمَا قَلَىٰ﴾	٣	٢/٣٤٦
﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾	٤	٢/٣٤٥، ٣٤٦
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾	٥	٢/٣٤٥
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾	٦	٢/٣٤٥
﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾	٧	٢/٣٤٥

سورة الضحى	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾	٨	٢/٣٤٦
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾	٩	٢/٣٤٥
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾	١٠	٢/٣٤٥
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	١١	٢/٣٤٦
سورة التين		
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾	١	١/٤٣٦
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾	١_٢	١/٣٩٩

*   *   *

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

❋ ❋ ❋

فهرس الآثار

❋ ❋ ❋

فهرس الأعلام

* * *